الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie
جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان الجزائر

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم التاريخ

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط

التّواصل الحضاري بين الأندلس وبلاد المغرب على عهدي المرابطين والموحدين (ق5 –7 هـ /11–13 م).

إعداد الطالب :
عبد الكريم طهير

تحت إشراف:
د. قدور وهراني

أعضاء لجنة المناقشة :

د. غوتي بن سنوسي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة تلمسان	رئيسا
د. قدور وهراني	أستاذ محاضر "أ"	جامعة تلمسان	مشرفا ومقررا
د.نصر الدين بن داود	أستاذ محاضر "أ"	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا
د. بحري أحمد	أستاذ محاضر "أ"	جامعة وهران02	عضوا مناقشا
د. محمد الزين	أستاذ محاضر "أ"	جامعة س. بلعباس	عضوا مناقشا
د. إدريس بن مصطفى	أستاذ محاضر "أ"	جامعة سعيدة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية :1438-1439هـ/2016-2017م.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ – الحجرات"

(13)

شكر

الشكر للّه أوّلا وآخرا على توفيقه لنا في انجاز هذا العمل.

ثمّ الشكر والعرفان موصول إلى الأستاذ المشرف الدكتور قدور وهراني الذي أكمل مسيرة الإشراف، وقدّم لنا يد المساعدة، ووضع بصمته على البحث، ولايفوتني اسداء الشكر إلى أستاذي الفاضل المشرف على هذا البحث من بدايته، الدكتور لخضر عبدلي عن تبنيه هذا العمل، وتتبعه له منذ بدايته إلى أن استوى، وتحمله تعب التوجيه، والتصحيح، إلى أن أحيل على التقاعد، فله منّا جزيل الشكر، ونتمنى له موفور الصحة والعافية.

وأتقدم بالشكر كذلك إلى السادة أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذا العمل وتصويبه رغم ارتباطاتهم وانشغالاتهم.

كما أتقدم بالشكر إلى كلّ من أعانني في انجاز هذا البحث، وهوّن علينا الصعاب، وأخص بالذكر عمّال إدارة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية لجامعة تلمسان، فلهم علينا فضل كبير.

إهداء

أهدي عملي هذا :

إلى معلّم البشرية، إلى حضرة النبي الكريم، محمد صلّى الله عليه وسلم.

إلى الوالدين الكريمين: إلى روح والدي رحمه الله، وإلى والدتي حفظها الله

إلى زوجتي الفاضلة التي أعانتني، وتحملت معي مشقة العمل، وعانت من غيابي وأنا حاضر، وإلى أفراد أسرتها.

إلى أبنائي: عبد الله ياسين، وأريج خديجة.

إلى أهلي وأقاربي، وكل أصدقائي

إلى كل من له فضل على تربيتي وتعليمي، إلى كل أساتذتي من الصف الابتدائي إلى مرحلة التعليم العالي.

مقدمة

مقدمة :

تمتد العلاقات بين بلاد المغرب والأندلس خلال فترة تناهز الثمانية قرون، وهي فترة تعرف بالفترة الوسيطة الإسلامية المشتركة بين بلاد المغرب و الأندلس، تبدأ هذه الفترة من القرن الأوّل وتنتهي مع أواخر القرن التاسع للهجرة، بمعنى أنّها تمتد من بداية القرن الثامن إلى نهاية القرن الخامس عشر ميلادي، وخلال هذه الفترة شهدت العدوتين المغربية والأندلسية تاريخا مشتركا ومتفاعلا ومتشابكا، لذلك فإنّ التفكير في البحث في ذلك التاريخ المشترك دفعة واحدة يعتبر ضربا من المغامرة، حيث ارتأينا أن نكتف بالوقوف عند فترة تاريخية محددة لدراسة التجربة المغربية الأندلسية المشتركة، وبعد كثير من التمحيص وقع اختيارنا على الفترة الأهم في هذه التجربة وهي فترة المرابطين و الموحدين.

تعتبر الفترة التّاريخية للدّولتين المرابطية والموحدية مرحلة مهمّة في تاريخ الإسلام بوجه عام، وتاريخ المغرب والأندلس بوجه خاص، وفي سلسلة التّطورات الّتي طرأت على بلاد المغرب خاصّة بعد أن بسط كلّ من المرابطين والموحدين سلطانهم على مناطق واسعة من المغرب والأندلس، ففي هذه الفترة الممتدة مابين القرنين 5هـ و7هـ/ 11م و13م، حقّق المغرب والأندلس وحدة سياسية، وصلة وثيقة، ففي حين نجح المرابطون في تحقيق ترابط وثيق بين العدوتين، زاد الموحدون في توسيع رقعة هذا التّرابط ليشمل كلّ أطراف المغرب الإسلامي مع الأندلس، فكان لهذه الوحدة آثارها الحاسمة في تقرير مصير العدوتين إلى أمد بعيد، حيث اكتسبت بلاد المغرب شخصيّة مستقلة، دفعتها للمشاركة في إرساء قواعد الحضارة الإسلامية الكبرى، من خلال التأثير على مجريات الأمور في الأندلس، فأصبح لبلاد المغرب اليد الطولى في الأندلس، غير أنّ الأندلس برصيده الحضاري كانت له كلمته كذلك في مسألة العلاقة المستجدة مع بلاد المغرب.

وبناءا على ذلك اخترنا موضوع بحث يتناول "**التّواصل الحضاري بين الأندلس وبلاد المغرب على عهدي المرابطين والموحدين**، فعلى ضوء التّاريخ المشترك والمتداخل بين بلاد المغرب والأندلس خلال الفترة محلّ الدراسة، والذي أنتج خلال الفترة المرابطية والموحدية تدخلا عسكريا وسلطة سياسية لبربر المغرب بالأندلس، وباعتبار أنّ الأندلس كان على حافة الإنهيار والإندثار، فإنّ العلاقة المستجدّة بين العدوتين قد ضمنت اطالة عمر الحضارة الأندلسية، ووصلها ببلاد المغرب، لذلك ارتأينا أن نعالج موضوعا يتناول مسائل التّعاون بين بلاد المغرب والأندلس، وعلاقات التّأثير والتّأثر بينهما في شتّى المجالات، والتي أنتجت أشكالا

متعددة من التّواصل الحضاري بين العدوتين المغربية والأندلسية.

إنّ اختيارنا لهذا الموضوع مبني على اهتمام كبير بالحضارة الأندلسية، ومرتكز على تساؤلات مرتبطة بطبيعة الدّولة المرابطيّة وخليفتها الموحدية، حيث ارتأينا البحث في شكل العلاقة التي ربطت بين أهل بيئة صحراوية بدوية كانت منشأ الدّولة المرابطية، ممزوجة ببيئة مغربية، تختلف عن البيئة الأندلسية التي عرفت مستويات راقية من التّطور الحضاري برغم انهيارها السياسي، وعلاقة القبول التي نشأت بين الطرفين سواء قبول الأندلسيين البقاء تحت الحكم المرابطي ثمّ الموحدي، أو اقبال المرابطين والموحدين على النّهل من الحضارة الأندلسية.

وإذا كانت الدّراسات التي اهتمت بالجانب الحضاري لتاريخ المغرب والأندلس في العصر المرابطي والموحدي قد نالت حظا وافرا من اهتمام الباحثين، فإنّ هذه الدّراسات في معظمها تناولت مواضيع جزئية كالاهتمام بالازدهار الحضاري في الأندلس، أو المغرب، أو التّركيز على ميدان معيّن من ميادن الحضارة دون غيرها، كما أنّ جلّ الدراسات كانت تؤكد على دور الأندلسيين السياسي والحضاري ببلاد المغرب، أمّا عن الدور الحضاري الذي اضطلع به البربر بالأندلس فكان مهملا باستثناء بعض الرسائل الجامعية، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر رسالة ماجستير للباحث حاج عبد القادر يخلف من جامعة وهران الموسومة ب"الإسهام الفكري للبربر في الأندلس من العهد العامري إلى نهاية الوجود المرابطي"، ورسالة ماجستير أخرى للباحث الحبيب الحاكمي من جامعة وهران كذلك والموسومة ب:"الإسهام العلمي للبربر في الأندلس على عهد الموحدين من منتصف القرن السادس إلى مطلع القرن السابع الهجريين (ق12-13م)" وهي أبحاث وإن كانت مهمّة إلاّ أنّها اقتصرت على الجانب العلمي، أمّا دراسة العلاقات الحضارية لبلاد المغرب والأندلس كوحدة سياسية متكاملة فغائبة تماما فلم تفرد الدّراسات – حسب ما أعلم – موضوعا متكاملا للتواصل الحضاري الذي نشأ بين بلاد المغرب والأندلس خلال الحكم المرابطي والموحدي.

كان الهدف من البحث هو دراسة علاقات العدوتين الأندلسية والمغربية في شكلها المتكامل، من خلال الوقوف عند كل أشكال التواصل الذي يقوم على الملاحظة، التقليد، الاحتكاك والامتزاج، للوصول إلى تحديد مكامن التواصل بين بلاد المغرب والأندلس.

لم يخل بحثنا من صعوبات والتي تمثلت أساسا في كون المصادر والمراجع اهتمت بالجانب السياسي

أكثر من اهتمامها بالجانب الثقافي والحضاري، حيث يصعب رصد وإثبات التأثيرات الحضارية المتبادلة، خاصة في مجال انتقال العلوم المختلفة، ودور علماء المغرب الفكري في هذه الفترة، ممّا حتّم ضرورة البحث والتّنقيب بين ثنايا السّطور في بعض ماكتب عن الأندلس والمغرب، لاستخلاص هذا التّأثير، كما أنّ، هذه المصادر سكتت عن كثير من القضايا فقد ذكر عدد أفراد الجيوش التي عبرت إلى الأندلس بدعوى الجهاد، لكنّها لم تفصح عن مصير أفراد هذا الجيش، هل عاشوا بالأندلس أم عادوا إلى أراضيهم، إضافة إلى تداخل الأحداث للفترات الثلاث، دول ملوك الطوائف والمرابطين والموحدين، مع مايطرح ذلك من صعوبة في تتبع تطوّر المجالات الفكرية الّتي ترتبط بشكل أساسي بالعلماء الذين عاصروا فترتين مختلفتين.

ومن أجل الوصول إلى تحقيق غايات البحث طرحنا الإشكالية التّالية : هل أدّت علاقات بلاد المغرب والأندلس إلى تحقيق التواصل الحضاري خلال عصري المرابطين والموحدين؟

وقد قادتنا هذه الاشكالية إلى كثير من الأسئلة الفرعية التي كانت تقتضي الإجابة، وهي:

ماهو شكل العلاقة السياسية التي أحدثها تدخل المرابطين والموحدين في الأندلس؟

ماهي مظاهر التأثير الحضاررري الأندلس على بلاد المغرب؟

ماهو الدّور الحضاري الذي لعبته بلاد المغرب في ظلّ التاريخ المشترك الذي جمعها بالأندلس؟

هل حقق كل من بلاد المغرب والأندلس مفهوم التواصل الحضاري ؟

ومن أجل الإجابة على هذه الاشكالية وفروعها اعتمدنا على المنهج التّاريخي الوصفي القائم على جمع المادّة التاريخية التي تخدم الموضوع في جانبيه السياسي والحضاري، لكنّ الصعوبات في استخلاص عناصر التفاعل الحضاري بين العدوتين بسبب تشتت المادّة التاريخية في بطون الكتب والمصادر دعانا إلى ضرورة التتبع والاعتماد على المنهج التّحليلي القائم على الإستنتاج والإستقراء. .

ووفق تصورنا لقراءة الأحداث السياسية، وما تمّ من تواصل بين بلاد المغرب والأندلس خلال فترة الدراسة، رسمنا خطّة بحث تضمنت جوانب محورية، وأخرى فرعية تكميلية، توضيحة اقتضتها متطلبات الموضوع، وتماشيا مع ذلك قمنا بتقسيم البحث إلى خمسة فصول، وقد فرضت علينا طبيعة موضوع البحث أن يكون مدخل البحث التعريف أوّلا بالمصطلحات الدّالة على الموضوع حتّى نضع البحث في اطاره التّاريخي، الجغرافي والفكري.

تضمّن الفصل الأوّل موضوع "الاتصال الحضاري بين بلاد المغرب والأندلس قبل عصر المرابطين" حيث أنّه من الأهميّة بما كان الوقوف عند الفترة التاريخية التي سبقت توحيد المغرب والأندلس على يد المرابطين والموحدين والتي وجدنا أنّها مثلّت أرضية لنشوء علاقة عضوية متينة بين العُدوتين، وعلى أساس ذلك ركزنا في هذا الفصل على مختلف جوانب العلاقات التي قامت بين بلاد المغرب والأندلس خلال هذه الفترة، بدءا بالعلاقات السياسية في الفترات التاريخية المختلفة، منها الفترة التي سبقت الفتح الإسلامي، ثم مرحلة مابعد الفتح، من عصر الولاة إلى غاية بداية ظهور المرابطين على مسرح الأحداث، ولم نكتف بالأحداث السياسية التي جمعت الضفتين، ولكن قمنا بمسح تاريخي للعلاقات الحضارية بين الطرفين من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري.

أمّا في الفصل الثاني فركزنا البحث على "**التفاعل السّياسيي بين المغرب والأندلس خلال عصري المرابطين والموحدين**" وذلك من خلال استعراض الدّور السياسي الذي قام به كل من المرابطين والموحدين في انقاذ الأندلس من التفرقة والتّجزئة والسقوط بيد النّصارى، وبالتّالي إدامة أمد التّواجد الاسلامي بالأندلس، وبعدها عرضنا مسألة استفادة المرابطين والموحدين من الخبرة السياسية الأندلسية من خلال الاعتماد على عدد من الشخصيات الأندلسية كوزراء ومستشارين، وضربنا لهذا الغرض مجموعة من الأمثلة المرتبطة أساسا بالنظام السياسي الذي زواج بين التقاليد المغربية في الحكم و الخبرة الأندلسية.

أمّا الفصل الثالث فعرضنا فيه لـ "**التأثير الحضاري الأندلسي على بلاد المغرب في العصر المرابطي والمرابطي**" وعالجنا فيه أهم مظاهر هذا التأثير، والعوامل الّتي ساعدت عل انتقال المؤثرات الحضارية من الأندلس إلى بلاد المغرب، فتناولنا تأثير الجانب الأندلسي على حياة أهل المغرب الاجتماعية في مجال اللّباس، الطعام، التّقاليد، وغيرها من الأمور الحياتية الأخرى، ثمّ بيّنا مظاهر وعوامل انتقال الفنون المختلفة من بناء ،وموسيقى، غناء إلى بلاد المغرب، كما تطرقنا إلى التأثيرات العلمية الأندلسية من خلال احتضان بلاد المغرب لعلماء الأندلس، والذين كان لهم الفضل في نقل معارفهم إلى طلاب العلم ببلاد المغرب سواءا من خلال قيامهم بعملية التدريس، أو من خلال الاستفادة من مؤلفاتهم العلمية.

أمّا الفصل الرابع من هذا البحث فتطرقنا فيه إلى :"**اسهام البربر الحضاري في العصرين المرابطي والموحدي**" وكان الهدف من هذا الفصل هو ابراز مدى تفاعل البربر مع المعطيات الحضارية الجديدة في

اطار الصلة الوثيقة التي أصبحث تجمعهم بالأندلس، من خلال معالجة التحركات البشرية المختلفة التي شهدتها هذه الفترة، والتي كان لها أهميّة في احتكاك المرابطين والموحدين بمنابع الحضارة في شمال المغرب والأندلس، ومنها تناولنا زحف قبائل صنهاجة – المرابطية- من الصحراء إلى شمال المغرب وتأثيراها على مواطن استقرار القبائل المغربية هناك خاصّة منها قبائل مصمودة- الموحدية- وعرّجنا على غزوة القبائل العربية الهلالية على بلاد المغرب في عصر المرابطين، وماصاحبها من جدل حول همجيتها، واسهاماتها الحضارية، كما تطرقنا إلى الهجرة إلى الأندلس في الاتجاهين، هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب، وهجرة البربر إلى الأندلس، وحاولنا ربط علاقة هذه التحركات البشرية بخلق واقع حضاري جديد، كما لم يفتنا الوقوف على وجود بعض جوانب من المخلفات الاجتماعية للبربر ببلاد الأندلس، كاللباس والطعام، وأنهينا الفصل بتناول مساهمة علماء بلاد المغرب في إثراء الحياة الثقافية بالأندلس.

أمّا الفصل الخامس فحاولنا من خلاله أن نرصد واقع التمازج الحضاري بين العدوتين في اطارها البشري والجغرافي، وذلك بالحديث عن الإندماج العسكري الذي حدث في اطار مواجهة الأندلسيين والبربر للنّصارى في عصري المرابطين والموحدين، ووضحنا أنّ توحيد الجهود الحربية والقتالية أفضى إلى تمازج عسكري ظهرت أثاره على مستوى تنظيم الجيش المرابطي و الموحدي، الخطط الحربية، والفنون القتالية، كما أنّ عيش الأندلسيين والبربر جنبا إلى جنب دفعنا إلى تقصي مسألة حدوث علاقات مصاهرة بين الطرفين، ثمّ تعرضنا لتلك الصلة الوثيقة التي جمعت بين أطراف بلاد المغرب والأندلس، من خلال المسالك التجارية والمراكز الثقافية، وكيف ساهمت في نشر الثقافات المتعددة ومزجت بينها.

وخلصنا في النّهاية بخاتمة عرضنا من خلالها لأهم النتائج التي توّصل إليها البحث

– دراسة المصادر

تطلّب موضوع الدراسة الاعتماد على مختلف أصناف المصادر والتي ضمّت في ثناياها اشارات واضحة أو ضمنية إلى الصلات الحضارية بين المغرب والأندلس، لذلك من المفيد الوقوف عند أبرز هذه المصادر، وغايتي من تقديمها هو التعريف بها، وإبراز مجالات الاستفادة منها، وترتيبها الزمني حسب ما أفادت به الموضوع، وهي كالتالي:

أوّلا) كتب التاريخ العام :

تحتل كتب التّاريخ أهمية بالغة لدراسة الحقب الزمنية المختلفة لتاريخ المغرب والأندلس، وهي مصادر لايمكن لأي باحث الاستغناء عنها، وعلى الرغم من تركيز هذه المصادر على الجوانب السياسية والعسكرية، إلّا أنّ ذلك كان مفيدا لنا على اعتبار أنّ ذلك سيرتبط بالصلات السياسية والعسكرية التي جرت بين العدوتين و التي ستضمن لنا إدراك كثير من المعطيات الحضارية المرتبطة بمسألة الاحتكاك البشري، وافرازاته المختلفة، وكان من أهم ما أفادني منها خلال الفترة موضوع الدراسة:

– كتاب التبيان في الحادثة الكائنة بدولة بني زيري: لمؤلفه عبد الله بن بلكين الصنهاجي ت – 483هـ/1090م)، أمير غرناطة ، فقد وضعه في شكل مذكرات تحولت إلى تأليف تاريخي، كتبه حين نفي إلى مدينة أغمات بالمغرب بعد أن أسقط المرابطون حكم ممالك الطوائف المتفرقة بالأندلس، وقد نشره المستشرق الفرنس "ليفي بروفنسال" بالقاهرة سنة 1955م، وإن كان الكتاب في الأصل يدور حول تاريخ دولة بني زيري في الأندلس إلا أنه أفاد أيضا حول فترة من حكم المرابطين بالأندلس ، ويتضمن إشارات عن الحياة الاجتماعية ، وقد أفدت منه في الجانب السياسي عن الحالة التي آلت إليها الأندلس من تنازع أمراء الطوائف فيما بينهم، واستنجاد الأندلسيين بيوسف بن تاشفين، هذا زيادة على أنّه وثيقة هامة لدراسة المجتمع فقد أفادتني أيضا من جهة ما تضمنه من أمثال وحكم شعبية تمثل بها بألفاظ عامية فيها مزيج بين اللهجة البربرية التي يعود لها في أصولها، واللهجة الأندلسية أين استقر وحكم.

– نظم الجمان لترتيب ما سلق من أخبار الزمان لابن القطان أبو محمد الحسن بن علي، المتوفى سنة 638هـ/1230م، تكمن أهمية الكتاب في أنّ صاحبه عاصر الدّولة الموحدية، وكان قريبا من احداثها، اضافة إلى أنّه انتفع بكتب من سبقوه من مؤرخي الدّولة الموحدية واضطلع على كتبهم مثل كتاب "المقباس في أخبار المغرب والأندلس وفاس" لعبد الملك بن موسى الوراق، وكتاب "النبذ المحتاجة من أخبار صنهاجة" لأبي

الحسن علي بن حماد الصنهاجي، وهذه الكتب معظمها ضاع ولم يبق منها إلا مقتطفات في المراجع المتأخرة، لذلك فهذا للكتاب ذو قيمة تاريخية، خاصّة أنّه يحتوي على رسائل الخلفاء الموحدين التي كانت ترسل من المغرب إلى الأندلس والعكس، كما يلقى الضوء على نظام الحكم عند الموحدين، كما تعرض لمسألة انتقال أهل المغرب للأندلس بدافع الجهاد ضد النصارى.

– **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** لعبد الواحد المراكشي المتوفى في ق7هـ/13م، وهو من المصادر الهامّة لتاريخ المغرب والأندلس خاصّة العصر الموحدي، وتكمن أهمية المؤلف إلى معاصرة الكاتب للدولة الموحدية واتصاله المباشر بخلفائها ممّا يعني أنّه كان على دراية تامّة بسياستهم وواقعهم الحضاري، لذلك كانت أوجه الاستفادة من هذا المصدر متعددّة منها: رصد التطور السياسي لباد العوتين خلال عصري المرابطين و الموحدين، ودراسة علاقة العداوة بين البربر والأندلسيين خاصّة في فترة الفتنة، فضلا عن وجود بعض الإشارات عن الأحوال الاجتماعية كزواج بعض الأمراء الموحدين.

– **المن بالإمامة على المستضعفين**، لأبي مروان عبد الملك بن محمد الباجي، المتوفى أواخر القرن 6هـ/12م، الكتاب عبارة عن ثلاثة أسفار وصل منه السفر الثاني فقط، يتضمن هذا الكتاب معلومات هامّة عن الحياة المعمارية والحضارية للدّولة الموحدية كما، يتحدث عن نظم الدّولة .

– **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب لابن عذارى المراكشي** كان حيّا في عام 712هـ/1312م، ويقع هدا المؤلف في عدة أجزاء، والأهم في هذا المصنف هو الجزأين 3-4و5 الخاصين بتاريخ الطوائف إلى تاريخ الموحدين، وقد أفادني في تتبع أحوال بلاد المغرب والأندلس خاصّة بعد توّحدهما السياسي، زيادة على ما تناوله من أخبار أفادت البحث فيما يخص توسعات الموحدين والمرابطين بالأندلس، والأراضي التي دخلت تحت نفوذهم، ودورهم في إدماج القبائل المغربية في عمليات الجهاد ضدّ النّصارى، كما لم يخلوا الكتاب من شذرات متناثرة عن مظاهر الحياة الفكرية، من خلال المدارس والمساجد.

– **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** لعبد الرّحمان ابن خلدون المتوفى سنة 808هـ/1406م: يعتبر مؤَلَّفُه من أهم المصنفات التي تمدنا بمعلومات غزيرة عن الأحداث الجارية ببلاد المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين و الموحدين، وبخاصة الأحداث السياسية والعسكرية، وبه يجد الباحث معلومات مفصلة ودقيقة تتميز بالتحليل للأحداث

السياسية في الأندلس والمغرب، وبشكل خاص جزءه السادس، زيادة على ذلك فالمصدر أورد معلومات هامّة حول مواطن القبائل البربرية التي دخلت الأندلس من بلاد المغرب، وأسباب انتقالها إلى هناك، وأماكن استقرارها، حيث أنّ استقراء تلك الاحداث مكنّنا من استخلاص بعض الحياة الاجتماعية للبربر بالأندلس.

– **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** لابن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي، المتوفى سنة 926هـ/1325م، اختص هذا المصنف بتتبع تاريخ مدينة فاس، مع الاعتناء بتاريخ الدّول القائمة في هذه المنطقة من القرن الثاني إلى بداية القرن الثامن، والتأريخ لرجالاتها وعلماءها ووفياتهم، أمّا عن الفترة موضوع الدراسة فتناول ابن أبي زرع تاريخ دولة المرابطين واتساعها، وما قامت به من أعمال، وانتظام الملك لها إلى حين ظهور دولة الموحدين التي خصها المؤلف بعد ذلك بدراسة واسعة، وأهميّة الكتاب تكمن في احتوائه مادّة إخبارية غزيرة أفادتني في رصد التطورات السياسية والعسكرية التي عاشتها كل من بلاد المغرب عموما بما فيه المغرب والأندلس على عهد كل من المرابطين والموحدين، اضافة إلى أنّ هذا المصدر يؤرخ للجوانب الحضارية المختلفة كالعمران، وبخاصّة عمارة المساجد.

ثانيا) كتب الجغرافيا والرحلات:

تتميز كتب الجغرافيا والرحلات بأنّ أصحابها دوّنوا الأحداث انطلاقا من معايشتهم للأحداث، ومعاينتهم لها بالمشاهدة المباشرة للأماكن، والمدن، والمناطق التي مروا عليها، وقد زودتنا مصادرهم بمعلومات مهمة وقيّمة عن الجوانب والثقافية، الفكرية ببلاد المغرب والأندلس خلال عصري لمرابطين والموحدين، من أبرز هذه المصادر:

– **المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب** للبكري، أبي عبد الله بن عبد العزيز القرطبي المتوفى سنة 487هـ/1094م، وهو الجزء المتبقي من كتابه الجغرافي " المسالك و الممالك "، ومنه القسم الخاص بوصف المغرب، يعتبر المؤلف من أبرز الكتب، والمعروف عنه أن كاتبه لم يبرح الأندلس وأنه جمع معلوماته من بعض الرحالة والجغرافيين منهم محمد بن يوسف الوراق المتفى سنة 363هـ/973م، وتأتي أهميّة هذا المصنف فيما احتواه من معلومات هامة تخص بلاد المغرب، وقد أفادني في رصد المسالك البحرية والبرية التي ربطته ببلاد الأندلس، وسهلت عملية التنقل التجاري، كما أمدني بمعلومات غزيرة عن التجارة وأهم السلع المتنقلة بين البلدين، وفيه إشارات إلى بعض عادات القبائل ببلادالمغرب.

– **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** للإدريسي محمد بن إدريس المعروف بالشريف الشريف الإدريسي، أبو عبد الله محمد الشريف المتوفى سنة 560هـ/1164م)، من المعروف أن صاحب الكتاب ولد الكاتب ببسبتة، ودرس بقرطبة، ألّف الكاتب كتابا لوصف الخريطة هو "نزهة المشتاق" والكتاب يتضمن أقسام أهمها الخاص بأرض المغرب والأندلس، حيث أنّه لا غنى لباحث في تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس عن الاعتماد عليه، فهو يعتبر بحق أهم جغرافي أنجبته الأندلس ، ومصنفه هذا الذي وضعه للملك الصقيلي روجر الثاني يعد من أنفس الدراسات نظرا لما تقدمه لنا من تصوير دقيق للمدن الأندلسية، تضمن بعض الاشارات عمرانية والفكرية، حيث استفاد منه البحث فيما يتعلق بأسماء المراسي التي ارتبطت بالنشاط التجاري البحري مع الأندلس، وما قابلها من مراسي الأندلس، وغيرها من الطرق والمسافات بين المدن، زيادة على وصف مميزات البيئة الطبيعية بالمغرب والأندلس (وصف المدن، القلاع، الوديان، السهول).

– **الاستبصار في عجائب الأمصار** لكاتب مراكشي مجهول من القرن 06هـ/12م، يمتاز هذا المصنف بأنّه أوسع تفصيلا عن سابقيه، إذ بتتبع النشاطات الاقتصادية بالمغرب ، ويقف على الموارد الأولية التي تزخر بها المنطقة زراعيا وصناعيا وتوزيعها الجغرافي، كما يتكلم كذلك عن المسافات والطرق ويبرز بعض السلع التي كانت تنتقل إلى الأندلس من بلاد الغرب عموما في إطار عمليات التبادل التجاري ، هذا زيادة عن إعطائنا صورة عن بعض مظاهر العمران بالمنطقة وإشارات لمظاهر الحياة الاجتماعية لبعض القبائل كصنهاجة والعمائم التي كانوا يرتدونها، ويتكلم عن سكان مدينة وهران والقبائل التي تسكنها .

– **كتاب الجغرافيا**: لابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى المتوفى سنة 683هـ/1283م، تبرز أهمية هذا المؤلف خاصّة في أنّه يقدم صورة حيّة عن مختلف الأنشطة الاقتصادية التي تتميز بها مدن الأندلس كمالقة، مرسية، المرية، حيث يفصل في أنواع المنتجات الصناعية والسلع المتوفرة بها التي تتواجد بكميات تسمح بممارسة النشاط التجاري وعمليات تبادل السلع وتصديرها نحو الغرب، بحيث يعرض نماذج عن السلع التي كان يتاجر بها من الأندلس إلى المغرب عموما بما فيه المغرب.

– **الروض المعطار في أخبار الأقطار للحميري** أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم المتوفى سنة 710هـ، والذي يعتمد عليه في تحديد مواقع المدن الأندلسية وخصائصها التاريخية ويبرز الحوادث البارزة المتصلة بها، رغم أنها منقولة عن سابقيه من المؤرخين والرحالة الجغرافيين، وقد قام بتحقيقه إحسان عباس في 1975،

ونشر ليفي بروفنسال القسم الخاص بالأندلس (**صفة جزيرة الأندلس**)، وهي مرتبة ترتيبا أبجديا، وبالتّالي فهو يعتبر من أهم المعاجم الجغرافية التي يعتمد عليها في الدّراسات التاريخية، .

ثالثا) كتب الفقه والأحكام والنوازل والحسبة:

اهتمت هاته المصادر بتجسيد كل ما يمت بصلة للحياة الاجتماعية والاقتصادية التي مست أفراد المجتمعين المغربي والأندلسي، وبالتالي توفر هذه المصادر معلومات نادرة ووفيرة، وعليه كانت هذه الأخيرة السند القويّ في اماطة اللّثام عن كثير من المعاملات الاجتماعية، بحكم تناولها لقضايا معيشة عالجها الفقهاء والمفتون بحكمة ورويّة، ومن أهم هذه المصادر:

نوازل البرزلي المسماة "جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام":لأبي القاسم بن أحمد التونسي ت (841هـ/1438م) يعد أيضا موسوعة فقهية يحتوي على عدد هائل من المسائل والنوازل التي تعرض مختلف الجوانب المتعلقة بالحياة الاجتماعية لأهل المغرب، والتي عالجت مسائل الزواج، المواسم، الأعياد، الاحتفالات، وغيرها ، وقد أفادني في رسم صورة العلاقات الاجتماعية للمجتمع المغربي الأندلسي خلال الفترة موضوع الدراسة انطلاقا من أجوبة الفقهاء الذين عايشوا تلك الفترة، وقد كان منهم العديد من فقهاء المغرب.

– المعيار والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب: لصاحبه أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي التلمساني المتوفى سنة914هـ/1508م، مع أنّه متأخر عن الفترة موضوع البحث، إلا أنه جمع عددا كبيرا من فتاوى علماء من الأندلس والمغرب ممن عاشوا في عصر المرابطين والموحدين كابن رشد وابن الحاج، وبالتالي فهو يحوي مسائل تتعلق بالحياة الاجتماعية في العدوتين، إذ يضم معلومات قيمة عن الزواج، ومنها قضايا الزواج بين البربر والأندلسيين..

– كتاب أحكام ابن سهل وهو المعروف بكتاب "الاعلام بنوازل الأحكام"، ألّفه عيسى بن سهل الأسدي الغرناطي(ت480هـ/1093م)، وهو أقدم كتب النوازل الأندلسية، وهو خاص بفتاوي الأندلسيين، اشتمل على معلومات تاريخية وحضارية مهمّة خاصّة ببلاد الأندلس في القرن الخامس الهجري، كما بيّن أنماطا نادرة من العلاقات بين مختلف المتساكنين من مسلمين ونصارى ويهود، وقد رتبه صاحبه على أبواب الفقه، وهذه النوازل مرجعا فقهيا، وأفاد منها بعض المؤرخين المحدثين.

رابعا) كتب الطبقات والتراجم والسير والمناقب :

لكتب التراجم قيمة كبيرة في استخلاص المادة التّاريخية، في صورتها الاجتماعية، الثقافية والدينية، ففي التّراجم يقف الباحث مجموعة من الجزئيات التي تحاكي حياة الناس، ومنهم العلماء الذين تعرض حياتهم اليومية، مجالسهم، علاقتهم، مأكلهم وملبسهم، وسلوكهم، وكان من أهمها:

-كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم وفقهائهم وأدبائهم لابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، المتوفى سنة494هـ/578م، وهو صلة وتكملة لكتاب آخر هو "تاريخ الأندلس" للمؤرخ ابن الفرضي (ت403هـ/1012م)، يقدم الكتاب عرضا بأسماء العديد من العلماء الذين أسهموا في تنشيط الحركة العلمية ببلاد الأندلس خلال الفترة موضوع البحث، وقد أفادني كثيرا في مجال تتبع ورصد حركة العلماء الأندلسيين الذين وفدوا على بلاد المغرب من الأندلس للدراسة أو التدريس، زيادة على الذين تولوا مناصب بها القضاء والفتيا والإمامة.

- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لأبي عبد الله محمد بن محمد عبد الملك المراكشي الأنصاري المتوفى سنة 703هـ/1303م، وهو مصنف واسع قام بتحقيقه مجموعة من الباحثين، وهو تذييل لكتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي وكتاب الصلة لابن بشكوال، وبالتالي يشكل قاموس لرجال الأندلس ومن رحل إليها من المغاربة، والمشارقة حتى القرن 07هـ/13م، ومن أبرز من يترجم لهم عبد الملك المراكشي، الروّاة، العلماء ،الأدباء والشعراء، وقد أفدت منه في الكشف عن دور علماء الأندلس ببلاد المغرب خاصة الذين جاؤوا في إطار الرحلة العلمية، كما استعنت بها في رصد بعض جوانب المجتمع الأندلسي وحياة هؤلاء العلماء الخاصة ونمط معيشتهم.

- بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس لأحمد بن عميرة الضبي المتوفى في عام 599هـ /1203م وسماه " بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس علمائها وأمرائها وشعرائها، وذوي النباهة فيها ممن دخل إليها أو خرج منها. مما وشي به الحميدي وغنم وألحم سداه وتمّ " وواضح من هذه التّسمية أن المؤلف اعتمد في الأساس على كتاب"جذوة الاقتباس" للحميدي فأثبت ماجاء فيه وزاد عليه ماغفل عنه. والكتاب في تراجم الرجال من المحدثين والعلماء وأصحاب الرياسة من حين فتح الأندلس إلى عهد المؤلف، وفي كل ترجمة كان يثبت

لكل علم نسبه وأخباره وعلمه ومناقبه ومصنفاته وشيوخه وتلاميذه ويركز بشكل خاصّ على رواة الحديث ورجال الفقه، كما يثبت تراجم لكلّ من دخل الأندلس من الرجال ممّن تتوفر فيه الشروط السابقة وقد نظمه على الترتيب المعجمي للأسماء .

– **التكملة لكتاب الصلة:** ت (659هـ/1261م.لابن الآبار البلنسي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي المتوفى سنة658هـ/1260م، ولابن الأبار مؤلفات أخرى نذكر منها:

– **كتاب الحلة السيراء** : يعدّ هذا المصنف أشمل، بحيث أكمل فيه صاحبه ما نسيه ابن بشكوال في الصلة، وزاد فيه من معلوات عن حياة العلماء، يحوي هذا المصدر تراجم عديدة لعدد كبير من الشّخصيات التاريخية في الأندلس من القرن الأوّل حتى منتصف القرن السابع الهجري، وتتسم مادّته بالغزارة والدّقة. اضافة إلى مارد فيه من شعر، وقد اعتمدته لأهميته في وصف علاقة المغاربة بالأندلسيين .

– **التكملة لكتاب الصلة** : وهو تتمّة لكتاب الصّلة لابن بشكوال، ويتضمن تراجم لعلماء الأندلس حرص من خلالها المؤلف على ذكر سيرتهم وشيوخهم و المساجد التي يسمعون بها.

– **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب:** لابن فرحون، ابراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المتوفى عام 799هـ/1396م، وترجم فيه لأعيان المذهب المالكي،وحرص في هذه التراجم أن يتكلم على رواة المذهب والناقلين عنهم والمجتهدين فيه والقائمين على أصوله والمفتيين على قواعده والمدونين لمسائله، وتميز درجاتهم من العلم والفهم و الدّين و الورع، وكان في كلّ ترجمة يثبت الإسم والنّسب ونبذة عن حياة المترجم له وشهادة أهل العلم فيه وفي مؤلفاته ، كما كان يذكر سنه وسنة وفاته، ويكتفي في بعض الأحيان بذكر سنّ الوفاة .

– **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك** للقاضي عياض أبي الفضل المتوفى 544هـ/1149م، والذي يختص في ذكر تراجم أعلام المالكية، وهو مرّتب على الطبقات والبلدان، فيذكر في كل طبقة أعلام كل إقليم، وقد أفادنا بتحديد أهم علماء المغرب والأندلس الذين برزوا خلال العهد المرابطي.

– **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،** لمؤلفه أبي الحسن علي بن بسام التغلبي الشنتريني التوفى سنة 542هـ/1148م، يترجم الكاتب لشعراء أوائل العصر المرابطي، بالإضافة إلى نقله لنا أخبار سياسية

واجتماعية، وبذلك يمكن اعتباره موسوعة أدبية، وردت فيها تراجم عديدة لأعيان الأدب في عصر المرابطين.

- **ديوان الزجل**:لابن قزمان (أبو بكر محمد بن عيسى المتوفى سنة 556هـ/1160م، يعتبر هذا المؤلف مصدرا هامّا يؤرخ لفترة حكم المرابطين للمغرب والأندلس، وهو وثيقة مميزة لدراسة الأحوال الاجتماعية خاصة بالأندلس خلال تلك الفترة، وما يتعلق بها من مظاهر لحياة الناس، حيث يقدم في أزجاله وصفا لتلك المعاملات والعادات، وطرق الزواج والاحتفالات، والأعياد وألوان اللباس، وأصناف الأكل، وقد ساعدني كثيرا باعتبار صاحبه شاهد عيان عايش تلك الفترة.

– **نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب** ، لمؤلفه أبي العباس ، أحمد بن محمد بن أحمد المقري التلمساني الملّقب بشهاب الدين المتوفى سنة1040هـ/1630م، تنوعت فيه المادة التاريخية من عناية بالجانب التاريخي السياسي، ووصف للعمران والحواضر الأندلسية، إلى التعريف بالشخصيات الأندلسية، وتكمن أهمية الكتاب في كون مؤلفه يرجع كل خبر إلى أصله ومصدره .

– **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** لأحمد بن محمد بن ابراهيم، شمس الدين أبو العباس، البرمكي الأربيلي الشافعي: ولد بأربيل سنة 608 هـ/1211م، تلقى العلم على الجواليقي وابن شداد في حلب، نظرا لضياع معظم كتب المؤلفين السابقين له ، صار مرجعا يطلع عليه من جاء بعده من العلماء، ويعتبر من أهم الكتب التي تعالج التاريخ الأدبي والتّراجم.

– **أمثال العوّام**: للزجالي القرطبي (أبو يحي عبد الله بن أحمد) ت (694هـ/1295م)، تعدّ الأمثال مصدرا مهمّا في دراسة التّاريخ الاجتماعي والحضاري، لأنّها تجسد واقع المجتمع والنّاس انطلاقا مما تمثلوا به، جاءت مفرداته باللّهجة العامية الأندلسية، خاصّة في مجال الأمثال، ولم تكن بعيدة عن لهجة أهل المغرب، وقد دوّنه في عصر النّظم والتّقاليد، وبالتالي نجد أمثال الأندلس قد رويت في المغرب والعكس، كما أن تلك الأمثال تصور مظاهر حياة النّاس وتصف طبائعهم، وطرائق عيشهم من مأكل وملبس واحتفالات وبالتالي منحني صورة مفصلة عن مظاهر التقارب بين العدوتين المغرب والأندلس بإمدادي ببعض الإشارات المتناثرة التي تكشف عن الحياة الاجتماعية التي كان يحياها بعض العلماء الأندلسيين ببلاد المغرب خلال الفترة موضوع الدراسة ومستواهم المعيشي، كما استقيت منه أسماء الألبسة وبعض أنواع الأطعمة وطريقة الاحتفالات.

– **الإحاطة في أخبار غرناطة** للسان الدين بن الخطيب، المتوفى سنة 776هـ، والذي اعتمادنا عليه في

مجموعة من المؤلفات أبرزها كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة، والذي مكنّنا من رصد أهم أدباء وعلماء بلاد الأندلس، ودورهم في نقل العلوم إلى بلاد المغرب.

إضافة إلى هذه المصادر اعتمدت على مجموعة من المراجع سيتم ذكرها في قائمة المصادر والمراجع.

وفي الختام فإنّ ما بذلته في إنجاز هذا العمل العلمي المتواضع، أبتغي به وجه الله أولاً وإثراء البحث العلمي ثانيا، فإن وُفقتُ فمن فضله تعالى ومنّه، وإن قصرتُ فأدعو الله المزيد من العون والسّداد.

مدخل: التعريف بمصطلحات البحث :

المبحث الأوّل: الإطار التاريخي والجغرافي للبحث

1)الإطار التاريخي والجغرافي للدّولة المرابطية (448- 541هـ/1056-1147م):

2) الإطار التاريخي والجغرافي للدولة الموحدية (541-668هـ/1147-1269م):

المبحث الثاني: المرتكزات الجغرافية للبحث :

1) بلاد المغرب :

2) الأندلس :

المبحث الثالث: مفهوم التّواصل الحضاري:

مدخل: التعريف بمصطلحات ومفاهيم البحث

يرتكز موضوع البحث "التّواصل الحضاري بين الأندلس وبلاد المغرب على عهدي المرابطين والموحدين" على مجموعة من المفاهيم التّاريخية، الجغرافية والفكرية، وجب الوقوف عندها وضبط مفاهيمها، فأمّا المفاهيم التّاريخية فتتعلق بعهدين تاريخيين متصلين من حيث الزمان مختلفين في اتجاههما الفكري يتعلق الأمر بعصري المرابطين والموحدين، أمّا من حيث المكان فإنّنا سنتحدث عن حيز مكاني واحد هو المغرب والأندلس، اللذّان يفصلهما بقعة مائية تمتد بينهما في البحر المتوسط، ولعلّه من المفيد هنا أن نستحضر معنى كل وحدة من هذه الوحدات الجغرافية المكونة للفترة الزمنية التي نحن بصدد دراستها، ومن الناحية الفكرية سنعالج في اطار الصلات المتعددة التي جمعت بين هاتين الوحدتين الجغرافيتن، الصلة الحضارية من خلال التوقف عند مفهوم التّواصل الحضاري.

المبحث الأوّل: الإطار التاريخي والجغرافي للبحث

1)الإطار التاريخي والجغرافي للدّولة المرابطية (448– 541هـ/1056– 1147م):

دولة المرابطين دولة إسلامية، قامت على الجهاد، ونشر الإسلام في ربوع السّودان الغربي[1]، فيما بين القرنين الخامس والسّادس الهجريين، الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، ثمّ لم تلبث أن توّسعت صوب الشّمال فاقتحمت ميدان المغرب الأقصى والأوسط، والأندلس. وكان لهذه الدّولة دور هامّ في تاريخ المغرب الإسلامي، حيث شاركت في معركة الجهاد بالأندلس، فأنقدت الإسلام ممّا كان يوشك أن يقع فيه، وتصدّت لعدوان المماليك النّصرانية هناك[2]، واستطاعت بعدها التّوحيد بين أقاليم السّودان والمغربين الأقصى والأوسط، والأندلس[3].

[1]– تشمل بلاد السودان الغربي حوض النيجر، ونهر غانا والمجرى الأعلى لنهر الفولتا، والحوض الأوسط لنهر النيجر، **فتحي زغروت**، العلاقات بين الأمويين الفاطميين في الأندلس والشّمال الإفريقي 300هـ-350هـ، ط1، دار التّوزيع والنّشر الإسلاميّة ، القاهرة، 2006 ، ص 169.

[2]– **حمدي عبد المنعم حسين**، التّاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997، ص 7.

[3]– **حسن أحمد محمود**، قيّام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، مصر، د ت، ص

أمّا المجال الجغرافي الّذي قامت عليه الدّولة المرابطية فهو منطقة واسعة، اختلف المؤرخون والجغرافيون في ضبطه، والواضح أنّ هذه الدّولة بسطت سلطتها السّياسية على الأقاليم الثلاث، المغرب الأقصى، والمغرب الأوسط، والأندلس. وأبقت نفوذها على بلاد السّودان الغربي، وهي بذلك تمتد مابين ساحل المحيط الأطلسي غربا، ونهاية السّفانا في بلاد السودان الغربي جنوبا[1].

2) الإطار التاريخي والجغرافي للدولة الموحدية (541–668هـ/1147– 1269م):

قامت دولة الموحدين على أنقاض دولة المرابطين، حيث نشأت هذه الدولة في أوّل أمرها بالمغرب الأقصى، مرتكزة على فكرة دينية قائمة على التّوحيد[2] والمهداوية[3]، ثمّ استطاع الموحدون بعدها مدّ سلطانهم إلى بلاد المغرب الأوسط، كما أنقذوا المغرب الأدنى من فتن العرب الطارئين وتهديد النّصارى النورمانديين[4]، ثمّ وجّهوا اهتمامهم نحو الأندلس التي عمّتها الثورات على المرابطين[5]، كما صدّوا غارات الممالك والإمارات الإسبانية على الأندلس الإسلامية وأوقفوا تقدمها[6].

كان من أبرز أعمال الموحدين جمع شتات بلاد المغرب والأندلس تحت راية واحدة، وانشاء دولة قويّة[7]، فاقت دول المغرب خلال العصر الوسيط عظمة ونفوذا[8]، حيث ضمّت المغرب الأقصى والأوسط، وكذلك المغرب الأدنى، والأندلس، ووصلت حدودها من طرابلس شرقا إلى مشارف المحيط الأطلسي غربا،

.327

[1]– **سعد زغلول عبد الحميد**، تاريخ المغرب العربي المرابطون : صنهاجة الصحراء الملّثمين في المغرب و السودان والأندلس، ج4، ط1، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1995، ص 68.

[2]– للتفصيل حول مفهوم التّوحيد عند ابن تومرت، ينظر: **عبد الله علي علاّم**، الدّعوة الموحدية بالمغرب، دار المعرفة، القاهرة، ص146–151، **عز الدين عمر أحمد موسى**، دراسات في تاريخ المغرب الاسلامي، ط1، دار الشروق، بيروت، 1403هـ – 1983، ص76.

[3]– للتفصيل حول مفهوم المهداوية عند ابن تومرت، ينظر: **عبد المجيد النّجار**، المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي(ت524هـ/1129م)، حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره في المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م ، ص243 – 248.

[4]– **عبد الوهاب بن منصور**، قبائل المغرب، ج1، المطبعة الملكية، الرباط، 1388هـ – 1968، ص128.

[5]– **محمد سهيل طقوش**، التّاريخ الاسلامي(الوجيز)، ط3، دار النفائس للطباعة والنّشر والتوزيع، 2006م، ص261.

[6]– عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق،ج1، ص128.

[7]– عبد الوهاب بن منصور، المرجع نفسه،ج1، ص128.

[8]– عز الدين عمر أحمد موسى، المرجع السابق، ص76.

ومن جبال الشارات في الأندلس شمالا إلى مايعرف اليوم بالسنغال جنوبا[1].

المبحث الثاني: المرتكزات الجغرافية للبحث :

1) بلاد المغرب :

1.1) المفهوم العام لبلاد المغرب الاسلامي:

منذ الفتح الاسلامي لبلاد المغرب اتخذ لفظ المغرب أبعادا جغرافية مختلفة فكان يدّل على الجهة التي تغرب فيها الشمس[2]، ثمّ أصبح يدّل على المنطقة الواقعة غرب دمشق جهة مغرب الشمس[3]، ثمّ صار هذا اللّفظ يشمل البلاد الإسلامية الواقعة من حدود برقة[4] شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا[5]، وقد ظهر هذا المصطلح في زمن الفتنة بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان، ولم يكن يقصد به مايدّل عليه الآن، وإنّما كان يقصد به الجزء الغربي من الدّولة الإسلامية الذي يتضمّن مصر والشام وماتصلّ بهما[6]، ولم تكن بلاد المغرب معروفة بهذا الاسم عند قدوم الفاتحين المسلمين إليها بل أطلقوا عليها اسم إفريقية[7] الذي كان سائدا إذ ذاك لدى البيزنطيين[8]، وبامتداد حركة الفتح إلى ساحل المحيط الأطلسي ومنها

---

[1]- عز الدين عمر أحمد موسى، المرجع نفسه، ص76.

[2]- **سعدون نصر الله**، تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح العربي إلى سقوط غرناطة، ط1، دار النّهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1988، ص19.

[3]- **أبو الحسن علي المسعودي**، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، دار الفكر، ط5، بيروت، 1973، ص88.

[4]**-** واسمها بالرومية الإغريقية بنطابلس، وهي تعني خمس مدن، وهي في صحراء حمراء التربة، وهي دائمة الرخاء كثيرة الخير، وهي مدينة كبيرة قديمة بين الإسكندرية وافريقية بينها وبين البحر ستّة أميال، ينظر: **أبو عبيد البكري**، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د ت، ص4 ، 5، **عبد المنعم الحميّري**، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس ط2، دار صادر، بيروت 1975، ص91.

[5]- **حسين مؤنس**، المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، مصر، 2003، ص24.

[6]- **موسى لقبال**، المغرب الاسلامي من بناء المعسكر حتّى انتهاء ثورات الخوارج، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص14، **عبد الحميد حاجيات وأخرون**، الجزائر في التاريخ، العهد الاسلامي، ج3، - المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص13.

[7]- لفظ أفريقية مشتق من كلمة أفرى التي أطلقها الفينيقيون على سكان أوتيكا وقرطاجنة، ثمّ عمّمه اليونانيون بعد ذلك، فأطلقوه على سكان المغرب من حدود مصر الغربيّة إلى المحيط الأطلسي، **عصام الّدين الفقي**، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشّرق، القاهرة، د ت، ص 11، 12.

[8]- **ابن عبد الحكم**، فتوح مص والمغرب، تح: عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربي، 1961، ص233.

إلى بلاد الأندلس بدأ لفظ افريقية يتقلص شيئا فشيئا بينما أخذ لفظ بلاد المغرب في الظهور والشّمول[1]، وأصبح يعني كلّ مايلي مصر غربا حتّى المحيط الأطلسي[2].

2.1) الوحدات الجغرافية لبلاد المغرب:

ميّز الجغرافيون العرب بين أجزاء المغرب القريبة من المشرق والبعيدة عنه، واصطلح على تقسيم بلاد المغرب انطلاقا من ذلك إلى ثلاثة أقسام كبيرة، فظهرت مصطلحات جديدة مشتقة عن المفهوم العام، وهي: المغرب الأقصى، المغرب الأوسط، المغرب الأدنى[3].

أ) المغرب الأقصى :

يقع المغرب الأقصى في الرّكن الشّمالي الغربي من القّارة الإفريقية، يحده شرقا وادي ملوية وجبال تازا[4]، وغربا المحيط الأطلسي حتّى مدينة أسفي[5]على البحر المحيط[6]، وشمالا بحر الرّوم[7]، وجنوبا جبال درن[8]، وتضمّ بلاد المغرب الأقصى أقاليم طبيعية مختلفة، منها إقليم التّل، الّذي يشمل سفوح الجبال الشّمالية والسّهول السّاحلية، وهو إقليم كثير الخيرات والثّروات، وهو ماجعله مطمع أنظار القبائل البدويّة. فعبر تاريخ المغرب الأقصى ومنذ الفتح الإسلامي، لم تقم أيّ دولة إلاّ بعد سيطرتها على هذا الإقليم. أمّا الإقليم الثّاني فيقع في ماوراء جبال الأطلس وهوإقليم رعوي، تنتشر فيه القبائل وتجوس فيه متنقلة بين رحلة الشّتاء والصّيف، وهو إقليم فقير في موارده. والإقليم الثّالث، هو إقليم المرتفعات الذي تنزل به قبائل من البربر

---

[1]- **محمد عيسى الحريري**، الدّولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، ط3، القلم للنّشر والتوزيع، الكويت، 1987، ص12.

[2]- عصام الّدين الفقي، المرجع السابق، ص 12.

[3]- عصام الّدين الفقي، المرجع نفسه، ص 12.

[4]- مدينة مغربية في منتصف الطريق بين "فاس " و"وجدة" هو موضع من أعمال بني العافية ، يوجد في جبل من الذهب، ينظر: أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص 118.

[5]- بلدة على شاطئ البحر المحيط بالمغرب الأقصى، ينظر: **ياقوت الحموي**، معجم البلدان، ج1، دار صادر، بيروت، 1977، ص 180.

[6]- وهو محيط بالدنيا جميعها كإحاطة الهالة بالقمر، ويخرج منه شعبتان إحداهما بالمغرب، والأخرى بالمشرق، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 344.

[7]- وهو بحر الزفان الدّاخل في البحر المحيط، أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص 102 ، 103.

[8]- **عبد الرحمن بن خلدون**، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط ومراجعة: خليل شحادة، سهيل زكار، ج6، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2001م، ص 131، 133.

الشديدة المراس، والتي تمتاز بالرّوح الحربية العالية. وكان لهذه البيئات المتنوعة، السّهلية، والرعوية، والجبلية أثر كبير في حياة السّكان الضاربين فيها وفي تاريخ البلاد في العصور الوسطى[1].

لموقع المغرب الأقصى أثره في الأحداث الّتي مرّت بهذه البلاد، حيث تميزت المنطقة بموقع ممتاز، جعلها تتّفوق على سائر أقسام المغرب الأخرى من حيث مجريات الأحداث، والتّطورات التّاريخية، فهو منطقة أطراف تمثل النّهاية القصوى لهذه الوحدة الجغرافية المسّماة بالمغرب، والّتي تنتهي عند البحر المحيط[2]، وله إمتداد إلى المغربين الأوسط والأدنى، اضافة إلى اتصاله بمنطقة الأندلس عبر مضيق جبل طارق فكان له أهمية كبرى في جعل هذه البلاد إقليما تابعا للمغرب الأقصى، يشارك في الأحداث الّتي تمرّ بها المنطقة، مع ما صاحب ذلك من تأثير واضح في شتّى نواحي الحياة. ويتصل المغرب الأقصى جغرافيا بمنطقة الصّحراء من الجنوب، أمّا سياسيا فإنّ تدّفق المرابطين من الصّحراء صوب المغرب الأقصى، قد مكّن من جمع الإقليمين في ظلّ سلطة موّحدة، ومن هنا يتضح أهمية الموقع وتأثيره على مجريات الأحداث[3]، وهو بذلك أهم وحدة جغرافية مؤثرة في تاريخ علاقة بلاد المغرب بالأندلس.

ب) المغرب الأوسط :

المغرب الأوسط هو منطقة جغرافية تمتد من تاهرت[4] إلى وادي ملويّة وجبال تازة غربا[5]، وقاعدته تلمسان وجزائر بني مزغنة[6]، لكنّ المؤرخين والرّحالة اختلفوا في تحديد تخومها، فصاحب كتاب "الإستبصار"، يذكر أنّ نهر ملوية[7] مع جبال تازا هي الحد الغربي الفاصل بين المغرب الأوسط وبين المغرب الأقصى، يقول في ذلك:"وآخر بلاد المغرب الأوسط هو أوّل بلاد المغرب بلاد تازا، و هي جبال عظيمة وحصينة "[8]، أمّا

[1]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 22.

[2]- حسن أحمد محمود، المرجع نفسه، ص 17.

[3]- **حسن علي حسن**، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ط1، مكتبة الخانجي، مصر- 1980، ص6.

[4]- مدينة مشهورة من مدن المغرب الأوسط على طريق المسيلة من تلمسان ، وكانت تاهرت فيما سلف مدينتين كبيرتين إحداهما قديمة و الأخرى محدثة، وتاهرت في سفح جبل يسمّى قزول، على نهر كبير يجري من عيون يجتمع منه شرب أرضها وبساتنها، ينظر، عبد المنعم الحميّري، المصدر السابق، ص ص 126، 127.

[5]- عصام الّدين الفقي، المرجع السابق ، ص 12.

[6] - عصام الّدين الفقي، المرجع نفسه، ص 127.

[7]- نهر في آخر المغرب الأقصى من جهة الشّرق، منبعه من فوهة في جبال قبلة تازى، ويصّب في البحر الرّومي عند غسّاسة، ينظر: عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج6 ص 133.

[8]- **مؤلف مجهول**، الإستبصار في عجائب الأمصار، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية، المطبعة الجامعية، 1958، ص 186.

ابن خلدون فحدّد بدّقة الحد الفاصل بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى، من حدود إفريقية الغربية إلى نهر ملوية، فيقول :"وأمّا نهر ملوية آخر المغرب الأقصى ، فهو نهر عظيم منبعه من فوهة في جبال قبلة تازا، ويصب في البحر الرّوماني عند "غساسة"[1] وإذا كان المؤرخون قد استطاعوا ضبط الحدود الغربية فإنّ الحدود الشرقية للمغرب الأوسط، ليست دقيقة، فهي حدود غير مستقرة، لم يكن لها حاجز طبيعي كنهر ملوية في الغرب[2]، إذ يذكر ابن خلدون مرّة أنّ الحدود الشرقية تبدأ من بونة[3] شمالا باتجاه الجنوب إلى الأريس ثم الأوراس حتى تبسة، ويذكر مرّة أخرى أنّ المغرب الأوسط يجاوره من جهة الشّرق بلاد صنهاجة من الجزائر ومتيجة ومدية إلى غاية بجاية[4].

ج) المغرب الأدنى:

كان هذا الإقليم يسمّى افريقية ويمتد من طرابلس[5] شرقا إلى بجاية غربا[6]، وقد تمّ فتحه على يد عقبة بن نافع[7] الذي أسس القيروان عاصمة بلاد المغرب الأولى سنة 50- 55هـ/668- 672م[8]، ومن تمّ أصبحت إقليما تابعا للدّولة الإسلامية، وحينما قامت الدوّل المستقلة عن الخلافة العباسية، تأسست بأرض المغرب الأدنى الدّولة الأغلبية سنة 184هـ/800م، كما قامت بهذا الجزء من المغرب الإسلامي الدّولة الزيرية[9] التي انفصلت عن الخلافة الفاطمية سنة 440هـ/1048م[1]، وعن هذه الدّولة انبثقت الدّولة

---

[1]- مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص 89.

[2]- **خالد بلعربي**، الدّولة الزيّانية في عهد يغمرا سن، دراسة تاريخيّة وحضارية (633-681 هـ/1235-1282م) ، ط1، مطبعة تلمسان، 2005، ص ص 30،31.

[3]- مدينة بأفريقية بين مرسى الخرز وجزيرة مزغناي، وهي مدينة حصينة مقتدرة كثيرة الرخص والفواكه والبساتين القرينة، ينظر: ياقوت الحموي، ج1، المصدر السابق، ص 512.

[4]- عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 134 .

[5]- مدينة من مدن افريقية، تقع في أقصى شرقها على ساحل البحر ومنها تبدأ افريقية، وطرابلس باليونانية معناها المدن الثلاث، ينظر : عبد المنعم الحميّري، المصدر السابق، ص389 ، 390.

[6]- **ابن الأثير**، الكامل في التاريخ، ج3، ط4، دار الكتاب العربي، د ت، ص230.

[7]- هو عقبة بن نافع الفهري، ولد على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ولاه عمر بن العاص على افريقية فافتتح غدامس وفزان، ومعظم مناطق المغرب، بنى القيروان سنة 50هـ استشهد سنة 63هـ، ينظر: **ابن الأثير**، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح:خليل مؤمن، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيرت، 1997، ص263.

[8]- أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص23.

[9]- ينتمي بنو زيري إلى قبيلة تلكاتة إحدى قبائل صنهاجة البرنسية، ينظر: **محمد بن عميرة**، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع بالجزائر، 1968،ص243.

الحمادية التي اتخذت من بجاية عاصمة لها[2]، وامتدت في اجزاء من المغرب الأوسط، وبلاد المغرب الأدنى، وقد سقطت هذه الدّولة على يد عبد المؤمن بن علي[3] الذي دخل بجاية، ثمّ ضم افريقية والمهدية[4]، وبذلك دخل المغرب الأدنى تحت سلطة الموحدين التي وحدت بلاد المغرب من طرابلس شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا.

3.1) الأندلس :

الأندلس تعبير جغرافي يطلق على البلاد التي تقع جنوب غرب أوروبا[5]، وشمال عدوة المغرب، وهي شبه مثّلث تحيط به المياه من جهاته الثّلاث، فمن الجنوب البحر الرّوماني- البحر الأبيض المتوسط- ومن الغرب بحر الظّلمات - المحيط الأطلسي - ومن الشّمال بحر الأنقليشين- بحر الشمال- ولذلك سميّت بالجزيرة[6]، أمّا سبب تسميتها بالأندلس، فهناك اختلاف بين المؤرخين في ذلك[7]، حيث كانت تعرف قديما بإيبيريا، ثم أطلق عليها اليونان اسم إشبانية، وأصل مصطلح الأندلس مأخوذ من قبائل الوندال Vandal التي سكنت اسبانيا، وسميت باسمها فاندالوشيا Vandalucia، أي بلاد الوندال، ولما سكنها العرب

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص211، **ابن الأثير**، الكامل في التاريخ، ج8، ص374.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص211.

[3]- أصله من قبيلة زناتة، ولد بقرية تاجرا يتراوح مولده نابين 487-500هـ، لازم المساجد طالبا للعلم، كان لقائه مع ابن تومرت بقرية ملالة قرب بجاية، بويع بعد وفاة المهدي سنة526هـ، استطاع القضاء على دولة لمتونة، توفي سنة 585، وقيل سنة 663هـ، وقيل سنة 664هـ، ينظر: **ابن أبي دينار**، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تح، ط1، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، تونس، 1426هـ، ص110-113.

[4]- مدينة محدثة بناها عبد الله المهدي القائم بالمغرب، وهي بافريقية، ومقصد السفن من بلاد المشرق والمغرب والأندلس، وبلاد الروم، كما كانت مرسى القيروان، ينظر: **الشريف الإدريسي**، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، م1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ، 2002م، ص281-283.

[5]- تسمّى البرانس، ينظر: عبد المنعم الحميّري، المصدر السابق، ص142، **أحمد بن محمد المقري**، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس،ج1، دار سادر، بيروت، 1408هـ-1988م، ص143، **حسين مؤنس**، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1386هـ- 1967م، ص261 ، 481.

[6]- - **ابن حوقل**، صورة الأرض، ج1، دار صادر، بيروت، 1928، ص 62 .

[7]- منهم من قال أنّها سميت على الأندلس بن طوبال بن يافث بن نوح الذي نزلها، كما نزل أخوه سبت العدوة المقابلة ، وإليه تنسب سبتة، وقيل نزلها شخص يسمى القندلش فعرفت به، ولمّا دخلها المسلمون عرّبوا الإسم إلى الأندلس، ومنهم من قال أنّها سميت نسبة إلى الوندال (الفندال)، الذين نزلوا بالسّهل الواقع جنوب النهر الكبير، فأطلقوا إسمهم عليه (فاندلوسيا)، ولما قدم العرب سمّوها الأندلس، ينظر: أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج1، 1988، ص 125، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 140، **شكيب أرسلان**، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ج1، ط1، المكتبة الرّحمانية، مصر، 1355هـ/1936م، ص 42- 54.

الفاتحون عرّبوها فصارت الأندلس[1].

أمّا مدلول هذا المصطلح فقد أطلقه المؤرخون والجغرافيون الأندلسيون أحيانا على كلّ شبه الجزيرة الأيبيرية (اسبانيا والبرتغال اليوم)[2]، والتي يسمونها أيضا الجزيرة الأندلسية للدّلالة على كل المناطق التي سكنها المسلمون وحكموها من شبه الجزيرة الأيبيرية[3]، ثمّ أصبح مقتصرا على المناطق التي ساد فيها الإسلام من شبه الجزيرة الإيبيرية، و لما تراجع النّفوذ الإسلامي بها، اقتصر الإسم على غرناطة[4].

المبحث الثالث: مفهوم التّواصل الحضاري

إنّ التّواصل من النّاحية اللغوية هو مصدر فعل تواصل الذي يعني المشاركة والإبلاغ والاطلاع والإخبار والتّلقي، ومن خلال هذا المدلول اللّغوي، يمكن القول إنّ التّواصل هو نقل فعّال للمعنى والأخبار، إذ يحتوي دائما على رسالة، وكل رسالة تتكوّن من دلائل، وكلّ دليل يتكوّن من دال ومدلول[5].

أمّا الحضارة فاختلف المفكرون في تعريفها، ولايوجد تعريف جامع لها، ومنها تعريف يرى أنّ الحضارة هي أرفع تجمع ثقافي للبشر، وهي أشمل مستوى للهوية الثقافية لا يفوقه من حيث تحديد للهوية الثقافية إلاّ الذي يميّز الإنسان عن غيره من الأنواع الأخرى، ويمكن تحديدها أو تعريفها بكل العناصر الموضوعية مثل اللغة، والتاريخ، والدين، والعادات، والتّمايز الذاتي للبشر[6].

ومن المفاهيم الأخرى للحضارة أنّها نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة في انتاجه الثقافي

---

[1] – عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص4، 6، 19، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج1، ص123 – 135.

[2]– يقال أنّها سميت على رجل حكمها من القوط يدعى إشبان بن ططيش، الذي بني مدينة أشبيلية، وسميت باسمه، ثم عمّم الإسم على كامل الأندلس، ينظر: أحمد بن محمد المقري ، المصدر السابق، ج1، ص 125.

[3] – ، حسين مؤنس، المرجع السابق، ص59، **محمد عبد الله عنان**، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأوّل من الفتح إلى بداية عهد الناصر، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ-1997م، ص27 ، 50.

[4]– **الفتح بن خاقان**، تاريخ الوزراء و الكتّاب و الشعراء بالأندلس، تح: مديحة الشّرقاوي، مكتبة الثّقافة الدّينية، بور سعيد، مصر، 2001، ص 6.

[5]– **خالد سليكي وآخرون**، في تقنيات التواصل، منشورات المركز المتوسطي للدراسات والأبحاث، ط1، طنجة، ، 2007، ص 7.

[6]– **صموئيل هانتيغتون**، الإسلام و الغرب (آفاق الصدام)، تر : مجدي شرشر، ط1، مكتبة مدبولي، 1415هـ-1995م، ص9.

وتتكوّن من عناصر أربعة هي : الموارد الإقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، والعلوم والفنون[1]، ومن هذه التعاريف يمكن أن نستخلص أنّ قيام الحضارة يرتكز على قواعد أساسية أبرزها الاجتماع أو التلاقي الإنساني، إضافة إلى التّمايز بين أفراد البشر، ومتى اجتمع هذان الأمران حدث التواصل.

وبالحديث عن مصطلح التواصل الحضاري فإنّنا لمسنا أنّ الكتابات المختلفة لم تفرد مفهوما واضحا، بل اقترن كلّ تعريف بحسب رؤية الكاتب، وبحسب اتجاه موضوع بحثه، كما أنّ هذا المفهوم ارتبط بشكل كبير بالمفاهيم المختلفة للحضارة، ولذلك يصعب تحديد مفهوم قارّ للتّواصل الحضاري، وانطلاقا من ذلك فقد حاولنا أن نجمع هذه التعاريف، ثمّ نضع تصورا لمفهوم التواصل الحضاري.

إنّ التّواصل الحضاري في مفهومه العام والشامل عبارة عن تفاعل أفكار الشعوب ببعضها البعض وتجاربها الحضارية، ومدى قوّة تأثير كل حضارة وتأثرها بالحضارات الأخرى، يدل على ذلك الأساليب التي اتخذتها في ايصال حضارتها إلى الحضارات الأخرى، وهيّأت المناخ المناسب في المجتمعات الإنسانية لتقبلها[2].

والتواصل الحضاري هو الوصل لا القطع بين طرفين أو مجموعة أطراف يصل كلّ طرف إلى الطرف الذي يقابله أو يرغب في الإقتراب منه والتّعاون معه، والتّواصل إنّما ينبثق من الإرادة الجماعية والرغبة المتبادلة والاحساس المشترك باعتباره ضرورة من ضرورات التعايش والتّفاهم بين الشعوب[3]، فمسألة التواصل والتلاقي والتّبادل مفاهيم وقيّم أقرتها الحضارات القديمة، وتؤكدها الحضارات الحديثة والمعاصرة، فهي قديمة ومتجددّة، وهي تعبر عن مدى انفتاح حضارة وقدرتها على التعامل مع الآخر، والتكيف مع المعطيات الوافدة والمتغيرات الحادثة زمانا ومكانا[4].

وإذا عدنا إلى ماذكرناه سابقا فإنّنا نلاحظ أنّ أهم شروط التّواصل هي مدى رغبة جماعة بشرية في التلاقي والتفاهم مع جماعة أو مجموعات بشرية أخرى، تدعها في ذلك طبيعة الإنسان في حدّ ذاته الذي لايستطيع أن يعيش إلا بالتواصل بينه وبين بني بشرته طلبا للتكامل، فالإنسان يميل إلى العيش في ظلّ أجواء

---

[1] – **وول وايريل ديورانت**، نشأة الحضارة، تقديم: محي الدين صابر، تر: زكي نجيب محمود، ج1، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، ص3.

[2] – **محمد السروتي**، (2008/06/10)، التواصل الحضاري الذي نتغياه، 2017/05/19م، http://www.alukah.net/culture/0/2737/.

[3] – **مالك بن نبي**، شروط النّهضة، دار الفكر للنّشر والتوزيع، 2004، ص 2.

[4] – **لطفي دبيش**، التواصل الحضاري في الثقافة العربية الاسلامية، مركز النّشر الجامعي، 2010، منوبة، 2010، ص 2.

الانفتاح والتبادل والاحتكاك بالآخر[1]، سعيا للحصول على المنافع التي ينتجها المبدعون، ومن تمّ فالتواصل الحضاري هو سمة الحضارة البشرية، التي تسعى دائما إلى التكامل الحضاري، وهو نقيض الانقطاع الحضاري الذي يعتمد فيه على القديم دون ابداع.

ويمكن أن نستشهد بعدّة نماذج من التواصل الحضاري في التّاريخ الإنساني ومنها التّاريخ الإسلامي الواسع، الذي يمكن أن نضرب من خلاله نماذج عدّة ارتبطت بظاهرة التواصل الحضاري، ومنها نموذج الحضارة الأندلسية، وماتضمنه من محطات تواصلية حضارية عدّة، ومنها اخترنا محطة منه، لتكون موضوعا للبحث والتقصي، وهي التواصل بين الأندلس وبلاد المغرب في عصري المرابطين والموحدين.

[1]- لطفي دبيش، المرجع نفسه، ص2.

الفصل الأوّل: الاتصال الحضاري بين بلاد المغرب والأندلس قبل عصر المرابطين

المبحث الأوّل: الصلات التّاريخية والسياسية

1) الصلات الجغرافية والجيولوجية

2) الصلات بين العدوتين في العصور التاريخية القديمة

3) العلاقات بين العدوتين بعد الفتح الإسلامي

4) العلاقات في ظلّ الدّولة الأموية بالأندلس والدّول المستقلة ببلاد المغرب

5) العلاقات بين العدوتين منذ ظهور الفاطميين بالمغرب إلى انهيار سلطة الأمويين بالأندلس

المبحث الثاني: الصلات البشرية بين العدوتين قبل العصر المرابطي

1) هجرات البربر إلى الأندلس إلى غاية منتصف القرن الرابع الهجري

2) توافد الأندلسيين على بلاد المغرب قبل ظهور المرابطين

المبحث الثالث: الصّلات الفكرية والثقافية

1) رحلة الأندلسيين العلمية إلى بلاد المغرب

2) رحلة المغاربة العلمية إلى الأندلس

المبحث الرابع: العلاقات التّجارية

1) الصّلات البحرية بين الأندلس وبلاد المغرب

2) الحركة التّجارية بين العدوتين

الفصل الأوّل: الاتصال الحضاري بين بلاد المغرب والأندلس قبل عصر المرابطين

المبحث الأوّل: الصلات التّاريخية والسياسية

1) الصلات الجغرافية والجيولوجية

تعود الصّلات بين العدوتين المغربية والأندلسية إلى ماقبل الفتح الإسلامي، وهي صلات فرضتها طبيعة الجوار وأملتها المعطيات الجغرافية[1]، ومن مظاهر هذه الصلات ما يرويه المؤرخون الأوائل[2]، عن وجود قنطرة بنيت بالحجارة والطّوب تربط بين الأندلس وبين الموضع الذي يسمى الخضراء- وهو قريب من فاس المغرب وطنجة تمر عليها الإبل والدواب من ساحل المغرب إلى بلاد الأندلس، وماء البحر تحت تلك القنطرة متقطع خلجانات صغاراً تجري تحت قناطرها وما عقد من الطاقات تحتها على صخور صُمّ، وقد عقد من كلّ حجر إلى حجر طاق، وهو مبدأ بحر الروم الأخذ من أوقيانوس، وهو البحر المحيط الأكبر، فلم يزل البحر يزيد ماؤه ويعلو أرضاً فأرضاً في طول ممر السنين، يرى زيادته أهل كل زمان، ويتبينه أهل كل عصر، ويقفون عليه، حتى علا الماء الطريق الذي كان بين العريش وبين قبرس وعلا القنطرة التي كانت بين الأندلس وبَرّ طنجة، وما وصفتُ فبيّنٌ ظاهر عند أهل الأندلس وأهل فاس من بلاد المغرب من خبر هذه القنطرة، وربما بدا الموضع لأهل المراكب تحت الماء، فيقولون: هذه القنطرة، وكان طولها نحو اثني عشر ميلاً، في عرض واسع[3].

تؤكد هذه الرواية أنّ القنطرة مثّلت ممرا للمسافرون والتّجار بين العدوتين لقرون عديدة قبل أن تُغمر بماء البحر لما زاد ارتفاعه، وتؤكد من جهة أخرى أنّ أمر الجسر مشهور ومعروف بين أهل العدوتين[4]، وقد أشار أحد الجغرافيين إلى هذه الحقيقة فقال: "وكان أهل المغرب الأقصى من الأمم السالفة يغيرون على أهل

---

[1]- **محمد بن شريفة**، العناية بتاريخ المغرب والأندلس، مقال ضمن ندوة الثرات العربي المشترك بين الأندلس والمغرب، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة الدورات، غرناطة 12-19 شوال 1412هـ/21-23 أبريل 1992م.

[2]- أبو الحسن علي المسعودي، المصدر السابق، ص364 ، 365.

[3]- أبو الحسن المسعودي، المصدر نفسه، ج1، ص364 ، 365.

[4]- **رفيق خليفي**، البيوتات الأندلسية بالمغرب الأوسط من نهاية القرن 3هـ إلى نهاية القرن 9هـ، "رسالة ماجستير"، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، اشراف: نجيب بن خيرة، 2007-2008، ص28.

الأندلس فيضرون بهم كلّ الأضرار، وأهل الأندلس أيضا يكابدونهم ويحاربونهم بما هم عليه من التناكر مع أهل السوس فأحضر الفعلة والمهندسين، وقصد مكان الزقاق، وكان أرضا جافة، فأمر المهندسين بوزن الأرض ووزن سطوح ماء البحرين ففعلوا ذلك فوجدوا البحر الكبير يشف عوده على البحر الشامي بشيء يسير، فرفعوا البلاد التي على الساحل من بحر الشّام ونقلوها من أخفض إلى أرفع ثم أمر أن تحفر الأرض بين بلاد طنجة وبلاد الأندلس، فحفرت حتّى وصل الحفر الجبال التي في أسفل الأرض، وبنى عليها رصيفا بالحجر والجيار إفراغا، وكان طول البناء اثنى عشر ميلا، وهو الذي كان بين البحرين من المسافة والبعد وبنى رصيف أخر يقابله ممّا يلي أرض طنجة وكان بين الرصيفين سعة ستة أميال، فلّما أكمل الرصيفين حفر الماء من جهة البحر الأعظم فمر ماؤه بسيله وقوّته بين الرصيفين ودخل البحر الشامي ففاض ماؤه عليه وهلكت مدن كثيرة كانت على الشطين وغرق أهلها وطغى الماء على الرصيفين نحو إحدى عشر قامة"[1].

ومهما يكن الطابع الأسطوري لهذه الرواية، وبقطع النّظر عن صحتها فإنّ مايهمنا منها هو دلالتها على نوعية العلاقة بين العدوتين في الأزمنة القديمة، وبرغم أنّها توضح العلاقة العدائية بين العدوتين[2]، إلاّ أنّها من جهة أخرى تبين عموما قدم الروابط بين بلاد المغرب وإسبانيا، وتؤكد على امكانية قيام علاقة بين العدوتين نظرا للقرب الجغرافي بينهما[3].

أمّا علماء الجيولوجيا فيعتقدون أن البلاد المغربية والاسبانية كانت وحدة جغرافية متصلة في العصور الجليدية والحجرية القديمة، بناءا على وجود بقايا عظمية إنسانية متشابهة عثر عليها في المناطق الساحلية للمنطقتين تعود للعصور المذكورة، ويؤكدون أنّ الشعب الإسباني في القديم تكوّن أساسا من خليط بين العناصر الحاميّة اللّيبية التي هاجرت من شمال إفريقيا مع العناصر الكلتية أو السلتية Celtos الأوروبية، ليعطي في النّهاية العنصر الأيبيري Eltiberos، ومنها سميت شبه الجزيرة الإسبانية باسم "أيبيريا"[4].

وتشير الأبحاث الأثرية التي اهتمت بما يسمّى بالحضارة الوهرانية إلى هذه الحقيقة، منها اكتشاف

[1] – الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص526.

[2] – محمد بن شريفة، المرجع السابق، ص26.

[3] – رفيق خليفي، المرجع السابق، ص28.

[4] – **أحمد مختار العبادي**، في تاريخ المغرب و الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1978، ص22-23 .

العالم الأثري "بول بالاري"paul pallary سنة 1899م موقع وادي مويلح قرب مدينة مغنية في غرب الجزائر، والذي أطلق عليه اسم "أيبرو – مغربية" اعتقادا منه أنّ هناك صلة تربطه بحضارة العصر الحجري القديم الأعلى في شرق اسبانيا، في حين يخالفه البعض الرأي ممن يرى أن موقع مغارة "كولوماتا " شمال تيارت هو الذي يمثل حقيقة أوج الحضارة "أيبرو – مغربية"[1].

وعلى أية حال فهناك اتجاه يذهب أصحابه إلى الاعتقاد بوجود صلات حضارية بين المواقع الساحلية الإسبانية والمواقع الوهرانية والمغربية، وإن اختلفت الأراء في أيّهما المصدر الأصلي لهذه الحضارة، هل هو الجانب الأروبي أم المغربي[2].

2) الصلات بين العدوتين في العصور التاريخية القديمة

توثقت العلاقات بين الضفتين في العصور التّاريخية القديمة مع زيادة النّشاط التّجاري للفنيقيين[3]، الذين بمجرد ما رست أقدامهم بسواحل شمال إفريقيا حتّى بدأوا التّطلع إلى سواحل اسبانيا، بغرض التّوسع التّجاري حيث تمكنوا من بناء عدد من المراكز التّجارية والمرافئ والمراسي مثل قادس وقرطاجنة، وتشير الروايات التّاريخية أنّ هدف الفنيقيين الأوائل من التّواجد في شبه الجزيرة الأيبيرية هو استغلال المواد الخام المتوفرة بكثرة هناك،كالقصدير، والرصاص، وذلك قبل القرن 8 ق م وإلى غاية القرن 6 ق م، بداية ظهور القرطاجيين كقوة مستقلة عن فينيقيا، الذين سيستخدمون شبه الجزيرة الأيبيرية كواجهة أمامية ضدّ الرومان، وقد أدرك كلّ من الفنيقيين والقرطاجيين أهمية الاستيلاء على بلاد العدوتين، وفي سبيل ذلك ربطا كل منهما

[1]- **محمد بيومي مهران**، المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية،الاسكندرية، 1410هـ – 1990م، ص17- 18، 20.

[2]- **رشيد النّاضوري**، المغرب الكبير، العصور القديمة أسسه التاريخية الحضارية والسياسية، بيروت، دار النهضة العربية، 1981، ص115-117.

[3]- ينحدر الفينيقيون من أصل سامي، فهم شعبة من الكنعانيين سكان فلسطين الأصليين، ففينيقيا وكنعان شيء واحد، إلاّ أنّ الكلمة الأولى ترجع إلى أصل يوناني، بينما الثانية ترجع إلى أصل سامي، لكن مدلولهما واحد وهو اللّون الأحمر، أسس الفينيقيون دولتهم على الشريط الساحلي لشرق البحر المتوسط، ثمّ توسعوا على هذا الساحل، وكان الحرص على التجارة هو الذي حمل الفنيقيين على الاتجاه نحو الشاطئ الغربي للبحر المتوسط وكشف المحيط الأطلسي في الألف الثانية قبل الميلاد، فكانوا بذلك أولى الموجات البشرية التاريخية التي وفدت على المغرب – واسبانيا من سواحل شرق البحر المتوسط، أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص23 ، 24.

بين موانئ الساحل المغربي والسّاحل الأيبيري بأسطول ضخم[1].

وفي القرن 3ق.م بدأ نجم قرطاجة في الأفول، وتزامن ذلك مع ظهور الرّومان كقوة عسكرية لها مصالحها في السّاحلين، مما جعلهم يصطدمون بالقرطاجيين فدخلوا معهم في حرب طويلة عرفت بالحروب البونية (264ق.م – 146ق.م) انهارت على إثرها حضارة قرطاجنة التّجارية نهائيا، وقامت روما بإعادة الربط بين البلاد المغربية والبلاد الأيبيرية من جديد كمستعمرتين[2]، وكان الحال كذلك مع الوندال[3] بشكل مباشر، وأكثر عمقا حيث احتلوا البلاد المغربية انطلاقا من اسبانيا سنة 429م وإلى غاية 533م أين أزاحهم البيزنطيون منها زمن الأمبراطور الشهير جستنيان (527 – 565 م)[4].

أمّا اسبانيا فقد احتلها القوط الغربيون (Visigoths) الذين حلّوا محل الوندال في حكم شبه الجزيرة الايبرية[5]، ودام حكمهم لها زهاء قرنين، وقد ساءت الأحوال في شبه الجزيرة الايبرية في عهدهم ممّا هيأ الظروف الملائمة للفتح الاسلامي لإسبانيا انطلاقا من بلاد المغرب[6].

---

[1] – **محمد الصغير غانم**، التوسع الفنيقي في غربي البحر المتوسط، ط2، الجزائر– لبنان، ديوان المطبوعات الجامعية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1982، ص 54 – 113، **الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر**، قرطاجة البونية، تاريخ وحضارة، تونس، مركز النّشر الجامعي، 1999، ص67 – 72، 195، 233، 238، **فرانسوا دوكريه**، قرطاجة الحضارة والتاريخ: تر: يوسف شلب الشام، ط1، دار طلاس، دمشق، 1994، ص26 وما بعدها.

[2] – برغم سيطرة الرومان على اسبانيا لفترة طويلة، فإنّ انحطاط سلطتهم فيها بدأت تظهر بوضوح منذ بداية القرن الخامس الميلادي، وذلك عندما ابتدات القبائل الجرمانية البربرية بالاستيطان في شبه الجزيرة (قبائل الوندال)، التي نشرت الخراب والدمار في كل أنحاء البلاد.

- Isidoro of Seville, History of Goths, vandals,and Suevi, translated from the latin by:Guido Donini and Gordon B. Ford Jr,2nd edition, Leiden, 1970,p33.

[3] – لما سقطت الإمبراطورية الرومانية الغربية تحت ضربات البرابرة الجرمان من قبائل الوندال، اتجهت موجة من هؤلاء في القرن الخامس الميلادي إلى اسبانيا واستولت عليها، وعندما تعرضت هذه الأخيرة أوائل القرن السادس الميلادي(507م) إلى غارات القوط الغربيين أجلوا عنها الوندال الذين نزحوا إلى شمال افريقيا، واتخذوها مركزا لحكمهم، وقضوا على الرومان هناك، **محمد رزوق**، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17، ط3، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1998، ص24، رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص331.

[4] – **الباز العريني**، الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت، د ت، ص70– 75 ، **ميكال دي ايبالزا**، حول ثلاث أحداث غير معروفة من العلاقات التاريخية بين عنابة واسبانيا، تر: عبد الحميد حاجيات، الأصالة، عدد 34 ، 35، 1976، ص 111.

jose Luis Mijares.Ciivilizacion Espanola . Madrid .1968 .vol .1 p 197-206.

[5] – **سعيد عبد الفتاح عاشور**، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النّهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1976، ص89.

[6] – محمد رزوق، المرجع السابق، ص 24.

إنّ النتيجة الأساسية التي يمكن أن نستخلصها بعد هذا العرض الموجز للعلاقة بين العدوتين في عصور ماقبل التّاريخ، والعصور القديمة أنّ كل حدث في كل ضفة كان له صداه في الضفة المقابلة، لكنّنا يجب أن نؤكد على حقيقة مهمّة هي أنّ التأثير المتبادل لم يقتصر على المجال السياسي والعسكري بل أنّ هناك دلائل مادية ماتزال ماثلة إلى اليوم تشير إلى تسرب معطيات حضارية متنوعة بين الضفتين، وحقّ لنا أن نتساءل بعدها عن الأثر الذي يمكن أن تتركه الفترة اللاّحقة المتمثلة في العصر الاسلامي في علاقة العدوتين ؟

3) العلاقات بين العدوتين بعد الفتح الإسلامي

كانت إسبانيا قبل الفتح الإسلامي خاضعة لحكم القوط الغربيين[1] وكانت الفترة الأخيرة من الحكم القوطي لإسبانيا تتسم بالضعف السياسي والحربي، حيث كثرت الأزمات التي تعانيها الدّولة القوطية من مؤامرات وصراعات حول العرش وحروب أهلية بين العناصر الخاضعة للقوط[2]. ولم يكن باستطاعة الملوك التصدي لتلك الأزمات بسبب ضعفهم وضعف الروح العسكرية عند القوط لأنّهم ألفوا حياة الترف، في الوقت الذي زادت فيه سيطرة الكنيسة وأصبح الرهبان يستبدون بشؤون الدّولة ويتدخلون في أمورها[3].

أمّا بالنسبة للمجتمع الإسباني في تلك الفترة فنجده أيضا في حالة انقسام وضعف شديدة، حيث انقسم إلى عدّة طبقات يسيطر بعضها على بعض، فهناك الطبقة العليا، المكونة من الملك والنبلاء القوط[4]،

---

[1]- **حسين مؤنس**، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، 1992، ص267.

[2]- لم يستقر القوط في البلاد أوّل الأمر بسبب ماثار بينهم وبين أهل البلاد الإبيريين من منازعات دينية وبسبب ماشجر بين أمرائهم من خلافات ولهذا ظلّت البلاد طوال القرن السادس الميلادي ساحة للحروب الأهلية وما ينجم عنها من حالة الفوضى، **حسين مؤنس**، فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدّولة الأموية (711- 756م)، ط1، دار الحديث للنشر والتوزيع، 1432هـ-2002م، ص21.

[3]- حسين مؤنس، المرجع نفسه، ص22.

[4]- كانت اسبانيا حتى منتصف القرن السابع الميلادي تحكم بواسطة ادراة مشتركة من الطبقة النبيلة القوطية والرومانية، فكانت الطبقة النبيلة القوطية مسؤولة عن السكان القوط، والطبقة النبيلة الرومانية تمارس سلطتها على السكان الرومان، بينما كان الملك القوطي وموظفوه الكبار يقررون السياسة العامة للمجتمع، وبصورة عامّة مثّل أفراد هذه الطبقة فئة أرستقراطية تتمتع بنفوذ سياسي واقتصادي واسع،
-Joseph,O'Callaghan, A History of Medieval Spain,New-york and London,1975.p117, 312.

وطبقة رجال الدين (رجال الكنيسة)[1]، وطبقة الأحرار[2]، ويلي ذلك طبقة العبيد[3]، أما الطبقة الأخيرة فهي طبقة اليهود[4].

فعندما تولّى غيطشة ملك القوط عرش إسبانيا سنة78هـ/700م، بعد وفاة أبيه إجيكا كانت الأوضاع متردية، وحاول غيطشة الإصلاح دون جدوى ممّا أدّى إلى ازدياد حالة الضعف والفوضى في البلاد. وتذكر المصادر الإسبانية أنّ الملك غيطشة خلع عن العرش نتيجة ثورة قام بها حاكم قرطبة لُذريق، كما أن مجلس طليطلة قرر تنحية غيطشة لما حاول توّلي ابنه الطفل وَقلة(Achila) العهد من بعده بتأثير من زوجته، ممّا أدى إلى انقسام الجيش إلى فريقين أحدهما يؤيد الملك المخلوع غيشطة، والآخر يؤيد الملك لذريق، وأصبحت البلاد تشكو عدم الاستقرار، لكنّ أتباع الملك السابق ومؤيّديه وأفراد أسرته لم يرضوا عن هذا الحكم الجديد، وكانوا يتحيّنون الفرصة لاستعادة ملكهم، فوجدوها في الفتح الإسلامي[5]، إذ كان المسلمون وقتذاك قد فتحوا المغرب الأقصى، ووصلوا إلى غاية بحر الزقاق[6]، وانضم إليهم نفر كبير من بربر بلاد المغرب

---

[1]- توّحدت الكنيسة الاسبانية تحت ظلّ الملكية القوطية بعد إعلان الملك القوطي ريكاردو تخليه عن الآرية واعتناقه الكاثوليكية وتبعه في ذلك كبار رجال المملكة، وبذلك توثقت العلاقات بين اسبانيا والبابوية، حيث أصبحت طليطلة أسقفية يقيم فيها أسقف كبير بمثل البابا، وكان أفراده الكنيسة يتمتعون بنفوذ سياسي وروحي كبير لأنّ الدين في العصور الوسطى كان مسيطرا على مقاليد الأمور في أوروبا، خاصّة بعدما كوّنوا طبقة غنية قوية، كما كانت لهم ممتلكات معفاة من الضرائب مثل طبقة النبلاء،

Isidoro of Seville, op, cit,p560

[2]- وتتكوّن من التجار وصغار الملاك وكان القوط قد اغتصبوا من الفلاحين الأحرار أراضيهم، وأجبروهم على زراعتها والبقاء كمستأجرين، اضافة إلى دفع ضريبة الرؤوس، أو الجزية،

E.A,Thompson,the Goths in spain,Oxford,1969,p.117 , Joseph,O'Callaghan, op, cit, pp.73-74.

[3]- تكوّنت هذه الطبقة من أسرى الحرب، وكان الأغنياء والنبلاء يقتنون الآلاف منهم للعمل في مزارعهم ولم يكن للعبيد أي حقوق على الإطلاق، فكانوا ينتظرون الفرصة المواتية لكي يتخلصوا من هذا الحكم المستبد، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج1، ص32.

[4]- كانت أعداد هؤلاء كبيرة في إسبانيا ويقومون بالأعمال التجارية والزراعية إضافة إلى الوظائف المالية والحسابية في إدارات الحكومة، ولكنهم كانوا موضع اضطهاد بسبب اختلاف العقيدة مما جعل اليهود يتطلعون إلى التخلص من الحكم القوطي، وهذا ما يفسر تقديمهم يد المساعدة للمسلمين فيما بعد،

R.D,Shaw,The fall of the Visgothic power in Spain,The English Historical Review,XXI,1960,p214 ,E.A,Thompson,Op, Cit, p.16.

[5]- **عبد الرحمان علي الحجي**، التّاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي الى سقوط غرناطة، ط2، دار القلم، بيروت، 1402هـ-1981م، ص 30.

[6]- مجاز البحر بين طنجة والجزيرة الخضراء، وقد اختلف المؤرخون في تحديد مسافته، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص144،

وأخذوا يتطلعون إلى بلاد جديدة يفتحونها[1].

توّلى الوساطة بين الساخطين على لُذريق وطارق بن زياد قائد[2] جيوش المسلمين المعسكرة عند طنجة- الكونت"يوليان" حاكم سبتة وهو شخصية لاتعرف حقيقة أمرها، فمن قائل إنّه كان بربريا وزعيما لقبيلة غمارة، ومن قائل إنّه كان حاكما للإقليم باسم الدّولة البيزنطية، وهناك من يقولون إنّه كان ممثلا لملك القوط في اقليم سبتة وطنجة. وعلى أي حال كانت العلاقة سيئة بين لدريق ويوليان، ويذهب المؤرخون العرب إلى أنّ سبب ذلك هو أنّ الملك لذريق اعتدى على بنت يوليان، وكانت تتربى في قصره وعلى كل حال أقبلت الوفود على طارق بن زياد تدعوه لفتح شبه الجزيرة الإيبيرية أو الأندلس، وكانوا جميعا يعتقدون أنّ العرب عندما استجابوا لهذا الطلب، لم يكونوا يقصدون أكثر من انزال ضربة قاضية بلذريق ثمّ العودة إلى المغرب محمّلين إلى الغنائم، وغاب عنهم أنّ العرب إنّما قوم فاتحون يحملون رسالة ودينا سماويا[3]. وهكذا قُدّر لبلاد العدوتين أن تتصلا من جديد، وأن يكون لهما تاريخ مشترك، تكون للحضارة الإسلامية من خلاله دورا متميّزا في التلاقي بين الضفتين.

أصبحت علاقات العدوتين المغربية والأندلسية بعد الفتح العربي قويّة ومتينة، فقد عبرت مضيق جبل طارق كثير من القبائل المغربية والعربية، في موجات متعاقبة طوال عصر الولاة، واستقرت ببلاد الأندلس، ووضعت بذلك أساس وحدة بشرية وإدارية وثيقة الصلة مع بلاد المغرب[4].

لقد اجتاز مضيق جبل طارق، جيش كثيف من المغاربة سنة 92هـ/710م يقدر بسبعة ألاف

محمد اللّبار، التعريف الجغرافي لمضيق جبل طارق عبر التاريخ، ندوة دور مضيق جبل طارق في علاقات المغرب الدولية، جامعة تطوان، المغرب، مارس2001، ص6 ،7.

[1]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص33.

[2]- تختلف الروايات التاريخية حول نسبه إن كان عربيا أو بربريا، حيث يشير ابن خلدون على أنّه طارق بن زياد اللّيثي من قبيلة ليث، وأشار ابن عذارى المراكشي نسبته إلى قبيلة نفزة البترية، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص150، **ابن عذارى المراكشي**، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح:ج-س-كولان وأ-ليفي بروفنسال، ج1، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983، ص43.

[3]- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص268.

[4] - **عبد العزيز فيلالي**، العلاقات السياسية بين الدولة الاموية في الأندلس ودول المغرب، ط2، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999، ص39.

مقاتل على أقل تقدير لفتح الأندلس بقيادة طارق ابن زياد المغربي[1]، وما سمع النّاس من أهل بر العدوة بخبر ذلك الفتح العجيب حتى لحقوا بطارق وأقبلوا نحوه من كلّ جهة، وانتشروا في أرجاء الجزيرة، وظلّوا يتوافدون بعد ذلك، وغدوا يكوّنون عنصرا نشيطا في الحياة الأندلسية، وعضوا فعالا في بنيتها الاجتماعية[2].

ينتمي هذا الجيش إلى أصول أربعة كانت منتشرة في كل أرجاء بلاد المغرب هي: مطغرة أو مدغرة التي كانت تحتل اقليم طنجة، مديونة، الممتدة على سواحل البحر من نواحي المغرب الأوسط إلى أحواز سبتة، وهوارة المنتشرة في أماكن متفرقة من حدود مصر شرقا إلى طرابلس غربا، ومكناسة النازلة بسهول وادي ملوية، ومعظم هذه القبائل فروع للقبيلة الأم زناتة البترية[3].

كان للبربر دور كبير في فتح الأندلس فقد احتملوا الصدمة الأولى، وهلك منهم في واقعة وادي البرباط وحدها ثلاثة ألاف[4]، ولم يتّكفل الأمويون بدعم حملات الفتح، كما كان الحال مع بلاد المغرب، إنّما فتح الأندلس البربر وجند افريقية وجند مصر[5]، الذين كان لهم الفضل الأكبر في حمايتها، ودرء الخطر عن المسلمين في الأندلس زمنا طويلا[6].

لم يرسل الأمويون إلى الأندلس منذ البداية واليا خاصّا بل تركته نحو تسع سنين تحت تصرف عامل افريقية يتصرف في شؤونه كما يريد[7]، وكان لأمير افريقية والمغرب خلال هذه الفترة نفوذ واسع وسلطات أكبر على الوالي الأندلسي، إذ كانت الأندلس إمارة غير مستقلة تتبع ولاية المغرب من النّاحية السياسية والإدارية، فقد كان أمير القيروان هو الذي يقوم بتعيين أمير قرطبة في أغلب الأحيان[8]، فقد كان للأندلس وضع خاصّ فلم يكن مستقلا تمام الاستقلال، وإنّما كان جزءا من الدّولة الإسلامية مكملا لإفريقية داخلا

[1] – عبد العزيز فيلالي، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[2] – محمد بن شريفة، المرجع السابق، ص26.
[3] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص40.
[4] – حسين مؤنس، فجر الأندلس، 181-182.
[5] – حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، 181-182.
[6] – محمد بن شريفة، المرجع السابق، ص26.
[7] – حسين مؤنس، فجر الأندلس، 181-182.
[8] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، 43.

في طاعة الخلفاء الأمويين بالمشرق[1]، فأنتج ذلك علاقة عضوية متفاعلة بين العدوتين ستكون بلاد المغرب بموجبها هي المحرك الأساسي في عمليّة توجيه الأحداث.

ففي سنة 101هـ/720م بدأت بلاد المغرب تشهد نزاعا حادا بين العرب والبربر في ولاية يزيد بن أبي مسلم على افريقية[2]، وكان الوالي المذكور متعصبا للعرب، فاستبد بالبربر، واستخدم الشدّة معهم، وصادر أموالهم، وسبي نساءهم البربريات[3]، وبسبب سياسته قتله البربر[4]، ولم يكن ذلك نهاية لعهد التسلط والاستبداد العربي على أهل المغرب، بل زادت شدّته في عهد الوالي عبيد الله بن الحبحاب 116هـ/734م، الذي اعتبر البربر فيئا للمسلمين، فنقموا عليه ولم يرضوا عن تصرفاته[5]، وبدأت نفوسهم تتطلع إلى الثورة والخلاص[6].

وبسبب سوء تصرف ولاة العرب بافريقية التّف البربر حول زعيم بربري متشبع بأفكار الخوارج الصفرية[7]، الذي أعلن الثورة على العرب سنة 122هـ/739م، يدعى ميسرة المدغري أو المطغري[8]، فاستباح

[1] – حسين مؤنس، المرجع السابق، 184.

[2] – **ابن عبد الحكم**، فتوح مصر و المغرب، تح: عبد المنعم عامر، الأمل للطباعة والنشر، د ت، ص288.

[3] – ابن عبد الحكم، المصدر نفسه، ص288.

[4] – ابن عبد الحكم، المصدر نفسه، ص288.

[5] – ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص51، 52، **شهاب الدين أحمد النويري**، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترحيني،ج24، دار الكتب العلمية، بيروت، ص59، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج1، ص118 ، 119.

[6] – حسين مؤنس، المرجع السابق، ص223.

[7] – هي الفرقة الرابعة من فرق الخوارج الذين خرجوا على علي بن أبي طالب، تنسب إلى مؤسيسها عبد الله بن الصفار السعدي، وقيل إنّهم سموا بذلك لأنّهم اصفروا بما انهكتهم العبادة، وبسبب اضطهاد بني أميّة للعلويين والخوارج الصفرية، هرب هؤلاء من الشام والعراق إلى بلاد المغرب، فوجدوا أهله ناقمين على سياسة عمّال بني أميّة وولاتهم، ممّا سهل عليهم نشر أفكارهم ومبادئهم بين هؤلاء الغاضبين على السياسة الأموية، فعملوا على كسبهم إلى جانبهم واستمالتهم، شهاب الدين أحمد النويري، نهاية،ج24، ص59، عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج3، ص182.

[8] – ميسرة المدغري أو المطغري من قبيلة مدغرة البربرية، عرف بالحقير، أو الحقور بائع الماء، لأنّه كان يبيع الماء في مساجد وأسواق القيروان، وعرف عنه الطمع وحب المغامرة، **مؤلف مجهول**، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، تح: ابراهيم الابياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410، 1989، ص34، 35، **ابن القوطية**، تاريخ افتتاح الأندلس، تح: ابراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410، 1989، ص39، 40، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 34.

البربر طنجة، وقتلوا حاكمها، كما سيطروا على السوس[1]، تحرّج موقف ابن الحبحاب في افريقية، فبعث إلى عقبة بن الحجّاج السلولي عامل الأندلس للإسراع إلى عونه بما يستطيع من الجند، فأسرع الرجل، وحاول مهاجمة مواقع البربر في طنجة فلم يستطع، وعاد أدراجه[2].

وكان الأندلس في ذلك الحين تابعا لافريقية فلا غرابة أن تظهر فيه أصداء ذلك كلّه[3]، فحينما بلغت أنباء الثّورة مسامع المغاربة الأندلسين، وكان معظمهم حينذاك يقطنون الثغور الشمالية، هبوا عن بكرة أبيهم لمؤازرة اخوانهم، وتأييدهم في مطالبهم[4]، ولا يستبعد أن يكون قد قدم نفر من دعاة الثورة في افريقية إلى الأندلس، يثير بربرها على عربها[5]، وكانت ثورة البربر في الأندلس امتدادا طبيعيا لثورتهم في افريقية، ولقد قيل كذلك إنّ الثورة اندلعت لأنّ عرب الأندلس اختصوا أنفسهم بأحسن الأراضي تاركين للبربر أسواها، أي المناطق الجبلية القاحلة[6]، وذلك غير صحيح حسب ما يراه أحد المؤرخين، وأنّ السبب الحقيقي يعود إلى تمسك العرب بعصبيتهم وتعاليهم على غيرهم، وكان معظم هؤلاء من الشامية أي من القيسية، أمّا العرب البلديين ومعظمهم من اليمانية فكانوا بعيدين عن هذه النزعة[7].

وبذلك يلاحظ أنّ الأسباب التي دفعت أهل المغرب إلى الثورة، هي ذاتها التي شجعت أهل الأندلس من البربر إلى النّهوض في وجه العرب، ذلك أنّ هؤلاء قد نقلوا صراعاتهم العصبية من بلاد المغرب إلى الأندلس، فحينما نستعرض أسماء ولاة افريقة والأندلس في هذه الفترة نجد أنّ بعضهم من النزعة الكلبية، وبعضهم من النزعة القيسية، وكان الوالي من هذه العصبية بقدر مايعتمد على عصبيته في الحكم، يحاول اضطهاد العصبية الأخرى أو التقليل من أهميّتها[8]. وقد لعبت العصبية القبلية دورا كبيرا في تعيين ولاة الأندلس

[1] – ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص293، ابن القوطية، المصدر السابق، ص40.

[2] – حسين مؤنس، المرجع السابق، 226.

[3] – حسين مؤنس، المرجع نفسه،211.

[4] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 52.

[5] – حسين مؤنس، المرجع السابق، ص252، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 53.

[6] – الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، تقديم وتحقيق وتعليق: محمد زينهم محمد عزب،ط1 ، دار الفرجاني، القاهرة، 1414هـ-1994م، ص68، حسين مؤنس، المرجع السابق،187.

[7] – حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، 280-281.

[8] – **موسى لقبال**، المغرب الاسلامي منذ بناء معسكر القرن حتّى انتهاء ثورات الخوارج سياسة ونظم، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب،

من قبل عمّال افريقية[1]، وإذا كانت الثورة ببلاد المغرب قد اعتمدت المذهب الخارجي الصفري كمرجعية فكرية لها، فإنّنا لانملك أدلّة واضحة عن أثر هذا المذهب في ثورة أهل الأندلس، لكنّنا لانستبعد أن يكون نفر من أتباع المذهب الخارجي دخلوا الأندلس من المغرب وبدأوا ينشرون تعاليمهم بين سكان البربر في الأندلس، فاعتنقوها وآمنوا بها ودافعوا عنها.

لم تكن بلاد المغرب تشهد خلال عصر الولاة استقرارا واضحا، ويرتبط ذلك بعدّة أسباب، لكن الخلاف بين العصبيات العربية في المغرب، ثم خلاف البلديين مع العرب الشاميين، ثم خلافات هؤلاء جميعا مع البربر هي التي كانت تدفع بالأوضاع إلى التوتر، وكان لابدّ أن يمتد ذلك كلّه إلى الأندلس[2]، وهذا دليل على أنّ مصير العدوة الأندلسية ارتبط ارتباطا وثيقا بمصير افريقية والمغرب. لكنّ هذا الصراع لم يكن يعني أبدا عدم وجود علاقة تعاون بين البربر والعرب، فقد كان لهما دور مهم في نشر الاسلام في ربوع الأندلس، والدفاع عنه، بل شكل الطرفان نواة مجتمع أندلسي جديد.

4) العلاقات في ظلّ الإمارة الأموية بالأندلس والدّول المستقلة ببلاد المغرب

قبل أن تنتقض الدّولة الأموية بالمشرق بسنوات كانت الأندلس تضطرب كالمغرب، في انتظار مصير جديد، وجاء سقوط الأمويين في المشرق ليعطي الأندلس الفرصة بالانفصال عن الخلافة وقيام إمارة خاصّة بها، كان مؤسسها أموي هارب من مذبحة الشرق هو عبد الرحمان بن معاوية المعروف بعبد الرحمان الداخل[3]، فقد فرّ هذا الأخير إلى بلاد المغرب[4]، متسترا عن العباسيين وأعوانهم، واستجار بقبائل المغرب[1]، وكان

الجزائر،1984، ص 120.

[1] – موسى لقبال، المرجع السابق، ص 125.

[2] – حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص282.

[3] – عبد الرحمان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي(113-172هـ/731-788م)، يكنى أبو المطرف، أمه أم ولد بربرية من سبي المغرب اسمها راح أو دراح. نشأ يتيما، فكفله جده هشام بن عبد الملك، وخصه برعايته، وهو أوّل من ملك الأندلس من بني أميّة سنة 138هـ/755م، ينظر: **الذهبي**، سير أعلام النبلاء، اشراف وتحقيق: شعيب الارنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي،ج8، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت ، 1402هـ-1982م، ص244، **محمد بن شاكر الكتبي**، فوات الوفيات والذيل عليها، تح: احسان عباس، ج2، دار صادر، بيروت، د ت، ص302، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج1، ص282.

[4] – مكث عبد الرحمان بن معاوية في المغرب نحو خمس سنوات بين القبائل المغربية، ينتقل من برقة شرقا إلى أطراف طنجة غربا، مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص 56 ،57، شهاب الدين أحمد النويري، المصدر السابق، ج23، ص335، 336، أحمد مختار العبادي، المرجع

لإنضمام القبائل البربرية إليه أثر حاسم في ترجيح كفته ونجاح أمره، إذ كان للعنصر المغربي اسهام كبير في قيام دولة الأمويين بالأندلس حيث دخل قرطبة دخول المنتصر في العاشر من ذي الحجة سنة 138هـ/756م[2]. وقد ظلّ الأمويون معترفين بهذا[3]، فقد فتح عبد الرحمان الداخل الأندلس أمام النازحين إليها، حيث "استكثر منهم أي –البربر والعبيد– فاتخذ أربعين ألف رجل، صار بهم غالبا على أهل الأندلس، فاستقامت مملكته وتوّطدت"[4].

وبرغم ماقام به البربر ظلّت علاقة عبد الرحمان الدّاخل بالمغرب غير واضحة ومحدودة، اقتصرت على تزويده بالمقاتلين من أبناء بعض القبائل المغربية، أو تحريضها على مقاتلة ولاة العباسيين في افريقية والمغرب[5]، فقد تعدّدت الثورات في عهده بالأندلس، والتي كانت مدعومة من العباسيين، وكانت تتلقى الامدادات والمساعدات السياسية والعسكرية من افريقية والمغرب[6]. ولمواجهة العباسيين فضّل عبد الرحمان الداخل الاعتماد على أصدقاء في ذلك، خاصّة منهم بربر بلاد العدوة، الذين يثق بهم، والظّاهر أنّ اعتماده كان كبيرا على الفرق الزناتية، التي كانت تعبر من المغرب إلى الأندلس بانتظام لتغذي جيشه بالمقاتلين الأشداء[7].

ومهما يكن من أمر فإنّ ماقام به بربر المغرب من ثورات ضدّ الولاة العباسيين في افريقية، شغلت هؤلاء الولاة، وخليفة بغداد عن التّطلع إلى الأندلس، مدّة تزيد عن اثنى عشر سنة، أي من سنة 147هـ إلى

السابق، ص91، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 60.

[1] – منها قبائل منطقة تيارت تاهرت، ثم قبيلة مكناسة، واحتمى بأخواله النّفزاويين بالقرب من مدينة "تكور" وأخيرا انتهى به المطاف إلى قبيلة مغيلة، ويرجح الأستاذ عبد العزيز فيلالي أن تكون قبيلة "وانسوس" المنتشرة أنذاك في كلّ من المغرب والأندلس هي التي ساعدت عبد الرحمان بن معاوية قبل استلائه على الأندلس، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 60 ، 61، ابن القوطية، المصدر السابق، ص45، مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص56 ، 57، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص47، عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص409، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج1، ص382.

[2] – عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق، ص 65.

[3] – محمد بن شريفة، المرجع السابق، ص26.

[4] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 67.

[5] – عبد العزيز فيلالي، المرجع نفسه، ص 85 ، 86.

[6] – عبد العزيز فيلالي، المرجع نفسه، ص 72.

[7] – من هذه القبائل التي أجارته، بعد فراره من المشرق، قبيلة "نفزة "، وبني وشيخ مغيلة، أبو قرة المغيلي، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص50.

161هـ/764-777م[1]، وكان هذا الظرف ملائما لعبد الرحمان الدّاخل في الأندلس لتشييد دولته، وتوطيد أركان سلطانه، وممكن القول أنّ هذه الثورات التي عمّت بلاد المغرب قد ساعدت بشكل مباشر أو غير مباشر في نجاح عبد الرحمان الدّاخل في بناء معالم دولته[2].

وفي الوقت الذي بدأ عبد الرحمان الدّاخل ثتبيت وجوده بالأندلس كانت افريقية والمغرب الأوسط، قد خرجتا عن سلطة الخلافة العباسية باستيلاء عبد الرحمان الفهري عليها، وحتى بعد انقراض الأسرة الفهرية على يد قبيلة ورفجومة الصفرية التي استولت على القيروان سنة 140هـ/757م، ثم أخرجهم منها الخوارج الإباضية بقيادة أبو الخطاب عبد الأعلى المعافري سنة 141هـ/758م[3]، لكن العباسيين استطاعوا استعادة السيطرة على ولاية افريقية بقيادة محمد بن الأشعث، وبذلك خرج الإباضيون بزعامة عبد الرحمان ابن رستم الذي كان عاملا لأبي الخطاب على القيروان، منذ سنة 141هـ/758م[4]. لاجئين إلى قبيلة لماية بالمغرب الأوسط أين أسسوا دولة عرفت باسمه هي الدّولة الرستمية سنة 161هـ/777م[5].أمّا افريقية فقد بقيت ولاية تابعة للعباسيين إلى أن قام ابراهيم ابن الاغلب بأمرها سنة 184هـ/799م[6]، ومنذ ذلك الحين بدأت صفحة جديدة في حياة افريقية حيث بدأ حكم الدّولة الأغلبية[7]، والتي ستبقى قاعدة للعباسيين في المنطقة إلى غاية سقوطها على يد الفاطميين سنة 296هـ/908م.

---

[1] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق ، ص 79.

[2] – عبد العزيز فيلالي، المرجع نفسه ، ص 72.

[3] – الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص81، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص150، 151، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص70، عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص190، **محمد محمد زيتون**، المسلمون في المغرب والأندلس، دار الكتب، مصر، 1990، ص74، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 68 ، 69.

[4] – الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص82، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص150،151، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص70، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص190، محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص74.

[5] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 71.

[6] – الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص182-209، ابن الأثير، المصدر السابق، ج2، ص54-56، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص85-91، عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص193، **ابن ثغري بردي**، النّجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تح: محمد محمد أمين، تق: سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، 1984، ص88-90 ،110، **الناصري السلاوي**، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق، جعفر الناصري، محمد الناصري،ج1، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م، ص59 ، 60.

[7] – محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص74.

أمّا المغرب الأقصى فقد كان سباقا في الانفصال عن الخلافة، ولم يعد تابعا لها، لا من النّاحية الإدارية ولا السياسية، منذ ثورة الخوارج الصفرية بقيادة ميسرة المطغري سنة 122هـ/739م[1]، لذلك فقد أصبح أرضا خصبة للمذاهب الدينية الوافدة من المشرق، منها العلويين بقيادة ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب[2]، الذي بايعته قبيلة أوربة سنة 172هـ/788م بعد وصوله إلى المغرب الأقصى، وتبعتها بعض القبائل الأخرى مثل: زناتة وزواغة وسدراتة وغياثة ومكناسة وغمارة، وغيرهم[3]،وبذلك تأسست الدّولة الإدريسية العلوية والتي سيكون لها شأن في الصراع الدائر في المغرب والأندلس.

كان من البديهي أن ينعكس هذا الواقع الجديد ببلاد المغرب على العلاقات بين العدوتين، ذلك أنّ التّنافس بين الأمويين بالأندلس والعباسيين الذين انحصر تواجدهم بافريقية على النّفوذ ببلاد المغرب طغى على علاقات الطرفين، فكان على كلّ طرف منهما أن يسعى إلى توطيد نفوذه ببلاد المغرب كي يتمكن من الوقوف في وجه الطرف الأخر، وبذلك أصبحت بلاد المغرب حلبة الصراع بين القوتين المتنافستين.

اتسمت العلاقات الأموية الرستمية بالطابع الودي، وهي في حقيقة الأمر كانت عبارة عن انفتاح سياسي بعيد عن الاختلاف المذهبي[4]، لذلك أخذت في بعض الأحيان طابعا رسميا، بل أنّ بعضا من رجال الأسرة الرستمية شغلوا وظائف عالية في بلاط الإمارة الأموية في قرطبة[5]، وشملت هذه العلاقات الوديّة كذلك

[1] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 71.

[2] – الناصري السلاوي، المصدرالسابق، ج1، ص68، **ابن أبي زرع**، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والنشر،الرباط، 1972، ص 20، **علي الجزنائي**، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح: عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1411هـ-1991م، ص12، **سعدون عباس نصر الله**، دولة الأدارسة في المغرب، العصر الذهبي(172-223هـ/788-835م)، ط1، دار النهّضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1408هـ-1987م، ص 70، **ابن الأبار**، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1963، ص395، ابن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، ص20.

[3] – الناصري السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص68، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 20، علي الجزنائي، المصدر السابق، ص12. ابن القاضي، المصدر السابق، ص20، ابن الأبار، المصدر السابق، ص395، سعدون عباس نصر الله، المرجع، السابق، ص71.

[4] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص97.

[5] – **ابن سعيد**، المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، ج1، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1995، ص48.

التمثيل الدبلوماسي، والتشاور السياسي بين قرطبة وتاهرت[1]، وظلّ بنو رستم على وفائهم لعهدهم في التّعاون الصادق مع بني أميّة في الأندلس، فلم يسمحوا للخارجين على الإمارة الأندلسية، أن يقوموا بأي نشاط سياسي معاد لحلفائهم الأمويين على أراضيهم[2]. وكان طبيعي أن يحدث هذا التّقارب السياسي وذلك بسبب سعي الطرفين لردع العدوّ المشترك، الأغالبة في المغرب الأدنى، والأدارسة بالمغرب الأقصى[3].

أمّا فيما يخص العلاقة بين الأمويين والأدارسة، فيبدوا أنّ الأمير الأموي الحكم بن هشام أمير قرطبة (180-206هـ/796-821م) أراد أن يستغل فرصة عداء الأدارسة للدولة العباسية وأمراء القيروان للوقوف في وجه خصومهم الأغالبة[4]، وعلى الرغم من ذلك فقد انقلبت هذه الصداقة إلى عداوة بسبب استقبال المولى ادريس الثاني(177هـ-793م)، لعدد من الفرسان الأندلسيين الساخطين على الأمير الحكم بن هشام، والذين كانوا يمثلون النّخبة الأروستقراطية العربية في قرطبة[5]، حيث لم يتأخر ادريس الثاني في احتضانهم، وتقريبهم إليه، وعهد اليهم بالوظائف الهامّة، وجعلهم بطانته الخاصّة دون البربر[6]، وما زاد في توتر العلاقات بين الدّولتين هو إقدام المولى ادريس الثاني على استقبال المنفيين الربضيين[7] من الأندلس سنة 202هـ/818م على إثر فشل ثورتهم في قرطبة[8]، وبذلك أصبحت العلاقات الأموية الإدريسية أكثر توثرا وبرودة، فقد خشي الحكم أمير الأمويين بالأندلس من امتداد نفوذ الأدارسة إلى بلاده، فعمل على منع الانتشار العسكري والمذهبي العلوي في المغرب وصدّهم عن العبور إلى العدوة الأندلسية[9]. ويبدوا أنّ هذه

---

[1] – أهم المراسلات التي كانت بين الرستميين والأندلسيين: المراسلة بين الإمام أبو العباس بن أفلح بن الاغلب (207-258هـ/822-871م) وعبد الرحمان الأوسط حول قيام الأمير الأغلبي بتهديم أسوار مدينة العباسية التّي بناها الأغالبة بالقرب من تاهرت، كما راسل الأمير عبد الرحمان الأوسط الإمام أفلح، يخبره بانتصاره على النورمانديين سنة 230هـ/824م ، وأرسل الخبر نفسه الى حلفائه من سكان طنجة وضواحيها من قبيلة صنهاجة، وهذا دليل على امتداد نفوذ الأمويين إلى المغرب الأقصى، ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص 369، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص429.

[2] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 109.

[3] – عبد العزيز فيلالي، المرجع نفسه، ص 96 ، 97.

[4] – عبد العزيز فيلالي، المرجع نفسه، ص 91.

[5] – ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 14.

[6] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 91.

[7] – أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 130.

[8] – أحمد مختار العبادي، المرجع نفسه، ص 130.

[9] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 93.

الأحقاد قد استمرت مع خليفة الحكم ابن هشام[1].

وخلاصة القول أنّ بني أمية في قرطبة، قد كوّنوا صداقة متينة، واكتسبوا ولاء دويلات المغرب[2] المجاورة لأعدائهم التّقليديين الأدارسة العلويين في المغرب الأقصى، والأغالبة في افريقية، فمدّوا أيديهم إلى بني رستم خاصّة، غير أنّه يلاحظ أنّ هذا الجوّ المشحون بالكراهية والعداء السياسي والمذهبي، لم يتعد مستوى الخصومة السياسية، ولم يصل إلى حدّ وقوع مجابهات عسكرية مباشرة، باستثناء الحروب التي وقعت بين بني رستم والأغالبة[3].

5) العلاقات بين العدوتين منذ ظهور الفاطميين بالمغرب إلى انهيار سلطة الأمويين بالأندلس

استمرت هذه العلاقات بين العدوتين على نفس الشّكل في عهد عبد الرحمان الثاني(ت 238هـ/852م)، غير أنّ الملاحظ أنّ الفترة التي تلت عهده لم تكن مستقرة في الأندلس، بل تميّزت الحكومة الأموية بقرطبة بالضعف، واستمر هذا الوضع إلى غاية 300هـ/912م، حيث لم تكن اسبانيا خلال هذه الفترة شعبا واحدا بل مجموعة أجناس[4]، وقد صادف حالة التفكك السياسي للإمارة الأموية في الأندلس، قيام الدّولة الفاطمية الشيعية في بلاد المغرب سنة 296هـ/908م، والتي بسطت سيطرتها على معظم بلاد المغرب، وكانت تسعى جاهدة لمدّ سلطانها إلى بلاد الأندلس، فانتهزت فرصة تلك الإضطرابات، وحاولت الاستفادة منها[5]، فكان على الأمير الأموي عبد الرحمان الثالث(300-350هـ/) أن يبدل مجهودا جبّارا في سبيل استعادة وحدة الأندلس، وأن يتخذ التّدابير التي تحدّ من خطر الفاطميين[6]، وهو ماتمكن منه،

[1] – عبد العزيز فيلالي، المرجع نفسه، ص 93.

[2] – أهم هذه الدويلات بنو صالح بنكور شمالا، وبرغواطة في تامسنا على ساحل المحيط غربا، وبني مدرار في سجلماسة جنوبا، عبد العزيز فيلالي، المرجع نفسه، ص 114.

[3] – عبد العزيز فيلالي، المرجع نفسه، ص 114.

[4] – أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 156.

[5] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 116.

[6] – أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 180.

بعدما استقام له الأمر[1].

كان الفاطميون منذ تأسيس دولهتم في بلاد المغرب، يفكرون في غزو الأندلس[2]، وكانت البداية بإعداد مجموعة من العلماء لإرسالهم إلى الأندلس من أجل القيام بالدعاية للمذهب الشيعي، اضافة الى الاعتماد على الجواسيس لمعرفة الأحوال العامّة بالأندلس[3]، كما سعوا إلى اجتذاب مجموعة من الثائرين منهم الثائر ابن حفصون، وعلي بن حمدون الجذامي الذي أمدّ الفاطميين بالمدد أثناء ثورة أبي يزيد الخارجي[4]، غير أنّ النّجاح في اجتذاب أنصار من الأندلس كان أمرا صعبا نظرا لتأصل المذهب المالكي هناك[5].

لم يقف الأمويين بقيادة عبد الرحمان النّاصر الدين الله مكتوف الأيدي حيال السياسة الفاطمية، فقد استعمل أوّل الأمر نفس السلاح، وهو النشاط الدعائي، والجوسسة المضادة[6]، كما عمل على اصطناع أمراء المغرب ورؤساء القبائل، ومن أبرز القبائل التي حالفها قبيلة زناتة[7]، وذلك لتكوين تحالف قبلي بالمغرب الأقصى منافس لتحالف القبائل الصنهاجية مع الفاطميين بالمغرب الأوسط. أمّا على الصّعيد الدّيني فقد جابه عبد الرحمان الثالث الفاطميين بإعلان نفسه خليفة للمسلمين وأنّه الأحق بذلك[8]، وبالتّالي حاول التّضييق على الخلافة الشيعية الفتية في المغرب، والتي كانت تسعى إلى التّوسع في الأندلس[9].

---

[1] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 116- 118.

[2] – أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص181.

[3] – هناك العديد من الجواسيس والدعاة الذين دخلوا الأندلس خدمة للفاطميين، منهم : الرحالة ابن حوقل النصيبي (ت 367هـ)، أبو اليسر ابراهيم بن محمد الشيباني المعروف بالرياضي (ت 298هـ) ، أبو جعفر بن أحمد بن هارون البغدادي (عاصر المهدي وابنه القائم)، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 127-130، أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص181ومابعدها.

[4] – أحمد مختار العبادي، المرجع نفسه، ص182، 183.

[5] – أحمد مختار العبادي، المرجع نفسه، ص182.

[6] – أحمد مختار العبادي، المرجع نفسه، ص185.

[7] – كان عبد الرحمان الناصر قد وجه الى هذه القبيلة سفيره القاضي محمد بن عبد الله بن أبي عيسى سنة 316هـ/928م، محملا بالهدايا والأموال الى رؤساء القبائل البربرية ، وكان محمد بن عبد الله هذا من اصل مغربي، وكان دبلوماسيا حكيما استطاع ان يحكم المواصلة بين القبائل الزناتية وخليفة الأندلس ، وكان من نتائج جولته هذه أن بدأت الوفود والرسائل ترد على الخليفة الأندلسي، من رؤساء القبائل المغربية وأمرائه يعبرون فيها عن ولائهم، ويبعثون له بأخبار المغرب، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 140.

[8] – أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 170. 186، 187.

[9] – أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 170.

وبذلك يلاحظ أنّ العلاقة بين الأندلس وبلاد المغرب ظلّت خلال هذه الفترة تتذبذب بين الشدّة والفتور، وبين الحرب الباردة والاصطدام المسلح، متأثرة بالصراعات السياسية والمذهبية والاقتصادية في المنطقة[1]. هذا عن حال علاقة العدوتين، وهم في أوّج قوتهما، فماذا عن علاقتهما بعد انهيار الخلافة الأموية بالأندلس وانقسامها إلى دويلات، وخروج الفاطميين من بلاد المغرب باتجاه مصر .

على الرغم من الصراع السياسي بين الحماديين وأبناء عمومتهم من الزيريين من جهة[2]، والانقسامات السياسية التي عرفتها الأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية وما ترتب عنها من ظهور لدول الطوائف من جهة ثانية[3]، إلاّ أن ذلك لم يقف حاجزا أمام الاتصال السياسي بين الحماديين الذين شكلوا دولة قويّة مستقلة ببلاد المغرب الأوسط منذ سنة 398هـ/1007م، والأندلس برغم ماشهدته من تمزق، ولعلّ أبرز ملامح هذه العلاقة التي تميّزت بالودية والمحدودية، استقبال بلاط الحماديين بعضا من ملوك الطوائف الفارين من الصراع الدائر في الأندلس[4]، وكذا تمكن بعض رؤساء البربر بالأندلس من تشكيل إمارات سياسية مستقلة خاصة بهم[5].

---

[1] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، 7 .

[2] – **لسان الدين بن الخطيب**، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، تحقيق ا– ليفي بروفنسال ، دار المكشوف، ط2، بيروت، 1956، ص86–103.

[3] – **ابن حيان**، نصوص من كتاب المتين، جمعها ودرسها وحققها وقارنها بنصوص المصادر الأخرى عبد الله محمد جمال الدين بمدريد 1977، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1418هـ/1997م، ص27 – 196، **عبد الواحد المراكشي**، المعجب في– تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، القاهرة، 1963، ص52 – 58، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص 62 –117، **لسان الدين بن الخطيب**، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، ج1، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1393هـ–1973م، ص431 ، 432، عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص192–194، لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ص12، 153.

[4] – استقبل المنصور ابن الناصر بن علناس (481–498هـ/1098–1105م) في بلاده الواثق بن المعتصم ابن صمادح أحد– – ملوك الطوائف الفارين من الأندلس وأقطعه مدينة دلس وضواحيها، وأسكنه بها إلى أن وافته المنية سنة 498هـ/1098م، كما آوى إلى بلاط الدّولة الحمادية صاحب دانية علي بن مجاهد العامري على عهد الناصر الحمادي، بعد أن سقطت مملكته سنة 468هـ/1076م، **عبد الله بن بلكين**، كتاب التبيان، تح : ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، د ط 167، 168، **ابن الكردبوس**، تاريخ الأندلس (قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء)، تح : أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الأندلسية، مدريد، 1971م ، ص 102.

[5] – من أهم هذه الإمارات: إمارة بني برزال 404هـ–459هـ/1013–1067م والتي كانت يتولاها آنذاك محمد بن عبد الله بمدينة قرمونة، وهم في أصولهم من بلاد الزاب بالمسيلة، وإمارة بني زيري بغرناطة 403هـ–483هـ/1012–1090م ، وقد اشتهر من ملوكهم زاوي بن

وتأثر المغرب الأقصى بماكان يحدث في الأندلس، حيث كانت الدّولة الأموية تمدّ يد العون للقبائل الزّناتية[1]، وبسقوطها تفرّق شمل المغرب،كما تفرّق شمل الأندلس، "فلمّا كانت الطّاعة بالأندلس واحدة، وإمامتهم واحدة، تشتّت النّاس كفعلهم بالأندلس، وانتزى بعضهم على بعض"[2]. فكانت بلاد المغرب الأقصى منذ أواخر القرن الرّابع الهجري وأوائل القرن الخامس الهجري تعاني من حالة إنقسامات طائفية[3]، حيث تكوّنت من إمارات زناتية[4]، متنافرة ومتصارعة[5]، تقدم ولاءها للأمويين بالأندلس[6]، لكنّ أمراءها لم يترددوا في الخروج عن طاعة الأندلس في بعض الأحيان والدّخول في معارك ضدّ بني أميّة[7] وحاجبهم المنصور بن أبي عامر[8].

لم تكن علاقات المغرب والأندلس خلال الفترة التي امتدت من الفتح الاسلامي إلى غاية منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي، واضحة المعالم خصوصا في جانب العلاقات السياسية، حيث تراوحت بين مدّ وجزر، كما أنّ اطارها الجغرافي لم يكن ثابتا، خاصّة عندما يتعلق الأمر ببلاد المغرب بسبب

زيري، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، 50، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج3، 114، لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ص119.

[1] – سيطرت زناتة عبر تحالفاتها مع قبائل البتر على المغرب الأقصى، كما اتخذت المغرب الأوسط وطنا لها، ومدينة تلمسان مركزا لنفوذها، وكانت في الواقع تقسم الوطن الصنهاجي شطرين : شطر شرقي، وأخر غربي، حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 76، 84.

[2] – ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 264، لسان الدّين لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ص 278، **مؤلف مجهول**، مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، ط1، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2004 ، ص 41.

[3] – ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص254، **أحمد مختار العبادي**، صور من حياة الحرب و الجهاد في الأندلس، ط1، منشاة المعارف، الإسكندرية، 2000، ص 93.

[4] – حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 76.

[5] – أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 93.

[6] – استطاع زيري بن عطية أن يغزوا المغرب الأوسط بإيعاز من الحاجب بن المنصور، وفي سنة 382هـ/992م استدعاه المنصور بن أبي عامر إلى الأندلس للمرّة الثانية واحتفل بقدومه، ولما عاد زيري إلى المغرب تنّكر له، الناصر السلاوي، المصدر السابق، ص91.

[7] – غضب المنصور بن أبي عامر من الأمراء الزناتيين، وأراد أن ينتقم منهم، فأرسل إليه جيشا لقتاله، فدارت معارك كثيرة بين الطرفين، انتهت بانهزام زعيمهم زيري بن عطية، وانسحابه إلى المغرب الأوسط ثم وفاته سنة 391هـ/1000م، الناصر السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص89 ، 92، لسان الدّين ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص66، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 252.

[8] – هو محمد بن عبد الله بن عامر بن ابي عامر محمد بن الوليد بن اليزيد بن عبد الملك المعافري ، دخل جده مع طارق بن زيد ، وكان ابن أبي عامر طموحا شجاعا رفيع المواهب ، عيّنه الخليفة في خطّة الوزارة ، ثمّ أخذ نفوذ محمد بن أبي عامر يزداد ويقوى ، وضاع صيته ، فقام الخليفة هشام بترقيته إلى خطة الوزارتين ، فزاد نفوذه ، وارتفعت منزلته لدى الخليفة وازداد الرعيّة حوله التفافا وحبّا له، لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ص 59، 60.

الصراعات الشديدة بين القبائل المغربية، ولا تظهر هذه العلاقات بشكلها الواضح إلاّ في العهدين المرابطي والموحدي[1].

المبحث الثاني: الصلات البشرية بين العدوتين قبل العصر المرابطي

1) هجرات البربر إلى الأندلس إلى غاية منتصف القرن الرابع الهجري

ضم المجتمع الأندلسي أنواعا متعددّة من السكان وهم العرب الذين كان دخلوهم على موجات متتابعة[2]، والبربر والموالي، والمسالمة وهم جماعة الإسبان الذين دخلوا الإسلام، والمولدون والمستعربون، واليهود[3]، وكان البربر عنصرا بارزا في المجتمع الأندلسي منذ فتحها إلى سقوطها، وفضلهم في بناء حضارة الأندلس والنّهوض بها لا ينكر، ويمكن أن نميّز بين مجموعة هامّة من العناصر التي دخلت الأندلس في فترات متلاحقة قبل سيطرة المرابطين على الأندلس[4].

لقد كان للبربر دور مهم وكبير في فتح الأندلس، فجيش الفتح كان معظمه من أهل المغرب وعلى رأسهم طارق بن زياد المغربي، حيث شكّلوا غالبية جند الحملة التي بلغ عدد رجالها نحو إثنا عشر ألف رجل[5]، كما أنّه من المرجح أن تكون حملة موسى بن نصير التي سبقتها قد ضمّت عددا لابأس به من البربر[6]، وما سمع النّاس من أهل بر العدوة بخبر ذلك الفتح العجيب حتى لحقوا بطارق وأقبلوا نحوه من كلّ جهة، حيث دخلت أعداد أخرى لابأس بها من البربر بصورة سلمية للإستقرار في هذه البلاد الغنيّة[7]، وانتشروا في أرجاء الجزيرة، وظلّوا يتوافدون بعد ذلك، وغدوا يكوّنون عنصرا نشيطا في الحياة الأندلسية،

---

[1] – عبد الله بن بلكين، المصدر السابق، 21-25، **مريم قاسم الطويل**، مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر(403-483هـ/1012-1090م) ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994، ص75.

[2] – **السيد عبد العزيز سالم**، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس (من الفتح العربي حتّى سقوط الخلافة بقرطبة)، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، د ت، ص120 ، 121.

[3] – السيد عبد العزيز سالم، المرجع نفسه، ص126- 133.

[4] – Lévi Provençal, Histoire de l'Espagne Musulmane, Paris, Tom3, 1970, p 167. **عصمت عبد اللطيف دندش**، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت، 1988م، ص260.

[5] – عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق،ج4، ص150، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج1، ص231.

[6] – **عبد الواحد دنون طه**، التنظيم الاجتماعي في الأندلس في عصر الولاة، 95-138هـ/714-756م، ضمن كتاب دراسات أندلسية، ط1، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2004، 76.

[7] – السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص122.

وعضوا فعّالا في بنيتها الإجتماعية، وكان لهم الفضل الأكبر في حمايتها، ودرء الخطر عن المسلمين في الأندلس زمنا طويلا، وهكذا ظهر الوجود الإسلامي في الأندلس قويّا بعد الفتح وطوال عصر الولاة[1].

أمّا عن أصول هؤلاء البربر الوافدين على الأندلس فتشير المصادر إلى انتمائهم إلى قبائل البتر والبرانس، وإن كانت المصادر التّاريخية تركز بشكل أساسي على قبائل المغرب الأقصى على اعتبار أنّها أقرب المناطق عبورا إلى الأندلس[2]. ويذكر لنا الاصطخري قبائل البربر التي استقرت في الأندلس فمن قبائل البربر البتر نغزة ومكناسة التي استوطنت بين الجلاقة وبين قرطبة، وهوارة ومديونة التي أصبحت تقطن منطقة شنتبريه، ومن قبائل البربر البرانس كتامة وزناتة ومصمودة ومليلة وصنهاجة[3]، وقد مثلت هذه المرحلة بالنسبة لهؤلاء وبقية الفاتحين البدايات الأولى لعملية التّمازج والانصهار مع السكان الأصليين الذين كانوا يعيشون في الأندلس قبل الفتح[4].

وفي عصر الإمارة بالأندلس اعتمد الأمراء على البربر في تكوين جيوشهم فتدفقت أعداد كثيرة منهم إلى الأندلس[5]، وكان لهم أكبر الأثر في الحروب التي خاضها الأمراء ضدّ نصارى الشمال وفي اخماد الفتن والثورات الدّاخلية[6]، كما كان لهم دور في الفتنة العنصرية التي واجهها الأمراء الأمويون[7].

وظلّت بلاد المغرب طوال عصورها الإسلامية تمدّ الأندلس بأعداد هائلة من البربر إذ نجد حكامها الأندلسيين وخصوصا الخلفاء الأمويين يستكثرون من بربر العدوة المغربية ويعتمدون عليهم في جيوشهم، فبرغم توّجه الخليفة الأموي عبد الرحمان الناصر(300-350هـ/912-961م) إلى سياسة جديدة تقوم

---

[1]- محمد بن شريفة، المرجع السابق، ص26.

[2] - **عبد الله بن صالح**، نص جديد عن فتح العرب للمغرب، نشر ليفي بروفنسال، تعليق: حسين مؤنس، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1954، م2، عدد291، ص223، 224، عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص155.

[3] - **الإصطخري**، المسالك والممالك، تح: محمد جابر عبد العال الحيني ومحمد شفيق عربال، القاهرة، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دار القلم، ص36.

[4] - **سليمان بن داود**، دور الجزائريين في نشر الحضارة الإسلامية بالأندلس، من كتاب حلقات من تايخ المغرب الإسلامي 'محاضرات الملتقى السادس للفكر الإسلامي، مطبعة أبوداود، ، الجزائر، 1993، 109-110.

[5]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج1، ص684-686.

[6]- **ابن حيان**، المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تح: محمود علي مكي، بيروت، دار الكتاب العربي، ص121، 122.

[7]- **سامية مصطفى مسعد**، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية، ط1، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، 2000م، ص 115.

على عدم الإعتماد على البربر في تكوين الجيش[1] إلاّ أنّ ابنه الحكم المستنصر(350هـ-360هـ /965-976م) سرعان ماعدل عن ذلك واستخدم أعدادا كبيرة من البربر[2] لما أبدوه من براعة في الحروب التي خاضها الحكم المستنصر في بلاد المغرب، وخاصّة حرب الأمويين ضدّ الثائر الحسن بن كنون[3].

كما أنّ الظروف السياسية الناتجة عن الصراع بين الأمويين والفاطميين دفعت بالكثير من البربر للهجرة بحثا عن الأمن وكانت الأندلس وجهة بعضهم[4]، وعقب انتقال الفاطميين إلى مصر سنة 358هـ/969م هاجر الكثير من البربر إلى الأندلس بسبب الصراع الذي كان دائرا بين قبائل صنهاجة الموالية للفاطميين وقبائل زناتة الموالية للأمويين[5]، وقد تتّبع ابن حيان القبائل المهاجرة خلال تلك الفترة باعتباره شاهدا معاصرا لها، حيث أشار إلى أوّل هجرة وقعت لهم سنة 360هـ/970م، وفي نفس السنة التحق وفد قبيلة بني برزال[6]، وكانوا موالين للفاطميين إلى أن خرج حاكمهم جعفر بن علي بن حمدون[7]عن الفاطميين سنة 360هـ-970م، وبعد انهزام بني حمدون أمام الفاطميين والصنهاجيين لجأ إلى مكاتبة جعفر ليسهل عبورهم إلى الأندلس، وأذن لهم الحكم المستنصر بذلك واستخدمهم في جنده[8]. وفي سنة 362هـ/972م انتقلت قبيلة كتامة إلى الأندلس[9]، وقد ذكرت المصادر عدد فرسانهم المقدرة بثلاثة ألاف

---

[1] – برغم هذه السياسة إلاّ أنّ المصادر تتحدث عن هجرات هامّة خلال عصر عبد الرحمان النّاصر، فإنّ أوّل وفد دخل بلاد الأندلس من البربر في عهده كان بنو صالح، إذ خرجوا من بلادهم نكور ونزلوا بمرسى مالقة بسبب رفضهم الدّخول في طاعة الفاطميين، ثمّ تلتها هجرة قبيلة إزداجة البربرية، ويبدوا أنّ استقدام هذه القبيلة الى الأندلس كان بغرض الاستفادة منهم في الحروب وتقوية ملكهم، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص190،191، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق ، ج1، 353، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص117- 119.

[2] – ابن حيان، المصدر السابق، ص190، 195.

[3] –.ابن حيان، المصدر نفسه، ص115، 121، 193، 195، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج، ص246، 248.

[4] – السلاوي الناصري، الاستقصا، ج2، 167-171.

[5] – ابن حيان، المصدر السابق، ص192، 195.

[6] – بنو برزال هم فخد من بني يفرن إحدى بطون زناتة موطنهم بالزاب الأسفل من افريقية للتفصيل ينظر:ابن حيان، المصدر السابق، 182، أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص59، **ابن حزم**، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق ، عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، ط5، القاهرة 1982، ص463، 498.

[7] – ابن الأبار، المصدر السابق، ص305- 308، **ابن خلكان**، وفيات الأعيان، تح: إحسان عباس،ج1، دار صادر، بيروت، لبنان، د ت، ص360- 372، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، 4ج، ص107.

[8] – ابن حيان، المصدر السابق، ص 192، ابن حزم، المصدر السابق، ص498، لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ص237.

[9] – عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص195، 199، **موسى لقبال**، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى

وخمسمائة ونيفا، ورجالتهم ستة ألاف وأربعمائة معروفون بالبسالة[1]، لتتلوا هذه الهجرة هجرة أخيرة على عهد الحكم المستنصر من طرف قبائل بني دمر[2]، وهم من بطون زناته، ورجالات حرب، ضمّهم السلطان إلى عسكره[3].

وبعد وفاة الحكم المستنصر سنة 366هـ/976م اعتمد الحاجب المنصور بن أبي عامر على البربر في تكوين الجيش الأندلسي وتدعيمه، واستجلب منهم أعدادا كبيرة[4]، للإستعانة بهم على تمكين نفسه من أمور الخلافة وتوطيد سلطانه[5]"واستدعى من أهل العدوة من رجال زناتة البرابرة فرتب منهم جندا واصطبغ أولياء وعرف من صنهاجة، ومغراوة، وبني يفرن، وبني برزال ومكناسة، وغيرهم"[6]. ومن المجموعات التي هاجرت إلى الأندلس نجد هجرة جعفر بن علي الأندلسي سنة 367هـ-978م إثر هزيمته أمام قبائل برغواطة[7]، ومعه جمع من البربر[8]، ثمّ تلتها هجرة بني يفرن سنة 382هـ/992م، وجاء منهم جمع عظيم حلّ على المنصور حيث نظمهم في جيشه وأسند لهم الإقطاع[9]، وفي سنة 391هـ/1001م هاجرت أهم قبائل بلاد المغرب إلى الأندلس، تمثلت في قبيلة صنهاجة، حيث انتقل قسم كبير منها إلى هناك وهم بنو زيري[10]، وكان ذلك بعد انهزامهم أمام حمّاد بن بلقين مؤسس الدّولة الحمادية، حيث نزل زاوي بن زيري وبنيه وبنو أخيه ماكسن وحاشيته نحو الأندلس ونزلوا على المنصور فأكرمهم وضم رجالات منهم إلى عساكره[11].

منتصف القرن الخامس، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر، 1979، ص100.

[1] – ابن حيان، المصدر السابق، ص110، 111، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص246.

[2] – ابن حزم، المصدر السابق، 643.

[3] – مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص246.

[4] – عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص179، 180، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج1، ص688.

[5] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص219- 225.

[6] – عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص148، مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص184.

[7] – ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 130.

[8] – ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص278 ، 279، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص189.

[9] – مؤلف مجهول، المصدر السابق، 154.

[10] – **ابن سعيد**، المصدر السابق، ج2، ص106، لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، 521.

[11] – عبد الله بن بلكين، المصدر السابق، ص17، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص293، لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ج1، ص 522.

أصبح البربر بعد ذلك يشكلون قوّة هائلة[1]، حتّى إذا أفل نجم العامرين ثارت أحقاد دفينة بين الأندلسيين والبربر[2]، حيث جرت أحداث دامية بين الطرفين اصطلح عليها بالفتنة البربرية الثانية[3]، ثم تلتها فترة اضطراب سياسي عرفت بعصر ملوك الطوائف، أين تمكن البربر من تكوين امارات بربرية مستقلة لهم بالأندلس، وانفصلوا بإدارة أقاليم بأكملها[4]، ولا تورد المصادر أي اشارة ما إذا كانت هجرات جماعية بربرية أخرى قد تدفقت من المغرب نحو الأندلس خلال هذه الفترة، ولعلّ موقف الأندلسيين السلبي تجاه البربر قد حال دون وجود هجرات جماعية في هذا الظرف المضطرب[5].

إنّ الفترة التّاريخية التي سبقت ظهور المرابطين على مسرح الأحداث في المغرب والأندلس تمثل أهم مرحلة تاريخية لنزوح البربر نحو الأندلس، وكانت هذه الهجرات مرتبطة بالظروف السياسة والإقتصادية والإجتماعية والمذهبية السائدة في كلّ من المغرب والأندلس، فانعدام الأمن والاستقرار في بلاد المغرب للأسباب التي سبق ذكرها، وحاجة حكام الأندلس إلى البربر كمقاتلين عوامل ساهمت في الدفع بحركة الهجرة نحو الأندلس بشكل كبير، لكنّ الحقيقة الثّابتة أنّ حركة الهجرة هاته قد أوجدت بالأندلس مجتمعا بربريا فاعلا.

2) توافد الأندلسيين على بلاد المغرب قبل ظهور المرابطين

مايقال عن دور البربر في الأندلس يمكن أن يقال عن دور الأندلسيين في المغرب حيث نجد آثارهم

---

[1] – عبدالرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص179، 180، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج1، ص688.

[2] – عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 260.

[3] – ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج3، 59– 113، لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ص105، 139.

[4] – أهمها مملكة بنو برزال في قرمونة 404هـ – 459هـ التي كان يتولاها محمد بن عبد الله، وهم في أصولهم من بلاد الزاب بالمسيلة، ومملكة بنو زيري بغرناطة 403-483هـ، وكان أشهر ملوكهم زاوي بن زيري، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق ص50، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص114، عبد الله بن بلكين، المصدر السابق، ص 21-25، مريم قاسم الطويل، المرجع السابق، ص75-104.

[5] – عبد الله بن بلكين، المصدر السابق، ص21– 25، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص153، 314، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص73 ، 74، **فراد محمد أرزقي**، القوى المغربية في الأندلس خلال عهد ملوك الطوائف، القرن 05هـ /11م، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1991، ص213-253، **حمدي عبد المنعم حسين**، دراسات في التّاريخ السياسي الأندلسي، دولة بني برزال في قرمونة 404هـ-459هـ/1013م-1067م، الاسكندرية، مطبعة مؤسسة شباب الجامعة، 1990، ص19-88.

واضحة وجليّة في كل مجال، نظرا لسهولة المجاز بين العدوتين، فكما أنّ الأندلس كان طوال عصورها ملجأ سهلا للأندلسيين الفارين من بلادهم، كانت بلاد المغرب كذلك بالنسبة للأندلسيين، هذا بالإضافة إلى كونها معبرا للحجاج وهم في طريقهم إلى الحج، كما أنّ اشتغال أهل المغرب والأندلس بالتّجارة أسهم في توطيد العلاقات الإجتماعية بين المغرب والأندلس[1].

كان للظروف السّياسية الدّاخلية في الأندلس أثر في أن هاجر كثير من الأندلسيين إلى بلاد المغرب ملتمسين هناك العيش في أمان واستقرار، ومن أهم هذه الظروف ماحدث في بلاد الأندلس أيّام الأمير الأموي الحكم الأوّل (180هـ-206هـ/796-822م) حيث اندلعت ثورة في قرطبة تعرف بثورة الربضيين[2] قادها الفقهاء واستجاب لها المولدون الذين كانوا يرغبون في تحسين أوضاعهم السياسية والاقتصادية، لكنّ الأمير الأموي استطاع أن يقضي على هذه الثورة بقسوة وطرد فريقا ممّن قام بها خارج الأندلس، فعبر بعضهم المضيق إلى العدوة المغربية[3] ووجدوا ترحابا من طرف المولى ادريس الثاني، حيث طلب منهم الإقامة في مدينة فاس التي أسسها والده، فاستجابوا لطلبه وانتقلوا إلى عاصمة الأدارسة ونقلوا معهم مظاهر الحضارة الأندلسية[4]. وأعطوا لهذه المدينة مظهرا جديدا، يغلب عليه الطّابع الأندلسي[5].

اضافة إلى فاس كانت تيهرت إحدى المحطات الرئيسية للأندلسيين منذ عهد الرستميين نظرا لما شهدته المدينة من تطوّر عمراني[6]، وبحكم علاقات الرستميين الودية مع الدّولة الأموية[1] فقد استعان

---

[1] - **ليلى أحمد نجّار**، العلاقات بين المغرب والأندلس في عهد عبد الرحمان الناصر(300-، 92/350-961م)، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التّاريخ الإسلامي، إشراف: أحمد السّيد درّاج، السنة الجامعية:1402-1403/1982-1983م، كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية قسم الدراسات العليا التاريخية و الحضارية، جامعة أم القرى، مكة، ص300.

[2] - نسبة إلى الربض وهي ضاحية من ضواحي قرطبة، يقع في جنوب المدينة على الضفة الأخرى من الوادي الكبير ويسمّى ربض شقندا (Secunda)وكان هذا الربض مسكن العمّال، وأهل الأسواق، ابن الأبار، المصدر السابق، ص 44.

[3] - أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص 155، **السيد عبد العزيز سالم**، المغرب الكبير العصر الإسلامي دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 491، ص 224، **السيد عبد العزيز سالم ومختار العبادي**، تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والأندلس، بيروت، دار النهضة العربية، 1969، ص 70، **حسن السائح**، الحضارة الاسلامية في المغرب، ط2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1406هـ-1986م، ص150.

[4] - أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص123، 124.

[5] - عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 92.

[6] - **ابن الصغير**، أخبار الائمة الرستميين، تحقيق وتعليق محمد ناصر وابراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، 35 ، 36،

الرستميون بالخبرة الأندلسية في بلاطهم منذ عبد الرحمان بن رستم، حتّى أصبحوا أعضاء بارزين، في مجلس الشورى الإباضي التاهرتي، وقد اشتهر من بين هؤلاء الوافدين الأندلسيين، اثنان هما : عمران ابن مروان الأندلسي ومسعود الأندلسي، وقد كانا من بين السبعة أشخاص، الذين رشحهم الإمام عبد الرحمان بن رستم، لإمامة الإباضية في تاهرت قبل وفاته[2]. كما أنّ المدينة كانت كذلك ملاذا آمنا للثائرين على الأمويين فقد روى ابن القوطية أنّ "عمر ابن حفصون" الرجل الذي ثار على الأمويين في قرطبة، قد قدم إلى تاهرت واستقر بها كمساعد لأحد الخياطين الذين وفدوا على تاهرت من كورة "رية" الأندلسية، إذ وجدت الجاليات الأندلسية العديدة، القادمة إلى هذا البلد الغني مجالا خصبا لها في متابعة نشاطها التجاري والحرفي [3].

لكن اللاّفت للانتباه أنّ هذه الهجرات الأندلسية تركزت في المراكز الساحلية لبلاد المغرب مثل تنس، وهران، وأرشغول وغيرها[4]، حيث سعى الملاحة البحريون الأندلسيون إلى تعمير هذه المناطق، ودعم وجودهم التّجاري بها، بعد أن كانوا منتشرين في الساحل الشرقي الأندلسي أين كانت لهم فيه مراسي ورباطات[5]، ويبدوا أنّ انتقالهم من الأندلس إلى سواحل بلاد المغرب قد ارتبط بانعدام الأمن بالأندلس بسبب اندلاع الثورات الداخلية التي أثّرت على الحركة التجارية المنتظمة بين مدن وموانئ الأندلس، وبين الأندلس والخارج[6].

سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، تاريخ دول الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة حتّى قيام الفاطميين، ج2، منشأة المعارف، الإسكندرية ، 1990م، ص310.

[1]- للتفصيل عن تلك العلاقات، ينظر: **الورجلاني**، كتاب سير الأئمة وأخبارهم تح : اسماعيل العربي، الجزائر، المكتبة الوطنية، 1979، ص56، **سلفادور غومت نوغاليس**، الرستميون قنطرة صلة بين الجزائر والأندلس من خلال الإباضية، مجلة الأصالة، العدد 46 ، 47، السنة الخامسة، 1977، ص11-12.

[2] - عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 100.

[3] - **ابن القوطية**، تاريخ افتتاح الأندلس، تح: ابراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410، 1989، ص 91 ، 92.

[4]- أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص61، **محمد رزوق**، الجالية الأندلسية بالمغرب العربي، مجلة المناهل، المغرب، العدد34، السنة13، مطبعة فضالة، 1986، ص163.

[5]- عبد العزيز سالم ومختار العبادي، المرجع السابق، ص150 ، 167 ، 171، **أوليفيا ريمي كونستابل**، التّجارة والتّجار في الأندلس، ترجمة فيصل عبد الله، الرياض، مكتبة العبيكان، 2002، ص37.

[6]- **سحر السيد عبد العزيز سالم**، الهجرات المورسكية والأندلسية الكبرى إلى جنوب البحر المتوسط، أضواء على المراكز التجارية بين المغرب الأوسط والأقصى في القرن 3هـ، من كتاب أوراق تاريخية بحر متوسطية من العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1995م، ص231 ، 249.

كانت مدينة تنس أهمّ مدينة خلّفها الأندلسيون[1]، فالمدينة في بدايتها كانت في شكل سوق بدأ ينموا ويجذب إليه النّاس، فالأرباح التي حققتها القبائل المجاورة لقلعة "تنس" هي التي دفعت بهم إلى دعوة التّجار الأندلسيين لكي يتخذوها سكنى لهم[2]، ووعدوهم بالعون وحسن المجاورة، فلبوا دعوة القبائل، وانتقلوا إلى تنس وخيّموا بها، كما انتقل إليهم من جاورهم من أهل الأندلس، وغيرهم من أهل البيرة وأهل تدمير، إذ توّسع لهم أهل تنس وشاركوهم منازلهم و أموالهم[3]، ويبدوا أنّ هؤلاء البحريون قد قاموا ببناء حيّ خاص بهم وبالقبائل التي استدعتهم لكن بعض هؤلاء الأندلسيين اعتلوا عند حلول فصل الربيع فركبوا مراكبهم ونزلوا مرية بجانة، في حين ظلّ عدد من الباقين بتنس، وهم الذين أسسوا مدينة تنس سنة 262-876م[4].

ومن المدن التي شهدت اقبالا كبيرا من طرف البحارة الأندلسين، مدينة وهران حيث حلّ بها اثنان من رجال الدّولة الأموية، وجماعة من الأندلسيين أين قاموا ببنائها سنة 290هـ/903م بالاتفاق مع القبائل المحلية، فاستوطنوها[5].كما سكن الأندلسيون مدن أخرى منها جليداسن، مرسى الدجاج، وبونة التي توافد إليها العديد من التّجار الأندلسيين[6]، وكذلك مدينة أرشقول التي أعاد بناءها مجموعة من الأندلسيين من جند المنصور بن أبي عامر، بعد أن كانت قد خربت على يد ملوك القيروان[7]، كما كانت أرزيو مقصدا للأندلسيين حيث احتفظت هي الأخرى بعمرانها على الساحل بفضل التّجار الأندلسيين[8].

اضافة إلى الهجرات الأندلسية الجماعية إلى بلادالمغرب كانت ثمّة هجرات أخرى منها هجرات بعض الأسر والشخصيات الأندلسية نذكر منها نزوح أسرة حمدون بن سماك من كورة ألبيرة إلى بجاية فاستقر بها

---

[1]- **موريس لومبارد**، الإسلام في مجده الأوّل، تر: اسماعيل العربي، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص101 .

[2]- أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص61 .

[3]- أبو عبيد البكري، المصدر نفسه، ص61، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص56.

[4]- أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص61 .

[5]- أبو عبيد البكري، المصدر نفسه، ص70، مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص133، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص443، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص136.

[6]- أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص55.

[7]- **حسن الوزان المعروف بليون الافريقي**، وصف افريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، الشركة المغربية لدور النشر،الرباط، 1980، ص16.

[8]- **نصر الدين سعيدوني**، الجالية الأندلسية بالجزائر ومساهمتها العمرانية ونشاطها الاقتصادي ووضعها الاجتماعي، مقال ضمن كتاب مقالات أندلسية، مظاهر التأثير الأيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2003 ، ص18.

ونسله[1]، ومنهم علي بن حمدون بن سماك بن مسعود بن منصور الجزامي ويعرف بابن الأندلس[2]، رحل من الأندلس إلى بلاد المغرب واتصل بالمهدي بالله أوّل الخلفاء الفاطميين، ثم اتصل بابنه القائم، وكان موضع ثقته فأسند إليه القائم اختطاط مدينة المسيلة 315هـ/927م، وهي المدينة التي سميت بالمحمدية[3]، ثم عقد له القائم على ولاية الزاب وأنزله بها، وكانت الصلات بين أسرة بني حمدون والفاطميين وثيقة، حيث نشأ ولدا ابن حمدون جعفر، ويحي بدار القائم، تحت وصاية جوزر (كاتب الفاطميين). وبعد وفاة القائم سنة 334هـ/945م أثناء فتنة يزيد[4] عقد المنصور لجعفر بن علي بن حمدون على المسيلة والزاب بالاشتراك مع أخيه يحي ين علي ين حمدون فاستجدا به سلطانا ودولة، وبنيا القصور، والمتنزهات، واستفحل بهما ملكهما وقصدهما العلماء والشعراء[5].

ومن الأسر الأندلسية أيضا أسرة بنو ذكنون الذين طردوا نتيجة معارضتهم للسلطة الحاكمة آنذاك زمن الخليفة الأموي هشام المؤيد (366-399هـ/976-1009م)، حيث تمّ نفيهم إلى العدوة سنة 401هـ/1010م، وأجيز بهم البحر إلى وهران، وقد خلّفوا دوابهم وثيابهم[6].

كما توافد على بلاد المغرب شخصيات أدبية وعلمية عديدة أمثال الشاعر الألبيري محمد بن هانيء المتوفى 352هـ/964م[7]، والذي وفد على الخليفة المعز الفاطمي مطرودا من الأندلس بعد أن ظهرت ميوله الشيعية[8]، فلجا إلى أمراء المسيلة، ليصبح الشاعر الرسمي للدّولة الفاطمية، وقد أثرى ابن هانيء

---

[1]- ابن حيان، المصدر السابق، ص33 ، 34، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص242، **محمد اليعلاوي**، بلاط بني حمدون بالمسيلة من خلال شعر ابن هانئ الأندلسي، مجلة الأصالة، عدد، 24، 1975، ص49.

[2]- ابن حيان، المصدر السابق، ص 30، لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ص 42، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج2 ، ص 242 ، 243، ابن الأبار، المصدر السابق، ص 305، **خير الدين الزركلي**، فهرس الأعلام، ج2، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1980، ص 119، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج2، ص 212.

[3]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص 130، نصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص18.

[4]- سامية مصطفى مسعد، المرجع السابق، ص 114.

[5]- سامية مصطفى مسعد، المرجع نفسه، ص 114.

[6]- **أحمد بن عميرة الضبي**، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح: ابراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ-1989م، ص233، 234 ، ابن سعيد، المصدر السابق، ج1، ص215 ، 216.

[7]- ابن خلكان، المصدر السابق، ج4، ص421 ، 422، خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج7، ص130، محمد اليعلاوي، المرجع السابق، ص51-61.

[8]- **ابن هانيء**، ديوان ابن هانيء، ج1، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1400، 1980، ص59.

الأدب المغربي بكثير من القصائد التي تؤيد ميوله الإسماعلية ومنها قصائد في مدح المعز لدين الله[1].

ومن أشهر مهاجري الأندلس أيضا محمد بن خيرون أبو جعفر هاجر إلى القيروان واستوطنها وسكن بموضع يسمّى الزيّادية، وبنى هناك مسجدا ينسب إليه[2]، وعدّة فنادق، وكان من أثرياء القيروان، وقد قتل على يد الفاطميين بعد أن تبينت ميوله السّنية وظهر أنّه يسرب المعلومات إلى الأمويين في الأندلس[3].

وفي الفترة الممتدة مابين نهاية القرن الرابع الهجري إلى منتصف القرن الخامس الهجري تتابعت الهجرات الأندلسية إلى بلاد المغرب، حيث توزعت في عدد من المدن، خاصّة زمن الدولة الحمادية الصنهاجية، حيث استهوت قلعة بني حماد العديد من من مهاجري الأندلس، لأنّ المدينة كانت تضم العديد من المؤسسات والمرافق الاجتماعية، منها الجامع الأعظم إلى جانب قصور الأمراء والحكام، زيادة على الأحياء الشعبية والأسواق، إضافة إلى أنّ موقع القلعة يعتبر مركزا اقتصاديا[4]، لهذا كان التجار يتوافدون عليها من المشرق والمغرب، كما رحل إليها طلاب العلم، وكذلك أرباب الصنائع[5]، وكان الأندلسيون من ضمن هذه الهجرات منهم العلماء وطلاب المعرفة، ولعلّ من هؤلاء المهاجرين من أقاموا أحياء خاصّة بهم داخل القلعة، كغيرها من المدن التي حلّوا بها، وطبعوها بطابعهم الأندلسي المتميّز[6]، ومن المعروف عن الأندلسيين حبهم الإقامة مع بعضهم البعض، والمحافظة على الارتباطات العائلية والاستقلال عن الآخرين، وعدم الاختلاط بالغير[7].

زادت حالات الهجرة إلى بلاد المغرب خاصة بعد ظهور الفتن بالأندلس، وماترتب عنه من اضطراب

---

[1]- ابن هانيء، المصدر السابق، ص 59- 69-89-131.

[2]- **الحميدي**، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، حققه وعلّق عليه، بشّار عوّاد معروف ومحمد بشار عوّاد، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1429هـ-2008م، ص 45.

[3]- سامية مصطفى مسعد، المرجع السابق، ص 113.

[4]- **الشريف الإدريسي**، القارة الافريقية وجزيرة الأندلس، تح: إسماعيل العربي، الجزائر، 1983، ص156، **اسماعيل العربي**، العمران والنشاط الإقتصادي في الجزائر في عصر بني حماد، مجلة الأصالة، عدد19، 1974، ص350-351.

[5]- **كمال صادقي**، الصناعة الحرفية بالمغرب الاوسط في عهد بني حماد "398-547هـ/1007-1152م"، رسالة ماجستير، اشراف: اسماعيل سامعي، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، 2007م.

[6]- **محمد رزوق**، الجالية الأندلسية بالمغرب العربي، مجلة المناهل، المغرب، العدد34، السنة13، مطبعة فضالة،1986، ص159 ، 160، **أحمد مختار العبادي**، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ط1، كلية الاداب، الاسكندرية، 1968، ص184 ، سحر السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، 257 ، 258.

[7]- أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج1، 228.

أدى إلى تدمير العمران كالقضاء على مدينة الزهراء والزاهرة[1]، زيادة إلى سقوط الكثير من المدن بيد النصارى، وتعرض الكثير من مسلميها باشبيلية، وقرطبة، وبلنسية، وغيرها للإضطهاد، والملاحقة[2]، واستقرت أفول منهم ببجاية، وقد جاء ذلك بعد تراجع مكانة القلعة بسبب قدوم بني هلال لتأخذ بجاية الصدارة في استقطاب وفود المهاجرة الأندلسيين[3]، حيث ذكر البكري أنّها كانت في منتصف القرن عامرة بأهل الأندلس[4]، فكان من بين من هاجر إليها من الأندلسيين أبو محمد عبد الله بن صمادح صاحب ألمريّة أحد ملوك الطوائف المخلوعين الذي نزل على الملك المنصور الحمادي فأكرمه[5]، وأقطعه مدينة دلس وضواحيها[6].

لم تكن هناك الهجرة الأندلسية كبيرة إلى بلاد المغرب، وهي في مجملها كانت مقتصرة على المبادرات الفردية والعائلية، ومنها هجرات تحكمت فيها الظروف السياسية، وأخرى ارتبطت باحتياجات الأفراد الذّاتية، لكنّها كانت متنوعة فكان المهاجرون الأندلسيون إمّا تجار، أو، مفكرين، أوسياسيين. ولاشك أنّ مثل هذه المجموعات الأندلسية قد ترك بصمات فكرية، ومذهبية على أرض بلاد المغرب وافريقية، ولو في حدود ضيقة.

ومجمل القول أنّ الهجرة بين المغرب والأندلس كانت في الاتجاهين، فهاجر الأندلسيون فرادى، وجماعات وأسهموا في الحياة السياسية في بلاد المغرب، وهاجر البربر فرادى، وقبائل واشتركوا بنصيب في أحداث الأندلس الدّاخلية، وقد يكون ذلك قد أسهم في تبلور اعتقاد بين سكان بلاد المغرب والأندلس بحاجة الطرفين إلى بعضهما البعض، ونعتقد أنّ ذلك أسهم في بناء اللّبنة الأولى لتحقيق التفاعل الحضاري بين العدوتين في العصور التّالية، نقصد بذلك عصري المرابطين والموحدين.

---

[1] – **السيد عبد العزيز سالم**، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس "دراسة تاريخية عمرانية وأثرية في العصر الاسلامي"، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997، ص229 ، 257 .

[2] – عبد الله بن بلكين، المصدر السابق، ص73 ، **ابن بسام الشنتريني**، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس– ، م4، ق1، دار الثقافة، بيروت، ص126 ، 163، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج6،ص491، النّاصري السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص32.

[3] – أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص82.

[4] – أبو عبيد البكري، المصدر نفسه، ص82.

[5] – عبد الله بن بلكين، المصدر السابق، ص167، 168، ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص105 ، ابن الأبار ، المصدر السابق، ص89 ، 90 ، ابن سعيد، المصدر السابق، ج2، ص196.

[6] – أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج3 ، 369.

المبحث الثالث: الصّلات الفكرية والثقافية

ظهرت هذه العلاقات الثقافية والفكرية بين الأندلس وبلاد المغرب خلال الفترة التي سبقت عصر المرابطين بأشكال متعددة، طغت عليها الرحلات العلمية المتبادلة بين العدوتين من خلال تنقل العلماء بين الضفتين، وتمت في بعض الحالات عن طريق المراسلات التي مثلت شكلا مهمّا من أشكال التّواصل الثقافي، غير أنّ هذه العلاقات الثّقافية استحوذت عليها بدون منازع مدينة القيروان ببلاد المغرب، لسبقها الثّقافي، وموقعها الجغرافي، فقد توافد الطلاب والعلماء إلى القيروان من الأندلس، كما رحل بعض العلماء من أبناء القيروان إلى الأندلس، واستوطنوا فيها وبنوا فيها علمهم ومعارفهم، وهذا بدون شك أفاد منه الجانبين.

1) رحلة الأندلسيين العلمية إلى بلاد المغرب

نشطت الحركة العلمية في الأندلس منذ تولّي الأمويين شؤون هذه البلاد نشاطا لامثيل له، ويشهد على ذلك إقبال النّاس في ذلك العصر على العلم إقبالا كبيرا، وكثرة الإنتاج العلمي، واهتمام الأندلسيين باقتناء الكتب وانشاء المكتبات، ولعلّ ذلك ارتبط بعوامل عديدة منها تشجيع الأمراء والخلفاء الأمويين للعلم والعلماء، بل أنّهم لم يترددوا في فتح الأبواب لإستقبال العلماء من كلّ أطراف البلاد الإسلامية، كما اهتم الأندلسيين بالنّهل من مختلف العلوم من خارج الأندلس، وكانت بلاد المغرب هي المنطقة الأبرز التي قدم إليها أهل العلم خاصّة القيروان لقربها الجغرافي، وصلاتها التاريخية، ولتقدمها العلمي أنذاك.

ويدّل على ذلك العدد الهائل من الطلبة الأندلسيين الذي توافدوا على بلاد المغرب قاصدين أهم مركز ثقافي بها، وهي القيروان، حيث نشطت الرحلات العلمية إلى بلاد المغرب، والتي بدون شك ساهمت في توثيق الصلات والعلاقات الفكرية بين العدوتين، حيث تؤكد المصادر التاريخية هذه الحقيقة حينما تخبرنا عن عدد ليس بالقليل ممّن ارتادوا القيروان من مدن الأندلس المختلفة لتلقي العلم على يد علمائها، وخاصّة عن سحنون بن سعيد (240هـ/854م)، وتلاميذه ممّن كانوا يتمسكون بالمذهب المالكي[1]، ومع كثرة من سمع من الأندلسيين من سحنون في القيروان فإنّ وفودهم كانت تتابع للسماع حتى يوم وفاته، وقد ورد أنّ سليمان

[1]- القاضي عيّاض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح: محمد بن تاويت الطنجي،ج4 ،وزارة- الأوقاف والشؤون الاسلامية، الرباط، د ت، ص 564 – 585، **لمياء عز الدين الصباغ**، القيروان ملتقى الأندلسيين، مجلة التربية والعلم، المجلد 18، العد 4، قسم التاريخ، كليّة الأداب، جامعة الموصل، سنة 2011م، ص179.

ابن سالم رأى "يوم مات سحنون مشايخ من أهل الأندلس يبكون ويضربون خدودهم كالنساء يقولون: يا أبا سعيد ليتنا تزودنا منك نظرة نرجع بها إلى بلدنا"[1]، وكان الحجّاج من أهل الأندلس يغتنمون مرورهم بالقيروان ويقيمون وقتا فيها يتعلمون من علمائها[2].

ويترجم صاحب جذوة الإقتباس لخمسة وعشرين عالما رحلوا إلى القيروان وسمعوا من سحنون، أو من تلاميذه، خاصّة منهم محمد بن أبي زيد، ومحمد بن موهب القبري الذي تفقه بالقيروان على محمد بن أبي زيد وأبي الحسن القابسي[3]، ومحمد بن يحي بن عمر(ت 330هـ/941م) [4] &يروي عن حماس بن مروان قاضي القيروان[5]، وعبد الله بن أبي الوليد سمع من محمد بن سحنون[6]، وعمر بن يوسف الذي رحل إلى القيروان فسمع من جماعة من أصحاب سحنون[7]، وأفادنا صاحب الصلة أيضا ببعض من رحل من الأندلس إلى القيروان لتلقي العلوم على شيوخها، ومنهم سعيد بن محمد بن سيد أبيه بن محمد الأموي[8]، وغيرهم، ومعظم من ذكرهم تلّقى العلم عن أبي محمد بن مسرور، وأبي محمد بن أبي يزيد[9]، كما أورد ابن فرحون عددا ممّن رحل إلى القيروان من الأندلس لتلقي العلم إلاّ أنّ من ذكرهم لم يجاوز من ذكرهم المؤرخون السابقون[10]، وكثيرون غير هؤلاء قدموا من شتى مدن الأندلس لتلقي العلم في القيروان[11].

---

[1]- **أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي**، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية، تح: بشير البكوش، مراجعة: محمد العروسي المطوي، ج1، ط1، وط2، دار الغرب الاسلامي، 1983، 1994ص288.

[2]- أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، المصدر نفسه، ص407.

[3]- الحميدي، المصدر السابق، ص98.

[4]- الحميدي، المصدر نفسه، ص98، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، تح: بشار عوّاد معروف، ج2، ط1، دار الغرب الاسلامي، تونس، 1429هـ-2008م، ص51، 52.

[5]- الحميدي، المصدر السابق، ص98.

[6]- الحميدي، المصدر نفسه، ص265.

[7]- الحميدي، المصدر نفسه، ص303.

[8]- **ابن بشكوال**، الصلة في تاريخ علماء الأندلس، تح: ابراهيم الأبياري، ج1، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ-1989م، ص469،468،209 ،585.

[9]- ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج1، ص 209، 468، 469، 585.

[10]- **ابن فرحون المالكي**، الدّيباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: مأمون بن يحي الدين الجنّان، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1471هـ-1996م، ص37، 84، 97، 140، 173.

[11]- **محمد محمد زيتون**، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، ط1، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 1408هـ-1988م،

لقد قدم طلاب العلم الأندلسيين إلى بلاد المغرب من كافة مدن الأندلس، لكنّ أكثرهم قدم من قرطبة، نذكر منهم: ابراهيم بن يزيد بن قلزم الذي سمع من سحنون بن سعيد[1]، وابراهيم بن قاسم القيسي[2]، ومن فقهاء قرطبة الذين شدّوا الرّحال إلى المغرب عبد الله ابن محمد بن عبد الله بن بدون، والذي رحل إلى القيروان حيث درس، وسمع من محمد بن سحنون(ت301هـ/913م)[3]، كما كان منهم، محمد بن عمر بن حزم بن سلمه بن وهب اللّخمي(ت 360هـ/970م) وهو من أهل قرطبة كذلك الذين رحلوا إلى مصر، والقيروان حيث سمع من كبار الشيوخ كابن اللّباد[4]، ومنهم كذلك عبد الله بن أمية الأنصاري(ت 372هـ/982م)، ويعرف بابن غليون ويكنى: أبا سعد أصله من قرطبة سكن طليطلة، سمع بقرطبة من قاسم بن أصبغ والحسن بن سعد ونظرائه، وسمع بافريقية من أبي عبد الله محمد بن أبي المنظور القروي، كان من العلماء الموثوق بهم[5].

ويورد لنا الخشني في كتابه قضاة قرطبة أنّ من أهل قرطبة الذين تلّقوا العلم في القيروان، والتقوا بعلمائها، عامر بن معاوية اللّخمي الذي رحل إلى القيروان فسمع من سحنون[6]، وأسلم بن عبد العزيز الذي التقى بسليمان بن عمران في القيروان[7]، ومحمد بن عبد الله بن عيسى الذي لقي من شيوخ القيروان محمد بن اللّباد، ومحمد بن علي البجلي وغيرهما[8]. أمّا صاحب كتاب المدارك فأورد كثيرا من الطلاب والعلماء الذين قدموا من الأندلس إلى القيروان وتلّقوا العلم على علمائها ومنهم عبد الله بن محمد بن خالد بن مرتيل القرطبي الذي سمع من سحنون في القيروان وكان رأس المالكية بالأندلس والقائم بالمذهب المالكي والمدافع

ص435.

[1]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص9.

[2]- ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص 11.

[3]- ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص219، 220.

[4]- ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص71.

[5]- ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص236 ، 237.

[6]- **محمد بن حارث الخشني**، تاريخ قضاة قرطبة وعلماء افريقية، نشر وتصحيح: السيد عزت العطار- الحسيني، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1415هـ- 1994، ص9.

[7]- محمد بن حارث الخشني، المصدر نفسه، ص106.

[8]- محمد بن حارث الخشني، المصدر نفسه، ص119.

عنه[1]، إضافة إلى عثمان بن أيوب بن أبي الصلت الذي سمع بالقيروان من سحنون، وهو أوّل من أدخل المدوّنة بالأند أمّا عبد الرحمان بن محمد بن يحي القرطبي فقد سمع بالقيروان من ابن أبي زيدو والقابسي[2]. ومن أهل قرطبة الذين كانت لهم رحلة إلى بلاد المغرب كذلك مسلمة بن القاسم بن ابراهيم بن عبد الله بن حاتم، سمع بالأندلس من محمد بن عمر بن لبابه، وأبي حفص بن أبي تمام وأحمد بن خالد، ومحمد بن قاسم، ومحمد بن زكريا، وقاسم بن أصبغ: رحل إلى القيروان حيث سمع من أحمد بن موسى المعروف بالنار، ومن محمد بن عبد الله بن طيس، وعبد الله بن سرور وسمع بطرابلس من صالح ابن أحمد الكوفي وغيره، توفي سنة (353هـ/963م)[3].

كما عرفت مدينة طليطلة رحيل عدد مهم من أهل العلم منها إلى بلاد المغرب، نذكر منهم حزم بن غالب بن الرعيني[4]وزكريا بن قطام[5]، وأحمد بن محمد بن محمد بن عبيدة الأموي، المعروف بابن ميمونة، والمكنى بأبي جعفر صاحب أبي اسحاق بن شنظير، روى بطليطلة عن بعض شيوخها أمثال أبي محمد عبد الله بن محمد بن أمية[6]، كما رحل إلى القيروان وسمع من أبي القاسم عبد الرحمان بن محمد البكري وكان حافظا لرأي مالك وأصحابه (ت400هـ/1009)[7]، ومنهم كذلك نذكر تمام بن عبد الله المعافري الطليطلي وقد سمع بالقيروان من أبي عبد الله بن سرور الغسال، وغيره (ت377هـ/987م)[8].

وكان بمدينة البيرة في وقت واحد سبعة من رواة سحنون، منهم ابراهيم ابن خلاد اللخمي وابراهيم بن خالد[9]، وعثمان بن جرير بن حميد الكلابي المكنى: أبا سعيد بن محمد بن أحمد العتبي، ويحي بن ابراهيم، وبقي ابن مخلد ورحل إلى القيروان فسمع من محمد بن سحنون وأبي يزيد عبد الرحمان بن محمد،

[1]- محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص435.
[2]- القاضي عياض، المصدر السابق، ص574، 575.
[3]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص128.
[4]- ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص117.
[5]- ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص150.
[6]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص20، 22.
[7]- ابن بشكوال، المصدر نفسه، ص20، 22.
[8]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص578، ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص98.
[9]- ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص9 ، 10.

(ت319هـ/931م)، أو قبل (322هـ/933م)[1]، ومن أهل البيرة أيضا محمد بن فطيس بن واصل الغافقي، روى بالأندلس عن محمد بن أحمد العتبي، وأبان بن عيسى بن دينار، ويحي بن ابراهيم ابن مزين، وبقي بن مخلد، وعبيد الله بن عبد الملك بن حبيب، ومحمد بن وضاح وغيرهم، وسمع بافريقية على عدد من أئمة الحديث وأعلام الرواية[2]، توفي بمدينة البيرة سنة 319هـ/931م[3].

ومن اشبيلية رحل إلى بلاد المغرب عباس بن محمد بن عبد العظيم[4]، ومن شذونة أصبغ بن منبه الذي سمع من محمد بن سحنون[5]، ومحمد بن وضاح الصدفي[6]، ومن نفس المدينة نذكر عبد الله بن ابراهيم رحل أبوه إلى أصيلا من بلاد العدوة فسكنها، ونشأ بها أبو محمد، وطلب العلم وتفقه بقرطبة منذ صباه على أيدي الفقيه اللؤلؤي، كما رحل إلى افريقية ولقي شيوخها كأبي العباس الأبياني، وقد ولّي قضاء سرقسطة ووّلى الشورى بقرطبة، حتّى أصبح نظيرا لابن زيد بالقيروان[7]، وإليه انتهت رئاسة المالكية بالأندلس، وألّف كتبا على الموطأ أسماه "الدّليل" ذكر فيه خلاف مالك والشافعي، وأبي حنيفة، توفي سنة 392هـ/1001[8].

كما ظهرت مدينة وشقة كإحدى المدن التي ارتحل أهل العلم بها إلى بلاد المغرب، ومنهم فرح بن أبي الحزم وسمع من سحنون[9]، ومن أهل وشقة عبد الله بن الحسن المعروف بابن السندي، سمع بقرطبة ورحل فلقي بافريقة يحي بن عمر حيث روى عنه موطأ مالك[10]، وانصرف إلى بلده، حيث ولاّه أمير المؤمنين عبد الرحمان النّاصر القضاء على وشقة، توفي 335هـ/946م[11]، أمّا صالح بن محمد المرادي، المكنى بأبي محمد، والذي يعرف بابن الوركاني فكان حافظا فقيها، رحل إلى بلاد المغرب حيث درس في القيروان على أيدي نخبة

[1]- ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص37.
[2]- ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص40.
[3]- ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص41.
[4]- ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص297.
[5]- ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص79.
[6]- ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص30.
[7]- ابن فرحون المالكي، المصدر السابق، ج1، ص138 - 139.
[8]- ابن فرحون المالكي، المصدر نفسه، ج1، ص139، ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص227.
[9]- ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص349.
[10]- ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص227.
[11]- الحميدي، المصدر السابق، ص330.

من علماء القيروان أمثال يحي بن عمر، وأحمد بن يزيد وغيرهما، توفي سنة 302هـ/914م[1]، ومنهم عبد الله بن محمد بن القاسم بن حزم من أهل قلعة أيوب من ثغر شرق الأندلس، وقد سمع من ابن اللّباد بالقيروان[2].

ولا يمكن استثناء بقية مدن الأندلس من رحلة علمائها إلى بلاد المغرب، فمن مرسية رحل الصباح بن عبد الرحمان العتقي[3]، ومن أهل جيان طوق بن عمرو التغلبي[4]، وهاشم بن محمد اللّخمي الذي سمع من سحنون[5]، ومن أهل تدمير عميرة بن عبد الرحمان العتقي، وقد سمع من سحنون كذلك[6]، وسمع من علاء بن محمد كما سمع بافريقية من عدّة علماء وسمع كذلك بتونس من لقمان بن يوسف وأبي البشر مطر بن بشار وبالقيروان من أبي بكر بن اللّباد وغيره[7]، وكان كثير التّأليف، توفي في مدينة بونة سنة 347هـ/958م[8]، ومن أهل أستجة عبد الله بن حمدون الأسلمي مع من سحنون[9]، ومن أهل بجانة فضل بن سلمة الجهني، وسمع من يوسف بن يحي المغامي[10]، ومن أهل هذه المدينة كذلك محمد بن أبي خالد يكنى أبا عبد الله سمع بالقيروان من جماعة من أصحاب سحنون، ودرس بالبيرة الموطأ من أبي المصعب، ومن أحمد بن سليمان المعروف بابن الربيعي[11]، توفي سنة 369هـ/979م[12]، ومن أهل تطيلة محمد بن محمد، وسمع من سحنون[13]، وكذلك عيسى بن أحمد بن يوسف بن موسى بن خصيب الأموي، ويعرف بابن الإمام، ويكنى أبا الأصبغ من أهل تطيلة، سمع بقرطبة من ابن عيسى ونظرائه، رحل إلى المشرق فسمع بالقيروان من القاسم الصقلي، وغيره،

[1]- ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص201.
[2]- القاضي عياض، المصدر السابق،ج4، ص574، 575.
[3]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص202.
[4]- ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص208.
[5]- ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص171.
[6]- ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص328.
[7]- ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص329.
[8]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص329.
[9]- ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص216.
[10]- ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص352.
[11]- ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص37.
[12]- ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص303، 304.
[13]- ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص216.

ووليّ الصّلاة هناك، توفي سنة 380هـ/990م[1].

ولم يرحل إلى المغرب طلاّب العلم فقط بل كان من بينهم القضاة، الذين كانوا يسعون إلى مزيد من الخبرة والتّجربة، ومن هؤلاء القضاة الذين رحلوا إلى بلاد المغرب وتحديدا إلى القيروان القاضي أسلمه بن عبد العزيز، الذي تولّى القضاء في قرطبة من سنة (300هـ/912م) إلى (309هـ/921م)[2]، حيث سمع من شيوخها سليمان بن عمان[3]، كما رحل إلى بلاد المغرب أيضا قاضي الجماعة في قرطبة محمد بن عبد الله بن أبي عيسى المتوفى سنة 339هـ/950م[4]، رحل إلى القيروان حيث لقي شيوخها أمثال محمد بن محمد بن اللّباد، ومحمد بن علي البجلي وغيرهما[5]. وكان لهذا اللّقاء فائدة كبيرة في تثقيف القاضي[6].

اضافة إلى القضاة رحل الأطباء كذلك من الأندلس إلى القيروان لتلقي العلم عن ابن الجزار، ومنهم أبو حفص عمران ابن ابريق الأندلسي، الذي لازم ابن الجزار في القيروان فترة أخذ عنه فيها الطّب وروى عنه تأليفه ولما عاد إلى الأندلس دخل في خدمة الأمراء الأمويين وخاصّة عبد الرحمان الناصر، وقد أدخل ابن بريق كتب أستاذه الجزار إلى الأنلس فتلقاها عنه الأخصائيون في الطّب من مسلمين، يهود، ونصارى، ومنهم سليمان بن جلجل[7].

وكانت الأندلس تتصل بالقيروان عن طريق آخر غير الرحلة وذلك من خلال المراسلات الفكرية التي تخص تبادل الأراء حول قضايا الفتوى الشائكة، وهذا في حد ذاته يدّل على قوّة الصلات العلمية بين الطرفين، ومن أهم هذه المراسلات تلك التي جرت بين محمد بن يوسف القرطبي، وأبا الحسن القابسي[8]، كما أورد عيّاض إشارة إلى مراسلة بين قاضي القيروان وقاضي قرطبة حيث نجد فيها"أنّه جاء في كتاب سحنون:

---

[1]- ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص336.

[2]- محمد بن حارث الخشني، المصدر السابق، ص106.

[3]- محمد بن حارث الخشني، المصدر نفسه، ص106.

[4]- محمد بن حارث الخشني، المصدر نفسه، ص175.

[5]- محمد بن حارث الخشني، المصدر نفسه ،ص106.

[6]- ليلى أحمد نجّار، المرجع السابق، ص280.

[7]- **ابن جلجل**، طبقات طبقات الأطباء والحكماء، تح: فؤاد سيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955، ص107، **حسن حسني**، ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية، مكتبة المنار، تونس، 1965، ص309-316.

[8]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص 11، لمياء عز الدين الصباغ، المرجع السابق، ص182.

"إلى محمد بن زياد قاضي قرطبة يأمره بالشدة والمعاقبة لمن تفالس تكرار الأدب والعذاب عليه حتى يؤدي أو يموت قال ابن سحنون: وبذلك أخذت في ابن أبي الجواد ضربته أربعا وعشرين ومائة درة وأوقفته يوم الجمعة للناس في صحن الجامع وسوف أضربه أبدا حتّى يؤدي تحت الدرة أو يموت"[1]، وكان قضاة القيروان يرون أنّهم المقدمون على قضاة قرطبة، ولهم المنزلة الأولى ويصور ذلك ماورد من:"أنّ سليمان بن عمران قاضي القيروان كان يكتب إلى عمروا بن عبد الله، فكان عمرو يسوغ ذلك ولاينكره عليه ويكتب إليه الجواب بتقديم سليمان بن عمران، وتأخير نفسه، فلمّا ولي سليمان بن الأسود عامله سليمان بن عمران تلك المعاملة فلم يحتملها سليمان بن أسود فجاوبه بنفسه، فكان سليمان بن عمران يقول: "ياعجبا يعزل مثل عمرو بن عبد الله عن القضاء ويلي مثل سليمان بن أسود ذلك الجلف الجافي"[2].

كانت بلاد المغرب بحق قبلة لطلاب العلم الأندلسيين بسبب نبوغ عدد هام من العلماء المغاربة الذين كانوا خير من ينقل علم مالك بشكل خاص، والعلوم الأخرى بشكل عام، هذا وقد ساعد موقع بلاد المغرب الذي يتوسط الأندلس وبلاد المشرق على اقبال الأندلسيين على الاستقرار بحواضر المغرب خاصّة القيروان، ذلك أنّ طلاب العلم كثيرا ماكانوا يقصدون المشرق لطلب العلم، وأداء فريضة الحج، فكان ذلك فرصة لاتصالهم بعلماء القيروان للاستزادة من العلوم، وقد عادت هذه الاتصالات بفوائد كثيرة على الأندلسيين منها اتساع معرفتهم في مجالات العلوم المختلفة، ونقل هذه التّجربة إلى طلابهم بالأندلس اضافة إلى اتصالهم بالخلفاء، وتوّليهم القضاء، وبذلك يتبيّن أنّ بلاد المغرب كانت قاعدة بنت عليها الأندلس تفوقها العلمي الذي ستشهده فيما بعد.

2) رحلة المغاربة العلمية إلى الأندلس

لقد أسهمت الصلات الوثيقة التي ربطت بين المغرب والأندلس خلال القرون الأولى من العصر الاسلامي في التّبادل الثقافي بين البلدين، فأهل المغرب اتجهوا بأنظارهم منذ وقت مبكر إلى الأندلس، فكانوا يستقون علومهم المختلفة من الأندلس، خاصّة بعدما أظهرت الأندلس تفوقها الكبير، وتحوّل مدينة قرطبة إلى حاضرة علميّة هامّة يحج إليها طلاب العلم من كلّ مكان، فكان نصيب بلاد المغرب وفيرا من ذلك من

[1]- محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص438.

[2]- محمد بن حارث الخشني، المصدر السابق، ص70، 71.

خلال تنقل طلاب وعلماء بلاد المغرب بغزارة إلى الأندلس.

لقد اهتم مؤرخوا الأندلس كثيراً بكتب التراجم التي بيّنت فعلا اقبال أهل المغرب على الأندلس من أجل التّعلم، والتّعليم، ومن هؤلاء المؤرخين ابن الفرضي صاحب كتاب "تاريخ علماء الأندلس"، ومحمد بن حارث الخشني مصنف كتاب"تاريخ قضاة قرطبة"، والضبي الذي أشار في كتابه "بغية الملتمس" إلى أنّه جمع كتابا في أخبار القضاة بالأندلس، وكتابا في أخبار الفقهاء والمحدثين، كما ذكر الحميدي أنّه جمع كتابا في الإتفاق والاختلاف لمالك بن أنس وأصحابه، كما صنّف الخشني للخليفة الحكم المستنصر(350-366هـ/961-976) مائة ديوان وجمعه فيه رجال الأندلس في كتاب كبير[1].

أورد صاحب كتاب "تاريخ علماء الأندلس" عددا مهمّا من طلاب وعلماء القيروان الذين وفدوا على الأندلس نذكر منهم على سبيل المثال: حباشة بن حسن اليحصبي الذي تلقى العلم بالقيروان من زياد بن عبد الرحمان بن زياد ومن ابراهيم بن عبد الله الزبيدي المعروف بالقلانسي ثم رحل إلى الأندلس فلزم العبادة ودراسة العلم والجهاد، إلى أن توفي بقرطبة سنة 374هـ/965م[2]، وتميم بن محمد ابن أحمد التميمي الذي رحل إلى الأندلس واستوطن قرطبة وحدّث فيها عن أبيه وعن عبد الله بن محمد الرعني وجماعة سواهم وقد سمع منه الناس كثيرا من الأحاديث النبوية إلى أن توفي بها سنة 396هـ/979م[3]، ومحمد ابن هشام اليحصبي الذي تلقى العلم بالقيروان عن يحي بن عمر ونظرائه من علماء القيروان ثم رحل الى قرطبة واستوطنها وتلقى العلم عليه كثير من أبنائها وقد أسند إليه النّظر في الأوقاف أيّام ولاية محمد بن عبد الله بن أبي عيسى على القضاء وتوفي بها سنة (343هـ/954)[4]، ومحمد بن أحمد البلوي القيرواني- من أهل القيروان- رحل إلى الأندلس حيث سكن بجانة وحدث بها عمّن تلقى عنهم من علماء القيروان[5] ومحمد بن أحمد بن محمد الفارسي من أهل القيروان وتعلّم بها ثم رحل إلى الأندلس فكان ينتقل بين قرطبة، وشذونة، واشبيلية، واستقر بقرطبة وسمع النّاس منه كثيرا وكان خيرا متمسكا بالسنة شديد الإنكار على أهل البدع إلى

[1]- محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص440، سامية مصطفى مسعد، المرجع السابق، ص178.

[2]- ابن الفرضي، المصدر السابق،ج2، ص990.

[3]- ابن الفرضي، المصدر السابق،ج2، ص990.

[4]- ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص111.

[5]- ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص111، 112.

أن (ت359هـ/969م)[1]، ومنهم محمد بن الحارث الخشني الذي ولد ونشأ في القيروان حيث تعلم بها ثم رحل الى قرطبة فسمع من شيوخها. وكان حافظا للفقه عالما بالفتيا حسن القياس وقد ولى الشورى بقرطبة وكان يعمل الأذهان بالفتيا ويتصرف في ضروب من الأعمال اللطيفة مع قوله الشعر البليغ وقد تردد في كور الثغر ثم استقر بقرطبة وألف كتبا كثيرة وخاصة في التاريخ والفقه (ت361هـ/971م) [2].

ومن العلماء الذين وردت أسمائهم في المصادر التّاريخية الأخرى: محمد بن يوسف الوراق الذي نشأ بالقيروان وتعلم بها ثم رحل الى قرطبة واستوطنها وألّف بالأندلس للحكم المستنصر كتابا ضخما في مسالك افريقية، وممالكها وغير ذلك من الكتب الكثيرة وخاصّة في تاريخ ملوك افريقية وأخبار تاهرت ووهران وسجلماسة وغيرها[3]، ومكي بن حموش المقرئ الذي ولد بالقيروان وقرأ على شيوخها ثم رحل إلى مصر وقرأ بها على عبد المنعم بن غلبون المقرئ الحلبي ساكن مصر وعلى غيره ثم ذهب إلى الأندلس واستوطن قرطبة وقرأ عليه الطّلبة بها وكان إماما مشهورا في القراءة[4]، ومن بين الذين وفدوا على الأندلس أيضا الفقيه عبد الله أبو محمد بن أبي زيد ثغري النسب[5] سكن القيروان وكان إمام المالكية في وقته وقد جمع ذهب مالك وعلق عليه بالشرح والتّعليق، "وكان واسع العلم كثير الحفظ والرواية... فصيح القلم ذا بيان ومعرفة"[6]، سمع من مشاهير علماء القيروان أمثال أبي بكر بن اللباد ورحل إلى المشرق فسمع من الأعرابي وابراهيم بن المنذر ثم رحل إلى الأندلس ومن أشهر مؤلفاته"الزيادات على المدوّنة" وكتاب "الإقتداء بأهل المدينة" وكتاب تفسير أوقات الصلاة" و"كتاب الرسالة"[7] توفي سنة 386هـ/995م[8].

ومن علماء القراءات الذين رحلوا إلى مدن الأندلس خلال هذه الفترة: أبو محمد مكي بن إبي طالب

[1]- ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص112.

[2]- ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص112 ، 113، محمد بن حارث الخشني، المصدر السابق، ترجمة لكتاب المؤلف، ص د، أحمد بن عميرة الضبي، المصدر السابق، ص71، الحميدي، المصدر السابق، ص41، ابن فرحون المالكي، المصدر السابق، ص259.

[3]- الحميدي، المصدر السابق، ص97، 351، السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص165.

[4]- الحميدي، المصدر السابق، ص351 ، ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص150.

[5]- ابن فرحون المالكي، المصدر السابق، ص137.

[6]- ابن فرحون المالكي، المصدر السابق، ص137.

[7]- ابن فرحون المالكي، المصدر نفسه، ص137.

[8]- ابن فرحون المالكي، المصدر نفسه، ص138.

القرطبي (355هـ/ 965م)، وأصله من القيروان، سكن قرطبه، كان من أهل التّبحر في علوم القرآن محسناً لذلك، مجوداً للقراءات السبع عالماً بمعانيها[1]. وكان مكي قد وفد إلى الأندلس عام (393 هـ/1002م) حيث رحّب به الحاجب عبد الملك بن المنصور وعيّنه لتدريس القرآن وعلومه بجامع الزهراء، وقد تبوّأ منزلة كريمة بين علماء قرطبة أنذاك وأخذ في نشر علومه وتدريس طلبة العلم في جامع قرطبة، فاشتهرت مجالسه العلمية وعظم شأنه[2]، من مصنفاته "كتاب الهداية إلى بلوغ النهاية" و"كتاب تفسير إعراب القرآن" وكتاب "التبصرة في القراءات السبع"[3]، أمّا محمد بن الحسين ابن النعمان بن المقرئ القيرواني فقد عني بالقرآن وجوّده على علماء القراءة في القيروان ومصر ثم رحل إلى الأندلس فقرأ عليه كثير من النّاس، توفي بالأندلس سنة (368هـ/978م)[4].

أمّا أهم علماء التّفسير الذين انتقلوا من القيروان إلى الأندلس: الشيخ أبو موسى الهواري، وهو من أصول مغربية[5]، وهو عالم الأندلس، استقر بالأندلس في عصر الأمير عبد الرحمن بن معاوية (138-172هـ)، وكان قد جمع علم العرب إلى علم الدّين وكان إذا دخل قرطبة من قريته (مورور) التي كان فيها سكناه لم يفت أحد من مشايخ قرطبة حتى يرحل إليه[6]، له كتاب في تفسير القرآن[7].

ويلاحظ خلال هذه الفترة أنّ أهل القيروان الذين رحلوا إلى الأندلس لم يرحلوا من أجل التعلم فيها وإنّما كان أهل الأندلس هم الذين يأتون إلى القيروان لأجل التعلم وهذا دليل قوي على أنّ القيروان كانت هي المركز الفكري في المغرب، وإليها كانت تفد رحلات طلاب العلم من الجهات المحيطة بها، وإذا ذهب الى

[1] ابن بشكوال، المصدر السابق، ترجمة رقم (1276).

[2] – **سعد عبد الله البشري**، الحياة العلميَّة في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، 422 . 488هـ، منشورات مركز الملك فيصل، الرياض، 1414هـ-1993م، ص 268.

[3] – القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص737، 738.

[4] – ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص113.

[5] – محمد بن شريفة، المرجع السابق، ص26.

[6] – **أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي**، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة 1973م، ص 253 ، 254، ابن القوطية، المصدر السابق، ص56.

[7] – أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، المصدر نفسه، ص254.

الأندلس عالم من القيروان فإنّما لبث علمه وتعليم النّاس هناك[1].

ولقد كان لكثرة التّلقي على سحنون وتلاميذه أثر في انتشار المذهب المالكي في الأندلس والالتزام به ولعلّ ماسبق يضع أمام أعيننا الصورة الحقيقية للعلاقات الفكرية المتنوعة التي أوجدت جسرا متينا بين القيروان والأندلس ويوضح الدّور العظيم الذي قامت به القيروان بالنسبة للأندلس حيث كانت هي همزة الوصل بين المشرق وبين الأندلس[2].

غير أنّ قيام الخلافة الفاطمية ببلاد المغرب، واضطهادها لعلماء القيروان السنيين دفع بكثير منهم إلى الرحيل من القيروان إلى جهات متعددة وخاصّة الأندلس التي كانت تناوئ الفاطميين العداء .بل نجد أنّ الأندلس كانت ترحب بمن يفد إلى رحابها من علماء القيروان وخاصّة الذين كان يضطهدهم الشيعة ومنهم حكم بن محمد القيرواني القرشي الذي تعرض لسجن عبيد الله المهدي بسبب مهاجمته للفاطميين وكان يتردد بين قرطبة والقيروان[3]، وكان ذلك عاملا ساعد على تقوية العلاقات الثقافية ونقل الأفكار بين القيروان والأندلس[4].

وصفوة القول أنّ الصلات الثقافية بين المغرب والأندلس تؤكد مدى الإرتباط الوثيق بين العدوتين، وبرغم العلاقات السياسية التي كان طابعها الصراع والعداوة فإنّ ذلك لم يؤثر على العلاقات الثّقافية بل دفعت الصراعات السياسية إلى توثيق الصلات الثّقافية أكثر من أي مجال حضاري أخر.

المبحث الربع: العلاقات التّجارية

1) الصّلات البحرية بين الأندلس وبلاد المغرب

1.1) نشأة البحرية الأندلسية

فرضت طبيعة الأندلس البحرية والجغرافية منذ القدم كشبه جزيرة يحيط بها البحر من ثلاث جهات،

[1]- محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص441.
[2]- محمد محمد زيتون، المرجع نفسه، ص441.
[3]- السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير العصر الإسلامي، ص 615.
[4]- محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص441.

أن يرتبط تاريخها بالبحر سواءا لمواجهة القوى المعتدية أو لممارسة النشاط التّجاري المرتبط بالتّجارة البحرية، وانطلاقا من ذلك كانت الأندلس دائما بحاجة ماسة إلى امتلاك أسطول بحري قوي يضمن لها الحماية وممارسة التّجارة .

لم يكن المسلمون الذين فتحوا الأندلس لديهم اهتمام كاف بالبحر، ومايترتب عنه من صناعة ونشاط تجاري، بل كان ذلك معقودا لعامّة الناس من الطموحين والمغامرين، فأهل الأندلس من الذين "يكثرون التّجارب والتّغرب" [1]، وينطبق هذا الواقع على عصر الفتح ويمتد إلى عصري الولاية والإمارة[2]، فقد كوّن البّحارة الأندلسيين جماعات وكيانات تشتغل بالتّجارة، والغزو البحري لحسابها الخاص، متمركزين في السّاحل الشمالي الشرقي بين طرطوشة وبلنسية، ومركز أخر في الساحل الشرقي الجنوبي وتحديدا في مرية بجانة (أرش اليمن)، ونتيجة لهذا الواقع برزت أسر عريقة تولّت إدارة شؤون البحر، كأسرة بني سرج القضاعية اليمنية، وبني الأسود الغسانيين وغيرهم[3].

لقد واجهت الأندلس مجموعة من التّحديات والأخطار الخارجية التي دفعت الأمويين إلى الاهتمام بشؤون البحر أكثر، فقد تعرضت الأندلس لغارات النورمان سنة 229هـ/843م الذين توّغلوا إلى غاية اشبيلية، فعمد الأمير عبد الرحمان الأوسط بعد التخلص من خطرهم إلى بناء دار صناعة في اشبيلية في السنة الموالية، ولم تطل مدّة قيام هذه الصناعة حتّى امتلك الأمويين أسطولا كبيرا، بدأت مهامه الأساسية المتمثلة في حماية التجارة البحرية تظهر منذ سنة 234هـ/848م من خلال ارسال حوالي 300 مركب لتأديب أهل جزيرتي ميورقة ومنورقة بسبب تعرضهم لسفن التّجار والمسافرين[4].

وفي ظلّ الصراع الأموي الفاطمي أدرك الخليفة عبد الرحمان النّاصر قيمة الأسطول البحري فتوّسع في

---

[1]- **أدم ميتز**، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، تر: محمد عبد الهادي أبو ريدة، ج2، دار الكتب، القاهرة، دار الكتاب العربي، مكتبة الخانجي، ص381.

[2]- ابن القوطية، المصدر السابق، ص47.

[3]- **إحسان عباس**، اتحاد البحريين في بجانة بالأندلس، مجلة الأبحاث، مجلة الجامعة الأمريكية في بيروت، السنة 23، كانون الأوّل، 1970، ص 3- 14، السيد عبد العزيز سالم ومختار العبادي، المرجع السابق، ص 150 ، 167 – 171، 194، **حسين مؤنس**، تاريخ المسلمين في البحر المتوسط، الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ط2 ، القاهرة، الدّار المصرية اللبنانية، 1993، ص97.

[4]- ابن حيّان، المصدر السابق، ص 2.

انشاء دور الصناعة في كلّ من طرطوشة ومالقة ولقنة ودانية والجزيرة الخضراء وغيرها[1]، وظلّت البحرية الأندلسية في تطوّر مستمر، وأصبحت مع مرور الوقت تمتلك خبرة متزايدة، جعلت لها قدرة على توفير الأمن في ربوع البحر، فتحوّلت بعدها فعلا إلى قوّة بحرية وتجارية هامّة[2] عمادها الأساسي امتلاك أسطول ضخم وموانئ مهمّة على سواحل المتوسط، مثل قرطاجنة، مرسية[3]، ألمرية[4].

2.1) أهمية الواجهة البحرية المغربية بالنسبة للأندلس

دخلت بلاد المغرب في أواخر القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي، مرحلة من الاستقرار والهدوء، الذي كفل لها الازدهار الزراعي، حيث كست معظم أقاليمه أشجار الزيتون والكروم، وامتلأت سهوله الوسطى بالحبوب الوفيرة، ولم يكن ازدهار الصناعة في المغرب- في ذلك الوقت بأقل من الانتعاش الزراعي[5]، فضلا عن نشاط الحركة التجارية مع البلدان المجاورة للمغرب مثل السنغال: والنيجر وغانا (بلاد السودان)[6].

كان المغرب الأقصى أكثر مناطق بلاد المغرب اتصالا بالأندلس، بسبب قصر المسافة بين المغرب الأقصى والأندلس واتصالهما عند مضيق الزقاق لذلك كان النّشاط البحري بين الأندلس والمغرب الأقصى نشطا ومستمرا، حيث ارتبطت موانئ المغرب الأقصى المطلة على البحر المتوسط والمحيط بموانئ الأندلس بعلاقات تجارية نشطة ومستمرة[7].

كانت الموانئ المطلة على بحر الزقاق من الموانئ المهمة في النشاط التّجاري، حتى وصفت هذه الموانئ بـ"الحطّ والاقلاع"[8]، ويقصد بذلك حطّ واقلاع السفن الأندلسية[1]، وذلك يدّل على كثرة السفن التي كانت

---

[1] – السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 173 – 175.

[2] – **جواتياين**، وحدة عالم البحر المتوسط في أواسط العصور الوسطى، ضمن كتاب دراسات في التاريخ الاسلامي، والنّظم الإسلامية، تعريب وتحقيق عطية القوسي، ط1، الكويت، وكالة المطبوعات، 1980، ص 213.

[3] – **محمد عبد الله عنان**، الأثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، دراسة تاريخية أثرية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1961م، ص155، 156.

[4] – السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص168.

[5] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 102.

[6] – عبد العزيز فيلالي، المرجع نفسه، ص 102.

[7] – موريس لومبارد، المرجع السابق، ص82 ، 83.

[8] – ينظر **الشريف الإدريسي**، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تح: دوزي ودي خويه، امستردام، 1969م، ص108، **ابن سعيد**، الجغرافيا، تح: اسماعيل العربي، الجزائر، 1984م، ص139.

ترسوا بهذ الموانئ، وكثرة تعاملاتها التّجارية، وكانت هذه الموانئ تحت السيطرة الأموية في الأندلس[2]، لذلك كانت معبرا تجاريا هامّا ربط الأندلس بالمغرب، عبر طريق تجاري، وهو جبل طارق الذي كان أهم مسلك تجاري وثّق العلاقات الاقتصادية بين العدوتين[3].

من أهم هذه الموانئ التي كان لها أهميّة تجارية كبيرة بالمغرب الأقصى، ميناء طنجة، فقد كانت المدينة "قائمة على وجه البحر سكنها أهلها قديما ... وأكثر أموال أهلها من الزرع من حنطة، وشعير وحبوب"[4]، وكانت "محط للسفن اللّطاف لأن الريح الشرقية توذي فيه"[5]، والمقصود هنا أنّ الميناء كان يستقبل السفن المتوسطة الحجم. ويزيد الإدريسي في وصفها فيقول: "...وهي على جبل مطلّ على البحر، وسكن أهلها منه في مسند الجبل إلى ضفة البحر، وهي مدينة حسنة لها أسواق، وصنّاع وفعلة، وبها انشاء المراكب، وبها اقلاع وحط، وهي على أرض متصلة بالبر، فيها مزارع، وغلاّت وسكانها، برابر ينسبون إلى صنهاجة"[6]. ومن المؤكد أنّ كلّ هذه الخصائص التي ذكرها المؤرخون أهلّها لتكون مركزا تجاريا مهمّا في المغرب الأقصى. واذا كانت الرياح الشرقية التي أشار إليها البكري تعرقل حركة السفن فإن نشاط التجارة البحرية أصبح يمارس في الغالب صيفا كما ذكرت المصادر[7].

أمّا المدينة الأخرى ذات الأهميّة البحرية فهي سبتة، التي قال الإدريسي عن مكانتها الاقتصادية:"مدينة سبتة تقابل الجزيرة الخضراء وهي سبعة أجبل صغار متصلة بعضها ببعض معمورة طولها من

---

[1] – الاصطخري، المصدر السابق، ص38، 39.

[2] – سامية مصطفى مسعد، المرجع السابق، ص 169.

[3] – سامية مصطفى مسعد، المرجع نفسه، ص 169.

[4] – ابن حوقل، المصدر السابق، ص79.

[5] – أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص109.

[6] – الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص108.

[7] – ينظر: مؤلف مجهول، الاستبصار، حيث أشار إلى وجود قنطرة تربط طنجة ببلاد الأندلس، ولكن مياه البحر طفت عليها قبل 200سنة من فتح المسلمين لبلاد الأندلس، ص138، 139، وهو كلام مبالغ فيه ولم يرد إلاّ هنا، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص43، **البغدادي**، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تح: محمد البجاوي، ج1، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992م، ص894، **لسان الدين بن الخطيب**، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، جمع: أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1983، ص103، عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص395 ، 396، **ابن فضل الله العمري**، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج1، تح: حمزة أحمد عباس، منشورات المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، 2003م، ص312- 315، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص354، **جاك كاني**، المغرب الشّمالي في أواسط ق 5هـ/11م، مجلة البحث العلمي، العدد20، الرباط، 1973، ص140 ،141.

المغرب إلى المشرق نحو ميل، ويتصل بها من جهة المغرب وعلى ميلين منها جبل موسى... وتجاوره جنات وبساتين وأشجار وفواكه كثيرة وقصب سكر وأترج، يتجهز به إلى ما جاور سبتة من البلاد لكثرة الفواكه بها"[1]، وهكذا وضّح الإدريسي موقع سبتة المقابل لجزيرة الأندلس، وأكدّ على أهمية انتاجها الزراعي الذي يصدر الفائض منه إلى المناطق المجاورة لها. ويضيف ابن سعيد توضيح أهمية موقع سبتة بالتأكيد على نشاطها التّجاري البحري بقوله: "وهذه المدينة بين بحرين وهي ركاب البرين، شبه الاسكندرية في كثرة الحط والاقلاع، وفيها التّجار الأغنياء الذين يبتاعون المركب بما فيه من بضائع الهند وغيرها في صفقة واحدة ولا يحوجون صاحبها إلى تقاض"[2].

من نص ابن سعيد يتضح لنا أنّ سبتة كانت ميناء لحط السفن واقلاعها، وأنّ أسواقها عامرة بتجار أغنياء لهم القدرة على شراء مركب كامل ببضائعه من دون مفاصلة حول السعر، وهذا دليل على أنّ مدينة سبتة كانت مركزا تجاريا مشهورا[3].

كانت كل من طنجة وسبتة المدينتين الأكثر أهميّة على الساحل المتوسطي، وكانت بلاد المغرب الأقصى في الواقع تتوفر على أكثر من ميناء بحري ذو أهميّة بما فيها موانى البحر المحيط، لكنّ قيمة المدن المغربية لم تتوقف على موقعها البحري، فمدينة فاس مثلا ضاهت في مكانتها الاقتصادية كثيرا من المدن الساحلية، فالمدينة "وجميع ما بها من الفواكه والغلات والمطاعم والمشارب والتّجارات والموافق والخانات فزائد على شائر ما قرب منها وبعد"[4]، ويدّل ذلك أنّ فاس كانت مركزاً لإنتاج سلع وبضائع كثيرة تفيض عن حاجتها وحاجة المناطق المجاورة لها، لذا كانت تصدر هذا الفائض، وهذا يعني أنّها كانت مركزا للنشاط

[1]- الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص107.

[2]- عن وصف المدينة وميناءها، ينظر **القزويني**، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د ت، ص201، مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص137، البغدادي، المصدر السابق، ج2، ص688، ابن عذري، المصدر السابق، ج1، ص286 ،287، عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص303، لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ص101، 102، ابن سعيد، المصدر السابق، ص139.

[3]- ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ج4، ص91، **القلقشندي**، صبح الأعشى في صناعة الإنشا،ج5، المؤسسة المصرية العامّة، القاهرة، 1985، ص152، 153، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق،ج1، ص31، 32،35؛ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص353، حسن السائح، المرجع السابق، ص142، **جاك كاني**،"مدينة سبتة أواسط ق5هـ/11م" مجلة البحث العلمي، العدد 21، الرباط 1973، ص135، **العربي محمد**،"سبتة رجالها ومكانتها وصلاتها العلمية بمختلف الحواضر الاسلامية، مجلة المناهل العدد22، المغرب 1982، ص102.

[4]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص91.

التجاري، "ومن هذه المدينة يتّجهز إلى بلاد السودان وإلى بلاد المشرق"[1]، "وهي دار مملكته يقصدها النّاس من جميع الأقطار وإليها يجلب من جميع الأقاليم كلّ شيء حسن من المتاع والسلع الغالية الأثمان من اليمن والعراق والشام والأندلس"[2]، ومن ذلك يتبيّن لنا أنّ المدينة كانت محط أنظار التّجار من جميع البلدان، لذلك قصدوها بقوافلهم التجارية، وتحملوا مشاق السفر، وبعد المسافات، وجلبوا لها مختلف الأمتعة، والبضائع الغالية ليتاجروا، وهكذا ارتبطت فاس بعلاقات تجارية مع أقاليم المشرق، العراق، والشام، واليمن، ومع الأندلس أيضا.

أمّا الادريسي فكان أكثر الجغرافيين وصفا لمكانة مدينة فاس وازدهارها التّجاري قائلا: "مدينة فاس قطب ومدار لمدن المغرب الأقصى"[3]، ويزيد ذلك توضيحا فيقول:"مدينة فاس هي حضرتها (المغرب الاقصى) الكبرى ومقصدها الأشهر، وعليها تشد الركائب وإليها تقصد القوافل، ويجلب إلى حضرتها كل غريبة من الثياب، والبضائع، والأمتعة الحسنة وأهلها مياسير"[4]، ويفهم من ذلك أنّ فاس كانت قطبا يحرك عجلة الاقتصاد بالمغرب الأقصى.

وإذا كان المغرب الأقصى قد عرف نشاطا تجاريا واسعا شمل أقاليم متعددة من العالم، فإنّ الأندلس كانت أهمّ هذه الأقاليم التي كان لها تعامل تجاري مع المغرب الأقصى، وقد كشفت لنا المصادر الجغرافية في هذا المجال عن الطرق التجارية التي ربطت المغرب الأقصى بالأندلس نذكر منها على سبيل المثال الطريق الذي يربط الأندلس مع طنجة[5]، اضافة إلى طريق بحري يسير من "البصرة بجزيرة جبل طارق ثم يمتد على البحر المحيط إلى شنترين، وهي آخر بلاد الإسلام"[6]، والواقع أنّ الطرق البحرية التي ربطت المغرب الأقصى بالأندلس لم ينقل عبرها بضائع المغرب الأقصى فقط، بل البضائع الواردة إلى هذا الإقليم من بلاد السودان، ومن الشرق وبضائع أقاليم المغرب أيضا، ومنها المغرب الأوسط[7].

---

[1]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص183.

[2]- ابن سعيد، المصدر السابق، ص114.

[3]- الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص53.

[4]- الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص53.

[5]- **ابن خرداذبة**، المسالك والممالك، مكتبة دار صادر، أفست ليدن، بيروت، 1989م، ص 100.

[6]- ابن خرداذبة ، المصدر السابق، ص68 ، 69.

[7]- موريس لومبارد، المرجع السابق، ص83.

توفرت بلاد المغرب الأوسط قبل القرن الخامس الهجري حسب ماتذكره المصادر الجغرافية على مجموعة من المراسي والموانئ التي اختلف وتفاوتت من حيث خصائصها وأهميّتها[1]، ومنها، مرسى تنس[2] الذي كان "عدوة الأندلسيين"، وكذا مرسى جزيرة بني مزغنة التي وصفت بأنّها كانت مدينة عامرة، وعلى غاية من الخصب والسعة[3]، ويذكر اليعقوبي مراسي أخرى منها مرسى أسكيكدة، مرسى جيجل، مرسى قلعة خطاب، مرسى ملر، مرسى دنهاجة، مرسى فروخ[4]، أمّا ابن حوقل(ت بعد367هـ/977م) فقد أضاف ذكر بعض المراسي، منها مرسى الخرز، جيجل، بجاية، بني جناد، مرسى الدّجاج، تامدفوس، أشرشال، برشك، عطا، قصر الفلوس، وهران، واسلن، أرجكوك (أرشقول)[5]، وذكر المقدسي (ت 380هـ/990م) مراسي أخرى منها: مرسى الزيتونة، وأفكان[6]. أمّا البكري (ت 487هـ/996م) فقد ذكر مراسي وهي كالآتي : الخروبة، مرسى ابن الألبيري، رأس الحمراء، تكوش، جزيرة عمر، مرسى الروم، مرسى أستورة، القل، مرسى الشجرة، مرسى الخراطين، سبيبة، جزيرة جوبة، جزيرة جنابية، مرسى الذيان، هور، مرسى البطال (جبل شنوة)، جزيرة وقور، مغيلة بني هاشم، مرسى بني جليداس، مرسى الغزة، مرسى الماء المدفون، هنين، مرسى ماسين، مرسى ترنانة ، مرسى تابحريت[7].

وقد أدّى ازدهار التبادل التجاري بين المغرب الأوسط والأندلس إلى وجود جاليات أندلسية كثيرة في موانئ المغرب مثل، وطنجة، ووهران، وتنس، وبجاية ومرسى الدجاج، فالبكري يذكر أنّ بونة كان أكثر تجارها

---

[1]- **سامي سلطان**، الجاليات الإيطالية التّجارية في المغرب الإسلامي حتى نهاية ق 14، سيرتا، عدد 10، أفريل 1988، ص 86 – 121.

Dominique Valerian . Bougie, port Maghrèbin, 1067-1510 ,école française de Rome ,2006, p 503,555 ,587, **Lauraa Balletto** « Genes et le Maghreb aux XV^e siecle » dans l'occident musulman et L'occident chrétien au Moyen Age . Raba. publication de la faculté des lettres- Univesité Mohamed V. p 91 – 106.

[2]- ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص34.

[3]- ابن خرداذبة، المصدر نفسه، ص34.

[4]- **اليعقوبي**، كتاب البلدان، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2002، ص 190، 192.

[5]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 76 -79.

[6]- **المقديسي**، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تح: محمد أمين الضناوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ، 2003م، ص180.

[7]- أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص233 ، 266 – 269.

من الأندلس[1]، بمراكبهم ويقصد منها لمتجارهم وينهضون منها إلى ماسواها..." [2]. وامتد هذا التّواجد إلى المغرب الأدنى، حيث كان مرسى تونس عدوة للأندلسيين[3]، وكانت القيروان" فرضة المغربين وتجار البحرين"[4]، أمّا طبرقة "...فإنّما اشتهرت لكثرة ورود المراكب بالأندلسيين، والتّجار ونزولهم فيها وتعشيرهم كان في سالف الزمان بها، وهي اتجاه أوائل الأندلس من المكان الذي هي به"[5]، كما كان ميناء تونس من الموانئ الهامّة التي يصلها تجار الأندلس حاملين منتجاتهم إلى تلك المناطق.

3.1) توافد البحارة الأندلسيين على بلاد المغرب

كان للأندلسيين نشاط تجاري واسع النطاق في المغرب الأوسط، فقد أسست الكثير من الجاليات الأندلسية، بعض الثغور أو المحطات التّجارية على طول الساحل المغربي، في أواخر القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي، وأصبح الأندلسيون يتدفقون على هذه المراكز، للتّجارة والاستقرار.

قام البحريون الأندلسيون، بالاستقرار في المدن الساحلية للمغرب الأوسط، وذلك بعد موافقة القبائل البربرية المغربية، ومن بين هذه الثغور والمدن مدينة تنس، التي أنشات سنة 262هـ/902م[6]، وأصبحت محطة تجارية هامّة تختلف إليها السفن الأندلسية في فصل الشتاء، ثمّ تعود منها في فصل الصيف، وكان يسكنها فريقان، من أهل البيرة، وأهل تدمير من الأندلس[7]، كما كانت أنّها كثيرة الزرع رخيصة الأسعار، ومنها يحمل الطّعام إلى الأندلس وإلى بلاد افريقية، والمغرب لكثرة مالديهم من الزرع[8].

---

[1] – أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص55.

[2] – ابن حوقل، المصدر السابق، ص78.

[3] – **ابن خردابة**، المصدر السابق، ص34، **اليعقوبي**، المصدر السابق، ص 190، 191، ابن حوقل، المصدر السابق، ص 76 ، 79، **صباح ابراهيم الشيخلي**، النشاط التجاري في بلا د المغرب خلال القرن 4 هـ : دراسة من خلال كتاب صورة الارض لابن حوقل، مجلة التاريخ العربي، العدد 6، ص 23 وما بعدها، المقديسي، المصدر السابق، ص180، أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص233 ، 266 – 269.

[4] – المقدسي، المصدر السابق، ص225.

[5] – ابن حوقل، المصدر السابق، ص76.

[6] – ابن حوقل، المصدر السابق، ص78.

[7] – أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص 61.

[8] – مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 133.

كما أقام مدينة وهران التي أقامها اثنان من رجال الدّولة الأموية، هما : محمد بن أبي عون، ومحمد بن عبدون، وجماعتها سنة 290هـ/902م، وقد استوطنوها بموافقة القبائل المغربية أيضا، مثل قبيلة "نفزة"، وبني مسكين أو مسغن[1]، لمدّة سبع سنوات، أقاموا خلالها الدّعوة لبني أمية في الأندلس حتّى ظهرت الفاطميون بالمغرب الأوسط، واستولوا على تاهرت، فضمت مدينة وهران إلى أعمالهم[2]. ورغم ذلك ظلّت وهران "فرضة الأندلس إليها ترد السلع، ومنها يحملون الغلال[3]، فكانت السفن التجارية تتردد بين وهران وألمرية حاملة مختلف أنواع التجارات والعلماء والمسافرين عبر الثغرين[4]، وفي بجاية، وطبنة، ومرسى الدجاج كان يوجد كذلك جاليات كبيرة من الأندلسيين[5]، استحوذت على التّجارة، وكانت تختار "عريفا" من بينها يمثلها، لدى القبائل المغربية، ينّظم أمور التّجارة معهم[6].

كانت السفن التجارية تتردد بين الموانئ المغربية والأندلسية مثل ميناء "فروخ" بالمغرب الأوسط، ومرسى الجزيرة الخضراء، وبجاية، وشاطبة، وغيرها من الموانئ الأندلسية، الممتدة على الساحل الجنوبي والجنوب الشرقي في ذلك الوقت، محملة بالمتاجر وبالعلماء وبالمسافرين[7]، ولم يكن الواقع السياسي في العدوتين معيقا للتّبادل التجاري بين الأندلس وبلاد المغرب الأوسط، فقد كان قيام الدّولة الرستمية مهمّا بالنسبة للأمويين حيث أتاح لهم ذلك السبل إلى الازدهار بسب العلاقات الوديّة بين الطرفين، كما كانت الدّولة الرستمية بمثابة الجسر، الذي يصل بين الأمويين من جهة والمشرق من جهة أخرى[8]. كما استفاد الرستميون من هذا الوضع، حيث فتحوا أبواب مدينتهم تاهرت أمام التّجار الأندلسيين، ووفروا لهم سبل الراحة والطمانينة، ممّا زاد في ثراء هذه المدينة ورخائها، وازدهارها حتى بلغ نفوذها، من تلمسان غربا الى طرابلس شرقا[9]. وقد

[1] – عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 294.
[2] – عبد الرحمن بن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص 294.
[3] – ابن حوقل، المصدر السابق، ص79.
[4] – سامية مصطفى مسعد، المرجع السابق، ص 168.
[5] – أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب و الأندلس، ص198.
[6] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 102.
[7] – السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، العصر الاسلامي، ص 569.
[8] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 100.
[9] – عبد العزيز فيلالي، المرجع نفسه، ص 103.

وصفها الرحالة المقدسي بقوله "فانتعش فيها الغريب، واستطاب بها اللّبيب"[1]. ومن المفيد أن نذكر أنّ الصراع الذي كان قائما بين الأمويين والفاطميين لم يؤثر في حركة التجارة بين العدوتين ماعدا بعض الأحداث العابرة، إذ أنّ التجار ظلّوا يتنقلون بين موانئ الخصمين بحرية كبيرة[2]، ويتضح من خلال ذلك أنّ الأسطول الأندلسي، اتخذ في نشاطه البحري وجهة سلمية مع بلاد المغرب الأوسط وافريقية من أجل ضمان النّقل والتّجارة[3].

وبطبيعة الحال فإنّ هذا الازدهار سينعكس لامحالة على بلاد الأندلس مادامت هناك علاقة طيبة، تجمع بينهما، لاسيما وأنّ السفن الأندلسية كانت ترسوا دائما على سواحل المغرب الأوسط، وكانت جالياتها مقيمة هناك كذلك، لذلك فقد انتقل إليها مختلف البضائع والغلاّت المغربية والسودانية، فضلا عن الرقيق الأسود[4]كما انتقل إليها الذهب[5]، وكانت المدن الساحلية بالمغرب الأوسط كثيرة الزرع والغنم والمواشي، ومنها، "تجلب الأغنام إلى بلاد المغرب، وبلاد الأندلس، لخصها، وطيّب لحمها"[6]، كما كانت تنقل من هذه المدن الإبل والأبقار، إلى الموانئ الأندلسية [7]، وخاصّة الميرة وضروب الرافق، والتجارات المتبادلة بين الموانئ المغربية ، ومدينة بجانة الأندلسية[8].

2) الحركة التّجارية بين العدوتين

2.1) واردات الأندلس من المغرب

أمدّت بلاد المغرب الأندلس بعدّة أنواع من السلع المختلفة حيث كانت تنقلها المراكب الأندلسية

[1] – المقديسي، المصدر السابق، ص 228.

[2] – جواتياين، المرجع السابق، ص 213.

[3] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق ، ص 102.

[4] – مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 153، 213، 217.

[5] – **ارشبيالد لويس**، القوى البحرية والتّجارية في حوض البحر المتوسط (500-1100م)، تر: أحمد محمد عيسى، مراجعة- : محمد شفيق غربال، مكتبة النّهضة، القاهرة، ص260.

[6] – مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص179.

[7] – ابن حوقل، المصدر السابق، ص97.

[8] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص104.

من مراس بلاد المغرب المنتشرة على طول الساحل المتوسطيي[1]، وإذا كان المغرب الأقصى قد نالا حظا وافرا من صادراته إلى الأندلس فإنّ بلاد المغرب الأوسط والأدنى قد كانت وجهة لهما اهتمام كبير بالأندلس لعوامل سياسية وتجارية.

كانت بلاد المغرب الأقصى أكثر المناطق التي كان لها تبادل تجاري مع بلاد الأندلس، وممّا ساعد على ذلك سهولة الاتصال بين العدوتين بسبب ضيق المسافة بينهما، يضاف إلى ذلك أنّ الأمويين كانت لهم قدرة على ايجاد نفوذ سياسي بالمغرب الأقصى أكثر من المناطق الأخرى، وبذلك كانت مدينة سبتة ممرا تجاريا بين المغرب الأقصى، وجنوب الأندلس يتم من خلاله تصدير الجلود، والملح، والشمع، والعسل، والفاكهة المجففة والخيول إلى الأندلس[2]، أمّا فراء حيوان القنلية[3] فكان يجلب الى الأندلس من سبتة كذلك حيث يلبسه المسلمون والنّصارى[4]. وكان قصب السكر أكثر ما يصدر إلى بلاد الأندلس من تارودانت بالسوس الأقصى ببلاد المغرب الأقصى[5]، أمّا الأغنام والماشية[6] فكانت تصدر الكثير منها إلى بلاد الأندلس من أودغشت[7]، ومن نفس المدينة كان يرد إلى الأندلس الصمغ السّماوي الذي يستخدم في صبغ الديباج[8].

واشتهرت بعض المدن الساحلية بالمغرب الأوسط التي كان لها صلة تجارية بحرية بالأندلس، ومنها مدينة تنس التي اشتهرت بكثرة زروعها وكثرة غلاتها، فمنها ما كان يستهلك محليا في بلاد المغرب ومنها ماكان يقوم التّجار بتصديره إلى الأندلس[9]، وكان ميناء وهران يتّخصص في نقل القمح من بلاد المغرب إلى

[1] – ابن حوقل، المصدر السابق، ص82.

[2] – الشريف الإدريسي، المصدر السابق ، ص167.

[3] – هو حيوان أدق من الارنب أطيب في الطعم واحسن وبرا، سامية مصطفى مسعد، المرجع السابق، ص173.

[4] – أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج4، ص184، 185.

[5] – مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص211، 212.

[6] – ابن حوقل، المصدر السابق، ص77.

[7] – **العذري**، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع المملك، تح: عبد العزيز الأهواني، ط1، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1965م، ص120.

[8] – أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص158.

[9] – مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص133.

الأندلس[1].

أمّا ببلاد المغرب الأدنى فقد اشتهرت مدينة قفصة بالفستق والجوز واللّوز الذي كان يستهلك محليا، كما كان يصدر إلى بلاد الأندلس[2] [3].أمّا الزيت فكان يرد الأندلس من سفاقس[4]، كما استوردت الأندلس من بلاد المغرب الرخام الوردي والأخضر، حيث كان يرد من سفاقس وافريقية[5]. وكان قد استخدم في بناء مدينة الزهراء في عهد عبد الرحمان الناصر سنة (325هـ/936م)[6].

أمّا السلع التي حملت إلى الأندلس وساهم في نقلها التجار المغاربة، العاج حيث كانت تجارته رائجة والتي عمل بها المغاربة والغانيون مابين غانة والسودان في الجنوب وبلاد المغرب في الشمال[7]،وبطبيعة الحال استخدمت هذه المادّة في صناعة التّحف العاجية في الأندلس[8]. كذلك صدرت بلاد المغرب إلى الأندلس المنسوجات الصوفية[9].

2.2) صادرات الأندلس الى المغرب

اعتمد الأندلسيون على مايمتلكونه من امكانيات طبيعية واقتصادية في تصدير فائض الإنتاج إلى الجزء المقابل لهم من البحر، ونقصد بذلك بلاد المغرب وافريقية، خاصّة أنّ بلاد الأندلس قد توفرت على زراعة متنوعة، وصناعة مترفة، وعلى موانئ مهمّة ساهمت في تنشيط الحركة التّجارية البحرية[10].

كانت الأندلس تصدر ماتنتجه من مواد زراعية وصناعية إلى بلاد المغرب وخاصّة منها : الكتان

[1] – ابن حوقل، المصدر السابق، ص76، 79.
[2] – مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص153، أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص 47.
[3] – أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص47.
[4] – أبو عبيد البكري، المصدر نفسه، ص30، ابن حوقل، المصدر السابق، ص73.
[5] – أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج2، ص67.
[6] – **الحبيب الجنحاني**، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سجلماسة عاصمة بني مدرار، المؤرخ العربي، العدد الخامس، ص149.
[7] – السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج2، ص172.
[8] – ليلى أحمد نجّار، المرجع السابق، ص 306.
[9] – ابن حوقل، المصدر السابق، ص69.
[10] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 105.

والقطن الذي كان يزرع في إقليم البيرة واشبيلية، وكان يحمل إلى المغرب، حيث يباع بأثمان مرتفعة[1]، وكانت اشبيلية من أهم المدن الأندلسية المصدرة للقطن حيث كانت تنتج كميات وفيرة[2]، وبجودة عالية فكان يصدر إلى أنحاء الأندلس ويحمله التّجار كذلك إلى أفريقية وسجلماسة[3]، أمّا اقليم البيرة فكان يصدر الكتان إلى شمال افريقية حيث يباع هناك بأثمان مرتفعة دلالة على جودة هذا النّوع الذي ينتج فيها[4].

وامتازت قيشاطة (Quesada) إحدى مدن الأندلس بنوع جيّد من الخشب استعمل في صناعة القصاع والمخابئ والأطباق، وكان هذا النوع من الخشب يستهلك محليا حيث توزع كميات كبيرة منه داخل الأندلس، وتصدر كميات أخرى منه إلى أكثر مدن المغرب[5]. كما كانت الأندلس تصدر إلى افريقية الأسلحة والنسيج والجلود والسكر، وقد قام التّجار من اليهود والبربر بنقل هذه السلع وبيعها في المغرب والمشرق[6].

وقد حظيت بلاد المغرب بنصيب كبير من الفواكه القادمة من الأندلس، ومن أهم الفواكه المصدرة إلى بلاد المغرب التين، والزيتون[7]، وكانت مالقة من أهم المدن إنتاجا للتين والذي عرف بالتين المالقي[8]، فقد امتاز هذا النوع من الفواكه الأندلسية بحلاوة الطعم، وعدم تسوسه، وبقائه مدّة طويلة دون أن يفسد[9]. أمّا أهم مدن الأندلس انتاجا لزيت الزيتون فكانت اشبيلية[10]، حيث كانت تصدر الزيت إلى بلاد المغرب برا وبحرا[11]، وخاصّة إلى سلا في بلاد الأقصى[1].

---

[1] – عبد العزيز فيلالي، المرجع نفسه، ص 104.

[2] – عبد المنعم الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 21، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص195.

[3] – عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص21، العذري، المصدر السابق، ص96.

[4] – ارشبيالد لويس، المرجع السابق، ص259.

[5] – عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص165، الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص203.

[6] – **غوستاف لوبون**، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، د ط، ص274.

[7] – **محمود ابن سعيد مقديش**، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزاوي، محمد محفوظ، دار الغرب الاسلامي، د ت، ص14.

[8] – عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص 178، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج4، ص100.

[9] – عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص 178، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج4، ص205.

[10] – محمود ابن سعيد مقديش، المصدر السابق، ج1، ص14، **عبد الحميد محمود الشرقاوي**، الحياة الاقتصادية في الأندلس الإسلامي في القرن الرابع الهجري، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، 1950، ص102.

[11] – عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص19، الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص178.

أمّا المعادن فقد أمدّت الأندلس بلاد المغرب بكثير من أنواعها المختلفة لعلّ من أهمها معدن الزئبق، وتعد مدينة قرطبة من أهم المدن الأندلسية المنتجة والمصدرة لمعادن الزئبق[2]، والفضة والحديد والرصاص[3]، كذلك أمدت الأندلس بلاد المغرب بمعدن التوتيا حيث كانت غرناطة تنتج كميات كبيرة[4].

كما حظيت بلاد المغرب بكميات عظيمة من المنسوجات الأندلسية حيث صدّرت ألمرية أنواعا فاخرة من المنسوجات الحريرية[5]، كما صدّرت مالقة أنواعا فاخرة من الحرير الموشى بالذهب[6]، أمّا البيرة[7]وجيان[8] فأمدت بلاد المغرب بكميات وفيرة من الحرير الفاخر، كما صدّرت الأندلس بالإضافة إلى ذلك الأكسية الصوفية الرفيعة[9]، كذلك راجت بلنسية منسوجات بلنسية المختلفة ببلاد المغرب [10].

ومن المصنوعات الأندلسية التي صدّرت إلى بلاد المغرب الفخار الذي اشتهرت مالقة بصناعته الدّقيقة[11]، وكذلك الصفرو الحديد من السكاكين و الأمقاص المذهبة وغير ذلك من ألات العروس والجندي، مايبهر العقل منها، تجهز هذه الأصناف إلى بلاد افريقية وغيرها[12]،كما كان يرد على بلاد المغرب من مدينة شاطبة أنواع من الورق اشتهرت الأندلس عموما بصناعته[13].

---

[1] – محمود ابن سعيد مقديش، المصدر السابق، ج1، ص14، الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص136، 178، عبد الحميد محمود الشرقاوي، المرجع السابق، ص102.

[2] – عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 323، الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص213.

[3] – ابن حوقل، المصدر السابق، ص 95.

[4] – عبد المنعم الحميّري، الروض المعطار في خبر الأقطار ، ص 24، لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص14.

[5] – أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج1، ص186.

[6] – عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص24، الاصطخري، المصدر السابق، ص26.

[7] – ابن حوقل، المصدر السابق، ص 95.

[8] – ابن حوقل، المصدر السابق، ص 95.

[9] – أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج4، ص207.

[10] – سامية مصطفى مسعد، المرجع السابق، ص171.

[11] – الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص 192، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج1، ص156.

[12] – أحمد بن محمد المقري، المصدر نفسه، ج1، ص186، 187، سالم السيد عبد العزيز، تاريخ ألمرية، ص171.

[13] – ابن حوقل، المصدر السابق، ص 109.

وأمدّت الأندلس بلاد المغرب بأنواع متفرقة من انتاجها فصدرت إلى تونس فراء القتلية[1]، أمّا جلد السفن[2] المصنوع بالأندلس فكانت صادراته بكميات وفيرة إلى بلاد المغرب[3].أمّا الزعفران وعروق الزنجبيل[4]فكانت تحمل من بياسة وجيان[5]إلى بلاد المغرب[6].

يشير معظم الرّحالة إلى أنّ سكان المغرب والأندلس كانوا يتعاملون تجاريا، بحرية وعلى نظاق واسع جدا وبدون قيود، والظّاهر أنّ السفن التّجارية كثيرا ماكانت ترسوا في الموانئ بلاد المغرب تفرغ بضائعها، وتشحن المنتجات، وإذا كان بعض الباحثين قد أشاروا إلى أنّ التوترات السياسية والمذهبية لم يكن لها تأثير كبير على حركة التّجارة فإنّ ذلك يبدوا لنا أمرا نسبيا فقط، حيث يشير اتجاه الحركة التّجارية بين العدوتين إلى أنّ العلاقات الإقتصادية تعكس حقيقة صورة العلاقات السياسية بين العدوتين، حيث كانت أكثر المبادلات التّجارية تتم عبر المغرب الأقصى نظرا لتمكن الأندلسين من السيطرة على جزء كبير منه، كما أنّ سقوط الخلافة الأندلسية وتفكك الأندلس إلى دويلات طوائف والانقسامات السياسية التي شهدتها بلاد المغرب وغزوات العرب الهلالية كلّها أحداث ستقطع الصلات المزدهرة إلى أن يعيد المرابطون والموحدون هذه العلاقات مرّة أخرى[7].

إنّ العلاقة بين المغرب والأندلس إنّما تندرج ضمن صلة العدوتين في اطار الانتماء إلى البحر المتوسط، والتي تقوم على مبدأ أنّ المتغلب من أي ضفة من ضفاف المتوسط يكون له القدرة على فرض وجوده وهيمنته على الطرف الأخر، لكن الفتح الاسلامي لبلاد الأندلس غيّر من هذه القاعدة نسبيا، إذ استطاع المسلمون أن يجعلوا عدوتا الأندلس والمغرب تندمجان في وحدة واحدة، غير أنّ هذا الانصهار لم يمنع من وجود حالات من العداء بعد التحولات السياسية والمذهبية التي طرأت على بلاد المغرب والأندلس.

[1] – أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج1، ص184، 185.
[2] – الاصطخري، المصدر السابق، ص35.
[3] – الاصطخري، المصدر نفسه، ص35.
[4] – شكيب أرسلان، المصدر السابق، ج2، ص182، 183.
[5] – أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج2، ص204، شكيب أرسلان، المصدر السابق، ج2، ص182، 183.
[6] – سامية مصطفى مسعد، المرجع السابق، ص172.
[7] – سامية مصطفى مسعد، المرجع نفسه، ص174.

لقد كانت صلة بلاد المغرب بالأندلس قوية خلال عصر الولاة حيث شهد هذا العصر وحدة سياسية واجتماعية وإدارية، وكانت حينها الأندلس تتبع بلاد المغرب إداريا، وحينما أسس الأمويون إمارتهم بالأندلس تغيرت العلاقة بين العدوتين، حيث تراوحت بين العداء للدول المغربية – الأغالبة والأدارسة– الموالية للعباسسن، والتحالف مع الرستميين أعداء العباسيين، وازدادت العلاقات توثرا بعد ظهور الشيعة الفاطميين ببلاد اللمغرب، وإعلان الأمويين الخلافة لأنفسهم بالأندلس، حيث بلغ صراع النفوذ بين هاتين القوتين ذروته في عهد المنصور بن أبي عامر، وظل النفوذ الأموي في بلاد المغرب قائما إلى ضعف الأمويون بالأندلس، وفقدوا قوتهم وتأثيراهم على الأحداث في بلاد المغرب، فانشطرت الأندلس إلى طوائف، وكذلك كان الأمر ببلاد المغرب، لكن القدر شاء أن تظهر قوّة صحراوية مغربية سيكون لها دور مهمّ في إادة اللحمة بين العدوتين.

وبرغم أنّ العلاقات السياسية بين العدوتين لم تكن مستقرة على حال، فإنّ العلاقات الإجتماعية، والفكرية، والتّجارية لم تتأثر بذلك، إذ توافد البربر على الأندلس، كما شهدت بلاد المغرب هجرة أندلسية معاكسة، كما ارتبط أهل العلم بالأندلس بحاضرة العلم الرئيسية ببلاد المغرب، القيروان، فتوافدوا إليها ينهلون منها، وحينما تحوّلت قرطبة إلى حاضرة علمية كبرى أصبحت مقصد أهل المغرب، أمّا العلاقا التجارية فكانت وثيقة جدّا بين الضفين.

وبذلك يمكن القول أنّ الصلات بين بلاد المغرب والأندلس في الفترة التي سبقت ظهور المرابطين والتي تمتد من الفتح الإسلامي للأندلس إلى غاية منتصف القرن الخامس الهجري تمثل مرحلة تأسست فيها أرضية سياسية وحضارية في علاقة بلاد المغرب بالأندلس، حيث أنّ تراكم التّجارب السابقة والتي كان أساسها شعور مشترك بحاجة كل ضفة إلى الضفة الأخرى، هو الذي سيدفع بتقبل فكرة استنجاد الأندلسيين بالمرابطين، ثمّ من بعدهم الموحدين.

الفصل الثاني: التّفاعل السياسي بين بلاد المغرب والأندلس في عصري المرابطين والموحدين

المبحث الأوّل: توحيد المرابطين لبلاد المغرب والأندلس

1) الوضع السياسي في الأندلس قبل ظهور المرابطين

2) ظهور الدّولة المرابطية ببلاد المغرب

3) تدخل المرابطين في الأندلس

المبحث الثاني: انتقال الأندلس من حكم المرابطين إلى سلطة الموحدين

1- مرحلة الانتقال السياسي ببلاد المغرب والأندلس

2- علاقات الأندلس بالمرابطين والموحدين

3) ثورات أهل الأندلس على الموحدين

4) خلاص الأندلس للموحدين

المبحث الثالث: استفادة بلاد المغرب من الخبرة السياسية الأندلسية

1) أسس بناء الدّولتين المرابطية والموحدية

2) دور الأندلسيين في بناء الدولة المرابطية

3) مساهمة الأندلسيين في بناء النّظام السياسي الموحدي

4) نموذج من التلاقح السياسي بين بلاد المغرب والأندلس

الفصل الثاني: التّفاعل السياسي بين بلاد المغرب والأندلس في عصري المرابطين والموحدين

المبحث الأوّل: توحيد المرابطين لبلاد المغرب والأندلس

1) الوضع السياسي في الأندلس قبل ظهور المرابطين

تمكن الأمويون من بسط نفوذهم على الأندلس، وظلّوا يجمعون بين السّلطتين الزّمنية والرّوحية، إلى أن جاء المنصور بن أبي عامر وأبناؤه من بعده، فانتزعوا السّلطة الزّمنية في أيام الخليفة الأموي هشام المؤيّد، واستبدّوا بالأمر، وكان هذا بداية لنهاية الخلافة الأمويّة في الأندلس، لاسيما بعد أن طمع عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر في الخلافة نفسها، حيث تقدّم إلى الخليفة وطلب منه أن يعهد إليه بولاية العهد، فوافق هشام وكتب عهدا بذلك، مضمونه أنّ الخليفة لم يجد من هو أصلح لولاية العهد بعده من عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر[1].

لقد هزّ هذا الحادث الدّولة الأموية، وعزّ على المضريين أن ينتقل العرش إلى اليمنيين، ذلك أنّ الأسرة العامرية يمنية الأصل، فانبعثت العصبية القبلية القديمة، وانتهز الأمويّون غياب عبد الرحمن بن أبي عامر في الشّمال، فخلعوا هشاما وولّوا رجلا من أحفاد النّاصر، وهو محمد بن هشام بن عبد الجبّار بن عبد الرحمن النّاصر ولقبوه بالمهدي، ولما بلغت هذه الأخبار عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر رجع من غزوته في الشمال، وكان كلّما اقترب من قرطبة انفضّ عنه جماعة من جيشه، حتّى صار في قلّة، فاعترضه أحد خصومه فقبض عليه وقطع رأسه وحملها إلى المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن النّاصر، وبموته انتهت دولة بني عامر سنة399 هـ/1008م[2]. أمّا المرحلة الموالية من العصر الأموي في الأندلس فكانت مليئة بالفتن والإضطرابات، تصارعت فيها العناصر المختلفة في الدّولة كالبربر، والصّقالبة، وأهل قرطبة[3].

في سنة 422هـ/1031م سقطت الدّولة الأموية بشكل نهائي بعد أن عزل آخر خلفائها هشام

---

[1] – **عبد المجيد نعنعي**، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، التاريخ السياسي، دار النّهضة العربية، بيروت، 1986م، ص 485.

[2] – ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص49 ، 73.

[3] – أحمد بن عميرة الضبي، المصدر السابق، ص43، **خير الدين الزركلي**، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج8، ط10، دار العلم للملايين، بيروت، د ت، ص75، ص 324 ، 325، **أحمد مختار العبادي**، في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت، 1971، ص 460- 464.

الثالث المعتد بالله[1] وتمّ اجلاء من بقي من الأمويين من قرطبة[2]، ثمّ أعلن الوزير أبو الحزم بن جهور[3] انتهاء الخلافة الأموية لعدم وجود من يستحقها، وصيرورة الأمر شورى بأيدي الوزراء، وصفوة الزعماء، أو ما أسماه بالجماعة[4]، فتمزقت وحدة الأندلس وصار الأمر فيها منقسما بين رؤساء ووزراء وقضاة العرب والبربر والصقالبة، واستقل كلّ منهم بما كان تحت أيديهم، ثمّ أورثوا الحكم عليه أولادهم أو أتباعهم، وقد أجاد المقري في وصف الأندلس في هذه المرحلة فقال:"وانقطعت الدّولة الأموية من الأرض، وقامت الطّوائف بعد انقراض الخلائف، وانتزى الأمراء والرؤساء من البربر والعرب والموالي بالجهات، واقتسموا خطّتها، وتغلّب بعضهم على بعض واستفحل أمرهم، وعظم شأنهم"[5]، هذا هو حال الأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية تمزق، تفسخ وانحلال سياسي، حيث توزعت البلاد إلى دويلات يحكم كل واحد منها ملك مستبد بنفسه في الحكم وهو مايعرف بملوك الطوائف[6].

قامت الدّويلات الطّائفية بالأندلس، وانضوت تحت ثلاث أقسام كبرى، حيث عمل كل قسم منها على بسط نفوذه في أرض الأندلس، يمثل القسم الأوّل أهل الأندلس وأهل البلاد الّذين استّقروا فيها منذ القديم، بغض النّظر عن أصلهم، ومن أهمّهم بنو عبّاد[7] اللّخميون، ومقرّهم إشبيلية، أمّا في قرطبة فقد

---

[1]- المعتد بالله هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر، بويع بعد وفاة المستكفي سنة 418هـ/1027م ، وهو آخر حكّام بني أمية في الأندلس، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 110، خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص 77.

[2]- قاعدة الأندلس وأمّ مدائنها ومستقر خلافة الأمويين بها، أثارهم به ظاهرة، وفضائل قرطبة ومناقب خلفائها أشهر من أن تذكر، ينظر: عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص 456 ، 457 .

[3]- جهور بن محمد بن جهور، صاحب قرطبة، ولد سنة 364هـ/974م، ولي الوزارة أيام الدولة العامرية، أعلن نهاية الدّولة الأموية نهائيا سنة 422هـ/1031م، لتبدأ مرحلة ملوك الطوائف، استقل بقرطبة و نظّم شؤونها فعمها الأمن والاستقرار، توفي سنة 435هـ/1043م، خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج2 ، ص 141.

[4]- أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص464.

[5]- أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج1، ص 438.

[6]- **عبد الرحمن الحجي**، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط2، دار القلم، بيروت، 1981، ص321-326.

[7]- هم من العرب الدّاخلين إلى الأندلس من لخم أسسوا دولتهم في اشبيلية، وهي أكبر دول الطوائف وأشهرها من حيث سعتها وتفوقها السّياسي، حكم بنو عبّاد هذه المملكة، وحاولوا إلحاق مناطق أو ممالك أخرى إلى مملكتهم، لكنّهم ظلّوا كغيرهم من ملوك الطوائف يدفعون

استقر بنو جهور[1]، وبنو هود[2] الجذاميون في سرقسطة[3]، وبنو صمادح[4] في ألمرية[5]، وبنو برزال[6] في قرمونة[1]،

الجزية لألفونسو حتّى اضطروا إلى الاستعانة بالمرابطين بعد سقوط طليطلة، ينظر: **لسان الدّين ابن الخطيب**، المصدر السابق، ص 152، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 126، 127، عبد الرحمن الحجي، المرجع – السابق، ص 387 ، 388، **إحسان عباس**، تاريخ الأدب الأندلسي عصر المرابطين و الموحدين، ط1، دار الشروق لنشر والتوزيع، 2001، ص 14.

[1]– لما انقطعت دعوة بني أمية ولم يبق من عقبهم من يصلح للإمارة، ولا من تليق به الرئاسة، فاستولى على تدبير ملك قرطبة جهور بن محمد، المكنى بأبي الحزم، وكان أوّل من قام منهم بالأمر باختيار من شعب قرطبة، ولما توفي سنة (435هـ/1043م) خلفه ابنه أبو الوليد بن جهور، فسار على سيرة أبيه. ولما سقطت مدينة قرطبة في أيدي العبّاديين زالت دولة بني جهور بعد أربعين سنة من الحكم، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص. 32– 34، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج1 ، ص 439.

[2]– هم أصحاب سرقسطة أو الثغر الأعلى، توالوا عليها بعد أن أزالوا دولة التّجيبيين، وأوّل بني هود سليمان الذي كان في حرب مع المأمون بن ذي النون، ولجأ كل منهما إلى ملك من ملوك الإسبان يستعين به في هذا الخلاف. ولما مات ابن هود ترك خمسة أولاد ذكور وراءه، كان قد قسم عليهم في حياته ملكه الذي كان في حكمه، واستبد هؤلاء الإخوة كلّهم بأعمالهم بعد أبيهم وكثرت الفتن بينهم، وكان أهمهم المؤتمن الذي ظلّ يعتمد على النّصارى حتّى وجدهم يهددون مملكته فلجأ إلى حماية المرابطين إلى أن قتل (503هـ/1109م)، وتسّلم المرابطون المدينة بدعوة من أهلها (497هـ/1103م)، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 124، إحسان عباس، المرجع السابق، ص ص. 13، 14.

[3]– قاعدة من قواعد مدن الأندلس كبيرة الفطر آهلة ممتدة الأطناب واسعة الشوارع والرحاب، لها سور حصين من الحجارة وهي على ضفة النهر الكبير المسمى أبرة، وتسمى أيضا المدينة البيضاء لكثرة جيارها، بها جسر عظيم يجاز به الى المدينة، ينظر: عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص 317.

[4]– حكمت هذه الطائفة في ألمرية، وكان محمد بن معن أشهر ملوكها، تلّقب بألقاب الخلفاء مثل المعتصم بالله، والرّشيد، ولما توفيّ المعتصم، أقام معز الدّولة يصوّب ويصّعد، ويعمل النّظر في امتثال وصيّة أبيه فجعل يبدي غرضه في نقل زوجه بنت مجاهد إلى دانية، و ينزل إلى المدينة ليكون أقرب إلى الإيساق في البحر، فلمّا كمل ما أراده من ذلك وافاه الخبر بتغلب المرابطين على ابن عبّاد وخروجه عن ملكه، فأمر رجاله بتجهيز الأغراض والأمتعة وحملهم إلى السّفن في أسرع ما يمكن، وأحرق باقي الأشياء خشية الاتباع، وذهب إلى الجزائر وعاش هناك إلى أن توفي، وبذلك إنقضت أيّام بني صمادح، ينظر: لسان الدين ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 190.

[5]– مدينة محدثة أمر ببنائها أمير المؤمنين النّاصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد سنة أربع وربعين و ثلاثمائة ، اتّخذها العرب مرابطا وابتنت بها محارس، وكان النّاس ينتجعونها ويرابطون فيها، وهي اليوم أشهر مراسي الأندلس وأعمرها، أجلّ أمصارها وأشهرها، وعليها سور حصين بناه أمير المؤمنين، ينظر: عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص ص 537 – 538.

[6]–كانت قرمونة في أيام هشام المؤيد بيد أبي عبد الله البرزالي إلى زمان الفتنة، فلمّا اشتّدت الفتنة وتفرقت الجماعة دعا إلى نفسه، وإسمه– –

وعبد العزيز بن أبي عامر[2] في بلنسية[3]، وغيرهم[4]، ويمثل القسم الثّاني البربر حديثوا العهد بالأندلس، لاسيما منهم الصّنهاجيين الّذين استقرّوا بها أيّام المنصور بن أبي عامر[5]، ومن أهم الأطياف السياسية لهذه الفئة من ملوك الطوائف، بنو زيري الصنهاجيين[6]في غرناطة[7]، وبنو حمود[8]في مالقة[1]، والقسم الثّالث

الحاجب أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن برزال بويع بقرمونة سنة 404هـ/1013م، فضبط قرمونة، وجمع رجالها، ورتّب جنودها، وواسى رعيتها، زالت هذه الطّائفة سنة 434هـ/1042م، ينظر: ابن عِذارى المراكشي، المصدر السابق، ص 311 ، 312.

[1]- مدينة بالأندلس ليس بينها وبين قرطبة مسيرة ثلاثة أيّام، ينظر: عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص 461.

[2]- حكم بنو عامر في شرق الأندلس أي في ألمرية، ومرسية، وبلنسية، ودانية وما والاها من جزائر، شهدت بلنسية عددا من الأمراء توالوا عليها إلى أن ثار فيها القاضي ابن جحاف (485هـ-487هـ/1092م-1094م) ومن يده أخذها السّيد القنبيطور (487هـ/1094م)، ومنه استولى عليها المرابطون، ينظر: **علي حسن الشطشاط**، نهاية الوجود العربي في الأندلس، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م، ص 33.

[3]- قاعدة من قواعد الأندلس في مشرق الأرض، بينها وبين البحر ثلاثة أميال، وهي على نهر جار ينتفع به ويبقى المخادع، بينها وبين سرقسطة تسعة مراحل، ينظر: عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص ص 47 ، 48.

[4]- أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص465.

[5]- هو محمد بن أبي عامر، أمير الأندلس في دولة هشام المؤيد، أصله فيما يقال من الجزيرة الخضراء، و له بها قدر وأبوّة، وكانت له همة يحدّث بها نفسه بإدراك معالي الأمور، ثم علت حاله وتعلق بوكالة صبح أم هشام المؤيد، و زاد في الترقّي معها إلى أن مات الحكم المستنصر، توفي المنصور بن أبي عامر في طريق الغزو في أقصى الثغور بمدينة سالم سنة 393 هـ/1002م، أحمد بن عميرة الضبي، المصدر السابق، ج 1، ص 152.

[6]- نظمّ هذه الإمارة حبوس ابن ماكسن وكوّن لها جيشا، وحاول شيئا من التّوسع فاستولى على قبرة وجيان، وخلفه ابنه باديس الذي استولى على مالقة بعد نزاع مع بني حمود وبني عباد، ولما توفي باديس خلفه حفيده عبد الله بن بلقين، وتجددت المنافسة بينه وبين ابن عباد إلى أن سقطت طليطلة في يد ألفونس السادس ملك قشتالة، واتفق أمراء الأندلس على الاستعانة بالمرابطين الذين أزالوا عبد الله عن ملكه، لسان الدّين ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 228.

[7]- مدينة بالأندلس بينها وبين وادي أش أربعون ميلا وهي من مدن البيرة، وهي محدثة من أيام الثوار يشقها نهر يسمى حدّرة، بينه وبين إلبيرة ستة أميال، ينظر: ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ص 227 .

[8]- هؤلاء رشحوا أنفسهم للخلافة في زمن الفتنة، فأصبح علي بن حمود خليفة بقرطبة وتلقب بالنّاصر (ت:408هـ/1017م)، ووليّ بعده أخوه القاسم بن حمود المأمون، وكان صراع الحمّوديين فيما بينهم، وكذلك طموح بنو عبّاد للإستيلاء على مملكتهم سبب ضعفهم، ولما تمّ ذلك عام 446هـ/1034م زالت الدّولة الحمّودية في الجزيرة مثلما زالت من مالقة عام 449هـ/1057م، إحسان عباس، المرجع السّابق، ص 14.

يمثّله كبار الصّقالبة، الّذين استقرّوا في شرق الأندلس وكوّنوا الدّويلات الصّغيرة، وكانت تجمعها رابطة تحالف تسّمى الدّولة العامرية الصّقلبية، لأنّ أصحابها كانوا من مماليك المنصور بن أبي عامر وأبناءه، ومن أشهر هؤلاء مجاهد العامري الّذي استقلّ بدانية[2]، ثمّ استولى على جزر البليار وغزى سردانيا وسواحل إيطاليا وسيطرت أساطيله على غربي البحر المتوسط[3].

وتبعا لهذا التمزق السياسي بدأت قوّة المسلمين العسكرية بالانهيار[4]، الأمر الذي يسّر للنّصارى توجيه ضرباتهم إلى المسلمين في إطار حروب الاسترداد، وبذلك باتت المنجزات العظيمة التي قام بها موسى بن نصير، وطارق بن زياد، وعبد الرحمن النّاصر، والمنصور بن أبي عامر مهددة أشد تهديد، وكاد حكم بلاد الأندلس يخرج من أيدي المسلمين[5]، "ولم يزل ثغر الأندلس يضعف، والعدوّ يقوى، والفتنة بين أمراء الأندلس تسعر إلى أن كلب العدوّ، على جميعهم، وملّ من أخذ الجزية، ولم يقنع إلاّ بأخذ البلاد"[6]، وشعر المسلمون في الأندلس بالضعف والمذلّة وانهارت معنوياتهم[7].

وكانت الجبهة المتربصة بالمسلمين المتمثلة في مملكة قشتالة قد اتجهت نحو الوحدة، حيث استطاع ملكها ألفونسو السادس Alphonso بعد جهود شاقة أن يجمع أطراف ملك أبيه فرديناند Ferdinan، فاستولى على ليون Léon، كما انتزع غاليسيا Galicia، وبسط سلطانه على الأقاليم

---

[1]- مدينة على شاطئ البحر بالأندلس، عليها سور صخر، والبحر في قلبيها، وهي حسنة عامرة آهلة كثيرة الدّيّار وفيما استدار بها من جميع جهاتها شجر التّين المنسوب إليها، ينظر: عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص 177 - 178.

[2]- تقع على البحر، كثيرة الكروم وتشتهر بصناعة السفن، عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص76.

[3]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 127 .

[4]- عن ملوك الطوائف والأسر الحاكمة في أهم المدن الأندلسية، ينظر: **زامبادور**، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، ص 86 ومابعدها .

[5]- **حسن ابراهيم حسن**، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي، ج4، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1967، ص 120.

[6]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص 238 .

[7]- سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب و الأندلس، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1985م ، ص 60 .

الواقعة في وسط البلاد وغربها إلى الشمال من نهر تاجة[1]، واستطاع أن يجمع كلمة أراغون وتيرة، في سبيل مدافعة المسلمين، ثمّ عمد إلى التّقرب من الكنيسة الرومانية وكسب عطف الأروبيين وتأييدهم في كفاحهم ضدّ المسلمين[2]، وكانت الكنيسة الغربية في ذلك الوقت قد بدأت تبسط سلطانها على دول أروبا المسيحية، حيث انضوت الكنيسة الاسبانية تحت لواء روما، وألغيت بها الطقوس القوطية، وحلّت محلها الطقوس الرومانية[3]، وبذلك خرجت اسبانيا من عزلتها الدّينية[4]، وهذا يعني أنّ الحروب التي كانت دائرة في شبه الجزيرة أضحت حروبا صليبية بمعنى الكلمة ترعاها كنيسة روما، وتباركها، وتجند المسيحيين من أجل المشاركة فيها[5].

لقد استطاع ألفونسو أن يمهد السبيل لحركة الاسترداد[6]، لتحقق أهدافها، حيث كانت الحرب بين المسلمين والنّصارى حرب قلاع وحصون، ولم تكن معارك حاسمة، استطاع من خلالها ألفونسو أن يستنزف الإمارات الإسلامية، فاضطرهم إلى دفع الجزية، وأرغمهم على قبول شروطه[7]، حدث هذا في الوقت الذي بدأت هذه القوى المسيحية تنتعش اقتصاديا وتقر الأمن والطمأنينة في البلاد المفتوحة، وبدأت هذه القوى يستظلها نوع من الوحدة بزعامة ملوك قشتالة، الذين راحوا يعملون على بث شعور قوي في نفوس السكان المسيحيين، وتوجيههم نحو هدف مشترك[8]، وقد حدث هذا أيضا في ظلّ دفع الكنيسة الغربية بالقوى المسيحية المختلفة إلى خوض معركة حاسمة مع الدّول الاسلامية في الشرق والغرب[9].

وكان من أثر سياسة ألفونسو السادس هذه أن سقطت مدينة طليطلة في يده[10]، وكان لهذا أثر

---

[1]- Altameras,The Cambridge Medieval History, vol VI, pp393-395.

[2]- Altameras, op cit, vol VI,pp,393-395.

[3]- Pidal (M): The Cid and his spain, london, 1934.pp, 137-139 .

[4]- **يوسف أشباخ**، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين، ط2، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ-1996م، ص 139، حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص253.

[5]- Leman (A) :l'origine de l'idée de la Croisade,Hésperis,1937,T,XXIV,p139.

[6]- كان شانجه الكبير هو باعث حركة الاسترداد، التي استمرت في عهد ولده فردناند الأوّل، ثمّ في عهد حفيده ألفونسو السادس، ثمّ استمرت في إلى بيته حتّى كتب لهم الفوز، فطرد المسلمون نهائيا، حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص248 ، 249، 253.

[7]- عبد الله بن بلكين، المصدر السابق، ص320، لسان الدين ابن الخطيب، المصدر السابق، ص277.

[8]- Altameras, op cit pp, pp 393.

[9]- Altameras, Ibid, pp 393.

[10]- ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ص92-94، **ابن خلكان**، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج2، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، د ت، ص186، ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص 57، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج2، ص

عظيم في حركة الاسترداد، وفي الهاب حماس القوى النصرانية، وكان فتحها نذيرا لطرد المسلمين من الأندلس نهائيا، وسما قدر ألفونسو، واتخذ لقب امبراطور[1]، وصار يراسل أمراء المرابطين بهذا اللّقب[2]. وقد قدر لهذ السياسة أن تنجح لأنّ المسلمين لم تكن تجتمع لهم كلمة لمواجهة مثل ذلك الخطر مع أنّهم كانوا يعرفون أهداف ألفونسو معرفة تامّة[3]، لأنهم عاشوا نار الفتنة وعاثوا في الأرض، وفرقوا الوحدة الإسلامية شر مفرق[4].

وإذا كان النّصارى قد تضاعفت آمالهم، فإنّ المسلمين في شبه الجزيرة قدفت في عضدهم وتفشى الرعب في أوصالهم، وبادروا إلى ألفونسو يخطبون ودّه ويسترضونه بالمبالغة في دفع الإتاوة، ولكنّه لم يقنع بذلك إذ بدأ يفكر في قرطبة حاضرة الخلافة، وبدأت الحصون الإسلامية في شبه الجزيرة تسقط الواحدة تلوى الأخرى[5]، ولم يبق للأندلسيين إلاّ بصيص أمل بدأت نوره تسطع من بلاد المغرب.

2) ظهور الدّولة المرابطية ببلاد المغرب

في الوقت الذي عرفت فيه الأندلس ذلك التّمزق، والانحلال كانت صحراء بلاد المغرب وتحديدا مجال صنهاجة اللّثام تشهد انطلاق حركة دينية اصلاحية، بقيادة عبد الله بن ياسين[6]، الذي اختاره الملّثمون لتلقينهم الدّين الإسلامي الصّحيح[7]، وماكاد هذا الأخير يرى كثرة تلاميذه ويوقن ولائهم وانقيادهم حتّى

.1235

[1]- Pidal (M): Pidals :op cit pp, 200.

[2]- مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 25.

[3]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 254.

[4]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص 104.

[5]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 254-255.

[6]- هو عبد الله بن ياسين بن مكوك بن علي، ينتسب إلى قبيلة جزولة الضاربة في أقصى المغرب قرب جبال درن، ولد في أحواز مدينة أودغشت، درس على يد فقيه السوس وجاج بن زالو اللّمطي، اصطحبه الأمير يحي بن ابراهيم الجدالي عام 430هـ /1038م، إلى ديار جدالة فسّر به أهلها وسموه إمام الحق، كان ذكيا نبيلا من أهل العقل والدّين و الورع، جريئا أديبا تقيّا، تقواه لاتخلو من سياسة، **عبد الواحد المراكشي**، وثائق المرابطين والموحدين، تح : حسين مؤنس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1997، ص12، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص123، السلاوي النّاصري، المصدر السابق، ج1، ص99 ، 100، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص192، مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص9.

[7]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 77 ، 78، السلاوي الناصري، المصدر السابق، ج1، ص99، 100، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص192، مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص9.

انطلق معهم في مرحلة الجهاد[1]، والتي ابتدأت بتوحيد قبائل صنهاجة، جدالة، لمتونة، مسوفة[2]، ثمّ سار بعد ذلك إلى أودغشت[3]، فغزاها في سنة 446هـ/1054م[4]، وكانت في ذلك الوقت مفتاح طرق تجارة القوافل، واخضاع بلاد السودان، وهكذا قدّر للمرابطين أن يتّوجهوا وجهة جديدة صوب المغرب، وأن يلتحموا بقبائله[5]، حيث فتح المرابطون سجلماسة ودرعة في البداية[6]، ثمّ ساروا سنة 448هـ/1056م صوب بلاد السّوس، ففتحوا أراضيها[7]، وتمّكنوا من الاستلاء على بلاد جزولة، وبلدة ماسة، ثم اتجهوا إلى مدينة تارودانت[8]، وبعدها قصدوا بلاد المصامدة وفتحوا نواحيها[9]، ثمّ هاجموا بلاد يفرن وقاعدتهم تادلا[10]، ثم سار عبد الله بن ياسين إلى تامسنا لمقاتلة قبائل برغواطة الذين قاتلهم المرابطون حتّى أدعنوا للطّاعة وأسلموا اسلاما جديدا[11] بقيادة أبو بكر بن عمر زعيم المرابطين بعد وفاة قائدهم الروحي عبد الله بن ياسين سنة 451هـ/1059م[12].

وبعدما أُوكل يوسف بن تاشفين[13] مهمّة الجهاد زحف نحو المغرب الأقصى فغلب على أكثر

---

[1]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق ج2، ص302-303.

[2]- ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 102.

[3]- مدينة بصحراء المغرب على مسيرة خمسين يوما من غانة إلى الشرق، ينظر: أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص 181.

[4]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج2 ،ص305.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص344، القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المجتمع، الذهنيات، الأولياء ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 11، 12.

[6]- **أبو عبد الله بن الخطيب، رقم الحلل في نظم الدّول**، المطبعة العمومية بحاضرة تونس المحمية ، 1316هـ، ص 65.

[7]- أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص 166، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص 13.

[8]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 129 .

[9]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج2، ص305.

[10]- من جبال البربر بالمغرب قرب تلمسان وفاس، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص 5.

[11]- حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 42 ، 43.

[12]- اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ وفاة بن ياسين وانقسموا إلى فريقين، فريق يرى أنّه توفي في عام 451هـ/1059م، وفريق أخر يقول أنّه توفي سنة 450هـ/1058، والرأي أنّ الوفاة حدثت في أوائل عام 451هـ، ذلك أن المعركة استمرت طويلا ويحدد ابن عذاري المراكشي بدايتها في أول ذي القعدة سنة 450 هـ، وابن أبي زرع يحدد تاريخ الوفاة بشهر جمادى الأولى سنة 451هـ ، ومن المرجح أنّ المعركة قد حدثت في الأشهر الأولى لسنة 451هـ، ينظر: أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص 168، القاضي عياض، المصدر السابق، ص839، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 132، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص 13، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 244، القلقشندي، المصدر السابق، ص 189، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 12.

[13]- يوسف بن تاشفين ابراهيم بن تورفيت بن وارتقنطين بن منصور بن مصالة بن أميّة بن واتملي بن تامليت الحميّري من قبائل لمتونة الصنهاجية وامه بنت عم أبيه فاطمة بنت سير بن يحي بن وجاج بن وارتقطين، كانت قبيلته تسكن المنطقة الممتدة من وادي نون إلى رأس موغادور إلى مدينة أزكي شرقا،كانت المناطق الشمالية مقرا لبني وارتنطق حول المدينة المذكورة فلا بد أنّ يوسف بن تاشفين قد ولد في تلك

مناطقه فهزم مغراوة وبني يفرن وزناتة[1]، وهرعت سائر القبائل إلى الاستسلام والطّاعة، ولم تمض بضعة أشهر حتّى كان يوسف قد بسط سلطانه على معظم نواحي المغرب الجنوبية والوسطى[2].

توّجت هذه المرحلة بتأسيس مدينة مراكش سنة 454هـ/1062م[3]، لتكون قاعدة لجيوش المرابطين[4]، ويعتبر تأسيس هذه المدينة طورا متقدما في تنامي الحركة المرابطية[5]، حيث بدأ سعي المرابطين بعدها إلى اخضاع المغرب نهائيا، فما إن تمت السيطرة على فاس سنة 455هـ/1062م حتّى قام يوسف بن تاشفين بجولات موفقة في مناطق غمارة والريف والنّكور[6]، ليصل إلى طنجة سنة 467هـ/1074م[7]، وهي السنة التي كان يوسف بن تاشفين قد أحكم قبضته على المغرب الأقصى، ومكنّ لسلطانه السياسي بعد كفاح مرير خاضه على رأس جيش المرابطين[8]، ولم يتوقف الفتح عند هذا الحدّ بل زحفت القوّات المرابطية نحو المغرب الأوسط، واستولى على ثغور المغرب الشّمالية، وجدة، تلمسان472هـ/1079م، ثم تتبع زناتة

المنطقة، عرفت قبيلته بالسيادة وقد بسطت سيطرتها على صنهاجة، ومكنها عبد الله بن ياسين من رياسة قبائل صنهاجة بعد وفاة الأمير يحي بن ابراهيم الجدالي، ينظر: ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص17، مجهول، المصدر السابق، ص 12، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 136، يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 71.

[1]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 13، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 134، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 184. محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج2، ص309.

[2]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج2، ص309.

[3]- يكاد يجمع المؤرخين على أن يوسف بن تاشفين اختط مدينة مراكش في سنة 454هـ/1061م، أي في الفترة التي غادر فيها الأمير أبو بكر بن عمر أرض المغرب إلى الصحراء، ولا شك في أن يوسف بن تاشفين هو الذي تولى بناءها، لأن أبا بكر كان مشغولا في هذا التاريخ بإزالة الخلافات القائمة بين قبائل صنهاجة، ومن الممكن أنّ بناء المدينة استغرق خمس سنوات، وأنّه تم في حدود سنة 459هـ/1066م التي ذكرها صاحب الاستبصار، ينظر: مؤلف مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار، ص208، لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ص 234، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص378، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص89، القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص13.

[4]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج2، ص310.

[5]- القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص13.

[6]- بعدما تمّ له فتح فاس استدعى يوسف أمراء المغرب، وشيوخ القبائل، من زناتة، ومصمودة، وغمارة، لمبايعته فبايعوه بالإمارة، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 135.

[7]-سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص50، القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص13

[8]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 27، حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 206 .

شرقا فاستولى على وهران وتنس وجبال الونشريس، ووادي الشّلف حتى دخل مدينة الجزائر[1]، وتوقف عند حدود مملكة بجاية[2]. وفي سنة 477هـ/1084م تمكن من فتح مدينة سبتة[3]، وبذلك أحكم المرابطون سيطرتهم على المغرب الأقصى ناهيك عن بلاد السودان الغربي والمغرب الأوسط.

بعد اتمام فتح المغرب الأقصى أطلّت الدّولة المرابطية على سواحل البحر المتوسط، فأصبحت معنية بما كان يجري من تطوّرات، خاصّة بالأندلس وعادت الصلة بين العدوتين وثيقة قويّة[4]، فكان على المرابطين الاهتمام بذلك الصراع الذي كان جاريا بين المسلمين والنّصارى بالأندلس والذي كان سيهدد السيادة البحرية للمسلمين على الحوض الغربي من البحر المتوسط[5]، وكان لابدّ للدّولة المرابطية أن تتخذّ أسطولا يحمي سواحلها، ويؤمن موانئها[6].

ويؤيد هذا الطرح ماذكره المؤرخون حول حصار المرابطين لمدينة سبتة حيث روى ابن خلدون ذلك التعاون بين المعتمد بن عباد والمرابطين على حصار سبتة، فقد نازلها عساكر المرابطين برّا، وطافت بها سفن ابن عباد بحرا، ثمّ اقتحموها عنوة في ربيع الآخر سنة 476هـ/1083م[7]، وهو أوّل تعاون عسكري بين الطرفين، وكان يحمل أكثر من تفسير لأنّه لم يأت بمحض الصدفة كما يصوره بعض المؤرخين[8]، ولكنّه جاء بعد اتفاق مسبق، حيث خاطب المعتمد بن عباد أمير لمسلمين يوسف بن تاشفين سنة 475هـ/1082م، ملتمسا منه انجاد الإسلام في الأندلس[9]، فأجابه يوسف بأنّه إذا فتح الله عليه سبتة فإنّه سوف يتّصل بهم، وتكرر هذا الخطاب بعد ذلك أثناء حصار سبتة، وليس غريبا بعد ذلك أن نجد هذا التعاون في افتتاح سبتة، فابن عباد كان يعيش تحت تهديد ألفونسو لأراضيه، أمّا يوسف بن تاشفين فكان يريد السطيرة على سبتة،

---

[1]- السلاوي الناصري، المصدر السابق، ج1، ص110، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص247، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 143 .

[2]- قاعدة الغرب الإسلامي ، مدينة عظيمة على ضفة البحر يضرب سورها ، وهي على جرف ولها حجر ولها من جهة الشّمال جبل يسمّى أمسيول، ينظر: عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص 80 ، 81.

[3]- السلاوي الناصري، المصدر السابق، ج1، ص 111.

[4]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص233 ، 234، 264 .

[5]- حسن أحمد محمود، المرجع نفسه، ص233.

[6]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص221، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج2، ص 1175.

[7]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص186.

[8]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص91، ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، م2، ص95.

[9]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص186.

لكنّه كان بحاجة إلى قوّة بحرية لمواجهة خطر النّصارى في هذه الفترة، تضمن له التّحكم في سواحل المتوسط، لم يكن قادرا على توفيرها في ذلك الحين سوى بالاستعانة بالمعتمد، فعبور الجيوش المرابطية ارتبط بشرط أساسي هو التحكم في مدينة سبتة وحشدها بالجنود قبل اصدار أمر بالإقلاع، كما أنّ التّحكم في هذه المدينة سيضمن للمرابطين امكانية تأمين العودة، والتحكم في الضفتين[1].

إنّ التّعاون بين المرابطين والمعتمد في حصار سبتة ثمّ افتتاحها، حدث مهم في تاريخ الصّلة بين المغرب والأندلس، لأنّه سيشجع المرابطين على قبول التّوجه إلى نجدة الأندلس فيما بعد، وذلك لأنّهم اضطلعوا فعلا على حالة الضعف التي كان يعانيها ملوك الطوائف، وقد توفرت لهم من المعطيات ما يجعلهم على دراية تامّة بالوضع في الأندلس، سواء من خلال المكاتبات أو الوفود[2] التي كانت ترسل إلى بلاد المغرب، أو بسبب الإلحاح في طلب النّجدة من قبل الأندلسيين، كما أنّ هذا التعاون قد مكّن المعتمد من الاضطلاع على قوّة الدّولة المرابطية برغم عدم ظهورهم كقوّة بحرية في ذلك الحين.

لقد قرّب فتح سبتة الصلة بين المغرب والأندلس، وأصبح المرابطون يشهدون مايجري من أحداث، ويرقبون المعركة الدائرة بين المسلمين والنّصارى[3]، لذلك انطلقوا في أوّل اتصال عملي مع المعتمد بن عباد، بل إنّ هذه المعركة قد وضعت تقاليد بحرية عظيمة للمرابطين[4]، وسيكون ذلك بداية انفتاح المرابطين على حضارة البحر المتوسط التي يكون الأندلس جزءا منها، وهي كذلك منطلق لمرحلة تفاعل سياسي مهم بين الأندلس وبلاد المغرب.

---

[1] – **محمد القبلي**، الدّولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط، علائق وتفاعل، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1997، ص80.

[2] – من الذين لعبوا دورا مهما في معرفة يوسف بشؤون الأندلس قبل جوازه إليها عبد الرحمن ابن أسباط ، الذي اشتغل بديوان بنو صمادح بألمرية، وعبر إلى العدوة المغربية سنة 472هـ/1079م، ولحق بمراكش، وأصبح كاتبا لزوجة يوسف الحرة زينب، ثمّ أسند إليه يوسف منصب الكتابة ونال حظوة وجاها عريضا، وقد لعب دورا مهما في تدخل المرابطين في أحوال الأندلس، واستجابته لصريخ الطوائف، وهو الذي أشار على يوسف، حينما قرر الجواز إلى الأندلس بأن يطالب ابن عباد بثغر الجزيرة الخضراء ليكون مركزا أمنيا لجواز جيوشه وعودتها إلى العدوة، وممّا هو جدير أنّ ابن تاشفين كان لايعرف العربية، وكان ابن اسباط يجيد اللغة البربرية التي يتحدث بها يوسف، مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص32، ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص482.

[3] – حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 264.

[4] – حسن أحمد محمود، المرجع نفسه، ص 219.

3) تدخل المرابطين في الأندلس

إنّ ظهور الدّولة المرابطية على السّاحة العسكرية والسّياسية في المغرب وقضائها على الدّول المتفرقة في الجهات المختلفة، وتوحيدها لقبائل المغرب في دولة واحدة، جعلها تشكل ظاهرة سياسية لافتة للانتباه بالنسبة للأندلسيين، خصوصا في الظروف السّياسية الصّعبة التي كانوا يجتازونها تحت تأثير فرقتهم السياسية، وسعي بعض منهم إلى القضاء على البعض الأخر، وخضوع أغلبهم لطمع المسيحيين وإتاواتهم التي لاتكاد تنتهي[1]، يضاف إلى ذلك ارتباط مصالحم الاقتصادية بالمغرب باعتباره الطريق الرئيسي للتّجارة الافريقية عامّة وتجارة الذهب خاصّة[2].

قبل الحديث عن مسألة استنجاد الأندلسين بملوك الطوائف حق لنا أن نطرح سؤالا نراه في صميم تراتب الحقائق التّاريخية المرتبطة بجواز المرابطين إلى الأندلس، يتمثل هذا السؤال في امكانية أن يكون الجواز إلى الأندلس مشروعا مرابطيا قبل دعوة ملوك الطوائف لهم؟

لاتشير المصادر التّاريخية إلى هذه المسألة تماما، وبرغم ذلك يبدوا لنا الأمر غير مستبعد، وقد يتبين لنا ذلك إذا أخذنا بعين الاعتبار مجموعة من الاعتبارات، أوّلها يتعلق بعبد الله بن ياسين الزعيم الروحي للمرابطين الذي كان على معرفة تامّة بالوضع في الأندلس وذلك أثناء دراسته هناك في عهد ملوك الطوائف، وليس ببعيد أن يعمل بعد أن قاد حركة الفتوح بالمغرب الأقصى على تحقيق هذا الهدف، خاصّة وأنّ مشروعه الاصلاحي كان يرتكز على الجهاد الذي كانت الأندلس بحاجة إليه لصدّ حروب الاسترداد، فقد ذكر صاحب الحلل الموشية "أنّ الشيخ أبا محمد عبد الله بن ياسين لما رأى استقامة لمتونة، واجتهادهم أراد أن يظهرهم، ويملكهم بلاد المغرب وقال لهم أنّكم صبرتم، ونصرتم دين رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وقد فتحتم ماكان أمامكم، وستفتحون إن شاء الله ماوراءكم، فأمرهم بالخروج من الصحراء"[3]، وقد نجد في اتجاه حركة الفتوح المرابطية بالمغرب الأقصى نحو الشّمال تفسيرا مقبولا لذلك، حيث ظلّت هذه الجيوش تتجه

[1] – **عبد المالك الشامي**، ملامح من التلاقح الحضاري بين الأندلس والمغرب، خطط الدولة بين النظرية المرابطية والتجربة الأندلسية، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، عدد 389، 2008، مطبعة الأمنية، الرباط، ص115.

[2] – عبد المالك الشامي، المرجع نفسه، ص115.

[3] – مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 10.

نفس الاتجاه برغم ظهور أخبار تشير إلى اختلال أمر الصّحراء[1] بسب اختلاف جدالة ولمتونة[2]، حيث خصّ أبوبكر بن عمر نفسه بالمجال الصّحراوي، وترك الشّمال لابن عمّه يوسف بن تاشفين، بعدما أنابه[3]، فلابد أن يكون يوسف قد وضع أمر الجهاد في الأندلس نصب عينيه، وهو يسير لفتح طنجة وسبتة لمواجهة الخطر النصراني[4] و"لما تمهدت له الأقطار الطويلة المديدة تاقت نفسه إلى العبور إلى جزيرة الأندلس فهمّ بذلك وأخذ في انشاء المراكب والسفن ليعبر فيها"[5].

بعد توسع يوسف بن تاشفين صوب طنجة وسبتة توجس أمراء الأندلس من هذه القوّة الجديدة، وبدأوا يترقبون حركاتهم،"فلّما علم بذلك ملوك الطوائف كرهوا المامه بجزيرتهم وأعدّوا له العدّة وصعبت عليهم مدافعته وكرهوا أن يكونوا بين عدوين الفرنج عن شمالهم و المسلمون عن جنوبهم وكانت الفرنج تشتد وطأتها عليهم[6]، كما أنّ المعتمد بن عباد لما علم بزحف المرابطين أمر بتحصين الجزيرة الخضراء وجبل طارق"[7]، وحتّى حينما قرر المعتمد الاستنصار بالمرابطين بعد ذلك بقي غالبية ملوك الطوائف تتوجس خيفة من تفكير المعتمد في هذا المشروع وكان" كلّهم يحذره سوء عاقبته وقالو له الملك عقيم والسيفان لايجتمعان في غمد واحد"[8]، وأصدق شهادة على هذا التوجس لأحد المشاركين في هذه الوقائع حيث يشير إلى حالة الخوف هذه قائلا:"وأنس الجميع ولما بتربص في البلاد ألا يوحش سلاطينها مما يتوقعوه من انجياش رعيتهم إليه فكل من شكا إليه ذلك الوقت من رعيته له لم تأت لهذا والسلاطين أعلم بما يصنعون في بلادهم"[9].

بعد فتح يوسف بن تاشفين لبلاد المغرب بدأ يجوب أرجاء البلاد محرضا على الجهاد داعيا له

[1]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 134، مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 12، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص244، يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 65 .

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6 ، ص 244 .

[3]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 13، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 134.

[4]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص264.

[5]- أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج2، ص 1125.

[6]- أحمد بن محمد المقري، المصدر نفسه، ج2، ص 1125.

[7]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق ، ص265.

[8]- عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص 85.

[9]- عبد الله بن بلكين، المصدر السابق، ص 231.

مستنفرا القبائل في سلك المجاهدين، سواءا كانت هذه القبائل من أنصاره أو من أعدائه، لأنّه كان يعتقد أنّه لابدّ من جهد مشترك موحد، فكان الجهاد الشعار الذي اتخذه يوسف لنفسه، حين قال"أنا أوّل منتدب لنصرة هذا الدّين ولا يتوّلى هذا الأمر أحد إلاّ أنا بنفسي"[1].

إذا كان هذا هو حال الأمراء فإنّ عامة النّاس في الأندلس قد انهارت معناوياتها، وكادوا يفقدون قدرتهم على المقاومة والنضال، خاصّة بعدما أصبحت تفرض عليهم أعباء مالية باهضة بسبب الضرائب التي كانوا يؤدونها لملوك الطوائف من أجل استرضاء ملوك النّصارى، حتى أصبح هؤلاء بين عدّو يتربص بهم وأمير يستنزفهم[2]، فأصبحت مسألة قبولهم تدخل المرابطين تلقى لديهم قبولا كبيرا.

أمّا الفقهاء والمفكرون فكانوا يشاهدون هذه الفرقة الدّاهمة، فيتألمون لما أصاب المجتمع من انحلال، فكتبوا إلى الأمراء يدعون إلى تأليف القلوب لمواجهة ذلك العدو الذي استشرى داءه، فلم يستجب لهم مستجيب، إلاّ أنّ جهودهم لم تذهب سدى، فقد أخذوا يزهدون أهل الأندلس في الأوضاع القائمة على الفساد، ويهيئون العقول لقبول تحوّل جديد في تاريخ البلاد، ويمهدون السبيل أمام المرابطين الذين خفوا إلى حومة الجهاد مناضلين[3].

بعد سقوط طليطلة سنة478هـ/1085م، واستشراء داء النّصارى في شبه الجزيرة، عقد الفقهاء مؤتمرا في قرطبة تذاكروا فيه أحوال البلاد، ومامنيت به من ضعف وتخاذل وعرضوا لما كان من عجز الإمارات الإسلامية عن الاتحاد والتّعاضد، وامعانها في التّخاذل والتّخاصم، ورأوا أنّه ليس أحسن عن الاعتصام بالمرابطين، وتأييد المشاريع التي كانوا قد بدءوا يعدّونها لخوض معركة الجهاد في الأندلس[4]، ،وكان كثير من الأندلسيين ينفرون إلى برّ العدوة معتصمين بالمرابطين نجاة بأنفسهم ودينهم[5]، فقد تواترت وفودهم ورسائلهم على يوسف بن تاشفين وشكوا إليه ماحل بهم من أعدائهم، مناشدين يوسف بن تاشفين بانقاذهم،

[1]- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص81.
[2]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص260.
[3]- ذكر حسن أحمد محمود أهم هؤلاء الفقهاء الذين قاموا بتهيئة الأندلسيين لقبول استدعاء المرابطين، المرجع نفسه، ص261.
[4]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص 572.
[5]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 264.

فوعدهم بالمدد والعون، وأنّه في حاجة لبناء السفن من أجل نقل قواته إلى الأندلس[1]، وكان بعض هؤلاء الفقهاء يخفون إلى لقاء يوسف ابن تاشفين مجهشين بالبكاء لما أصاب بلادهم من بؤس وشقاء[2]، فتهتز نفسه وتقوى عزيمته على وجوب التّدخل مهما كان السبب[3].

يطرح الأستاذ حسن أحمد محمود فكرة جديرة بالتّوقف عندها حينما يقول أنّ هناك احتمال أنّ المرابطين كانت لهم رسل من فقهاء المغرب قد انبثوا في بلاد الأندلس في ذلك الوقت يؤلبون فقهاء قادة الرأي العام على ملوك الطوائف ويمهدون لجيوش المرابطين إذا هي نزلت شبه الجزيرة حتّى يخف إليها الشعب مؤيدا ومؤزرا، فلا يجد ملوك الطوائف مناصا من السّير مع السائرين[4].

لم تسر الأمور كما أراد ملوك الطوائف الذين أصبحوا يعيشون واقعا لايحسدون عليه من تهديد النّصارى، وتوجس من المرابطين، وضغط الفقهاء وأهل الأندلس، فكان عليهم أمام ذلك اختيار الطريق الأمثل الذي يمكنهم من الحفاظ على مصالحهم، ولم يكن أمامهم سوى الامتثال لضغط الفقهاء وأهل الأندلس الذين دفعوهم دفعا إلى طلب النّجدة من يوسف بن تاشفين والاستعانة بقوّتهم العسكرية لدفع تكالب الأعداء الصّلبيين على بلاد الاسلام[5].

تذكر المصادر أنّ الأندلسيين استغاثوا بالمرابطين قبل سقوط طليطلة فقد وصل وفد منهم إلى بن تاشفين سنة 474هـ/1081م، وتشير رواية أخرى إلى اشتراك ابن الأفطس في هذه المبادرة[6]، فوعده بالاستجابة لطلبهم، ثمّ شدّدوا في طلب الاستغاثة بعد سقوط طليطلة[7]، ويؤكد ابن أبي زرع على أنّ

---

[1]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 20، لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ص 282، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 186، أحمد بن محمد، المصدر السابق، ج3، ص 359 ، 360.

[2]- عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص 86.

[3]- سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص72.

[4]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص266.

[5]- عبد المالك الشامي، المرجع السابق ،ص115.

[6]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 33 ، 34 ،47 .

A gardére Vincent, Evolution de la notion de djihad à l'époque Almoravides(1039-1147), Cahier de civilisation médiéval, 41e année(n° 161) janvier-Mars 1998, p 5.

[7]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص33-36.

الاستنصار بيوسف كان قبل سقوط طليطلة، ولكنّ سقوطها قوّى هذا الاتجاه[1]، وأنّه لما استولى-ألفونسو- على طليطلة اتفق أمراء الأندلس على الاستنصار بيوسف وكتبوا إليه جميعا يلتمسون منه الغوث، وأنّهم سوف يكونون معه يدا واحدة في جهاد العدوّ، وتشاطر الأندلس كلّها أمراؤها وفقهائها وكافتها هذا الاتجاه، وأنّه لما توالت كتب الأندلس على يوسف بعث ابنه المعز لافتتاح سبتة، فحاصرها وافتتحها في ربيع الأوّل سنة 477هـ/1084م، فسر بذلك أمير المسلمين، وسار في الحال بقواته نحو الشمال ليجوز منها إلى الأندلس[2]، وتذكر الروايات أنّ المعتمد بن عباد كان صاحب المبادرة، حيث أرسل وفدا من قضاة وفقهاء الأندلس[3] إلى يوسف بن تاشفين وأطلعه على خطورة الوضع، وطلب من الأمير المرابطي أن يعجّل بنجدة الأندلس، فلبّى ابن تاشفين النّداء، وقال للمعتمد "أنا أوّل منتدب لنصرة هذا الدّين ولا يتوّلى هذا الأمر أحد إلاّ أنا بنفسي"[4]، بل إنّ ابن عباد جاز بعد نهاية حصار سبتة، وقصد إلى أمير المسلمين، ولقيه بفاس مستنفرا له في الجهاد، وتنازل له عن ثغر الجزيرة ليكون رباطا لجهاده[5].

كانت الأندلس هي صاحبة المبادرة السياسية والتي كانت ترمي في حقيقة الأمر إلى تحقيق أهداف نفعية بالدّرجة الأولى، قابلها تجاوب ايجابي من المرابطين لهذه الدعوة، وذلك بدافع الجهاد أوّلا ثمّ بسب وجود طموح سياسي يتماشى مع مشروع المرابطين الجهادي ثانيا، ويمكن اعتبار ذلك ثاني تفاعل سياسي بين العدوتين في هذا الظرف.

بعد استكمال المرابطين حشد قواتهم بدأ عبورهم إلى الأندلس في شهر جمادى الأولى سنة 479هـ/1086م، نزلوا في الجزيرة الخضراء والتي كان يوسف بن تاشفين قد اتفق مع المعتمد بن عباد على أخذها ووقعا لهذا الغرض عقد هبة[6]، ثم اتجه ابن تاشفين نحو حصن ألفونسو السادس ملك قشتالة[7]، وفي

---

[1]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص92 ، 93.

[2]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج2، ص 316.

[3]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص 132، ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص 90، ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص 151، 152، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص144، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 186، أحمد بن محمد، المصدر السابق، ج4، ص 359 ، 360.

[4]- ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص90، عبد الواحد المراكشي، الصدر السابق، ص130، 132.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص186.

[6]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 32، 33.

[7]- حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ص121.

بطحاء الزّلاقة[1] دارت معركة رهيبة يوم الجمعة 12 رجب سنة 479هـ/22أكتوبر 1086م، وهو التّاريخ الأرجح[2]، التي انتهت بنصر مؤزر أحرزه المرابطون على القوى النّصرانية[3].

برغم معارضة بعض ملوك الطوائف التي كانت ترى في استقدام المرابطين مصدر خطر عليهم[4]، وأنّ يوسف يطمع في الأندلس ويريد أخذها منهم[5]، وهو شعور استمر حتّى بعد عودة يوسف بن تاشفين إلى المغرب بعد نصر الزلاقة، وبرغم قبول ملوك الطوائف استدعاء المرابطين تحت تهديد ألفونسو وضغط الشّعب والفقهاء، فلم يكن أمام هؤلاء سوى السّير بركاب المؤيدين لمشروعات المرابطين الجهادية[6]، واستدعاء المرابطين جاء في النّهاية بعد اجماع بين الجميع، وهذا يشير إلى بداية تشكل جبهة موحدة ضدّ قوّة مملكة قشتالة النصرانية.

إنّ حالة القوّة والوحدة التي تحققت لمملكة قشتالة لايمكن أن نقارنها بالوضع الذي آل إليه الأندلس في عهد ملوك الطوائف، فقوّة ألفونسو قابلها حالة ضعف في صفوف ملوك الطوائف، والوحدة التي تحققت للنّصارى، قابلها فرقة وتخاذل لأمراء الأندلس، لكننّا في المقابل نجد كثيرا من الشّبه بين ما أنجزه المرابطون في بلاد المغرب، وسياسة ألفونسو، وقد نتوقف هنا عند أمرين هامين، الأمر الأوّل يتعلق بمباركة الكنيسة لألفونسو، ومباركة الخلافة العباسية لجهود يوسف بن تاشفين[7]، والأمر الثاني يتعلق بحماسة الجهاد، سواء عند المسيحيين من أنصار ألفونسو، أو المرابطين ببلاد المغرب، وهما أمران دفعا الفريقين إلى تحقيق انجازات هامّة كل في مجاله الجغرافي.

كان ملوك الطوائف الحلقة الأضعف في هذه المعادلة، فهم وإن استكانوا إلى قوّة ألفونسو، فإنّهم

---

[1]- موضع صغير على أحد نهيرات وادي أنة المسمى نهر جيريرو من الاقليم بطليوس من غرب الأندلس، فيها كانت الواقعة الشهيرة بين المسلمين والنصارى، ينظر: عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص 288.

[2]- القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 14.

[3]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص42، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص146، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج1، ص 439.

[4]- عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص85، عبد الله بن بلكين، المصدر السابق، ص 239.

[5]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 26، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7، ص 114 ، 115.

[6]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص267.

[7]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص414، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص41 – 44، **عبد الحميد حسين أحمد السامرائي**، تاريخ حضارة المغرب و الأندلس في عهدي المرابطين والموحدين، دار شموع الثقافة، دت، ص133،
Pierre Guichard, Al-Andalus 711-1492 une histoire de l'Andalousie arabe, p153.

كانوا على دراية تامّة بأوضاعهم وأوضاع محيطهم المحلي، وقد تجلّى ذلك من خلال ما رواه المؤرخون على لسان بعض أمراء الأندلس، ومنهم المعتمد بن عباد حين قالوا "الحال مع العدّو قصمة الله سيئة لاتحتاج إلى جلاء ولاكشف معروفة لاتفتقر إلى نعت ولا وصف ومن لايمكن مقاومته ومخاشنته فليس إلاّ مداراته وملاينته"[1]، فلم يكن من المستطاع أن يوّحد الأندلسيون أنفسهم بأنفسهم[2]، فكان لابدّ من قوّة خارجية تلّم شملهم وتنظم وحدتهم، وتحملهم على الوقوف صفا واحدا[3]، وهم حينما اشتد الخطر عليهم، وأدركوا قوّة المرابطين لم يتوانوا في الاستعانة بهم، وبالتّالي انتقل أمراء الأندلس إلى مبادرة سياسية بديلة، يمكن أن نختزلها في مقولة المعتمد ابن عباد الشهيرة "رعي الجمال أفضل من رعي الخنازير"[4]، وهذه المبادرة السياسية هي في الحقيقة محاولة لإيجاد توازن في القوى بالأندلس، فأمراء الطوائف باستدعائهم للمرابطين إلى الأندلس نقلوا إلى أنفسهم القوّة التي كانوا بحاجة إليها لمجابهة النّصارى، وقد تحقق للأندلس هذا التوازن، وتلك القوّة فعلا بعد انتصار المسلمين في معركة الزلاقة.

إنّ الاختلاف والصراع والتّحاسد والتباغض بين ملوك الطوائف كان واضحا جليّا، لكن الروح التي بثها مجيئ المرابطين وحركة الوحدة التي نشبت بين أمراء الأندلس قد جدّدت العزائم وقوّت القلوب[5]، واجتمع شمل أهل الأندلس بعد تفرق، وبدا وكأنّ جهود يوسف بن تاشفين قد وصلت ما انقطع من تاريخ البلاد منذ وفاة المنصور بن أبي عامر، حين كان المجتمع الأندلسي عبارة عن معسكر كبير يعج بالمجاهدين والمتطوعة من كلّ فج[6]، فهناك هدف أساسي وحدّ الجميع دفع بملوك الطوائف إلى التنازل عن القيادة إلى يوسف، وهذا الأمر لم يكن ليحدث مثلا مع المعتمد صاحب اشبيلية أقوى إمارات الطوائف[7]، وأيقن الجميع بعد نصر الزلاقة أنّ العدّو من الممكن أن يقهر إذا اجتمعت الكلمة[8] على الجهاد، يدّل على ذلك ماقال له أمير

---

[1]- ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، م2، ص96، حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص259-260.

[2]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص26 ، 27.

[3]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 270.

[4]- لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ص281، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7، ص 115، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج4، ص 359، عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص 85.

[5]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص272.

[6]- حسن أحمد محمود، المرجع نفسه، ص 270.

[7]- Altameras,The Cambridge Medieval History, op cit,, vol VI, pp 396.

[8]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص285.

معاصر هو عبد الله بن بلكين صاحب غرناطة الذي اشترك في حركة توحيد القوى هذه، فقد كتب يقول "وظننا أنّ اقباله على الأندلس منّة من الله ...فنعمل بأنفسنا وأموالنا في الجهاد بعد كل عام فمن عاش منّا كان عزيزا تحت ستر وحماية، ومن مات كان شهيدا...ورأينا من اكرامه مازادنا فيه رغبة لو استطعنا أن نمنحه لحومنا فضلا على أموالنا، ولقينا المتوكل بن الأفطس محتفلا بعسكره كلّ يرغب في الجهاد قد أعمل جهده ووطن على الموت نفسه"[1].

لم تكن معركة الزلاقة حاسمة في تاريخ الجهاد في الأندلس[2]، فقد أمدّ النصر في هذه المعركة الأندلسيين بالقوّة، لكنّه لم يمنحهم الوحدة الكافية، التي تحققت بشكل كبير على مستوى الشّعور خاصّة عند الرعيّة، لكنّها لم تر إلاّ بصيصا من النّور عند ملوك الطوائف، فرأى أهل الأندلس أنّ طائفة الرؤساء لاغناء فيهم، وأمنوا بأنّ نصر الزلاقة يرجع الفضل فيه إلى يوسف وشيعه من المرابطين، فوثقوا به واعتقدوا عن يقين أنّ إنقاذهم مما تردوا فيه من محنة لن يكون إلاّ على أيدي هؤلاء الصّحراويين الغلاظ[3]، كما أنّ يوسف لمس بنفسه تلك الفرقة الضاربة أطنابها في صفوف الرؤساء الذين برهنوا على أنّهم عاجزون على تجاوز مصالحهم ليتمكنوا من تأليف قوّة متضامنة تسير وراء قيادة موحدة الشخصية[4] فلم ينسوا أنفسهم حتّى في ساعة المحنة، فقد تركوه في ميدان الزلاقة. لكنّه أحرز النّصر، أمّا هم فقد حاقت بهم الهزيمة، ولم يستطيعوا الصمود في وجه قوات ألفونسو الزاحفة[5].

لم يكن يوسف ابن تاشفين بحاجة ماسة إلى ملوك الطوائف، مادام أهل الأندلس والفقهاء يؤيدونه، ورغم ذلك نجده يدعوهم إلى الوحدة، لذلك ماكادت تنجلي معركة الزلاقة حتّى جمعهم وأمرهم بالاتفاق واطراح التنابذ والتّخاصم، حتى لايضيعوا بحماقاتهم ثمار هذا النّصر[6]، وأن تتصل جهودهم لغزو الروم

[1]- عبد الله بن بلكين، المصدر السابق، ص 388.

[2]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص289.

[3]- حسن أحمد محمود، المرجع نفسه، ص284.

[4]- **محمد زنيبر**، المغرب في العصر الوسيط، الدولة- المدينة- الاقتصاد، منشورات كليّة الآداب والعلوم الانسانية، سلسلة بحوث ودراسات رقم24، جامعة محمد الخامس، المملكة المغربية، الرباط، مطبعة النّجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص77، 78.

[5]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص283.

[6]- حسن أحمد محمود، المرجع نفسه، ص283.

بمعونته على ألاّ "يعرض لأحد في بلده ولايقبل عليه رعيته ممّن يروم الفساد عليه"[1]، وظلّ ابن تاشفين يدعوهم إلى الوحدة في كلّ مرّة قبل أن يعود إلى بلاد العدوة لصلح من شؤونها[2].

لكن ماكاد يوسف بن تاشفين يعبر المضيق الى برّ العدوة حتى سار ملوك الطوائف سيرتهم الأولى من الفرقة والبغضاء[3]. أمّا ألفونسو فعوّل على الثأر من المعتمد، واستطاع السّيطرة على مناطق عديدة[4]، ومحاصرة حصن لبّيط[5]، فارتفعت أصوات الإستغاثة من جديد تستنجد بالأمير يوسف[6]، وقد اجتاز المعتمد بنفسه إلى المغرب، ووصلت كتب ابن الأفطس أيضا، واستجاب المرابطون للمرّة الثانية للدّعوة، وبعد سنتين عاد المرابطون إلى الأندلس مرّة أخرى، وكاتب يوسف بن تاشفين ملوك الطوائف على اللّقاء عند حصن "لبيط" فتلكأ بعضهم، وبدا من بعضهم الآخر بعض الفتور[7]، وطغى الشّقاق بينهم[8]، فأنجز المرابطون وبعض الأندلسيين المهمّة وعادوا من حيث أتوا[9]. وانتهى حصار لبّيط دون تمكن أحد طرفي الصراع في الأندلس من املاء إرادته على الآخر[10]، لكن يوسف بن تاشفين وقف على الحقيقة، وأدرك ضرورة القضاء على أمراء الطوائف في مواجهة النّصارى[11].

[1] – حسن أحمد محمود، المرجع نفسه، ص271

[2] – حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص288.

[3] – حسن أحمد محمود، المرجع نفسه، ص 283.

[4] – عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص 249، حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ص122.

[5] –قلعة حصينة، يقع على قمّة جبل شاهق على مقربة من لولرقة في قلب بلاد الأندلس ضمن أملاك المعتمد بن عباد، مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص48، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص192، **كارل بروكلمان**، تاريخ الشعوب الاسلامية، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1968، 362.

[6] –مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 49، بن أبي زرع، المصدر السابق، ص 152، السلاوي الناصري، المصدر السابق، ج1، ص119، لسان الدين ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 247، ابن الأبار، المصدر السابق، ص 101، سعدون نصر الله، المرجع السابق، ص 106.

[7] – عبد المالك الشامي، المرجع السابق،ص116.

[8] – يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج1، ص96.

[9] – عبد المالك الشامي، المرجع السابق ،ص116.

[10] – **عبد الحميد سعد زغلول**، تاريخ المغرب العربي ، الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين، ج3، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1990، ص 324.

[11] – سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص 109.

أنهت معركة لييط فكرة الجبهة المتحدة، وأذنت بعهد جديد[1]، لذلك كانت الخطوة التّالية ليوسف هي التّفكير جديّا في خلع ملوك الطوائف[2]، ففي عام 483هـ/1090م عبر المرابطون البحر إلى الأندلس- للمرّة الثالثة برسم الجهاد[3]دون طلب استغاثة، كما حدث قبل ذلك[4] وفي نيّتهم القضاء على ملوك الطوائف[5]وتصفية حسابهم مع المتخلفين عن الجهاد، ومع المكايدين للغير ومع المعترضين على دخولهم اسبانيا[6] وكانت البداية بحصار إمارة غرناطة[7]، فاضطر أميرها عبد الله بلقين إلى الاستسلام ليوسف بن تاشفين[8]، ثمّ زحف المرابطون نحو تميم بن بلكين صاحب مالقة وأحوازهما في رجب 483هـ[9]/1090م، فاستصفوا مملكة بني زيري[10]، وأتبعوها ببني صمادح[11]، ثمّ بني الأفطس[12]، ثمّ ركز المرابطون جهودهم على اسقاط ببني عباد[13]، لأنّها أقوى ملوك الطوائف، حتّى يسهل بعدها ضمّ الأندلس للسيّادة المرابطية[14]، حيث تمكنوا من عزل صاحبها المعتمد ثمّ ابنه المأمون بقرطبة سنة 484هـ/1091[15]، وبعدها تمكن المرابطون من

---

[1]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص296.

[2]- حسن أحمد محمود، المرجع نفسه، ص296.

[3]- ابن أبي زرع ، المصدر السابق، ص 152، مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 52.

[4]- السلاوي الناصري، المصدر السابق، ج1، ص 119.

[5]- ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص 44.

[6]- عبد المالك الشامي، المرجع السابق، ص116.

[7]- السلاوي الناصري، المصدر السابق، ج1، ص 120، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص153.

[8]- المصدر نفسه، ص 153، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص249، السلاوي الناصري، المصدر السابق، ج1، ص119.

[9]- سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص 121.

[10]- عبد المالك الشامي، المرجع السابق، ص116.

[11]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص 144، الناصري السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص 53، 54.

[12]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص42-46.

[13]- يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج1، ص 99، 100.

[14]-ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص 154.

[15]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص155، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 249، السلاوي الناصري، المصدر السابق، ج1، ص 120، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص203، ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص 30، أحمد بن عميرة الضبي، المصدر السابق، ص62.

ضم ألمرية في ربيع الأوّل عام484هـ/1091م[1]، ثمّ جاء الدّور على بطليوس التي تحالف صاحبها مع ألفونسو ضدّ المرابطين لكنّه استسلم للمرابطون في صفر 487هـ/1094م، أمّا في شرق الأندلس فتمكن محمد بن يوسف من ضم مدينة مرسية في صفر 484هـ/1091م، ومدينة وبرة في شعبان 485هـ/1092، ثمّ دانية وشاطبة وأفراغ[2]، وتأخر استرداد بلنسية بسب طول الصّراع مع النّصارى حيث افتك المرابطون المدينة من ألفونسو في رمضان 495هـ/1102م[3]، وهادنوا مملكة بني هود التي كانت تقع في الثغر الأعلى في مواجهة المسيحيين في الشمال مؤقتا[4].

رغم ضراوة المقاومة التي أبداها ملوك الطوائف وبرغم تحالفهم مع ألفونسو ضدّ المرابطين إلاّ أنّ اماراتهم انهارت الواحدة تلو الأخرى[5]، وانتظمت بلاد الأندلس في ملك يوسف، وانقرض ملك الطوائف منها أجمع كأن لم يكن، واستولى يوسف بن تاشفين على العدوتين[6] فتحققت الوحدة المركزية لأوّل مرة في تاريخ المغرب بقيادة قوى أمازيغية[7] وأصبحت الأندلس منذئذ تابعة لمراكش من بلاد العدوة[8]، ويعتبر هذا النّصر الذي أحرزه المرابطون في الأندلس كذلك نصرا للمبادئ الجديدة التي دعا إليها عبد الله بن ياسين، وتوارثها الأمراء من بعده، وأحلوها المحل الأوّل في نفوسهم، وبذلك انتصرت مبادئ المرابطين في الأندلس كما انتصرت في المغرب الصّحراء من قبل[9].

[1]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 155، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص137.

[2]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 155، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص249.

[3]-سعدون نصر الله، المرجع السابق، ص 140.

[4]- عبد المالك الشامي، المرجع السابق، ص116.

[5]- القادري بوتشيش، المرجع السابق ص16.

[6]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص250، السلاوي الناصري، المصدر السابق، ج1، ص120.

[7]- القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص16.

[8]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 80.

[9]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص285.

المبحث الثاني: انتقال الأندلس من حكم المرابطين إلى سلطة الموحدين

1- مرحلة الانتقال السياسي ببلاد المغرب والأندلس

لقد أدّى ضعف المرابطين بالمغرب والأندلس إلى ظهور دولة الموحدين التي بدأت الدّعوة إلى قيامها سنة 515هـ/1121 على يد محمد بن عبد الله بن تومرت[1]، والذي كان في بداية عهده مجرد آمر بالمعروف ناه عن المنكر، ثمّ مالبث أن أنشأ دولة قويّة خلفت دولة المرابطين في المغرب والأندلس[2].

ترسخت أركان الدّولة المرابطية في عهد يوسف بن تاشفين، وأصبحت مهابة الجانب وبلغت أوّج اتساعها من أقصى شمال الأندلس حتّى تخوم السودان جنوبا ومدينة الجزائر شرقا[3]، وبرغم ما أبداه خلفه علي بن تاشفين من قدرة على إدارة شؤون الدّولة[4] حيث جرى على سنن أبيه في إيثار الجهاد، وإخافة العدو وحماية البلاد[5]، إلاّ أنّ زمام الأمور أفلتت من يده[6]، وأهمل أمور الرعية غاية الاهمال، فاختّل لذلك عليه كثير من بلاد الأندلس، وكادت تعود إلى حالها الأوّل، لاسيما منذ أن قامت دعوة ابن تومرت بالسّوس[7]، ماجعل الدّولة تدخل مرحلة التّراجع[8]، وبعد وفاته سنة 537/1124م، ولي بعده ابنه تاشفين[9]، الذي أخذت الدّولة في عهده تنهار بسرعة[10]، وولي بعده ابنه أبو اسحاق ابراهيم الذي كانت الدّولة في وقته قد تمزقت،

---

[1]- هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام ابن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر بن عطاء بن رياح بن محمد ابن الحسن بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، ولد في النصف الثاني من القرن السادس للهجرة (471هـ/1078م)، **ابن قنفد القسنطيني**، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق: محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد، التّرآي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968، ص99، **ابن القطان**، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمد علي مكي، المطبعة المهدية، تطوان، المغرب، د ت ، ص 34.

[2]- عبد الوحد المراكشي، المصدر السابق، ص 99، ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص 124 ، 125.

[3]- القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص16.

[4]- حقق علي بن يوسف انتصارات كبيرة على النصارى في عدّة معارك أهمّه موقعة اقليش سنة 528هـ/1108م، والقلعة سنة 523هـ/1129م، وإفراغة سنة 528هـ/1135م، القادري بوتشيش، المرجع نفسه، ص 19.

[5]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 171.

[6]- القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 19.

[7]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 177.

[8]- القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 19.

[9]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج4، ص 100، السلاوي الناصري، المصدر السابق، ج2، ص69 ومابعدها

[10]- **محمد عبده حتاملة**، الأندلس والحضارة والمحنة دراسة شاملة، مطابع الدستور الشاملة، عمّان، دت، ص554.

وأصبحت قاب قوسين وأدنى من الزوال[1]، وقد قتل على يد الموحدين في شوّال سنة 541هـ/1147م، وبوفاته انتهى حكم المرابطين، وورثهم الموحدون في المغرب والأندلس[2].

تعددت الأسباب التي أدّت إلى ضعف دولة المرابطين ثمّ انهيارها، منها استسلام الأمراء المرابطين لأهواء الفقهاء، وانتشار الفساد بين عمّال الدّولة بالأندلس[3]. الذين أخذوا ينشغلون بما انشغل به ملوك الفتنة قبلهم من لهو وملذات، فقد ساءت الأوضاع "واستولى النساء على الأحوال، وأسنجت إليهن. وصارت كل امرأة ...مشتملة على كل مفسد وشرير، وقاطع سبيل، وصاحب خمر وماخور، وأمير المسلمين في ذلك كله يتزيد تغافله، ويقوى ضعفه"[4] الشّيء الذي أفضى إلى ظهور ثورات في المغرب والأندلس[5]، زادها استفحال الخطر النّصراني والزحف الموحدي تعقيدا خاصّة بسبب زيادة الانفاق العسكري والمالي للدّولة[6].

لقد تغذى نشاط محمد بن تومرت على ضعف المرابطين، وقد أشار النّاصري إلى ذلك واصفا عهد علي بن يوسف بن تاشفين في آخر عهده بقوله"طاف به في آخر دولته أعظم مكروه"[7]، فالذي عجّل بسقوط المرابطين وأفاد منه الموحدون هو اضطراب الأمور في الأندلس خاصّة بعد استدعاء الأمير تاشفين بن علي إلى المغرب سنة532هـ/1137م[8]، وسحب عدد كبير من قوات المرابطين معه للمعاونة في مجابهة الموحدين[9]. يقول صاحب الحلل الموشية "وكان أعظم ماتأيّد به عبد المؤمن على المرابطين قيّام أهل الأندلس عليهم لكونها أخلوها من حماتها وأسلحتها"[10].

---

[1]- **عصام الدّين عبد الرؤوف**، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشروق، د ت، ص267.

[2]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج4، ص 105، لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ص 265.

[3]- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص44 ، 45 .

[4]- عبد الوحد المراكشي، المصدر السابق، ص 99، ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص 124.

[5]- القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص ، ص19.

[6]- **محمود علي مكي**، "وثائق تاريخية عن عصر المرابطين، 169م، صحيفة المعهد المصري لدراسات الإسلامية، م7- 8 سنة 1959- 1960، ابن القطان، المصدر السابق، ص107، مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 90.

[7]- السلاوي الناصري، المصدر السابق، ج، ص 69.

[8]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص 311.

[9]- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص34.

[10]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص132.

لقد كان سقوط سرقسطة في أيدي النّصارى في رمضان سنة 512هـ/1118م بداية نهاية المرابطين ليس في الأندلس بل في المغرب أيضا، فقد بدأت جيوشهم تتعرض إلى هزائم متلاحقة[1]، لتوقف الإمدادات التي تصلهم من المغرب[2]، بسبب اندلاع حركة المهدي سنة 515هـ/1121م،.فقد ازداد كلب النّصارى وهجومهم[3] في عهد ألفونسو الأوّل- ملك أراغون وقشتالة وليون-الملقب بالمحارب، وقد شدّد على المرابطين وأضعفهم، وفي مدى سنة وبضعة أشهر اجتاح بلاد الأندلس شرقه وغربه وشماله وجنوبه[4].

لقد أضعفت هذه الوضعية من هبة المرابطين ومكانتهم في الأندلس[5]، فهانوا في نظر أهل الأندلس[6]، وزادت الفجوة بينهم وبين أهل الأندلس[7] وانضموا إلى الموحدين في التّخلص منهم[8]. ففي سنة 515هـ/1121م، اضطرمت الثّورة في قرطبة حاضرة الأندلس يومئذ ضدّ المرابطين في عهد علي بن يوسف، ولم تكن هذه الثورة إلاّ المتنفس الأوّل للأندلسيين[9].

لم تكن هناك أسباب واضحة للثورة على المرابطين في حقيقة الأمر، لقد كانت الثورة لمجرد الثورة، والفتنة من أجل الفتنة، كما قال ابن الخطيب"سوء جور وحبا في الإدالة وتبديل الملوك"[10] كما أنّه لم يذكر المرابطين أنّهم تعرضوا للأندلسيين في حياتهم العامّة أوالخاصّة، إذ كان شغلهم الشاغل هو الجهاد، أمّا أهل الأندلس فكانوا منغمسين في لهوهم وشرابهم، تاركين أمر الدفاع عن بلادهم لغيرهم[11]، فما الذي كان يدفع بالأندلسيين إلى التفكير في الثورة على المرابطين؟

---

[1]- أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج4، ص260 ، 261.

[2]- عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص263.

[3]- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 34.

[4]-عصام الدين عبد الرؤوف،المرجع السابق، ص 261-262.

[5]-عصام الدين عبد الرؤوف، المرجع نفسه، ص 261-262.

[6]- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 34.

[7]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص308.

[8]-عصام الدين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص 261-262.

[9]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص30.

[10]- لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ص 265.

[11]- محمود علي مكي، المرجع السابق، ص 168، 196.

يجدر بنا إذن البحث في الأسباب العميقة الدّافعة إلى القيام بعمل ثوري ضدّ المرابطين، ونستطيع أن نلاحظ في هذا المقام أنّ بذور الثورة في الحقيقة زرعت منذ اللحظة الأولى التي نزل فيها المرابطون بالأندلس، بل أنّ مسألة الاستنجاد بهم لم تخلو من توجس واختلاف بين ملوك الطوائف[1]، ويذكر المؤرخون المخاوف التي انتابت الأندلسيين من المرابطين بعد انتصار الزلاقة وهو مادفع في النّهاية إلى مواجهة حتمية بين ملوك الطوائف والمرابطين.

صحيح أنّ المرابطين استقبلوا كإخوان منقدين، لكن فريقا من الأندلسيين كان يرى في المرابطين بعد أن تبددت آثار المديح والاعجاب الأولى، التي تلت نصر الزلاقة، وبعد أن انقلب الأخوة المنقدون إلى فاتحين متغلبين، أجانب غاصبين يستظلون بفكرة الجهاد، ليبسطوا سلطانهم على الأمّة الأندلسية[2] وتحققت مخاوف الأندلسيين بعد جواز يوسف بن تاشفين الثالث، فقد استولى المرابطون على دول الطوائف واحدة بعد الأخرى، واقترن هذا الفتح في بعض الأحيان بالعنف والقسوة، وسقط عدد من أمراء الأندلس وهم يدافعون عن أنفسهم وملكهم، وكان لهذا التّحول بلا ريب أثر عميق في نفوس الأمّة الأندلسية، ومن جهة ثانية غاب عن حكم المرابطين للأندلس اللّين والرفقة، وهو أمر لم تعهده الأمّة الأندلسية[3]، وربّما ضاق الأندلسيون بتلك الروح الدينية التي تمسك بها المرابطون[4]، خاصّة وأنّ أهل الأندلس، شعب متقلب لا يطيق السّلطان، ولايخضع للحكام إلاّ مرغما، شرود كثير الشغب، فكثرت شكواهم من الفقهاء وسخريتهم منهم، لذلك لايمكن أن نربط الثورة على المرابطين في الأندلس فقط بما كان يحدث في المغرب[5]، برغم انعكاساتها الواضحة كما سنرى في معرض حديثنا عن سير الثوارات ضدّ المرابطين في الأندلس.

على كلّ حال فإنّ الثّورة الموحدية قد استفادت من هذه الوضعية، فزادت من متاعب المرابطين وعندما توفي علي بن يوسف سنة 537هـ/1142، كانت الدّولة المرابطية تمر بظرف عصيب، خاصّة بعد

[1]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص 306.

[2]- محمد عبد الله عنان، المرجع نفسه، ج3، ص 306.

[3]- محمد عبد الله عنان، المرجع نفسه، ج3، ص30.

[4]- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص49.

[5]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق،ج3 ، ص 306.

أن ازدادت قوّة الموحدين، وعظم شأنهم، وتتابعت ثوارتهم ضدّ المرابطين فساءت أحوال بلاد المغرب السياسية، وتدهور الاقتصاد، وكسدت التجارة، وانحطت الزراعة، فانتشرت المجاعات وارتفعت الأسعار، وانعكس ذلك على أوضاع الأندلس فتدهور الوضع السياسي والحالة الاقتصادية، وتوسع النّصارى في الأندلس على حساب ملك المسلمين وغادر الكثير من الأندلسيين بلادهم إلى المغرب[1].

ولم يكن تاشفين بن علي في مستوى الرجل الذي يعيد هيبة الدّولة، وقد توّلى الحكم والدّولة آيلة إلى الانهيار، بعد أن أصبحت بين فكي كماشة ضاغطة: النّصارى من الشّمال، والموحدون من الدّاخل[2]، كما أنّ الإدارة قد اضطربت فلم تعد هناك قيادة موحدة تعمل على تنسيق العمل وإصدار الأوامر التي توجه إلى الجند خاصّة، والرعيّة عامّة، ممّا تسبب في اختلاط الأمور[3]، في الوقت الذي بلغ فيه تنظيم الموحدين وانضباطهم درجة كبيرة[4]، وبحلول سنة 539هـ/1144م كان المرابطون في نهاية أمرهم بالمغرب، إذ كان الموحدون على وشك انتزاع المغرب منهم[5]، كما كان أمرهم قد ضعف في الأندلس لانشغالهم بأمر الموحدين في المغرب، ولم يزل الموحدون في علو وظهور كل يوم، وحال اللّمتونيين في إدبار، حتّى اضطر تاشفين إلى الاحتماء في حصن في وهران، خوفا من بطش الموحدين، ولكنّهم حاصروه هناك، ومات تاشفين في 27 رمضان سنة 539هـ/1145م، فاستولوا على الحصن سنة 539هـ/1145م[6]، فانتهز النّصارى الفرصة وشدّدوا هجماتهم على المسلمين في الأندلس[7]، ثم اندلعت الثورات ضدّ المرابطين في جلّ المدن الأندلسية.

ولما لمس الموحدون ضعف المرابطين بدأوا زحفهم على معظم المدن ببلاد المغرب كتلمسان وفاس ومكناس لتصل قوات عبد المؤمن بن علي إلى عاصمة المرابطين مراكش سنة 541هـ/1146م، وحاصر جند الموحدين العاصمة المرابطية حتى طال الحصار، واشتد الكرب وعظم البلاء، وقتل في الحصار الكثير من

[1]- عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص266.
[2]- محمد عبده حتاملة، المرجع السابق، ص ص554.
[3]- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 34.
[4]- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع نفسه، ص 34.
[5]- عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص263.
[6]- عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع نفسه، ص267.
[7]- عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع نفسه، ص263.

أهل مراكش، ومات الناس جوعا وعطشا، حتّى فتحت مراكش أبوابها للغزاة سنة541هـ/1146م فدخل الموحدون البلدة عنوة، واقتحموا الحصن الذي امتنع فيه الأمير أبو اسحاق ابراهيم بن تاشفين مع المرابطين وقتلوه، وبذلك انتهى عهد المرابطين وبدأ عهد جديد قاده الموحدون[1] في المغرب والأندلس منذ 541هـ/1146م.

بعد سقوط مراكش في يد الموحدين وصل سلطانهم إلى ساحل البحر المتوسط وشمل المغرب الأقصى كلّه من البحر المتوسط إلى وادي درعة، إذ أنّ المدن والقبائل في المغرب كلّه، حتّى طنجة وسبتة في الشمال، سارعت إلى الدخول في طاعة الدّولة الجديدة[2].

اعتزم عبد المؤمن بن علي توسيع دائرته ملكه بالمغرب، فتوجه إلى تونس وسأله أهلها الأمان فأمّنهم في أنفسهم وأولادهم، ولكن ليس في أموالهم لذلك دخل جيش الموحدين تونس، وصادر الجند أموال أهلها، ثمّ توّجه عبد المؤمن إلى المهدية وكان صاحب جزيرة صقلية قد استولى عليها، وعلى بعض بلدان الساحل التونسي فاستردها، وعادت إلى المسلمين سنة 545هـ/1150م، وأعطى جند صقلية أمانا فغادروا المهدية، وبذلك عادت هذه البلاد إلى حظيرة الاسلام، وأمنّ أهلها على أنفسهم وأموالهم، وانضمت تونس إلى دولة الموحدين، التي أصبحت تضم معظم بلاد المغرب من طرابلس إلى أقصى السوس[3].

في الوقت الذي بدأ فيه انهيار الدّولة المرابطية في المغرب أمرا محققا، بعد موقعة وهران بمصرع تاشفين وتبدد جيوشه، وذلك في رمضان سنة 539هـ/1145م، ظهرت أعراض الثورة في الأندلس ضدّ المرابطين في الطرف الغربي لولاية الأندلس[4]، حيث تعتبر سنة 539هـ/1144م بداية حركة الموريدين الدينية والسياسية[5]، فكان الانتصار في وهران أكبر حافز للعناصر الثائرة على أن تمضي قدما في ثورتها[6]، كما كان

[1]- القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص18 ، 19، عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص267-268.

[2]- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 216.

[3]- عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص272.

[4]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3 ، ص 306.

[5]- عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص263.

[6]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص 309- 311.

ذلك أمرا مشجعا للثوار في الأندلس للاتصال بالموحدين يطالبونهم بالذهاب إلى بلدهم[1].

اتصل الثوار بالخليفة عبد المؤمن بن علي وبايعوه، ودعوه للحضور إلى الأندلس، وتولي أمورها بعد أن تدهور وضع المرابطين، وزاد طمع العدوّ النصراني في البلاد، وانهار الوضع الاقتصادي، وكان لمقدم الزعماء الثائرين في الأندلس على عبد المؤمن ومبايعتهم له أثر فعال في توجيه أنظار الموحدين إلى الأندلس وسعيهم إلى مدّ سلطانهم على هذه البلاد[2].

بعد هذا العرض يتضح مدى الارتباط العضوي بين المغرب والأندلس من خلال تفاعل الأحداث السياسية، تدهور سياسي واقتصادي هنا وهناك، فكلّ حدث إلاّ وله صدى في العدوتين، وهو مايدفعنا إلى التساؤل، لماذا ركز الموحدون نشاطهم الثوري على المغرب؟ هل كانت المغرب أرضا خصبة لنجاح الثورة؟ هل فكّر الموحدون في مصير الأندلس بعد اعلانهم الثورة؟

إنّ سفر ابن تومرت إلى الأندلس وأخذه العلم على شيوخها بعض الوقت وتعرفه على الحالة في الأندلس عن كثب له دور في الإعداد للثّورة على المرابطين[3]، وقد ذكر ابن القطّان أنّ ابن تومرت قد انتقل بين قرطبة وألمرية، وربمّا يكون خلال ذلك قد احتك بالصراعات الفكرية واستمع إلى وجهات النّظر المختلفة حول الأفكار المختلفة خاصّة فيما يتعلق في ذلك الوقت بكتب الغزالي[4]، فقد استغل ابن تومرت هذا الأمر بذكاء شديد ضدّ المرابطين وفقهائهم، يقول ابن القطان"وقد كان احراق هؤلاء الجهلة لهذا الكتاب العظيم الذي ماألف مثله سببا لزوال ملكهم، وانتشار سلكهم، واستئصال شأفتهم على يد هذا الأمر العزيز القائم بالحق المظهر بالسنة المحيي للعلم"[5]، وعلى أية حال فإنّ الضجة التي افتعلها بن تومرت ضدّ المرابطين بسبب احراق كتب الغزالي لم تكن سوى ستارا لتنفيد أغراضه، فهو لم ينتفع بأفكار الغزالي، بل كان مخالفا لها خاصّة فيما يتعلق بالاجتهاد في استنباط الأحكام كمصدر من مصادر الشريعة[6].

[1]- عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص268.

[2]- عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع نفسه، ص268.

[3]- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص37.

[4]- ابن القطان، المصدر السابق، ص15.

[5]- ابن القطان، المصدر نفسه، ص 16.

[6]- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 38.

استطاع ابن تومرت في العاصمة مراكش أن يحلل الأوضاع التي كانت سائدة في دولة المرابطين بذكاء وأن يضع يده على نقاط الضعف والمطاعن التي يمكن أن ينفذ منها إلى نقد المرابطين، والتّنديد بهم على مستوى الدين والأخلاق، لذلك كان هدفه الأوّل زعزعة البنية الأساسية للدّولة، من خلال التركيز على علماء المذهب المالكي كهيئة لها جذورها في المجتمع، وتملك سلطات معنوية، ونفوذا اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ودينيا[1].

ويبدوا أنّ المرابطين قد أوجدوا علاقة قويّة مع الأندلس، ففي خضم الصراع بين المرابطين والموحدين لم يحاول الأندلسيون العودة الى سالف العهد، أو البحث عن قوّة محلية، وإنّما عادوا أقرب إلى ماكانوا عليه قبل دخول المرابطين، عبارة عن طوائف متفرقة، لكنّهم ظلّوا يؤمنون بأهمية المغرب كقوّة يستندون إليها .

2- علاقات الأندلس بالمرابطين والموحدين

2-1 ثورات الأندلسيين على المرابطين

كانت أحوال الأندلس ولاسيما في إقليم الغرب، قد اضطربت وغلب على المرابطين هناك الضعف والوهن بما أصاب دولتهم، وقد استطال عليهم النّاس، وأخذوا في التّعدي عليهم، حيث كان في مقدمة الزعماء الذين خلعوا طاعة المرابطين، علي بن عيسى بن ميمون، قائد الأسطول المرابطي في مياه قادس، الذي عبر البحر الى المغرب، وسار إلى لقاء عبد المؤمن، وكان يومئذ يعسكر بجيشه تحت أسوار فاس في سنة 540هـ/1145م، وقدّم إليه طاعته، ثمّ عاد إلى الأندلس، وأقام الخطبة للموحدين بجامع قادس[2]، كما قام بالثورة أحمد ابن قسي[3] قائد ثورة الموريدين الذي أخذ يحرض أتباعه بالثورة على المرابطين بعدما كثر أنصاره، ودعا إلى تحرير البلاد وطرد المرابطين منها، فاستجابوا له وقاموا بالثورة، وانضم إليه كثير من أهل تلك

[1]- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع نفسه، ص 42.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص233، ابن الأبار، المصدر السابق، ص 243.

[3]- هو أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسي، أصله رومي من بادية شلب تولّى فيها الاشراف على الأعمال المخزنية، ثم مال إلى الزهد فتصدق بجميع ماله واعتنق مذاهب الصوفية، درس على يد شيخ الصوفية في ألمرية أبا العباس بن العريف، ألّف كتابا في الصوفية أسماه "خلع النعلين، ودا شيخا من مشايخ الصوفية الذين عرف أتباعهم في غربي الأندلس باسم الموريدين، لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ص248 ، 249، ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص197.

الجهة من أشياخ الجند والعشائر[1]، واستطاع الموريدون افتكاك كثير من المناطق من المرابطين منها ميرتلة[2] في أوائل سنة 539هـ/1145م[3]، وشلب وأحوازها التي تولاها ابن المنذر[4]،كما استولى هذا الأخير على باجة[5]، ثم عبر على أثر ذلك وادي أنة فهاجم مدينة ولبة، لبلة واستولى عليهما[6]، ثم واصل الموريدون زحفهم إلى اشبيلية، لكنّهم توقفوا عند طريانة بضاحية اشبيلية الغربية، حيث تصدى لهم أمير الأندلس المرابطي أبو زكريا يحي بن غانية[7]، وبضواحيها التقى بجيش المرابطين تحت قيادة يحي ابن غانية[8]، فحلّت الهزيمة بابن المنذر وانسحب عائدا إلى لبلة[9].

وحين كان ابن غانية يطارد الموريدين بلغه قيام ثورة بقرطبة بقيادة القاضي ابن حمدين[10]، الذي أهل قرطبة في شعبان 539هـ/1144م[11]، فترك ابن غانية لبلة، وعاد إلى اشبيلية[12]. فلمّا علم ابن قسي بالثورة بقرطبة عوّل على المسير إليها، غير أنّ قواته حينما اقتربت من قرطبة علمت أنّ أهل قرطبة قد ثاروا مجددا على ابن حمدين[13]، واستدعوا لرياستها سيف الدّولة بن هود، وكان عميلا لألفونسو، يحرضه ضد

[1]- ابن الأبار، المصدر السابق، ص197 ، 198، لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ص 251، عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص264.

[2]- يقع شرقي مدينة باجة بينهما أربعون ميلا، ويقع على وادي أنة، عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص 191.

[3]- لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ص 250.

[4]- لسان الدين بن الخطيب، المصدر نفسه، ص 251.

[5]- ابن الأبار، المصدر السابق، ص203.

[6]- عبد الله علي علام، المرجع السابق، دت ص150-151، يوسف أشباخ، المرجع السابق ، ص217.

[7]- عينه الأمير تاشفين بن علي واليا على قرطبة، ومشرفا على شؤون الأندلس، وقائدا عامّا للجيش، وذلك في سنة 538هـ/1143م ، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق،ج3، ص 309 ،311.

[8]- ابن الأبار، المصدر السابق، ص203 ، 204.

[9]- ابن الأبار، المصدر السابق، ص 205 ، 206.

[10]- هو أبو جعفر حمدين بن محمد بن علي بن حمدين، كان بيتهم من أقدم البيوتات العربية، دخل جدهم الأندلس مع الطالعة البلجية، واستقروا في باغة، وبها ازدهر بيتهم وكان ابن حمدين قد ولي القضاء في قرطبة في شعبان سنة 529هـ، على إثر مقتل قاشيها أبي عبد الله بن الحاج، ثم صرف عن القضاء سنة 532هـ، ظهر بحكمته وشهامته أثناء ثورة العامّة على المرابطين بقرطبة، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص 312.

[11]- ابن الأبار، **التكملة لكتاب الصلة**، تح: ألفريد بل، ابن أبي شنب، المطبعة الشرقية للأخوين فونطايا، الجزائر 1337هـ-1919م، ص38 ، 39، لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج1، 306.

[12]- عبد الله علي علام، المرجع السابق، ص151 ، 154 ، 155.

[13]- ابن الأبار، الحلة السيراء، ص 206.

المسلمين، وفي اشاعة الفرقة بينهم، وانتزاع مايستطيع من أراضيهم[1]، فارتدوا خائبين إلى الغرب، وفشلت محاولة ابن قسي في مهدها.

زيادة على هذه الانتكاسة فقد هزمت قوات ابن قسي بقيادة ابن المنذر من طرف سيدراي ابن وزير، حيث تمكن هذا الأخير من الزحف نحو شلب وانتزعها[2]، وأعلن خلع ابن قسي والدّعوة لابن حمدين صاحب قرطبة، وذلك في شعبان سنة 540هـ/1145م[3]، فبادر بن قسي إلى الفرار وعبور البحر إلى المغرب، وسار إلى مقابلة الخليفة عبد المؤمن بن علي[4]، وقد ساعده عيسى بن ميمون في العبور إلى المغرب، ومقابلة عبد المؤمن، ليناشده الجواز الى الأندلس وانجاد ثوّار الغرب ،واستخلاص الأندلس من أيدي المرابطين[5]، فتقدم إليه تائبا، فتقبل عبد المؤمن اعتذاره[6].

لم تمض أيام قلائل على قيام سيف الدّولة بن هود بالأمر حتى ثار القرطبيون عليه، وماكاد سيف الدولة يغادر قرطبة حتّى عاد إليها ابن حمدين واستأنف رياسته، لكن فريقا من خصومه النّاقمين على حكمه، كتبوا إلى يحي بن غانية في القدوم عليهم، واستعادة سلطانه على المدينة، فسار ابن غانية من اشبيلية قاصدا قرطبة في جمادى الثانية سنة 540هـ/1145م، وحقق انتصارا على ابن حمدين ودخل قرطبة في 12 من شعبان سنة 540هـ/1145م، فلجأ ابن حمدين بعد محاصرته إلى الاستنصار بملك قشتالة ألفونسو ريموندیس، وقد أطمعه في قرطبة، وهو مامكنه بمساعدة النّصارى من دخول قرطبة في 10من ذي الحجة سنة 540هـ/1145م، وقد أطبقوا الحصار على قرطبة[7]. وحدث عندئذ أن جاءت الأخبار بأنّ الموحدين قد

---

[1]- ابن الأبار، المصدر نفسه، ص 206.

[2]- لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، ص251.

[3]- ابن الأبار، المصدر السابق، ص239.

[4]- يقول لنا عبد الرحمن بن خلدون أنّ ابن قسي قد عبر إلى المغرب سنة 540هـ/1145م، ويقول لنا في موضع أخر أنّه قدم إلى المغرب بعد افتتاح مراكش أي بعد شوّال 541هـ/1146م، لكنّ صاحب المعجب يذكر رواية أخرى مفادها أنّ الموحدين هم الذين عبروا به إلى المغرب بعد القبض عليه، فأتوا به إلى عبد المؤمن، فعفى عنه بعدما كان قد اتهم من طرف الموحدين بادعاء المهداوية، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص233 ، 234، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 179.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص233، ابن الأبار، المصدر السابق، ص 243، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 122 ، 123.

[6]- ابن الأبار، المصدر السابق، ص200، لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ص251.

[7]- B.Meakin, The Moorish Empire, London, Newyork 1899. p71.

عبروا البحر إلى الأندلس[1]، وأنّ أهل اشبيلية خلعوا طاعة المرابطين، لذلك رأى ملك قشتالة أن يعقد صلحا مع ابن غانية حتّى يجعله حائلا بينه وبين الموحدين[2]، فقد رأى النصارى أن ابن غانية يمثل فعلا رمز المقاومة لزحف الموحدين إلى أواسط الأندلس[3]، وقد نصت شروط الهدنة على دفع ابن غانية مبلغ من المال والتنازل عن أبدة وبياسة مقابل الكف عن الغزو، وهكذا استقر ابن غانية بقرطبة، واشتد على أهلها[4].

أمّا ابن حمدين فقد غادر قرطبة مع النّصارى، ثمّ عبر إلى المغرب قاصدا الخليفة عبد المؤمن أسوة بمن سار إلى لقائه[5]، وذلك لاستنهاض همة الموحدين للتدخل في حوادث الأندلس[6]، فوصل إلى مراكش أوائل سنة 541هـ/1146م، وقابل الخليفة عبد المؤمن فأحسن الخليفة استقباله وأكرم وفادته[7]، كان بصحبة ابن حمدين بعض أعيان البلاد يحملون كتابا يتضمن بيعة أهل بلادهم للخليفة عبد المؤمن[8].

كما كان من العابرين البحر إلى المغرب من زعماء الثورة ضدّ المرابطين، أبو الغمر بن السائب بن عزون زعيم شريس في أوائل سنة 541هـ/1146م، وسار للقاء الخليفة عبد لمؤمن، وبايعه بالطاعة، ولما عبر

[1]- اختلفت الروايات في تحديد تاريخ تدخل الموحدين في شؤون الأندلس، وفي كيفية هذا التّدخل، يروي صاحب القرطاس أنّ هذا التدخل يرجع إلى أواخر سنة 539هـ/1144م عقب افتتاح عبد المؤمن لتلمسان، ففي هذا التاريخ بعث عبد المؤمن إلى الأندلس جيشا موحديا من عشرة ألاف فارس بقيادة الشيخ أبي عمران موسى بن سعيد، ونزل هذا الجيش بساحل الجزيرة الخضراء، وكان أوّل بلد افتتحوها صلحا هي شريس، وتعارض هذه الرواية ماذكره ابن الابار، وعبد الرحمن بن خلدون، وهي تقول أنّ دخول الموحدين إلى الأندلس يرجع الى سنة 540هـ، وأنّ اوّل جيش موحدي وجه إلى الأندلس، دخلها في أوائل سنة 541هـ، ويرجح عبد الله عنان بداية تدخل الموحدين في الأندلس إلى سنة 540هـ، أمّا تدخل الموحدين العسكري في شؤون الأندلس فيرجع إلى سنة 541هـ، وذلك وفقا لما أورده ابن الأبار، ينظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 122 ، 123، ، ابن الأبار، المصدر السابق، ص199، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص233.

[2]- لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ص254، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص235، أحمد بن عميرة الضبي، المصدر السابق، ص34-35.

[3]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص، 332.

[4]- لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ص254، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 235، أحمد بن عميرة الضبي، المصدر السابق، ص34-35.

[5]- عبد الله علي علام، المرجع السابق، ص 158.

[6]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق،ج3، ص321 ، 325.

[7]- لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ص254.

[8]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج11، ص 47.

الموحدون إلى الأندلس كان ابن عزون وجند شريس أوّل من لقيهم، وانضم إليهم[1]، كما فعل أخيل بن ادريس الرندي الثائر على المرابطين في رندة فقد عبر البحر في نفس السنة وأعلن الولاء والطاعة للموحدين[2]، وقد حاول ابن قسي ايجاد علاقة صداقة مع عبد المؤمن عندما لاح له عزم الموحدين على غزو الأندلس، وفشلت محاولته بسبب الرسالة التي بعث بها إلى عبد المؤمن ناعتا نفسه بالإمام المهدي، حيث أنكر عليه عبد المؤمن ذلك على أساس أنّ المهداوية قاصرة على مهدي الموحدين، وكانت الرسالة في حدّ ذاتها حافزا للموحدين على المبادرة إلى نقل ميدان المعركة إلى الأندلس[3].

وعلى كل حال فقد كان لتوافد الأندلسيين على الخليفة عبد المؤمن بن علي نتائج عمليّة، خاصّة مقدم ابن قسي ذلك أنّه استطاع أن يحمل الخليفة عبد المؤمن الموحدي على المبادرة بالتّدخل في حوادث الأندلس، وتجهيز حملة موحدية بقيادة برّاز بن محمد المسوفي، لقتال المرابطين والثّوار فيما وراء البحر، تلتها بعد ذلك حملات أخرى فيما بعد[4].

إنّ فكرة الاستنجاد بأهل المغرب ظلّت هي الفكرة المسيطرة على أذهان الأندلسيين رغم، ما أبدوه من نيّة علنية في رفض سلطة البربر، وهذا دليل على أنّ أثر الاستنجاد بالمرابطين ظلّ راسخا في أذهان الأندلسيين لفترة طويلة، كما أنّ الموحدين استندوا في حقيقة الأمر على قواعد رسخها المرابطون، تتمثل

[1]- يورد صاحب روض القرطاس رواية أخرى خلاصتها أنّه لما عبر الموحدون الى الأندلس لأوّل مرّة سنة 539هـ، وفتحوا شريس صلحا، انضم إليهم أبو الغمر في قوّاته، وأعلن بيعة عبد المؤمن، فكانت شريس بذلك أوّل قاعدة أندلسية دخلت في طاعة الموحدين، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 125.

[2]- عبر البحر من مالقة ألى المغرب، واتصل في مراكش بالوزير بن عطية، فأكرمه، ولما استولى الموحدون على الأندلس، ولي قضاء قرطبة، ثمّ قضاء اشبيلية، توفي باشبيلية سنة 561هـ/1166م، وكان أديبا مطبوعا وشاعرا جازلا عبر البحر من مالقة ألى المغرب، واتصل في مراكش بالوزير بن عطية، فأكرمه، ولما استولى الموحدون على الأندلس، ولي قضاء قرطبة، ثمّ قضاء اشبيلية، توفي باشبيلية سنة 561هـ/1166م، وكان أديبا مطبوعا وشاعرا جازلا ، ابن الأبار، المصدر السابق، ص 222.

[3]- **ابتسام مرعي خلف الله**، العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الاسلامي، 524-936هـ/1130-1529م دار المعارف، 1985ص111.

[4]- يقول لنا عبد الرحمن بن خلدون أنّ ابن قسي قد عبر إلى المغرب سنة 540هـ، ويقول لنا في موضع أخر أنّه قدم إلى المغرب بعد افتتاح مراكش أي بعد شوّال 541هـ، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 234.

أساسا في توحيد بلاد المغرب الأقصى سياسيا ودينيا[1] وهذا ما لم يتوفر للمرابطين قبلهم، فالمرابطون صنعوا وحدة المغرب الأقصى على النّحو الذي ثبت في التّاريخ[2]، وإلى المرابطين يعود الفضل في الوحدة العقائدية السنية بالمغرب الأقصى[3].

لاشك أنّنا نلاحظ أنّ الموحدين قد تمّ دعوتهم إلى الأندلس قبل استيلائهم على مراكش، وهذا أمر يدفعنا إلى التساؤل عن مدى وجود خطة مسبقة للموحدين للتدخل في شؤون الأندلس، خاصّة أنّهم ركزوا اهتماماتهم على خطر داهم قادم من الشرق يتمثل في هجرة بني هلال، لذلك فإنّ الموحدين ركزوا جهودهم على مواجهة هذا الخطر، وهذا لا يمنع من أنّ الموحدين كانت لديهم رغبة كبيرة في التّخلص من المرابطين الموجودين في الأندلس[4].

2-2) دخول الموحدين إلى الأندلس

كان لمقدم الوفود الأندلسية المتوالية أثرها على قبول عبد المؤمن إلى المبادرة إلى التدخل الفعلي في حوادثها، وتوجيه البعوث العسكرية إليها، وفي مقدمتهم علي بن عيسى بن ميمون قائد الأسطول المرابطي في مدينة قادس[5]، وذلك من أجل إزالة مابقي فيها للمرابطين من سلطان، والقضاء على الزعامات المحلية التي ظهرت في خاتمة حكم المرابطين، اضافة إلى حماية كيانهم في عدوة المغرب من هجوم مرابطي محتمل من الأندلس[6].

لم يتعجل عبد المؤمن بن علي بارسال جيش إلى الأندلس لانتزاعها من المرابطين، بل تريث بعض الوقت حتّى يتمكن من السيطرة على بلاد المغرب، وضمها إلى حوزته، وحينما سقطت بلاد المغرب سنة

---

[1]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 215.

[2]- حسين مؤنس، المرجع نفسه، ص 214.

[3]- حسين مؤنس، المرجع نفسه، ص 215.

[4]- **هشام أبورميلة**، علاقات الموحدين بالمماليك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، ط1، دار الفرقان للنشر والتوزيع، 1404هـ-1984، ص90.

[5]- **خليل ابراهيم السامرائي، عبد الواحد ذنون طه وأخرون**، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1، دار الكتاب المتحدة الجديدة، بيروت، 2000م، ص 265.

[6]- خليل ابراهيم السامرائي، عبد الواحد ذنون طه وأخرون، المرجع نفسه، ص265.

541هـ/1147م بعد سقوط مراكش عاصمة المرابطين[1]، بدأ زحف الجيش الموحدي إلى الأندلس سنة 541هـ/1146م، واستولى على الجزيرة الخضراء، وطرد المرابطين منها، كما بسط الموحدون سيطرتهم على شريس[2]، ورندة[3]، ودخل أبو الغمر بن عزون في طاعة الموحدين[4]، ثم ساروا إلى لبلة[5]، فأعلن صاحبها يوسف بن أحمد البطروجي طاعة الموحدين[6]، واتجهوا بعد ذلك إلى باجة[7] ثمّ إلى بطليوس[8]، وانضم إليهم سيدراي بن وزير الذي أعلن طاعته للموحدين[9]. وواصل الموحدون زحفهم في أراضي الأندلس حتّى ضموا إلى حوزتهم معظم بلدان غرب الأندلس، وتوجوا انتصاراتهم بتصفية قواعد الموريدين بالاستيلاء على اشبيلية في شهر شعبان سنة541هـ/1147م[10]، التي دخل أهلها في طاعة الموحدين[11]، وقد تمّ فتح المدينة بعدما تعاون ثوار غربي الأندلس مع الموحدين أمثال أحمد بن قسي، وسيدراى بن وزير، ويوسف البطروجى كل في قواته، واستولوا في طريقهم صلحا على طلياطة وحصن القصر[12]، وكتب لعبد المؤمن بالفتح فعلم به وهو على وشك دخول مراكش، ثمّ قدم إليه بعد افتتاحها بقليل، وفد من اشبيلية برياسة القاضي بن العربي المعافري، يحمل إليه بيعة أهلها، وذلك في أوائل سنة 542هـ/1147م، فقبل عبد لمؤمن ذلك[13]، ثمّ استمرت الثورات

---

[1]- عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص270.

[2]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص122، 123.

[3]- رندة معقل حصين من أعمال تاكرنا، وقيل حصن بين اشبيلية ومالقة، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص73.

[4]- عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 234، **ليلى أحمد النّجار**، دولة الموحدين في عهد المنصور الموحدي، دراسة تاريخية وحضارية، 580- 590هـ/1184- 1198م، ج1، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التّاريخ الإسلامي، إشراف: أحمد السّيد رتاج، كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1409هـ/1989م، ص44.

[5]- ليلى أحمد النّجار، المرجع السابق، ص44.

[6]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 234.

[7]- ليلى أحمد النّجار، المرجع السابق، ص 44.

[8]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج، 234، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص327.

[9]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص327.

[10]- السلاوي الناصري، المصدر السابق،ج2، ص105، ابن الأثير، المصدر السابق،ج11، ص47، ابن الأبار، المصدر السابق، ص329، يوسف أشياخ، المرجع السابق، ص224.

[11]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج11، ص47، السلاوي الناصري، المصدر السابق،ج2، ص105.

[12]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق،ج6، العبر، ج6، ص 234.

[13]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص22، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص124، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق،ج6، ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص110، **الزركشي**، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضود، المكتبة العتيقة، تونس، 1966، ص6.

فسقطت مالقة في أيديهم أيضا التي قاد الثورة فيها القاضي أبو الحكم بن حسون[1]، كما ثار أهل ألمرية على واليهم وقتلوه وولوا عليهم أبا يحي بن الرميمي، ودخلت المدينة في طاعة الموحدين سنة 541هـ/1146م[2].

3) ثورات أهل الأندلس على الموحدين

1.3) الثورات في غرب ووسط الأنلس

بعدما لمس الأهالي تعنت الموحدين وظلمهم، ثاروا عليهم، وطردوا عمّالهم، وخرجوا على طاعتهم، فطرد أهل اشبيلية الموحدين من بلدهم، وافتكها منهم يوسف البطروجي صاحب لبلة الذي نقض طاعة الموحدين وتحالف مع فلول المرابطين[3]، وثار ابن قسي صاحب شلب، وابن ميمون في قادش، ومحمد بن الحجام ببطليوس[4]، ولم يبق على طاعة الموحدين سوى صاحب شريس ابن عزون وولده[5]، وفي هذه الأثناء عاد ملك قشتالة فاستولى على ألمرية في سنة 542هـ/1147م[6]، وكان لسقوط هذه المدينة أمر سيء في نفوس الأندلسيين، الذين تتابعت المحن عليهم[7]، لنلاحظ أنّ خروج أولئك الزعماء عن طاعة الموحدين، قد وقع في نفس الوقت الذي اندلعت فيه بالمغرب ثورة الماسى ضدّ الموحدين 542هـ/1147م، التي باتت تهدد دولتهم وسلطانهم، وانتهز بنوا غانية فرصة هذا الاضطراب الذي ترتب على سوء تصرف الموحدين، وسخط زعماء الغرب على حكمهم فبعث بقوّة من المرابطين تغلبت على الجزيرة الخضراء، مدخل شبه الجزيرة[8]، وعندما تردد صدى ذلك في سبتة، خلع أهلها الطاعة للموحدين وقتلوا واليها يوسف بن مخلوف التينمللي ومن معه من الموحدين، وتولى أمرها يحي بن أبي بكر الصحراوي[9].

---

[1]- عبد الله علي علام، المرجع السابق، ص 163.

[2]- أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج3، ص334.

[3]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص328-329.

[4]- قام بالثورة في بطليوس، ولكن لم تقدم المصادر تفاصيل تشير إلى هذه الثورة وكيفية حدوثها، لسان الدين بن الخطيب،المصدر السابق، ص248.

[5]- محمد عبد الله عنان، المرجع نفسه، ج3، ص328-329.

[6]- عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص270.

[7]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص371.

[8]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص329.

[9]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، 6 ، ص234.

اضطر عبد المؤمن بعد الثورات العديدة التي اندلعت ضدّه إلى استخدام العنف، فأخضع المغرب، واسترد الجزيرة الخضراء واشبيلية في الأندلس، وتلى ذلك سقوط مدن الغرب الأندلسي في أيدي الموحدين المدينة تلوى الأخرى[1]، وتمكن من بسط نفوذه على بطليوس، شنتمرية وقادس وشلب، ولبلة، ودخلت قرطبة، وجيان في طاعة الموحدين كذلك سنة 545هـ/1150م[2]، وقوي أمر الموحدين في الأندلس من جديد[3].

تمكن الموحدون من الاستيلاء على غرناطة، واقرار نفوذهم فيها، واستطاعوا تحقيق حلمهم في استرجاع ألمرية[4] التي تمكنوا من دخولها سنة 552هـ/1157م[5]، وبذلك أخضع الموحدون كل الثوّار الذين أعلنوا عودتهم إلى طاعة الخليفة عبد المؤمن بن علي، ولما دعيت وفود الأندلس إلى مقابلة الخليفة عبد المؤمن، وهو بسلا في سنة 545هـ/1150م، سار زعماء الغرب، الذين تقدم ذكرهم وفي مقدمتهم سيدراى ابن وزير صاحب باجة ويابرة إلى لقائه، ولم يتخلف منهم سوى ابن قسي صاحب شلب وميرتلة[6].

لقد أزعج ذلك ألفونسو السابع –ملك قشتالة– فأرسل إلى ابن غانية في قرطبة يطالبه بالمال الكثير مقابل حمايته من الموحدين، وبحكم الصلح المعقود بين الطرفين[7]، طالب ألفونسو السابع ابن غانية بالتّخلي عن جيان، أو مضاعفة الجزية، وكان ابن غانية يشعر بكثير من المرارة، لأنّه أضحى في الواقع رهينة

---

[1]– عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص270.

[2]– عن الثورة في كل من جيان وقرطبة ، ينظر: محمد عبد الله عنان، المرجع السابق،ج3، ص312 – 316 ، 320 ، 321.

[3]– عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص270.

[4]– عن الثورة في غرناطة، ينظر: محمد عبد الله عنان، المرجع السابق،ج3، ص316– 318 ، 345-346.

[5]– ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص55 ، 56.

[6]–كان ابن قسي حينما رأى تقدم الموحدين في انحاء الغرب قد تحوّل إلى النّصارى، وبعث إلى ألفونسو هنريكيز ملك البرتغال، وهو الذي تسميه الرواية العربية بابن الرنق وابن الرنك، يناشده التحالف و العون فاستجاب ألفونسو لدعوته، ولما رأى أهل شلب تحول ابن قسي إلى النصارى سخطوا عليه، ففتكوا به ونصبوا مكانه لرياستهم زميل ابن قسي السابق، ابن المنذر الأعمى معلنين ولائهم للدّعوة الموحدية في جمادى الأولى سنة 546هـ/1151م، وبذلك انتهت رياسة ابن قسي، ورياسة المريدين الذين كانوا أوّل من أعلن الخروج والثورة على المرابطين في ولاية الغرب، ورغم ذلك لم يثق الموحدون في ابن المنذر فنقلوه إلى اشبيلية ليقيم بها تحت رقابتهم، وبعد حين غادرها، وعبر البحر إلى سبتة، وأقام بها حتّى توفي في سنة 558هـ/1162م، ابن الأبار، المصدر السابق، ص200 ، 201 ، 204، لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ص251 ، 252.

[7]– عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص270.

ملك قشتالة[1]، فرأى ابن غانية أنّ الموحدين إخوانه في الدّين أفضل بألف مرّة من ألفونسو السابع، لذلك أرسل في الصلح إلى الخليفة عبد المؤمن، وتنازل للخليفة عن قرطبة، وقرمونة مقابل حكم جيان عوضا عنها[2]، ولم يأبه ابن غانية بتهديدات ألفونسو السابع[3]، وقد هاجم ألفونسو السابع قرطبة[4]، واستولى عليها بعد وفاة ابن غانية 24شعبان سنة 543هـ/1143م[5]، ولم يستطع الموحدون ملأ الفراغ الذي تركه هذا القائد، ولكنّهم مالبثوا أن استردوا قرطبة، وعززوا فيها حامية كبيرة[6]، في شهر رجب أو شعبان 543هـ/1143م، ولم تمض أشهر قلائل حتّى احتلوا مدينة جيان[7]، ثمّ استولوا على بياسة وأبدة، وبذلك امتد سلطان الموحدين إلى أواسط الأندلس، ولم يبق بيد المرابطين سوى مدينة غرناطة التي استطاعوا أن يحتفظوا بها أعوام أخرى[8].

2.3) الثورات في شرق الأندلس (ثورة ابن مردينش)

لم تكن الثورات التي نشبت ضدّ المرابطين في أواسط الأندلس وفي غربها، سوى جانب فقط من الثّورة العامّة التي اضطرمت بها الأندلس من أقصاها إلى أقصاها، ذلك أنّ ريح الثّورة قد اجتاحت في الوقت نفسه شرقي الأندلس كلّه، من بلنسية إلى ألمرية، وكانت الثورة في شرقي الأندلس أعمق مثلا وأعمق جذورا، وأشد مراسا منها في الغرب، وكانت تسيرها منذ البداية فكرة الثورة ضدّ المرابطين والموحدين معا بنفس العنف والاصرار، وكانت العوامل الجغرافية والعسكرية واتصالها بالبحر وقوعها قرب الممالك النصرانية خير مساعد لها على تحقيق النجاح، وثمّة عامل مهم في قوّة هذه الثورة بهذه المنطقة وهي انحصارها في زعامة واحدة قويّة، هي

---

[1]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص332.

[2]- تتضارب الروايات حول مسألة عقد صلح بين بنو غانية والموحدين، منها روايات تؤكد هذا الصلح، وأخرى تنفيها، وتؤكد استماتة المرابطين في الدفاع عن قرطبة للتّفصيل ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 235، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 125، لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ص 103 ، 104.

[3]- عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص270.

[4]- عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع نفسه، **ص**270.

[5]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص333.

[6]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص235، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 125، عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص270.

[7]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص 334.

[8]- محمد عبد الله عنان، المرجع نفسه، ج3، ص 334 ، 335.

شخصية محمد بن سعد بن مردينش[1].

كان ابن مردينش مختلفا عن زعماء الغرب الأندلسي، حيث كان الموحدون يعتقدون أنّهم سيجدون في شرق الأندلس نفس الطراز من الزعماء الثائرين، الذين لقوا في غربي الأندلس، والذين يلتمسون إلى خليفتهم المدد والعون، ولكن هذا الأمل لم يتحقق في ابن مردينش، الذي سيصبح منذ ذلك الحين ألدّ خصوم الموحدين، وأكثرهم مقاومة للدعوة الموحدية[2].

ثار أهل شرقي الأندلس على المرابطين فاستبد زعماء الثورات بالمدن، فمن ذلك ثورة أحمد بن محمد بن ملحان الطائي الذي استبد بوادي آش[3]، كما ثارت مدينة بلنسية على المرابطين متأثرة بثورة ابن حمدين في قرطبة، بقيادة القاضي ابن عبد العزيز[4]، الذي دخل في صراع مع المرابطين، واستطاع الحاق الهزيمة بهم، واستولى على شاطبة وعيّن عليها قاضيا، ثم عاد إلى بلنسية فجددت له البيعة في سنة540 هـ/1145م[5]، أمّا مرسية فقد استدعى أهلها ابن عياض قائد الثغر سرا ليتوّلى بلدهم، فسار ابن عياض إليها ودخلها دون اراقة دماء[6]، كما خاطب أهل بلنسية القاضي عبد الرحمن بن عياض يستعجلونه في الوصول إليهم، بعدما ثاروا على ابن عبد العزيز، فوصل ابن عياض إلى بلنسية فأقام فيها حينا ينظم شؤونها ثم عاد إلى مرسية بعد أن ترك في بلنسية صهره عبد الله بن سعد بن مردينش أميرا عليها من قبله[7] ،لكنّ ابن عياض دخل رفقة أصهاره وهما عبد الله بن مردينش ومحمد بن سعد بن مردينش في طاعة بن هود، فأصبح حكم ابن هود يشمل شرقي الأندلس كلّه من لورقة إلى نهر إيبرو، حيث اشترك الجميع في المعركة التي دارت بشاطبة بسبب غزو النصارى للمدينة، والتي تعرف بمعركة اللّج أو البسيط في سنة540 هـ/1145م، فحلت الهزيمة بالمسلمين وقتل ابن هود، وعبد الله بن مردينش، بينما نجا ابن عياض فعاد إلى بلنسية وأصبح أمير شرقي الأندلس بلا منازع[8].

---

[1]- هو أبو عبد الله بن محمد بن سعيد بن محمد الجذامي بن مردينش، أصله من ثغر الأعلى، وولد في قلعة طرطوشة وذلك في سنة 518هـ، كان أبوه سعد بن محمد ابن مردينش واليا لافراغة أيّام المرابطين، ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص492.

[2]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص 336.

[3]- لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ص264 .

[4]- عبد الله علي علام، المرجع السابق، ص166-165

[5]- محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق، ج1، ص356 .

[6]- ابن الأبار، المصدر السابق، ص230 ،231.

[7]- يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص223.

[8]- ابن الأبار، المصدر السابق، ص230 ، 231.

استمر ابن عياض حاكما على بلاد شرقي الأندلس إلى أن توفي في أحد المعارك من شهر ربيع الأوّل سنة542 هـ/أوت1147 م ،حيث خلفه محمد بن سعد بن مردينش في إمارة شرق الأندلس كلّه، وكان ذلك في جمادى الأولى سنة 542 هـ/1147م، واستمر مسيطرا على شرق الأندلس حتّى 567هـ/1171م.

في هذه الأثناء استولى ألفونسو الثّاني ملك أراغون(1162-1196) على إفراغة، وسرقسطة، وروسيليون وغيرهما، وعاد ملك قشتالة فاستولى على ألمرية في سنة 542هـ/1147م[1]، وكان لسقوطها آثار سيئة على الأندلس[2]، فقد شجع ذلك النّصارى على الاستيلاء على مابقي بأيدي المسلمين في الثغر الأعلى ودعا البابا أوجين الثالث إلى حملة صليبية لفتح هذه البلاد[3]، وهاجموا طرطوشة التي سقطت بعد حصار دام ستة أشهر سنة 543هـ/1148م، وتتابعت حملات النّصارى على البلاد الاسلامية فهاجموا لارده، وأفراغة ومكناسة، واستولوا على هذه البلاد سنة 544هـ/1149م، وعلى حصن أقليش وسرانية[4]، وبذلك زال سلطان المسلمين من الثّغر الأعلى، ودانت بلاد الثغر الأعلى للنّصارى[5]. لم يحرك محمد بن سعد بن مردينش ساكنا، إزاء هذا الأمر لارتباطه برباط الصداقة والمهادنة مع النّصارى[6]، وسقطت أشبونة في أيدي ملك البرتغال في الوقت الذي سقطت فيه ألمرية[7]، أي سنة 542هـ/1147م.

وكان الموحدون قد عبروا إلى شبه الجزيرة الأيبيرية قبل ذلك بأعوام، واستولوا على اشبيلية في شهر شعبان سنة 543هـ/1148م، وعلى شريس ثمّ سيطروا على قرطبة سنة 543هـ/1148م، ثمّ جيان، وبياسة، وأبدة، وهكذا وصلت طلائع الموحدين إلى أواسط الأندلس، وأصبحت تشرف على أملاك ابن مردينش[8].

---

[1]- عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص 270.

[2]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص371.

[3]- عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص 271.

[4]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص 369.

[5]- عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص 271.

[6]- محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق، ج3، ص370.

[7]- عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص271.

[8]- أحمد بن محمد بن ملحان الطائي، عبر ابن ملحان البحر إلى المغرب، ودخل في خدمة الموحدين، واستعمل في بعض الأعمال الهندسية في اقامة البحيرة واجراء مائها، ثم نكب بعد ذلك لأسباب غير معروفة، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق،ج3، ص320.

أمّا ابن مردينش فأضحى بتغلبه على بلنسية، ومرسية سيد المنطقة الشرقية كلّها، وامتد سلطانه من أحواز طرطوشة شمالا حتّى قرطاجنة، ولورقة جنوبا، وقد تمكن من توطيد سلطانه في هذه المنطقة بمحالفة النّصارى، واستطاع بذلك مقارعة الموحدين، الذين جازت جيوشهم الأولى إلى الأندلس.

عزم ابن مردينش في بداية أمره على الاستقلال بدولته، فكان حريصا على رد أي اعتداء خارجي أو ثورة داخلية، ولهذا الغرض فقد عقد مع النّصارى مجموعة معاهدات، منها معاهدة صلح مع جمهورية بيزا مقابل دفع اتاوة وامتيازات تجارية لرعايا جنوا في بلنسية، ودانية، كما قام ابن مردينش بعقد اتفاقيتين مع كلّ من ملك قشتالة وملك أراغون تعهد بموجبها بدفع جزية سنوية[1].

دفعت هذه الاتفاقيات إلى قيام ثورات على ابن مردينش في سنة546 هـ/1152م في مدينتي بلنسية، ولورقة، لكنّه استطاع القضاء عليهما، وقد أغضب ذلك الموحدين خاصّة وأنّ هناك بعض الدلائل التي تشير إلى احتمال وجود صلات بين الموحدين وبعض الثوار، حيث أنّ بعضا من الثوار هناك كانوا يعتقدون بمذهب الموحدين، ومنهم الكاتب أبو عبد الرحمن بن طاهر القيسي، الذي خاطب الخليفة عبد المؤمن بن علي برسالة حاول فيها أن يثبت فيها بالأدلة المنطقية أمر المهدي ابن تومرت وصدق إمامته وعصمته وعنوان الرسالة"الكافية في براهين الإمام المهدي رضي الله عنه تعالى عقلا ونقلا"[2].

أخذ ابن مردينش يغزوا بلاد الأندلس الخاضعة للموحدين بغية الاستيلاء عليها ففي سنة 554هـ/1160م سار بقواته من مرسية إلى مدينة جيان فدخلها بلا قتال[3] ، وفي أوائل سنة 555هـ/1160م بعث ابن مردينش جيشا بقيادة ابراهيم بن هشميك للاستيلاء على قرطبة، لكن الموحدين تمكنوا من التحصن داخل المدينة[4]، سار ابن هشميك بعد ذلك إلى قرمونة واستولى عليها في ربيع الأوّل سنة 555هـ/مارس1160[5].

---

[1]- لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، ص 123، 124.

[2]- ابن القطان، المصدر السابق، ص 52-53.

[3]- **ابن صاحب الصلاة**، تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي ط3، بيروت 1964م، ص 115 ، 116.

[4]- ابن صاحب الصلاة ، المصدر نفسه، ص115 ، 116.

[5]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص 35.

بسبب الخطر الذي أصبح يمثله ابن مردينش أوصى عبد المؤمن أولاده بضرورة مواصلة قتاله، فعيّن ابنه أبا يعقوب يوسف واليا على اشبيلية، وابنه سعيد عثمان واليا على غرناطة، ثمّ عيّن على قرطبة وأعمالها أبا حفص عمر أنيتي، وترك في الأندلس جيشا كبيرا من الموحدين والأندلسيين، فجعل على قيادة الموحدين ابن الشرقي وجعل على الأندلسيين أحد قوادهم المشهورين يعرف بابن صناديد[1].

حاول ابن همشك الاستيلاء على بلنسية ففشل، لكنّه ظلّ يحاول ذلك، وهو مادفع والي اشبيلية أبا يعقوب يوسف بالاستنجاد بأبيه عبد المؤمن، الذي بعث لابنه برسالتين أظهر في الأولى نيته العبور إلى الأندلس، وأمر في الثانية أبناءه وولاة الأندلس بناء مدينة حصينة في جبل طارق، لتكون قاعدة حربية للموحدين، انتهى بناء المدينة في ذي القعدة سنة 555هـ/1160م وبعدها عبر عبد المؤمن البحر إلى الأندلس ونزل في جبل طارق، فجرى احتفال كبير، جددت فيه البيعة لعبد المؤمن وألقيت الخطب بين يديه، ثم عاد بعد شهرين إلى مراكش أوائل سنة 556هـ/1161م[2].

ومن أهم ماميّز تلك الفترة من الصراع بين الموحدين وابن مردينش تلك المعركة القويّة التي حدثت في عهد عبد المؤمن بن علي وكان النّصر فيها للموحدين على ابن همشك وحلفائه من النّصارى وعرفت بمعركة" السبيكة "في رجب557 هـ/1161م، ونتيجة لذلك تحطمت أمال ابن مردينش في القضاء على الوجود الموحدي في الأندلس[3] أمّا الموحدون فاستطاعوا فتح معظم الأندلس ثمّ اتجهوا إلى تحرير بقية شبه الجزيرة من النّصارى، وحصنوا قاعدة جبل طارق، وأنشأوا مدينة كبرى بها ستكون معسكرا تنطلق منها الجيوش الموحدية لتحرير البلاد من الأعداء، والجهاد في سبيل الله. وكانت سياسة عبد المؤمن تستهدف بلاد الأندلس من العملاء المسلمين المتواطئين مع الأعداء وتخليص البلاد من العدوّ النّصراني المتربص بهم[4].

وبرغم ماألحقه الموحدون بابن مردينش من هزيمة في معركة السبيكة إلاّ أنّ ثورتهم استمرت، حيث تمكنوا سنة 560 هـ/1164م من مهاجمة غرناطة دون السيطرة عليها، وقد عزم الخليفة أبو يعقوب القضاء

[1]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص118.
[2]- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 137-171.
[3]- ليلى أحمد النّجار، المرجع السابق، ص 45 ، 46.
[4]- عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص271 ، 272.

على هذه الثورة، وكانت البداية بمعركة حصن الجلاب في سنة560 هـ/1164م، التي تعتبر من أهم المعارك التي وقعت بين الفريقين، انهزم خلالها ابن مردينش، وكان ذلك من أقسى الضربات التي وجهت إليه وبداية النّهاية لتلك الثورة[1].

بدأ أنصار ابن مردينش في التّخلي عنه عقب تلك الهزيمة ومنهم ابن همشك الذي انضم للموحدين سنة564 هـ/1167م، وواصلت قوات الموحدين سنة566 هـ/1170م تطهير شرق الأندلس من تلك الثورة والتي استمرت لفترة طويلة، أمّا قائد الثورة في مرسية فقد توفي سنة567 هـ/1171م على اثر اشتداد المرض عليه[2].

نستطيع أن نقول أنّه منذ أن انهارت ثورة ابن مردنيش في شرقي الأندلس بوفاته سنة 567هـ/1172م ، واستيلاء الموحدين على مملكة مرسية خلصت الأندلس كلّها لطاعة الموحدين، واستسلمت لحكم سادتها من وراء البحر، واستطاع الموحدون أن يوطدوا سلطانهم في الجزيرة على مدى نصف قرن[3]، فقد سيطروا على بلنسية ومرسية وشاطبة وبلاد الساحل الشرقي بعد وفاة محمد بن سعد بن مردينش سنة567 هـ/1171م الذي كان يسيطر على شرق الأندلس فكان على بني غانية أن يحددوا موقفهم من الدولة الجديدة، فانحاز الكثير منهم الى اعلان الثورة على الموحدين، وبالتالي خاضوا معهم حربا طويلة بقيادة علي بن غانية، خصوصا أنّ بقايا المرابطين قد انضمت اليهم[4].

4) خلاص الأندلس للموحدين

توفي عبد المؤمن بن علي سنة558 هـ/1162م وخلفه ابنه محمد الذي خلع بعد خمسة وأربعين

---

[1]- للتفصيل ينظر: ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص279-292.

[2]- للتفصيل ينظر: ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص412-416، 423-424-427-434، 505-509، وينظر أيضا Miranda, Ambroso Huici : Historia Musulmana de Valencia y su region : novedades y rectificaciones,3 Volumenes, Libreria anticuari epopeya, Zragoza, Epania, p129-177.

.

[3]- **شاخت وبزورث**، تراث الاسلام: القسم الثالث، ترجمة حسين مؤنس وصدقي العمد، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون بالكويت، 1978، ، ص33-73.

[4]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 225.

يوما لعدم صلاحيته، فخلفه أخوه أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن[1]، وكان هذا الأخير يرى ضرورة القيام بعمل حاسم من أجل القضاء على ثورة بني مردنينش، وايقاف تقدم النصارى [2]، وقد تمكن فعلا من ايقاف فتنة ابن مردينش صاحب مرسية وشرق الأندلس في سنة561 هـ/1166م[3].

كانت ليوسف بن عبد المؤمن كذلك مواقف في الجهاد ضدّ الاسبان، إذ خرج من اشبيلية قاصدا بلاد الأذفنش، وحاصر مدينة وبذة، ثم ارتّد عنها إلى اشبيلية، ثمّ عاد إلى مراكش سنة569 هـ/1173م بعد أن ملك الأندلس، ثمّ قصد اشبيلية سنة 579هـ/1183م، التي اتخذها الموحدون قاعدة لهم، وحاصر شنترين، على نهر تاجة فتحصن حاكمها البرتغالي المعروف باسم ابن الرنق أو أنريكي، لكن أبا يعقوب عزم على الرحيل عنها بسبب حلول البرد، فعندما سمع ذلك جنوده أخذوا يعبرون النّهر ليلا خشية الزحام، فلّما رأى الإسبان المحاصرين ذلك انتهزوا الفرصة وحملوا على المسلمين حتّى وصلوا خيمة أبي يعقوب، فأصبوه بطعنة مات بعدها بأيّام قليلة سنة580 هـ/1148م، ثمّ ارتّد المسلمون على الإسبان وأرغموهم على الرجوع إلى مدينتهم[4]، وحمل أبو يعقوب إلى المغرب حيث دفن[5].

لما توفي أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن خلفه ابنه يوسف الملّقب بالمنصور، الذي دام حكمه خمس عشرة سنة حتّى وفاته سنة 595هـ/1199م[6]. وقد بويع بمدينة سلا، وكانت له انجازات مهمّة منها فتح مدينة شلب وقضاءه على فتنة بني غانية[7]، وقد سيطر على بلاد غرب الأندلس، وصدّ عنها غارات النصارى سنة 580هـ/1184م، وولى أبناء القواعد الرئسية في الأندلس، واتسع ملكه في المغرب والأندلس، حيث بلغت الدّولة ذروتها في عهده، فقد اتسع ملكه، وكان للدّولة جيش قوي قادر على توجيه الضربات القوية للعدّو، حيث حقق انتصاره الباهر على النّصارى في موقعة تسمّى الأرك سنة 591هـ/1194م، وهو الذي أتّم بناء مدينة الرباط التي بدأه والده ببنائها، وهي على نهر سلا مقابلة لها من البر القبلي على البحر

[1]- محمد عبده حتاملة، المرجع السابق، ص556.

[2]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص.222

[3]- حسين مؤنس، المرجع نفسه، ص.222

[4]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص147 – 150 ، السلاوي الناصري، المصدر السابق، ج2، ص 150 .

[5]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص153.

[6] - عبد الواحد المراكشي، المصدر نفسه، ج2، ص153.

[7]- عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص.272

المحيط[1].

ففي سنة 585هـ/1189م حشد سانشو الثاني ملك البرتغال جيشا كبيرا ضم فرقا صليبية كانت مسافرة الى بلاد الشام، واستولى على شلب أهمّ ماتبقى للموحدين في غرب الأندلس من الموانئ[2]، لكن المنصور لم يقف مكتوف الأيدي بل تحرك من رباط الفتح نحو الأندلس في أواخر محرم سنة 586هـ/1190م بعد أن أصدر أوامره إلى الحشود بموافاته في اشبيلية، وأخذت الألوف من المسلمين طريقها إلى الموعد المضروب[3]، وعبر إلى الأندلس واسترجع مدينة شلب التي كان قد استولى عليها ملك البرتغال سانشو الأوّل، كما فتح حصن طرش سنة 585هـ/1189م[4]، وعدد من الحصون سنة 587هـ/1191م[5]، ثمّ شغلته شواغل أخرى وألمّ به مرض طويل فتعطل إتمام غزوته الكبرى على الأندلس[6].

ومن الانجازات المهمة التي حققها المنصور تصديه لبني غانية بحزم وشدّة، وأنزل بهم هزيمة قاسية في شعبان سنة 583هـ/1187م، وهرب علي بن غانية وحلفاؤه من العرب إلى الصحراء، واستراح الموحدون من شرهم إلى حين[7]، وهو عمل مهم يسّر للمنصور الاهتمام بخطر النّصارى الداهم.

وفي سنة 590هـ/1194م نقض ألفونسو الثامن العهد وهاجم بلاد المسلمين، فعبر أمير المؤمنين أبا يوسف يعقوب إلى الأندلس ووصل قاعدته في اشبيلية سنة 591هـ/1195م، وعندما علم ألفونسو الثامن بذلك دعا ملوك النّصارى في اسبانيا إلى تشكيل جبهة متحدة للتصدي للمسلمين، واستنجد بالبابوية، فكثرت جموع النّصارى وفرسانهم[8]. تقدم ألفونسو الثامن في جمع كبير يفوق عدد جيش المسلمين. فلمّا كان يوم الأربعاء التّاسع من شعبان سنة 591هـ/1195م التقى الجمعان في موقعة الأرك[9]، التي كانت

---

[1]-عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع نفسه، ص.272

[2]-عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع نفسه، ص 272، حسين مؤنس، المرجع السابق ، ص226 .

[3]-حسين مؤنس، المرجع نفسه، ص227.

[4]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص177 ، 178، السلاوي الناصري، المصدر السابق، ج2، ص 203.

[5]-حسين مؤنس، المرجع السابق، ص227.

[6]- حسين مؤنس، المرجع نفسه، ص227.

[7]-حسين مؤنس، المرجع نفسه، ص226.

[8]- عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص.272حسين مؤنس، المرجع السابق، ص.227

[9]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص180 ، 181، السلاوي الناصري، المصدر السابق، ج2، ص185- 194.

بجسر الأرك بنواحي بطليوس وبمقربة من قلعة رباح، حيث قتل من الإسبان 146 ألفا وأسر ثلاثون ألفا، ونجا، ألفونسو الثامن بأعجوبة وعاد إلى طليطلة في أسوأ حال، فحلق رأسه ولحيته، وحاول مرّة ثانية التصدي للسلطان أبو يعقوب يوسف، لكنّ هذا الأخير هزمه وتبعه إلى طليطلة ولم يبق عليه سوى فتحها فخرجت والدة الأدفنش (الفونسو الثامن)، وبناته وبكين بين يديه وسألنه إبقاء البلد عليهمن فرق لهن وعفا عن المدينة[1]، ودخل السلطان قلعة رباح واستولى على الحصون المحيطة بطليطلة ورجع إلى اشبيلية منتصرا[2].

كانت معركة الأرك أشبه بمعركة الزلاقة، إذ هرب الإفرنج وتحصنوا في قلعة رباح فحاصرها السلطان يعقوب المنصور حتّى فتحها، بل حاصر طليطلة واستولى على كثير من حصونها، وهدم أسوارها، وترك الفرنج في أسوأ حال .وأقام بإشبيلية ثمّ عاد سنة 593هـ/1196م إلى محاربة الإسبان حتّى اضطرهم إلى طلب الصلح[3].

كان لهذه المعركة آثار بعيدة المدى في تاريخ الأندلس لاتقل عن الأثر الذي تركه واقعة الزلاقة، فقد عادت إلى المسلمين هيبتهم في هذه البلاد وضعف أمر النّصارى، فبعد هذه الواقعة أرسل المنصور فرقا من جيشه، استعادت الكثير من بلاد غرب الأندلس، لكن المنصور لم يجن ثمرة نصره، فقد كان في استطاعته تحرير طليطلة وغيرها من البلاد، وكف عن محاربة النّصارى، لذلك أعطى الفرصة لألفونسو الثامن لإعادة تنظيم قواته، واكتفى المنصور بعد عودته إلى الأندلس بتنظيم ادارتها، ومحاسبة العمّل ورجال المال وما إلى ذلك وجنح إلى السلم، ولم يقم بأي عمل عسكري كبير[54]، ثمّ عاد إلى مراكش سنة 594هـ/1198م[6]، وبعد سنة من ذلك توفي بعدما حقق انجازات سياسية، عسكرية، وحضارية فإليه ينسب بناء المنارة الشّهيرة في جامع اشبيلية[7].

[1]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص159.

[2]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص181.

[3]- أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج4، ص382.

[4]- عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص274، حسين مؤنس، المرجع السابق، ص228.

[5]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص228.

[6]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص181.

[7]- عبد الواحد المراكشي، المصدر نفسه، ص182.

خلف محمد بن عبد الله الملقب بالنّاصر أباه(595-610هـ/1196-1213م)، كان شابا سريع الاندفاع مستبدا بالأمور[1]، في عهده انتهت ثورة ابن غانية، كما استولى محمد بن عبد الله على الجزائر الشرقية سنة 600هـ/1203م، وبعد ذلك بعامين، انتصر الموحدون على بني غانية، وقضوا عليهم نهائيا قرب قابس، ثمّ دخلوا تونس والمهدية، وعهدوا لعبد الواحد بن أبي حفص بحكم تونس لكفاءته[2].

وبسب انشغال النّاصر بأمر تونس تشجع ألفونسو الثامن على الإغارة على بلاد المسلمين في الأندلس[3]، فاحتل مدينة مارده[4]، لذلك رأى الخليفة الموحدي ضرورة اخضاع ألفونسو، ومحاربته وأعدّ لهذا الغرض حملة قويّة ، عبرت إلى الأندلس سنة 607هـ/1210م، وعسكر الجيش الموحدي في اشبيلية[5]بعدما جمع جيشا جرّارا من المغرب والأندلس بلغ عدده600 ألف مقاتل [6]، وتوافد على جيشه الأندلسيون من كل صوب وحدب[7]، ثم تحرك النّاصر بجيشه الكبير سنة608 هـ/1211م ودخل جيّان وحصنها[8] ،فخشيه ألفونسو التاسع الذي سارع إلى أنهاء خلافاته مع ملكي نافار وأراجون، واستنجد بالبابوية، وكوّن قوّة مسيحية ضاربة تستطيع محاربة المسلمين، وتوجيه أشد الضربات لهم [9]فاجتمع له جيش كبير، وخالف الناصر، وحاصر قلعة رباح، واستولى عليها[10]، في أوّل سنة609 هـ/1212م، فذعر النّاصر[11]، حتّى مرض شدد عل شلطبرة حتّى فتحها صلحا، ثمّ زحف للقاء ألفونسو التاسع بموضع يعرف بالعقاب Las Navas de Tolosa Lasبالقرب من حصن سالم، وهزم المسلمون في المعركة بسبب قتل النّاصر بعض قادة الأندلس بوشاية من وزيره ابن جامع، فوقع الخلاف بين المسلمين ممّا أدى إلى هزيمتهم[12].

---

[1]- عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع نفسه، ص274 ، 275، حسين مؤنس، المرجع السابق، ص.229

[2]- عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع نفسه، ص274 ، 275، حسين مؤنس، المرجع نفسه، ص.229

[3]- عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع نفسه، ص .275، حسين مؤنس، المرجع السابق، ص.232

[4]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص229.

[5]- محمد عبد حتاملة، المرجع السابق، ص557.

[6]- عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص275.

[7]- عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع نفسه، ص275، حسين مؤنس، المرجع السابق، ص.232

[8]- عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع نفسه، ص.275

[9]- عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع نفسه، ص275.

[10]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص232، السلاوي الناصري، المصدر السابق، ج2، ص 222.

[11]- عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص.275

[12]- السلاوي الناصري، المصدر السابق، ج2، ص 223.

كانت هذه الهزيمة شديدة على المسلمين إذ ذهبت قوتهم في المغرب والأندلس، كما قضت على هيبة الموحدين وتضعضع سلطانهم فيها بسبب خسائرهم الفادحة من الرجال .وقد علق المقري على ذلك ببقوله بقوله"أنّه لم ينج من الستمائة ألف مقاتل سوى عدد يسير جدا لم يبلغ الألف فيما قيل"، وأنّ هذه الوقعة كانت الطامّة على الأندلس، بل وبلاد المغرب جميعا فقد خلا بسببها أكثر المغرب، وما ذاك إلاّ لسوء التّدبير، إذ استخف الناصر برجال الأندلس العارفين بقتال الإفرنج، ففسدت النيات فكانت وقعة العقاب المشؤومة[1].

كان من نتائج هذه المعركة كذلك سقوط العديد من المدن الأندلسية في يد الإسبان، إذ أخذوا جزيرة شقر صلحا سنة639 هـ/1241م، وشاطبة سنة645 هـ/1247م وكانت قرطبة قد سقطت في أيديهم سنة636 هـ1239/م، كما تملك العدو مرسية من أحمد بن محمد بن هود وحاصر اشبيلية سنة 645هـ/1247م واستولى عليها في السنة التالية سنة646 هـ/1248م بعد أن حاصرها الطاغية صاحب قشتالة وليون فرديناند الثالث(1199م-1252م) سنة كاملة وخمسة أشهر أو نحوها[2]، ثمّ انهارت دولة الموحدين نفسها سنة 659 هـ/1261م.

لعبت دولة الموحدين دورا كبيرا في تقوية بلاد المغرب، وأجّلت كارثة سقوط الأندلس، وعززت مركز المسلمين في هذه البلاد، وكان عصر هذه الدّولة عصرا ذهبيا للفلسفة الاسلامية، فظهر فلاسفة كبار مثل ابن رشد، وابن طفيل، وابن عربي، وحفل العصر الموحدي بالأدباء، والشعراء والمفكرين، والمهندسين الذين أقاموا منشآت معمارية بديعة في جميع انحاء المغرب[3].

لم يكن عصر الموحدين إلاّ استمرارا لعصر المرابطين، وهو بذلك استمرار لسلطان البربر على الأندلس الذي امتد زهاء نصف قرن في أيّام المرابطين، وأكثر من قرن آخر على يد ورثتها الموحدون، وفي وسع الباحث أن يلاحظ مابين هذين العهدين من أوجه التماثل التي تجمع بينهما، وأن يلمس في نفس

[1]- أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج4، ص 383.

[2]- أحمد بن محمد المقري، المصدر نفسه، ج4، ص 472.

[3]- عصام الدين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ج3، ص276.

الوقت أوجه الخلاف، والتناقض التي تُباعد بينهما، وتصبغ على كلّ منهما خواصه ومميزاته[1].

المبحث الثالث: استفادة بلاد المغرب من الخبرة السياسية الأندلسية

1) أسس بناء الدّولتين المرابطية والموحدية

تشكلت الدولة المرابطية في الأصل من مجموعة من القبائل الصحراوية[2]، التي جمعتها المصالح المختلفة حول زعامة بعينها قادتها إلى الاقتناع بفكرة الإصلاح الدّيني الذي استطاع عبد الله بن ياسين أن يقنع بها هذه الزعامة، فانطلقت تبشر بها وتقاتل من يعارضها، واتجهت جنوبا نحو بلاد السودان، فلّما استقر الأمر لها هناك توجهت نحو الشمال، وهناك اصطدمت ببقايا الدّولة المغراوية، فهزمتها واستولت على الأقاليم الشّمالية حتّى طنجة، كما استولت على فاس عاصمة الأدارسة، وبذلك تمّ لها الاستيلاء على أهم المراكز الحضارية للمغرب الأقصى، وانقسمت جيوشها إلى قسمين، قسم منها عاد إلى الجنوب، وكان تحت زعامة أبي بكر بن عمر اللّمتوني القائد الأعلى للقبائل والجيوش، وبقي القسم الثاني بالشمال، وهو الذي كان تحت زعامة ابن عمّه يوسف بن تاشفين[3].

إنّ هذه الانجازات الكبيرة التي حققتها الدّولة المرابطية خلال هذه الفترة الزمنية لم تكن لتحدث وتستمر لو لم تكن تستند على نظام سياسي وعسكري واضح المعالم، ذلك أنّ المرابطين عرفوا خلال هذه الفترة عديدا من الشخصيات التي قادت العمل العسكري والسياسي دون أن تعرف توقفا لمسار الفتوحات، كما أنّ نقل السلطة كان يتم بسلاسة واضحة فأي نظام ارتكز عليه المرابطون ؟

أقامت دولة المرابطين قبائل صنهاجة الجنوب من الملّثمين، فكان من الطبيعي أن تكون الرئاسة، وأن يكون وليّ الأمر لمتونيا لأنّ لمتونة هي القبيلة المتغلبة على جميع قبائل صنهاجة، ولذلك كان لابد أن يكون وليّ الأمر من بني ورتنطق اللّمتونيين، والذين كان منهم يحي بن عمر، وأبو بكر بن عمر، ويوسف بن

[1]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق،ج3، ص 26.

[2]- عبد المالك الشامي، المرجع السابق،ص120.

[3]- عبد المالك الشامي، المرجع نفسه،ص119.

تاشفين، وعلي بن يوسف، وجميع خلفائه، لذلك فإنّ المنطلق الأوّل في اختيار أمير المرابطين هو أن يكون من البيت اللّمتوني بشكل خاص ومن قبيلة صنهاجة بشكل عام[1].

لايستطيع أحد أن يزعم أنّ الدّولة المرابطية في بداية أمرها قد قامت على تنظيم سياسي ناضج منطلق من تجربة في الحكم أو في السلطة[2]، لأنّها إلى غاية تولّي يوسف بن تاشفين أمر المرابطين لم تعرف نظام ولاية العهد بالصورة التي ترسمها النّظم الإسلامية[3]، لأنّ قبائل المرابطين تأثرت كثيرا بتقاليدها البدوية في مسألة نقل السلطة، حيث أنّ هذه التّقاليد لاترتكز على نقل السلطة للأبناء، بل أنّ قيادة القبيلة كانت تنتقل إلى من اجتمعت فيه صفات الحكمة والشجاعة وصفة البذل والعطاء، فالأصلح هو الذي يتوّلى مشيخة القبيلة وليس بالضرورة أن تنتقل إلى الإبن[4]، ومن هذا المنطلق بايع عبد الله بن ياسين يحي بن عمر لتحمسه للدعوة المرابطية، فلمّا مات بويع لأبي بكر بن عمر، وهو من نفس البيت ومن نفس القبيلة، ولايتوفر لدينا أي نصّ يؤكد أنّ الرّجلين قد وليا بعهدهما لأحد من بعدهما، أمّا يوسف بن تاشفين فقد اختاره الملثمون لأنّه أحرز نصرا كبيرا في معارك المغرب والأندلس[5].

لم يكن مبدأ اختيار الأمير الأصلح هو المبدأ الوحيد الذي استند عليه المرابطون في بناء نظامهم السّياسي بل استندت هذه القبائل البدوية المذهب المالكي أساسا لمرجعيتها الدينية، وعليه اعتمدت في مسألة نقل السلطة، ونعني بذلك نظام الشورى الذي قام عليه نظام الحكم في بداية قيام دولة المرابطين قبل يوسف بن تاشفين عندما كان المرابطون يختارون بكامل الحرية رئيسهم الذي يتم تعيينه، حيث يعقد مجلس يشارك فيه شيوخ المرابطين، وأعيانهم من زعماء القبائل والولاة[6]، أمّا صيغة التّنصيب فتبدأ بمبايعة أفراد الأسرة المالكة ثم يليهم الأمراء من بني ورتنطق، ثم سادة لمتونة، ثم زعماء القبائل الأخرى الخاضعة لنفوذهم، ثم عمّال الدّولة، وهي بمثابة البيعة الخاصة، ثم يتلى منشور ينصّ على بيعة الأمير الجديد في المساجد ويقرأ على

[1]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 342.

[2]- عبد المالك الشامي، المرجع السابق، ص119.

[3]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص343.

[4]- حسن أحمد محمود، المرجع نفسه، ص 343.

[5]- حسن أحمد محمود، المرجع نفسه، ص343.

[6]- شيوخ المرابطين :هم حملة علم الإمام – عبد الله بن ياسين- ، والطبقة التي تملك الحل والعقد في نفس الوقت، ويقدمهم النّاس للإمامة على الصلاة إذا حضروها واحتاجوا الإمام، **محمد عبد الهادي شعيرة**، المرابطون تاريخهم السياسي 430-539هـ، مكتبة القاهرة الحديثة، 1969، ص66.

الناس[1]، وبهذه الطريقة تم اختيار يحي بن عمر، ثمّ أخوه أبو بكر بن عمر، وكان أساس اختيارهما كفاءتهما السياسية، والحربية[2]، كما تمت بيعة يوسف بن ناشفين، بعد عودة الأمير أبي بكر من مهمته التي قام بها في الصحراء سنة 465هـ/1073م، وتنازل له عن ملك المغرب في اجتماع حضره أشياخ لمتونة، وأعيان الدولة من أمراء المصامدة، يصاحبهم الكتاب والشهود فضلاً عن أشخاص آخرين من الخاصة والعامة[3]، وكان يطلق عليهم لقب الأمير[4].

كان النّظام السياسي لدولة المرابطين يمتاز بالبساطة[5]، كما كان خاضعاً لنفوذ الفقهاء الذين كانوا مالكيين متشددين[6]، هذا فضلا عن اعتماد نظام الشورى في اختيار الأمير[7]، تطبيقاً لقولة تعالى: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُم}[8].

وهكذا يولاحظ أنّ المرابطين كانوا أبعد مايكون عن النظام الوراثي في المرحلة الأولى من حكمهم بل أنّ الأمر كان مبنيا على أساس الاختيار الذي امتزج مابين التّقاليد القبليّة من جهة ونظام الشورى من جهة ثانية، وهو ما ضمن استمرار قوّة المرابطين، ومنحهم قدرة على تحقيق أهدافهم، بسبب عدم حرص الأمراء المرابطين على استمرار الامارة في أسرتهم، كما أنّهم لم يمارسوا أي ضغط في اختيار خليفتهم[9]، فكان انتقال السلطة يتم بطريقة مرنة للغاية، وقد يكون ذلك من الثوابت التي بنيت عليها سياسة المرابطين، ونجد أثر ذلك في وصيّة عبد الله بن ياسين الأخيرة للمرابطين حينما يوصي المرابطين بقوله "إياكم و المخالفة والتحاسد على الرياسة، فإنّ الله يؤتي ملكه من يشاء، ويستخلف في أرضه من أحب من عباده، ولقد ذهبت

---

[1]- **ابراهيم حركات**، النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين، مكتبة الوحدة العربية، ص54 .

[2]- ينظر: ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص14، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص126، ابراهيم حركات، المرجع السابق، ص51.

[3]- ينظر: مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص26.

[4]- **حسين مؤنس**، سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد .1420هـ-2000م، ص13، **محمد ولد داداه**، مفهوم الملك في المغرب، دار الكتاب البناني للطباعة والنشر والتوزيع، 1977، ص111، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص137، مؤلف مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص29.

[5]- ابراهيم حركات، المرجع السابق، ص41.

[6]- **محمد عابد الجابري**، تكوين العقل العربي، ط8، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، .1423هـ/2002م، ص311.

[7]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص12 ، 15، **علي محمد محمد الصّلابي**، الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، ط2، مكتبة الأيمان، المنصورة، .1426هـ/2006م، ص257.

[8]- الشورى، الآية: 38.

[9]- حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص247.

عنكم، فانظروا من تقدمونه منكم، يقوم بأمركم ويقود جيوشكم، ويغزو عدوكم، ويقسم بينكم فيئكم، ويأخذ زكاتهم وأعشاركم"[1]، وبناءا على هذا الثابت انتقلت السلطة من أبي بكر بن عمر إلى يوسف بن تاشفين، بعد تنازل إرادي من أبي بكر عن السلطة تحقيقا للمصلحة العامّة.

برغم ما أظهره المرابطون من قدرات كبيرة في مجال تجسيد نظامهم السياسي، وتحكمهم في مجال الدولة الواسع، إلاّ أنّهم لم يتمكنوا من الاستمرار في ذلك لأسباب كثيرة أهمها ظهور قوّة صاعدة معارضة لهم فرضت عليهم الدخول في معارك طويلة، تتمثل هذه القوة في حركة الموحدين التي استطاعت أن تشعل فتيل ثورتها في كلّ أرجاء الدّولة، حاملة نهجا جديدا يختلف عن نهج المرابطين مذهبيا وسياسيا.

لم يكن قيام دولة الموحدين شبيها بقيام دولة المرابطين إلا من قبيل اعتمادهما على مشروع اصلاحي منذ البداية، فالدّولة الموحدية ورثت بعد تغلبها على المرابطين دولة مترامية الأطراف، شملت المناطق التي كانت تحت سيطرة المرابطين اضافة إلى المناطق التي توسع فيها الموحدون، وهذا يعني أنّ المرابطين تمكنوا من تثبيت نظامهم السياسي تدريجيا، أمّا الموحدون فكانوا ملزمين على ازالة الإرث الإداري المرابطي أوّلا ثم الانتقال إلى مرحلة ترسيخ نظامهم السياسي الجديد.

قاد ثورة الموحدين رجل بربري مصمودي وهو محمد بن تومرت، الذي ينتسب إلى قبيلة هرغة المصمودية القاطنة بجبل السوس في أقصى بلاد المغرب[2]، وكانت هذه الثورة الموحدية ثورة دينية اصلاحية سياسية، اعتمدت على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[3]، وعلى فكرة المهداوية[4]، ووضعت مسألة القضاء على دولة المرابطين أحد أسمى أهدافها[5]، وقد أطلق ابن تومرت اسم الموحدين على جماعته لأنّ مذهب التّوحيد كان أساسا رئيسيا في عقيدته[6].

---

[1]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص90.

[2]- ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص4.

[3]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص197، **البيدق**، أخبار المهدي بن تومرت، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، دت، ص51، عبد الله علي علاّم، المرجع السابق، ص 84 ، 86.

[4]- **ابن تومرت**، أعز مايطلب، تقديم: عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، دت، ص254 ، 252 ، 251، 249.

[5]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص 211.

[6]- عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص 20.

بدأ ابن تومرت تنظيم أجهزة الدّولة بعد بيعته، وقبل قيام دولته[1]، حيث استطاع وضع الأسس المذهبية التي يجب أن تسير عليها[2]، ومن أبرزها عدم معارضة القرارات التي تصدر عن المهدي[3] لأنّها غير قابلة للنقاش فلايجوز في حقه الخطأ بصفته مهديا، ولأنّه كان ينعت بالمعصوم[4]، أمّا أصحابه فقد عمد ابن تومرت خلال نشره لدعوته على تنظيمهم في نظام إداري محكم، على قمّة هذا التنظيم هيئة العشرة أو الجماعة[5]، وهم المهاجرون الذين أسرعوا إلى إجابته[6]، ثمّ يتبعهم أهل الخمسين الذين رتّبهم ابن تومرت حسب اسبقيتهم في البيعة[7]، ويليهم أهل السّبعين[8].

وهكذا يلاحظ أنّ المهدي اعتمد نظاما هرميا في إدارة الدعوة الموحدية يأتي هو نفسه على قمة هذا الهرم، حيث يملك سلطات مطلقة، ثمّ تأتي أهل الجماعة الذين كانوا بمثابة الوزراء للمهدي[9]، فهم أهل

---

[1]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص188 ، 337، ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص 576، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص113.

[2]- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 137.

[3]- ذكر المؤرخون تواريخ مختلفة لاعلان ابن تومرت المهداوية، تتراوح مابين سنة 514هـ/1120م، وسنة 516هـ/1122م، ، ولعلّ الاختلاف في التاريخ راجع إلى الخلط بين تاريخ اعلان المهدية، وتاريخ التسمي بها، وبالمقارنة بين مختلف الروايات يبدوا أنّ السنة الراجحة هي سنة 515هـ، وتحديدا يوم الجمعة 13 من شهر رمضان لبركة الشهر و اليوم، ابن القطان، المصدر السابق، ص 74، ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص123، ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص505.

[4]- محمد زنيبر، المرجع السابق، ص127-128.

[5]- ذكر هؤلاء العشرة ابن القطان، المصدر السابق، ص77، وذكرهم كذلك مع بعض الاختلاف البيدق، أخبار المهدي، ص64 ، 65، وابن أبي زرع، ص123، والزركشي، تاريخ الدولتين، ص6.

[6]- تميز العشرة أهل الجماعة بالعلم وبالقدرة القيادية، وبالبذل، وبالتضحية، الأمر الذي يؤكد أنّ اختيارهم كان نتيجة فحص كبير وتدقيق تام، ومعظمهم ممن صحب ابن تومرت قبل اعلان المهدية، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص188، 337، ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص 576، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص113.

[7]-كان تكوين أهل الخمسين على مراحل، وممّا يدعم هذا الرأي أنّ أهل الخمسين يمثلون قبائل الموحدين الست التي انبنى عليها الأمر، فلم تُوحّد قبائل الموحدين في وقت واحد، فقد دخلت قبائل هرغة، وكدميوة، وكنفيسة، وقبائل أهل تينمل، وهنتاتة الدعوة الموحدية في فترة واحدة، بينما تأخرت قبيلة هسكورة إلى عهد عبد المؤمن بن علي، وانضمت صنهاجة الجبل عام 529هـ/1135م، ابن القطان، المصدر السابق، ص28، 76، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص470، ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص 576، 578.

[8]- عبد الله علي علام، المرجع السابق، ص 169.

[9]- **عز الدين عمر أحمد موسى**، تنظيمات الموحدين ونظمهم في المغرب، رسالة مقدمة الى دائرة التاريخ في الجامعة الأمريكية في بيروت لاتمام المطلوب للحصول على درجة أستاذ في الآداب، بيروت، فبراير 1969م، ص81 ، ابن القطان، المصدر السابق، ص73.

ثقته ومشورته في الأمور العظام[1]، وقد توّلوا تنفيذ القرارات المختلفة من عسكرية، قضائية، واقتصادية[2]، فكانوا بمثابة مجلس خاص وجهاز تنفيدي، يتكون من أهم الرجال وأقربهم إلى المهدي مثل عبد المؤمن بن علي، وعمر إنتي، وعبد الواحد الونشريسي، وغيرهم[3]، وكان هناك أيضا جماعة الخمسين، التي كانت عبارة عن مجلس استشاري يضم ممثلين عن القبائل الموحدية، تجمع الروايات على أنّ هذه الهيئة الاستشارية هي المجلس الثابت الدائم الاجتماع[4]، أمّا قبائل الموحدين التي كانت ممثلة في المجلس هي: هرغة، وأهل تينملل، وهنتاتة وكوميوية، وكنفيسة وصنهاجة والقبائل وهسكورة[5]، ويؤكد صاحب روض القرطاس أنّ هذه القبائل كانوا أصحاب مشورة المهدي[6]، وأنّ استشارتهم جعلتهم أكثر ارتباطا بصاحب الدّعوة، فسمعت منه وأطاعت له، وهو مايدّل على أنّ ابن تومرت كان عالما بظروف بيئته القبلية ومن هذا العلم أسس تنظيماته[7]، وتضيف بعض المصادر جماعة السبعين الذين انتظموا في مجلس يتكون من سبعين رجلا يبدوا أنّه كان يضم زيادة على الخمسين السابقين عشرين من ممثلي القبائل الأخرى[8].

إنّ التنظيم الموحدي كما تصوّره ابن تومرت يلوح لأوّل وهلة وكأنّه مقتبس من بعض التّقاليد السياسية والاجتماعية الجارية عند البربر، فنجد فيه الجماعة المستوحاة من نظام مجالس الأعيان الذي كان سائدا في المنطقة الجبلية البربرية قبل توحيدها على يد يوسف بن تاشفين[9]، ولكن المهدي، في الواقع اتخذ كذلك من الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة له ويظهر ذلك من خلال اشتقاق هذا التّنظيم من نظام الشورى الذي عمل به الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين[10]، كما يظهر ابن تومرت تشبها بسيرة

---

[1]- ابن القطان، المصدر السابق، ص73، ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص 576، مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص88.

[2]- تولى البشير، وعبد المؤمن، وعمر أصناج، وموسى بن تمارا القيادة العسكرية، وسليمان الحضرمي الكتابة، واسماعيل الهزرجي القضاء، وموسى ابن تمارا أمانة الجماعة، ومحمد بن سليمان الإمامة في الفرائض عن إذن المهدي، البيدق، المصدر السابق، ص33، 75، 117.

[3]- محمد زنيبر، المرجع السابق، ص127.

[4]- عز الدين عمر أحمد موسى، المرجع السابق، ص 81.

[5]- عز الدين عمر أحمد موسى، المرجع نفسه، ص 85.

[6]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص114.

[7]- عز الدين عمر أحمد موسى، المرجع نفسه، ص89.

[8]- ذكره ابن القطان في نظم الجمان، ص29، وابن الأثير في الكامل، ج8، ص298، كما ذكره صاحب الحلل، ص57 ،79.

[9]- عبد الله علي علام، المرجع السابق، ص 169، محمد زنيبر، المرجع السابق، ص128.

[10]- عبد الله علي علام، المرجع نفسه، ص 169 ، 170.

النبي صلى الله عليه وسلم، "فكما أنّ العشرة الذين يذكرهم عبد المؤمن والذين نجدهم فيما بعد يتحرون نوعا من التشبه بالعشرة المبشرين بالجنة، فكذلك نجد عددا من الظواهر والإشارات في سيرة ابن تومرت التي تبين من جانبه أو من جانب أتباعه نوعا من الاقتداء بالرسول، وهكذا سميت حروبه مغازي وجرت بيعته المشار إليها آنفا تحت شجرة مثل بيعة الرضوان، وسمي التجاؤه إلى تينمل هجرة وأهل تينمل يمكن مقارنتهم بالصحابة"[1]، ولم يكن نظام الشورى الذي اعتمدته دولة الموحدين شبيها بنظام شورى المرابطين ويظهر الاختلاف في طبيعة المشاورين، حيث اعتمد الموحدون على طبقات بعينها يستشيرونها[2]، وتختلف الهيئة المستشارة على حسب أهمية الأمور المطروحة للاستشارة[3].

احتل عبد المؤمن بن علي مكانة سامية في مجلس العشرة حيث كان يسميه المهدي صاحب الوقت[4]، وبسبب هذه المنزلة عهد ابن تومرت إلى عبد المؤمن بن علي أن يكون خلفا له في قيادة الموحدين[5]، حيث جمع أهل الجماعة وأهل الخمسين وذلك قبل وفاته، وأخبرهم باختياره لعبد المؤمن خلفا له[6]، وبرغم ذلك بويع عبد المؤمن بيعتان بيعة خاصّة وبيعة عامّة، أمّا البيعة الخاصّة فكانت بعد وفاة ابن تومرت سنة 524هـ/1129م[7]، واقتصرت على أهل الجماعة[8] ، وكان اختيار عبد المؤمن من قبلهم تنفيذا لوصية ابن تومرت، علما أنّ عبد المؤمن لم تكن له قبيلة بالمغرب الأقصى يستند عليها أمّا الأخرين من أهل الجماعة فكانوا ينتمون إلى قبائل كبيرة بالمغرب الأقصى[9]، وعقب البيعة الخاصّة بدأ عبد المؤمن بدعم مكانته، خاصّة

---

[1]- محمد زنيبر، المرجع السابق، ص128.

[2]- ينظر: مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 109، ابن القطان، المصدر السابق، ص79، عبد الله علي علام، المرجع السابق، ص173 ، 174.

[3]- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص138.

[4]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 63،

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص229، ابن فضل الله العمري، المصدر السابق،ج3، ق1، ص132، ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص298.

[6]- أورد عبدد الواحد المركشي مسألة اختيار بن تومرت لعبد المؤمن خلفا له، وذكر الأسباب التي حملته على ذلك، المعجب، ص195، 196.

[7]- ابن القطان، المصدر السابق، ص168، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ج2، ص132، مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص107.

[8]- لم يبق من أهل الجماعة بعد معركة البحيرة سوى: عبد المؤمن بن علي، أبو حفص عمر بن علي، أبو ابراهيم، أبو حفص بن يحي، وعبد الله بن ملوية أمّا البقية فقد قتلوا جميعا، حسن علي حسن، المرجع السابق.

[9]- حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ص220.

من خلال كسب ودّ قبيلة هنتاتة أعظم قبائل مصمودة بمصاهرة شيخها أبي حفص[1]، وفي سنة تلقى عبد المؤمن بيعة عامّة، وكانت البيعة ثلاثة أيام متتالية[2]. وكما استعمل ابن تومرت الحيلة والدهاء في سبيل دعم مكانته الروحية والسياسية، فإنّ خليفته عبد المؤمن لجأ أيضا إلى الحيلة، وذلك حتّى يسيطر على قلوب المجتمعين، وبرغم ذلك فقد عرف عبد المؤمن بن علي معارضة في تولية رئاسة الموحدين من بعض رجال الموحدين[3]، ونتيجة لذلك عمد على استقدام قبيلته كومية من المغرب الأوسط حتى تكون سندا له ضدّ من يطمع في منصب الخلافة وتأمين مستقبل أبنائه من بعده، وهكذا تمكن عبد المؤمن بن علي بما أوتي من صفات تؤهله لمنصب الزعامة، وبما اتخذه من وسائل أن يمكن لنفسه كأوّل خلفاء الموحدين، وأن يورث هذا المنصب لأبنائه من بعده بحيث انحصر هذا المنصب في بني عبد المؤمن طيلة عمر دولة الموحدين[4]، لكنّه ظلّ وفيّا للنظام الذي ابتدعه المهدي بن تومرت.

والجدير بالذكر أنّ الموحدين اعتمدوا كذلك على اطلاق الألقاب على أنفسهم، فقد أطلق ابن تومرت لقب أمير المؤمنين على خليفته من بعده عبد المؤمن بن علي وذلك حين وجه ابن تومرت جنود الموحدين وعلى رأسهم عبد المؤمن بن علي لقتال المرابطين[5]، وصار لقب أمير المؤمنين خاصا بعبد المؤمن بن علي بعد مبايعته المبايعة العامة سنة 527هـ/1132م، وبجانب لقب أمير المؤمنين فإنّ خلفاء الموحدين أطلقوا على أنفسهم لقب خليفة، وقد لقب عبد المؤمن نفسه بهذا اللقب وذلك حين توافد عليه الشعراء يمدحونه في جبل الفتح سنة 555هـ/1160م، وبذلك اختلف كل من المرابطين والموحدين في مسألة اتخاذ الألقاب، فمنهم من تسمى بأمير المسلمين، كما حدث مع المرابطين ومنهم من تلّقب بألقاب الخلافة كما حدث مع الموحدين[6].

2) دور الأندلسيين في بناء الدولة المرابطية

اعتمد المرابطون على كثير من الشخصيات الأندلسية الخبيرة التي قدّمت العون اللاّزم لهم في تنظيم

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص127، **أحمد شلبي**، التّاريخ الاسلامي، (موسوعة التاريخ و الحضارة الإسلامية، ج4، مكتبة النّهضة المصرية، 1999م، ص187،ط3، سنة 69.

[2]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 66.

[3]- حسن علي حسن، المرجع نفسه، ص 66.

[4]- حسن علي حسن، المرجع نفسه، ص 67 ، 68.

[5]- حسن علي حسن، المرجع نفسه، ص 80.

[6]- حسن علي حسن، المرجع نفسه، ص 81.

دولتهم وتسيير شؤونها المختلفة، ونعني بها طبقة الكتاب والوزراء والقضاة الأندلسيين الذين توافدوا على البلاط المرابطي بمراكش باستدعاء من الأمير يوسف بن تاشفين، "وانقطع إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين من الجزيرة من أهل كل علم فحوله...واجتمع له ولابنه من بعده من أعيان الكتّاب ما لم يتفق اجتماعه في عصر من العصور"[1]، ويعبر عبد الواحد المراكشي في موضع أخر في هذا الصدد، عن كثرة عدد كتاب الأندلس في عهد أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين بقوله:"ولم يزل أمير المسلمين من أوّل إمارته يستدعي أعيان الكتاب من جزيرة الأندلس وصرف عنايته لذلك حتى اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك"[2].

لقد استكتب المرابطون في بداية حياتهم السّياسية كتابا أندلسسين تذكر بعض المصادر التّاريخية[3]، وبعض كتب التراجم[4]، أنّ عبد الرحمن بن أسباط كان أوّل من كتب لهم، وهو من ألمرية ولايعرف تاريخ محدد لاتحاقه بهم، ولكنّه ذكر في أخبار مراسلات يوسف بن تاشفين إلى ملوك الطوائف، كما ذكر أيضا في المشورة التي استنصحه فيها يوسف بن تاشفين، وهو يرد على مكاتبات بعض الملوك، حيث أشار عليه بحيازة مرفإ الجزيرة الخضراء، ليكون مأمنا للجيوش ومركزا للتموين"[5]، ومن المرجح أنّه التحق بخدمة البلاط المرابطي في سنة 472هـ[6] /1079م، ثمّ استكتبوا عددا كبيرا من الكتّاب الأندلسيين، من أبرزهم الكاتب أبي بكر بن القصيرة[7]، ابن الجد[8]، وابن عبدون[9]، وأبناء القبطرنة[10]، وابنا أبي الخصال"محمد، وعبد الملك"[1]، كما

---

[1] – **أحمد بلفريج، عبد الجليل خليفة**، الأدب الأندلسي، ج1، مطبعة الوحدة المغربية، تطوان، 1941م، ص71، 72.

[2] – عبد المراكشي، المصدر السابق، ص 173.

[3] – مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 49.

[4] – لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ج3، ص 523.

[5] – مؤلف مجهول، المصدر السابق ، ص 49

[6] – مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 32.

[7] – كان من كتّاب بني عياد، ومن بين الذين عبروا إلى المغرب لطلب نجدة المرابطين، استدعاه يوسف للكتابة ، فكان كاتبا ، بليغا مبدعا، ينظر: **الفتح بن خاقان**، قلائد العقبان ومحاسن الأعيان، تح: حسين يوسف خريوش، ط1، مكتبة المنار، الأردن، 1409هـ-1989م، ص 305.

[8] – كاتب ولغوي وشاعر، ماهر في كتاب سيبيويه، وفهم أغراضه وغوامضه قصد مدينة لبلة عندما ابتدأت الفتنة بين المرابطين والموحدين، ولكنه أخرج منها وقتل سنة 550هـ، **يوسف فرحات**، معجم الحضارة الأندلسيّة، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 2000، ص 120.

[9] – الفتح ابن خاقان، المصدر السابق، ص 151، 152 .

[10] – وهم أبو بكر بن عبد العزيز البطليوسي، وأخواه أبو الحسن وأبو محمد، كانوا من أهل بطليوس، ومن كتّاب دولة بني الأفطس، وكان

في مرحلة لاحقة ابن الصائغ، وابن زهر، وابن عبد الغفور، وابن خاقان وأخيل ابن باديس[2].

ومن أعلام الكتاب الأندلسيين الذين استخدمهم المرابطون كذلك : يحي بن همام السرقسطي، وطلحة بن عبد العزيز بن سعيد البطلوسي، وأحمد بن أبي جعفر بن محمد القضاعي، وعبد المجيد بن عبدون، وعبد الرحمن بن جعفر بن أحمد المعافري، وعلي بن عبد العزيز بن الإمام الأنصاري، ويحي بن محمد بن يوسف الأنصاري ويكنى أبو بكر بن الصيرفي، ومحمد بن أحمد بن محمد بن ابراهيم المعروف بابن السقاط، وأبو جعفر أحمد بن عطية القضاعي[3].فما السر الذي كان وراء هذا الحشد الهائل من مشاهير الكتاب؟

لقد كان اعتماد المرابطين على معاونة الكتّاب الذين أطلق عليهم لقب وزراء تعظيما، والمستخدمين من الأندلس في ديوان المغرب، وذلك لما امتازوا به من المواهب ولما كان لأعمال الوزارة من التقاليد المألوفة[4]، فقد كان هؤلاء بمثابة الخبراء الذين سبق لهم أن مارسوا تجارب إدارية ناجحة في بلاطات ملوك الطوائف التي كانوا يشتغلون بها، إذ كان أكثر هؤلاء الكتاب من رجال الأدب والسياسة في الأندلس، الذين عملوا في ديوان أمراء الطوائف، والذين دخلوا في خدمة أمير المسلمين وكانوا محل استشارة ولاة الأمر[5].

وكان أكثر هؤلاء قد اطّلعوا على الأسرار الخّفية التيّ لم يكن في ميسور أهل المغرب الإطلاع عليها، وبعد سقوط ملوك الطوائف تفرق هؤلاء وهاجروا نحو المغرب، ودخلوا في خدمة أمراء المرابطين، وبدأ هؤلاء يغمرونهم بعطاياهم ويسبغون عليهم حمايتهم، بسبب حاجتهم إلى طائفة مثقفة تفهم لغة الوفود وتجيد فنّ القول[6]، وعلى دراية بأحوال نصارى الأندلس[7]، وقد وجد الأمير يوسف بن تاشفين وخلفاؤه في

جميعهم من أكابر الكتاب والشعراء، ينظر: محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص 440.

[1]- محمد بن مسعود بن فرج، ولد بالأندلس، ونشأ بقرطبة، كان من أنبه وأكبر الكتّاب مكانة لدى عليّ بن يوسف وهو أحد من أنهى إليه علم الأداب، وهو من كتّاب النتر في المغرب، تقلد منصب الكتابة في عهد المرابطين، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 173، ابن خاقان، المصدر السابق، ص 182، ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، م2، ص 784 .

[2]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق ، ص 164،173.

[3] - ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج2، ص 219.

[4]- عبد الحميد حسين أحمد السامرائي، المرجع السابق، ص168.

[5]- عبد الحميد حسين أحمد السامرائي، المرجع نفسه، ص190.

[6]-حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 260.

[7]- **المؤرخ المصري،** أثر الأندلس الحضاري في مجال الإدارة على المغرب في عصري المرابطين و الموحدين ، دراسات وبحوث في التاريخ و

الأندلس معينا لاينضب من هؤلاء الكتّاب، الذين تألق نجمهم في سماء الأدب، وشهد النّاس لهم بالبلاغة والفصاحة، وكانت وفود هؤلاء الكّتاب تعبر البحر إلى العدوة المغربية، كما كان يصحبهم الأمراء عندما ينقلون إلى المغرب[1].

كان أوّل هؤلاء الكتّاب كما أسلفنا الذكر عبد الرحمن بن أسباط[2]،كما اتخذ يوسف بن تاشفين وزيرا كاتبا، وهو الوزير أبو محمد عبد الغفور، الذي كان من أهم أعماله كتابة نصّ ولاية العهد، باسم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين لابنه عليّ بن تاشفين[3]، أمّا أبرز هؤلاء الكتّاب على الاطلاق فهو أبو بكر محمد بن سليمان الكلاعي الإشبيلي، المعروف بابن القصيرة[4]، الذي كان من أهم كتاب ملوك الطوائف[5]، استدعاءه يوسف بن تاشفين بسبب حاجتة للرد على كتاب وارد من صاحب مصر، فاستعرض يوسف بن تاشفين مع خاصته أسماء مشاهير الكتّاب، ممن يكون أهلا وكفئا للقيام بهذه المهمة الجليلة، حتى يباهي به كتاب مصر، ويفحمهم، فكان ذوا الوزارتين ابن القصيرة في طليعة من ذكر له[6]، ظلّ ابن القصييرة بعدها في ركب يوسف بن تاشفين يشرف على دواوينه، ويراسل أنداده، ويكتب عهوده كعهد البيعة لولي عهده علي، وعهد تولية قاضي الجماعة بقرطبة، عبد الله بن حمدين[7]. وخلال قيامه بمهامه ككاتب في بلاط المرابطين استطاع ابن القصيرة تحويل بلاط عليّ بن يوسف بن تاشفين إلى بلاط أندلسي، فاجتذب إلى المغرب صفوة أدباء بلاطه، الذين توّلوا خدمة الإنشاء، فأصبح البلاط المرابطي يزخر بطائفة من الكتّاب[8]،من أهمهم، بنو

الحضارة ، يصدرها قسم التاريخ ،كلية الأداب، جامعة القاهرة ، العدد 27 ، يناير 2004م ، ص 334.

[1] – أحمد مختار العبادي ، المرجع السابق ، ص 357.

[2]– بدأ استخدام البلاط المرابطي للكتّاب الأندلسيين، منذ عهد يوسف بن تاشفين ذاته، كان عبد الرحمن بن أسباط كاتبه قبل أن يعبر إلى شبه الجزيرة ، وهوأديب أندلسي من أهل ألمرية ، توفي سنة 487هـ ، ينظر: محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص 440. حسن عليّ حسن، المرجع السابق، ص 102.

[3]– حسن عليّ حسن، المرجع السابق، ص 102.

[4]– للتفصيل حول سيرة "ابن القصيرة" ينظر : في الفصل الثاني من هذا البحث، ص81 ومابعدها.

[5]– ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، م2، ص99.

[6]– ابن بسام الشنتريني، المصدر نفسه، م2، ص100.

[7]– **العباس بن ابراهيم السّملالي**، الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، مراجعة، عبد الوهاب بن منصور، ج2، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1414هـ-1993م، ص351.

[8]– محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص 439.

القبطرنة، ابن عبدون، ابن الجدّ، ابن أبي الخصال، ابن الصيرفي[1]، وابن عطيّة[2]، كما كان منهم مالك بن وهيب الإشبيلي[3]، الّذي نال حظا كبيرا من العلم والمعرفة في معاهد قرطبة وإشبيليّة، وبلنسية، وغيرها من العواصم الأندلسية وزيرا لبن يوسف[4].

كما استكتب عمال المرابطين على الأقاليم المغربية والأندلسية كذلك كتابا أخرين، تتفاوت درجاتهم وأهميتهم بحسب أهمية الأمير وإقليمه الذي يحكمه، وبحسب الدور الذي كانوا يقومون به داخل هذا البلاط، بين الوقوف عند حدود الكتابة المعروفة عند أصحاب الخطط، وبين تجاوز حدود ذلك، فقد أسندت إلى بعضهم مهمات خارجية كالاشراف على أعمال صيانة أسوار بعض المدن ،والحصون، أو الاشراف على أقاليم بعينها، أو الاشراف على بعض الأمراء ومساعدتهم على تحصيل المعارف[5]،كالوزير أبي محمد بن مالك الذي كلف من قبل أمير المسلمين من بتفقد أحوال الشرق الأندلسي وسد خلله، والإشراف على الولاة وقواد الجيوش أو تدبير أمور الدفاع عن الثغر كما أشار إلى ذلك ابن خاقان[6].

كان هؤلاء الكتّاب والوزراء والمستشارين صفقة ناجحة بالنسبة للدّولة المرابطية، وكانوا ولاشك وراء التحوّل الذي أصاب شؤون التسيير والتدبير التي عرفتها أمورها والتي يمكن حصرها في إخضاع تنظيم الدّولة

---

[1]– هو أبو زكريا يحي بن يوسف الأنصاري الغرناطي صاحب كتاب الأنوار الجليلة في أخبار الدّولة المرابطية ". يكنى بأبا بكر ، ويعرف بابن الصيرفي ،كان من الكتّاب المجيدين و الشعراء المطبوعين ،كتب بغرناطة عن الأمير تاشفين بن عليّ ، ينظر محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ج3، 443.

[2] –كان قاضي مدينة غرناطة زمن المرابطين، وكان من شعراء العصر المعروفين، توفي سنة 541هـ، يوسف فرحات، المرجع السابق، 125.

[4]– شاعر من أهل اشبيلية كان يعتبر فيلسوف المغرب استدعاه أمير المسلمين عليّ بن تاشفين على حضرة مراكش وصيّره جليسه، يوسف فرحات، المرجع نفسه، ص129.

[5] – حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 94.

[5]– إنّ الكاتب في الأندلس كان على صورتين: كاتب الرسائل، وهو "دولة حظ في القلوب عند أهل الأندلس، وأشرف أسمائه الكاتب، وبهذه السمة يخططه من يعظمه في رسالة، وأهل الأندلس كثيروا الانتقاد على صاحب هذه السمة، لايكادون يغفلون عن عثراته لحظة"..." والكاتب الثاني وهو كاتب الزمام، والمقصود به كاتب العقود الشرعية بين سائر النّاس، :"لايكون بالأندلس ولا بر العدوة لانصرانيا ولايهوديا البتة..." ومن الممكن أن يكون كاتب الرسائل قريبا من السلطان مجالسا له فيصبح بذلك وزيرا حسب المفهوم الأندلسي، إذ الوزير لقب لكل من يجالس الملوك ويختص بهم"، وصار الوزير الذي ينوب عن الملك يعرف بذي الوزارتين، وأكثر مايكون فاضلا في علم الأدب، وقد لايكون كذلك، بل عالما بأمور الملك خاصّة"، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج1، ص 216-217، عبد المالك الشامي، المرجع السابق، ص124.

[6]– ابن خاقان، المصدر السابق، ص410.

المرابطية إلى مواصفات الدوّل العصرية بالمفهوم الوقتي أنذاك، وتحويلها من دولة عسكرية إلى دولة مدنية تعتمد خطط الدوّل، كتوّلي العهد، وتعيين القضاة، وقضاة القضاة، وتوّلي الوّلاة، وأصحاب الشّرطة، وأصحاب الحسبة، وأصحاب أحكام السوق، وغير ذلك من المناصب المتعددّة التي عرفتها الدوّل السابقة في التّمدن، وهي خطط استفادتها ولاشك من مشورات الوزراء الأندلسيين ومن في حكمهم ممن كان يجالس الأمير من أصحاب الرأي[1].

أمّا عن الأثر الذي خلّفه وجود مثل هؤلاء الخبراء: الكتاب، الوزراء والمستشارين ، فهو ماينبغي رصده من خلال البنية العامّة للدولة المرابطية خلال نشأتها، ومايمكن أن يكون قد طرأ عليها من تغيير بعد ذلك، فلاشك أنّ أي تطوّر كان وراءه هؤلاء الكتّاب الوزراء، وتصوراتهم في بناء الدّولة ودواليبها، مستفيدين من خبرتهم بناء الدّولة الأندلسية أوّلا، والدّولة الاسلامية قبل ذلك[2].

كانت أهم مظاهر العصرنة التي أحدثها تواجد هؤلاء الأندلسيين هو اتخاذ الدّولة المرابطية للدّواويين،[3]، في عهد يوسف بن تاشفين الذي كان أوّل من دوّن الدّواويين سنة 464 هـ[4]/1071م، يقول ابن عذارى المراكشي:"فدوّن يوسف الدواوين ورتب الأجناد وطاعته البلاد"[5]، ومن هذه الدّواويين، ديوان الرسائل أو الإنشاء الذي كان يرأسه كاتب[6]، وتطوّر هذا النّظام وأصبحت معالمه واضحة واختصاصته محدّدة في عهد خلفاء يوسف بن تاشفين، خاصّة في عهد علي بن يوسف على وجه التّحديد[7]، وطبيعي أن تكون هذه الدواوين على نفس النمط المعمول به في العدوة الأندلسية مادام رؤساء هذه الدّواوين كانوا من

[1]- عبد المالك الشامي، المرجع السابق، ص121.

[2]- عبد المالك الشامي، المرجع نفسه، ص119.

[3]- حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 270.

[4]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص 23.

[5] - ابن عذاى المراكشي، المصدر نفسه، ج4، ص23.

[6]- حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ج4، ص 164. - 331.

[7]- **ابن خير الأموي الإشبيلي**، فهرسة ابن خير، تح: ابراهيم الأبياري، ج2، ط1، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، 1410هـ/1989م، ص 450، ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ص 333، **الفتح بن خاقان**، مطمح الأنفس ومسرح التآنس، تح: محمد عليّ شوابكة، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1403هـ/1983م، ص 106، **البيدق**، المصدر السابق، ص 67.

الأندلس[1].

كما أصبحت الوزارة أكثر وضوحا، فنرى المراكشي يفرد عنوانا باسم "وزارة ابن عبدون"[2] حينما استدعي من الأندلس للخدمة في ديوان المرابطين[3]، حيث اتخذ المرابطون الوزراء الكتاب المركزيين في العاصمة مراكش، كما اتخذ أمراء الأقاليم لأنفسهم الكتاب لمعاونتهم في الأعمال الادارية، وكان معظم هؤلاء الوزراء الإقليميون من الأندلسيين فقد اتخذ سير بن أبي بكر الذي ولي أشبيلية الكاتب ابن عبدون الذي ظل يكتب له إلى أن استدعاه يوسف بن تاشفين ليتولى مهمة الكتابة في مراكش[4].

اقتبس المرابطون من ملوك الطوائف كذلك نظام الوزارة والكتابة ،وجعل على رأسهما ابن القصيرة، واقتبسوا منهم كذلك نظام القضاء[5]، حيث أسندوا مهمة القضاء لكثير من الأندلسيين[6] الذين وقع على عاتقهم ترسيخ هذا النّظام في بلاد المغرب[7].أمّا أهم دليل على أثر الأندلسيين في بناء النّظام السياسي المرابطي، فهي تلك النّصوص التشريعية التي كتبت بأقلام أندلسية، وصدرت عن أمير المسلمين وابنه علي بعده[8].

[1] – **محمد عادل عبد العزيز**، الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية، دار غريب للطباعة والتوزيع والنشر، د ت، ص 62.

[2] – عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، 164.

[3] – عبد الواحد المراكشي، المصدر نفسه، 164، عبد الحميد حسين أحمد السامرائي، المرجع السابق، ص 168 .

[4] – عبد الواحد المراكشي، المصدر نفسه، ص87، ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص 175، المؤرخ المصري، المرجع السابق، ص 136.

[5] – **آسية الهاشمي البلغيثي**، ذو الوزارتين وزير المعتمد بن عباد ووزير يوسف بن تاشفين، حياته وأدبه، مكتبة الحرف المعتدل، سلا، 1419هـ-1998م، ص53.

[6] – حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 164.

[7] – ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ص 217.

Terrasse Henri, Histoire du Maroc des origines à l'établissement du protectorat français,edition Atlandides, csablanca, 1949-1950, p309.

[8] – عبد المالك الشامي، المرجع السابق، ص121.

3) مساهمة الأندلسيين في بناء النّظام السياسي الموحدي

على خلاف المرابطين الذين كانت نظمهم السياسية والإدارية تحمل طابعا عسكريا فإنّ النّظم الموحدية كانت تميل إلى الطّابع المدني[1]، فقد ابتدع ابن تومرت داعية الموحدين تنظيما إداريا، وأشرك في هذا التنظيم عدد كبير من زعماء القبائل، لتحقيق الدعم والمساندة للدعوة الموحدية، وقد قسمهم إلى عدّة طبقات[2] منهم طبقة العشرة، وهم بمثابة وزراء ابن تومرت[3]، وكانت هذه الطبقة تختص بمهام القيادة، وكان منهم عبد المؤمن بن علي خليفة الموحدين فيما بعد[4]، الذي انتظمت على يده إدارة الحكم بصورتها التقليدية، فقد اتخذ هو وأبناؤه من بعده الوزراء لمعاونتهم في إدارة شؤون البلاد، وأصبح للخليفة وزير أو أكثر يتوّلى أعباء الحكم والإدارة بإمرة الخليفة [5].

ولم تنحصر الوزارة في جماعة العشرة بل تنوعت شخصياتهم[6]، ومهما كان انتماء الوزير فإنّه كان "من سمو الهمّة بحيث يجلوا الظلام العاكر ويخجل الوسمي الباكر"[7] في معاونة حكام الدّولة على تسيير دفة الحكم ورعاية شؤون البلاد، بحسبانه الشخص المقرب الذي يحضر مجلسه[8]، يقول ابن خلدون:"ولما جاءت دولة الموحدين لم تستكمل فيها الحضارة الدّاعية إلى انتحال الألقاب وتمييز الخطط وتعيينها بالأسماء إلا أخيرا ، فلم يكن عندهم من الرتب إلا الوزير، فكانوا أوّلا يخصّون بهذا الاسم الكاتب المتصرف في الحساب والأشغال المالية، ثمّ صار بعد ذلك اسم الوزير لأهل نسب الدّولة من الموحدين كابن جامع وغيره"[9].

تعود أصول أسرة بني جامع التي ذكرها ابن خلدون إلى الأندلس، توّلى أبناؤها منصب الوزارة منذ عهد عبد المؤمن، ومن هؤلاء الوزراء الذين وزروا للخلفاء الموحدين، أبو العلاء ادريس بن ابراهيم بن جامع وزير الخليفة أبي يعقوب بوسف بن عبد المؤمن(558هـ-580هـ)، وكان والده ابراهيم بن جامع من مدينة

---

[1]- خليل ابراهيم السامرائي، عبد الواحد ذنون طه وأخرون، المرجع السابق، ص 380.

[2]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 95 ، 96.

[3]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 96.

[4]- حسن علي حسن، المرجع نفسه، ص 96.

[5]- عبد الحميد حسين أحمد السامرائي، المرجع السابق، ص 164.

[6]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 96- 99.

[7]- الفتح بن خاقان، قلائد العقيان، ص343.

[8]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص362 .

[9]- **عبد الرحمن بن خلدون**، مقدمة ابن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007، ص200 ، 201.**السيد عبد العزيز سالم**، النّظم الإسلامية بالأندلس، دائرة معارف الشعب، مطابع الشعب، 1959، ص220.

شريس الأندلسية وكان من أعوان ابن تومرت[1]ومن جماعة الخمسين[2]، وأصبح لأبي العلاء مكانة مرموقة في البلاط الموحدي[3]، في عهد الخليفة الناصر الموحدي توّلى أبو سعيد عثمان بن عبد الله بن ابراهيم بن جامع الوزارة كذلك[4] وبذلك شغل أفراد أسرة بني جامع الوزارة منذ عهد عبد المؤمن[5]، ومن الأندلسيين الذين توّلوا وزارة الموحدين، الوزير أبو بكر محمد بن عبد الملك بن أبي العلاء بن زهر الأيادي (ت 595هـ) الذي كان وزيرا للخليفة يعقوب المنصور(580-595هـ)، وكان دائم التردد بين المغرب والأندلس[6].

وبذلك أظهر الموحدون عدم استغنائهم عن الخبرة الأندلسية في مجال إداة الدّولة ويظهر ذلك سواءا من خلال مشاركة بعض الشخصيات الأندلسية في الوزارة أو من خلال تأثر الدّولة الموحدية بالنظم السائدة باختيار الوزير الذي تتوفر فيه خصائص شتّى كالشجاعة والنجدة والاستماتة في حب الحاكم والتناهي في اخلاص الطاعة والنزاهة والاستقامة والديانة والسهر على القيام بشؤون الدّولة[7].

ومنذ أن قامت دولة الموحدين اتخذ حكامها الكتّاب لمعاونتهم في تسجيل المكاتبات الخاصّة بالرسائل المتنوعة على لسانهم إلى عمّال الدّولة وقوّادها وكبار موظفيها[8]، وكانت خطّة الكتابة من الخطط الهامة في الدّولة الموحدية[9]، ممّا حدا بهم إلى حشد أقطاب الكتابة الأكفاء ليكونوا لسانهم وترجمانا في مخاطبة الولاة والقبائل وعامّة النّاس سواء في المغرب أم الأندلس[10]، والدّليل على ارتقاء وظيفة الكتابة في الدولة الموحدية ذلك العدد الكبير من أئمة البلاغة والأدب والذي خدم في قصور الموحدين، بالاضافة الى تلك

---

[1]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص310، ابن الأبار، الحلة السيراء، ص239.

[2]- ابن القطان، المصدر السابق، ص32.

[3]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، 316.

[4]- ابن الأبار، المصدر السابق، ص240، **أحمد مختار العبادي**، دراسات في تاريخ المغرب، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، د ت، ص173.

[5]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 98.

[6]- خليل ابراهيم السامرائي، عبد الواحد ذنون طه وأخرون، المرجع السابق، ص 372. السلاوي الناصري، المصدر السابق، ج2 ، 179 ، 180.

[7]- **عبد الرحمن بن زيدان**، العز والصّولة في معالم نظم الدّولة، ج1، المطبعة الملكيّة، الرباط، 1381هـ-1961م، ص274، عبد الحميد حسين أحمد السامرائي، المرجع السابق، ص 174.

[8]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص231 ، حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ، ج4، ص436.

[9]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج2، ص622.

[10]- محمد عبد الله عنان، المرجع نفسه، ج2، ص622.

الرسائل التي جمعها ليفي بروفنسال تحت عنوان"مجموع رسائل موحدية من انشاء كُتاب الدولة المؤمنية"والتي تتناول أحداث الدّولة الموحدية، وهي بقلم أشهر كتاب الدولة الموحدية، وعددها سبعة وثلاثين رسالة[1].

أدّت الأندلس إحدى الأقاليم التّابعة لدولة الموحدين دورا كبيرا في تزويد السلطة العليا بالمغرب بطائفة كبيرة من الكتّاب[2]، لشغل وظيفة الكتابة فقد استخدم عبد المؤمن ميمون الهواري كاتبا له وهو من سكان قرطبة وكان أديبا فقيها [3] كما استخدم أيضا أبا الحسن بن عياش وهو من أهل قرطبة[4]، وعلى نفس السياسية سار الخليفة يوسف بن عبد المؤمن[5] حين استخدم أبا الحسن بن عياش الذي كان كاتبا لوالده من قبل[6] كذلك استخدم المنصور الموحدي، أبا عبد الله محمد بن عباس من أهل برشانة من أعمال ألمرية ببلاد الأندلس، والذي ظلّ كاتبا مدّة حكم المنصور الموحدي ثم ابنه الناصر من بعده[7]. وقد لعب هؤلاء الكتّاب دورا بارزا في دعم وظيفة الكتابة بما اكتسبوه من خبرة وثقافة ومعرفة من الأندلس[8].

اضافة إلى الكتاب المركزيين الذين استقروا بالعاصمة مراكش، اتخذ أمراء الاقاليم كذلك الكتّاب لمعونتهم في تحرير الرسائل[9]، فقد تولّى الكاتب محمد بن أحمد بن جبير بن محمد بن عبد السلام الكتاني من أهل شاطبة وظيفة الكتابة بغرناطة لأبي سعيد سعيد بن أبي محمد عبد المؤمن ثم رحل عنه وكتب لأبي سعيد عثمان بن عبد المؤمن والي سبتة[10]وكذلك الكاتب أبو الحسن بن عباس القرطبي الذي اشتغل كاتبا لأبي حفص وتوجه معه إلى تلمسان وصار في صحبته وكتابته ثم استدعاه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ليشغل

[1] – حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 113.
[2] – حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 359.
[3] – ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق ص 323، ابن القطان، المصدر السابق، 176.
[4] – ابن القطان، المصدر السابق، 176، أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 141، حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 115.
[5] – ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق ص 223.
[6] – ابن صاحب الصلاة ، المصدر نفسه ص 160، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 244.
[7] – عبد الواحد المراكشي، المصدر نفسه، ص160 ، 236.
[8] – حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 116.
[9] – حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص353.
[10] – ابن القاضي، المرجع السابق، ص172، 173.

وظيفة الكتابة لديه[1].

وسارت الدّولة الموحدية على نفس منهج الدوّل الإسلامية في إدارة البلاد فاتخذ الموحدون الدّواوين المختلفة، والتي كان في مقدمتها ديوان الإنشاء والذي يختص بالمراسيم السلطانية والرسائل الموجهة إلى الولاة والقضاة[2]، وقد حشد فيه خلفاء الموحدين نخبة ممتازة من الأدباء كان معظمهم من الأندلس الذين قاموا بكتابة رسائل الخلفاء، وكان مما يلحق بديوان الإنشاء كتب التوقيعات والظهائر وكلّ من يمهد بالعلامة[3].

كما كان ديوان الجيش الذي كان يتفرع إلى دواوين الأول، هو ديوان العسكر الذي يختص بالجند النظامي والحرب والعبيد، ووظيفته إحصاء الجند ومعرفة حاجاته المتجددة[4] وكان يرأس هذا الديوان رجل من العسكريين حيث يكون ملمّا بالشؤون العسكرية[5] ويعمل معه عدد من الموظفين لمعاونته في أعمال الديوان[6] أما الديوان الثاني فهو ديوان التمييز الذي يهتم بتنظيم المشتركين في المعارك المقبلة والتنسيق بين الكتائب المختلفة[7] وكان على رأس هذا الديوان كاتب [8] وكان لهذا الديوان السجلات التي تكتب فيها أسماء من يدخلون في الفرق التي ستحارب بعد تمييزهم أو اختبارهم الذين يقرر لهم العطاء ، وقد أورد أحمد بن القاسم في ترجمته لأبي مدين شعيب أحد المتصوفين بالمغرب ، المتوفى 594هـ/1197م قصة انضمام أبي في سجلات ديوان التمييز والتي توضح مدى نفوذ وهيمنة الأندلسيين على هذا الديوان فيقول على لسان أبي مدين شعيب :"دخلت مدينة سلا ثم مراكش فأدخلني الأندلسيون الذين كانوا بها في جملة الأجناد وكتبوني في ديوانهم فكانوا يأكلون عطائي ولا يعطون إلا القليل"[9].

وبالرغم من استعانة خلفاء الموحدين بقضاة من خريجي مدرسة الحفاظ التي أنشأها الخليف عبد

[1] – ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص73، حسن علي حسن، المرجع السابق، ص121.
[2] – محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص62 ، 63، المؤرخ المصري، المرجع السابق، ص137.
[3] – محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج2، ص 623، ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ص333.
[4] – ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق، ص 53.
[5] – محمد عبد الله عنان، المصدر السابق، ج3، ص 638.
[6] – محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص63.
[7] – ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص434.
[8] – ابن صاحب الصلاة، المصدر نفسه، ص 436.
[9] – محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص64.

المؤمن بن علي لتخريج طبقة من الموظفين الذين شغلوا مناصب الإدارة في الدولة منها وظيفة القضاء[1] إلاّ أنّه مع ذلك استعان ولاة الأمر في دولة الموحدين بعدد كبير من القضاة الأندلسيين[2]، كأبي القاسم أحمد بن محمد بن بقى قاضي الجماعة في مراكش وهو من أهل غرناطة[3] والقاضي أبا جعفر أحمد بن مضاء من أهل قرطبة والذي تولى القضاء للخليفة يوسف بن عبد المؤمن في فاس ، ثم تولّى قضاء الجماعة بحاضرة الدولة بمراكش[4] ، وأبو العباس أحمد بن محمد أحمد البكري[5] من أهل شريس وقد استوطن مدينة سلا[6] بالمغرب وتولى القضاء بها ثم انتقل إلى مكناسة لتولي القضاء بها[7] .

وأقام الموحدون نظامهم القضائي مستندين في ذلك إلى نفس النظام القضائي المتبع في الأندلس[8]كما أسندوا مهمة القضاء لكثير من الأندلسيين الذين وقع على عاتقهم ترسيخ هذا النّظام في المغرب[9]، وكان للقضاة حجاب ينظمون دخول المتخاصمين عليهم[10] كما كان لهم كتاب يقومون بكتابة مايصدره القاضي من أحكام [11] وقد كان من بين هؤلاء الكتاب أندلسيون مثل عبد الله بن ابراهيم بن عبيد الله الأنصاري من الجزيرة الخضراء، وقد استوطن مدينة سبت وكتب للقاضي أبي موسى عمران بن عمران وتوفي 570هـ /1174م[12].

وكان من الطبيعي بعدما اعتمد الموحدون على النّمط القضائي الأندلسي أن يهتموا بتوحيد

---

[1] – يوسف أشياخ، المرجع السابق، ص 52.

[2]– المؤرخ المصري، المرجع السابق، ص 139.

Terrasse Henri, op cit, p.309.

[3] – محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص66، **أبو الحسن النُباهي المالقي**، تاريخ قضاة الأندلس(المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء و الفتيا)، تح: لجنة احياء التراث العربي، ط5، منشورات داف الأفاق الجديدة، بيروت، 1403هـ-1983م، ص117.

[4] – عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص247، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص 73، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ج2، ص175.

[5]– ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج4 ، 73.

[6]– حسن علي حسن، المرجع السابق، 170.

[7] – أبو الحسن النُباهي المالقي، المصدر السابق، ج2 ، 112، حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 170.

[8] – ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ص 215.

[9] – ابراهيم حركات، المرجع نفسه، ص 217.

[10] – ابراهيم حركات، المرجع نفسه، ص217.

[11] – ابن القاضي، جذوة المقتبس، ص 113 ، 114.

[12] – ابن القاضي، المصدر السابق، ص 205.

نظامهم القضائي ليشمل العدوتين، ومن المظاهر التي تدّل على ذلك وجود بعض قضاة الأندلس من جمع بين وظيفتي القضاء بالمغرب والأندلس، ومنهم القاضي ابن رشد قاضي الأندلس حين استدعاه الخليفة عبد المؤمن ليضيف إليه قضاء المغرب بجانب قضاء الأندلس[1]، كما انتقل كثير من القضاة الأندلسيين بين المدن الأندلسية والمغربية كالقاضي أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داوود بن عبد الرحمن بن حوظ الله الأنصاري، الذي ولى القضاء باشبيلية، وميورقة، ومرسية، وقرطبة بالأندلس ثم ولي القضاء بسبتة وسلا ثم عاد إلى مرسية وتوفي بغرناطة سنة 612هـ/1215م[2]، والقاضي أبو موسى عيسى بن عمران بن دافال الوردميشي ولي القضاء باشبيلية ثم بمراكش وتوفي سنة 578هـ/1182م[3] .

وارتبط نظام القضاء بوظيفة الحسبة، وهي من الوظائف الدّينية المهمّة لأنّها أساس إقرار العدل بين النّاس[4]، وكان لوظيفة الحسبة عند الموحدين أهيمة خاصة، ويظهر أنّه كان يرأس المجموعة التي كان يقف معها في التّشريفة، ثم يأتي بعده بقية الموظفين، وأوّلهم على الترتيب صاحب السكة ثم رجال الجيش، ثم المؤذنون، ثم الطلبة ثم أهل الحزب(الحفاظ)، ثم الرماة وأخيرا العبيد[5]، وبلغ من اهتمام الموحدين بتلك الوظيفة بأن المنصور الموحدي أمر أن يدخل عليه أمناء السوق وأشياخ الحضر بتلك الوظيفة في كل شهر مرتين يسألهم عن أسواقهم وأسعارهم وحكّامهم[6].

وبالرغم من اهتمام الموحدين بخطة الحسبة في المغرب، فإنّ اصحاب السوق في المغرب في تلك الفترة اعتمدوا فيما يبدوا على المؤلفات الأندلسية لأنّه لم يعثر حتى الآن على أي كتاب للحسبة من تأليف أحد المغاربة، وربما يعود ذلك أنّ الحسبة كانت في الأندلس في تلك الفترة تمثل عهدها الذهبي، لذلك كان أغلب من تولّى الحسبة في المغرب في ذلك العهد من الأندلسيين[7]، ومن أشهر رجال الحسبة في دولة الموحدين بالأندلس: عبد المنعم محمد الخزرجي الغرناطي ت 597هـ/1201م الذي اشتهر بين الناس بابن

[1] – حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق،ج4، ص166.
[2] – أبو الحسن النُباهي المالقي، المصدر السابق، ص 112، ابن ابي زرع، المصدر السابق، 175.
[3] – ابن القاضي، المصدر السابق، ص 157.
[4] – حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 176 .
[5] – عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص188 ، 329.
[6] – عبد الواحد المراكشي، المصدر نفسه، ص 285.
[7] – المؤرخ المصري، المرجع السابق، ص 143.

الفرس، وقد ولى خطة القضاء في عدة مدن منها شقرة وجيان ووادي آش ، وغرناطة ، وجميع له النّظر في الحسبة والشرطة[1]، ومن أشهر الأندلسيين الذين تولّوا الحسبة في مراكش الشاعر ميمون بن علي بن عبد الحق أو عبد الخالق[2].

إنّ اعتماد الموحدين على هذا العدد الهائل من الكتّاب الأندلسيين، خاصّة منهم المتفوقين، وذوي الكفاءات، يحمل الكثير من الدّلالات، لعلّ أبرزها هي اعتماد المرابطين الشديد على الإرث الحضاري الأندلسي في مجال إدارة الدّولة، وهو ماضمن حماية هذا الإرث، واستمراره برغم الإنهيار السياسي الذي عرفته الأندلس، حيث عاد كثير من ذوي المناصب الهامّة إلى مكانتهم السابقة، يمارسون مهامهم كما لو أنّ عصر ملوك الطوائف لم ينته، بل توّسع ليشمل مجال المغرب والأندلس.

4) نموذج من التلاقح السياسي بين بلاد المغرب والأندلس

برغم ماقام به المرابطون من مجهودات جبارة في مايخص دحر تهديدات النّصارى بالأندلس إلاّ أنّ ذلك لم يكن كافيا حيث بقيت الأندلس تعيش تحت تأثير ذلك الضغط النّصراني خاصّة بعد استرجاع المرابطين لمدينة بلنسية، كما أنّ يوسف بن تاشفين قد بلغ من العمر عتيا[3]، فكان عليه أن يفكر في مرحلة مابعد رحيله، خصوصا أنّه لم يكن للمرابطين نظام للانتخاب في وقت أصبحت فيه الأندلس وبلاد المغرب تشكل كيانا سياسيا موحدا تحت قيادة المرابطين، ولذلك قرر يوسف أخذ البيعة لابنه علي تقديرا للمصلحة العامة[4].

كان على الأمير يوسف أن يبحث عن صيغة شرعية تمكنّه من نقل السلطة لأبنائه من بعده، وأن يقنع طبقة المرابطين بذلك، خصوصا أنّه كان إلى جانب يوسف بن تاشفين من رؤساء المرابطين وقوّادهم وزعمائهم ماكان دافعا له ليختار أقربهم[5]، فقد عاش يوسف بن تاشفين تجربة نقل السلطة إليه بعدما تنازل

[1] – **ابن الزبير**، صلة الصلة، نشر ليفي بروفنسال، المكتبة الاقتصادية، الرباط، 1937، ص17 ، 18.

[2] – عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، 188، 329.

[3] – **محمد ماهر حمادة**، الوثائق السياسية والادارية في الأندلس وشمالي افريقية 64-897هـ-683-1492م، "دراسة نصوص"، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986، ص73، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص 45.

[4] – مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص55.حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 248.

[5] – عبد المالك الشامي، المرجع السابق، ص126.

له ابن عمه أبو بكر بن عمر عنها، وأشهد عليه شيوخ لمتونة، وأعيان الدّولة، وأمراء المصامدة، والكتّاب والشهود، والخاصّة، والعامّة، وأشهد له بالتّخلي عن الأمر من أجل استكمال فتح بلاد المغرب[1]. كانت مسالة حساسة، خاصّة أنّ يوسف قد اختار علي ليكون خليفة له، علما أنّ الأمير يوسف بن تاشفين كان له خمسة أبناء: علي الذي سيخلفه، تميم، أبو بكر(الذي توفي أثناء معركة الزلاقة)، المعز، وابراهيم، ولم يكن علي الابن الأكبر ليوسف،بعد موت ابنه الأكبر وهو أبو بكر، ولكنّ يوسف اختار علي برغم أنّه أصغر سنا من تميم[2].

ولد الأمير علي بن يوسف بن تاشفين بمدينة سبتة في شهر ربيع الأوّل سنة ست وسبعين[3]أو سبع وسبعين وأربعمائة[4] من أم رومية الأصل اسمها قمر وتكنى أم الحسن أو فاض الحسن[5]، وهو أمر يحملنا إلى التساءل عن الدور الذي لعبته أم علي في مسألة اختيار ابنها كولي للعهد، وهل كان لها تأثير على يوسف بن تاشفين في هذا الصدد، وقد تلقى علي تربية أندلسية على يد والدته[6]، حيث يذهب البعض إلى القول بأنّ أكبر صفقة سياسية حققها الأندلسيين خلال العصر المرابطي هي الزواج الذي تمّ بين يوسف بن تاشفين و هذه الجارية الأندلسية[7].

كان على الأمير يوسف إذن أن يوفق بين رغبته في توريث الحكم لإبنه وبين التّقيد بالشريعة الاسلامية، فالدّولة المرابطية كانت ترتكز في سلطتها على مبررات ايديولوجية تقوم على التزامها الصارم بالمذهب المالكي، وهو المذهب الرسمي في الأندلس قبل وصول المرابطين، وهو ماأدّى إلى انضمام فقهاء

---

[1]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق ، ص 225.

[2]- حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص249، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص 45.

[3]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق ،ج4، ص 101، حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 248.

[4]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص109، حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 248.

[5]- ، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص109، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق ،ج4، ص 101، حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 248.

[6]- **Al-Andalus**, Anthologie, traduction et et présentation par Brigite Foulon et Emanuelle Tixier du Menil, préface de Gabriel Martinez-Gros, Gf, Edition Flammarion,paris, 2009, p262.

ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 109.

[7]- عبد المالك الشامي، المرجع السابق، ص117.

المغرب والأندلس إلى دولة المرابطين ودعمهم مشروعيتها بشكل منقطع النّظير، فكان الأمراء المرابطون يستندون على رأي ومشورة الفقهاء، وكأنّها كانوا يخافون الوقوع في ماقد لا يقبله الشرع، حتّى نقل المراكشي في المعجب عن علي بن يوسف بن تاشفين أنّه قد"... اشتد ايثاره لأهل الفقه والدين، وكان لايقطع أمرا في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء، فكان إذا ولى أحدا من قضاته، كان فيما يعهد إليه ألا يقطع أمرا ولا يبث حكومة في صغير من الأمور ولاكبير إلاّ بمحضر أربعة من الفقهاء ...ولم يزل الفقهاء على ذلك، وأمور المسلمين راجعة إليهم، وأحكامهم صغيرها وكبيرها موقوفة عليهم طول مدّته..."[1]، ولم يقف الأمر عند المشاورة بل لقد التزم المرابطون أيضا بأن لا يستكتبوا من الكتاب ولا يستشيروا من الوزراء إلاّ من وثقوا بمعرفته بشؤون الدّين"ولم يكن يقرب من أمير المسلمين ويحظى عنده إلاّ من علم الفروع، أعني فروع مذهب مالك..."[2]، فالدّولة المرابطية كانت تقوم على مشورة الفقهاء على مذهب الإمام مالك أكثر ممّا تقوم على السياسة[3].

برغم أنّ مسألة اختيار خليفة للأمير يوسف بن تاشفين كانت مسألة صعبة بسبب التعقيدات التي ذكرناها، إلاّ أنّ يوسف اختار في النهاية ابنه علي ليكون وريثه في الحكم، وقد كتب لهذا الغرض خطّة لولاية عهد علي من بعد أبيه، وقد وصلنا عن هذه الخطّة نموذجان في قضية واحدة، هي قضية تولية علي بن يوسف العهد: الأوّل كتبه الفقيه الوزير أبو محمد بن عبد الغفور الكلاعي سنة خمس وتسعين وأربعمائة[4] (495هـ)، والنّص الثاني كتبه أبو بكر محمد بن سليمان ابن القصيرة سنة 496هـ[5]، وقد تصرف فيه المصدر الناقل بالاختصار والحذف، فلم يبق منه إلاّ قسما من التّحلية، وقسما من قضية اختيار ولي العهد، وأشار إلى قسم محذوف يتضمن الوصايا التي أوصى بها الأمير ابنه[6].

ففي سنة 495هـ/1101م، قرر يوسف أمره في ولاية عهده، ووقع اختياره في ذلك على ولده الحسن، وأصدر مرسومه بولايته لعهده في نفس العام، وكان كتاب البيعة من انشاء الوزير الفقيه أبي محمد بن عبد الغفور وكان من أعلام البلاغة في ذلك العصر[7].كان من الطبيعي أن يشاور يوسف كل من يهمه الأمر

[1]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 171.
[2]- عبد الواحد المراكشي، المصدر نفسه، ص 172. 142
[3]- حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق،ج4، ص 331.
[4]- مؤلف مجهول، المصدر السابق ، ص 78، 79.
[5]- لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ج8، ص 251.
[6]- عبد المالك الشامي ، المرجع السابق،ص122.
[7]- حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 249.

حول هذا الاختيار قبل اصدار المرسوم، ولهذا بادر بمشاورة الفقهاء والقضاة وزعماء القبائل وأفراد الأسرة المرابطية وكبار رجال الدّولة في سنة 495هـ/1101م، وناقشهم في المبررات التي دفعته الى اختياره[1]، وقد تضمّن المرسوم الأسباب التي حملته على هذا الاختيار[2]، كما يشير مرسوم البيعة إلى أنّها كانت مشروطة ببعض الشروط اشترطها يوسف على ابنه علي، ولعل أهمها التمسك بالمبادئ التي دعا إليها الامام عبد الله بن ياسين من اعلان الجهاد على أعداء الاسلام، واحترام الفقهاء والقضاة والعلماء، والعمل على اقامة العدل بين الرعية انشاء جيش مرابطي ثابت قوامه سبعة ألاف[3].

ومن خلال هذا النص يتبن تأكيد ابن عبد الغفور على وضع فكرة ولاية العهد في إطارها الشرعي من خلال التزام يوسف بن تاشفين بمبدأ الشورى عملا بما جاء في القرآن الكريم وماجاء على لسان نبيه وماسار عليه الخلفاء الراشدون بقوله في نصّ البيعة:"ودعاه لما كان اليه دعى، بعد استشارة أهل الرأي على القرب والنأي"[4]، فالمنطلق الشرعي كان متحكما في كل سلوك سياسي مرابطي، ومرتبطا أيضا بمسؤولية الراعي[5]" أمير المسلمين وناصر الدين أبا يعقوب يوسف بن تاشفين، لما استرعاه الله على كثير من عباده المؤمنين"[6]، مع الحرص على البحث عن الصيغة التي تجعل سلوك تولية العهد سلوكا شرعيا عن طريق مقاربته إلى الوصية بمفهومها العام أوّلا، ثمّ في الاطار الخاص بالتّأكيد على منفعتها في عظائم الأمور ومصلحة الخاص والجمهور[7]"، وقد أمر الله بالوصيّة فيما دون هذه العظيمة، وجعلها من أوكد الأشياء الكريمة، كيف وفي عظائم الأمور، ومصلحة الخواص والجمهور"[8]، ولعلّ اختيار الخلف الصالح- خوفا من الفتنة أو ترك الرعيّة هملا- من أوكد الأمور التي يمكن الاحتجاج بها على سلامة الطويّة وحسن النيّة[9] فيقول كاتب العهد في هذا الصدد أنّ الأمير المرابطي"خاف أن يساله الله غدا عمّا استرعاه، كيف تركه هملا لم يستنب فيه

[1]- حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 249.
[2]- حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 249.
[3]- حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص250-251.
[4]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص79، حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 250.
[5]- عبد المالك الشامي، المرجع السابق، ص123.
[6]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص78، 79.
[7]- عبد المالك الشامي، المرجع السابق، ص123.
[8]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 79.
[9]- عبد المالك الشامي، المرجع السابق، ص123.

سواه"[1].

بعد التأكيد على وصف مظاهر الحرص التي تميّز بها سلوك أمير المسلمين من استشارة أهل الرأي قريبهم وبعيدهم، وتبيان المرجعية الشرعية في التأكيد على وجوب ولاية العهد، ركزّ عهد البيعة على مسألة ثانية وهي مسألة اختيار علي ليكون وليا للعهد من خلال إشارة الوثيقة إلى اختيار يوسف من بين أولاده من هو أصلح لقيادة تلك الدولة المرابطية المترامية الأطراف :"فوجد ابنه الأمير الأجل أبا الحسن أكثرها ارتياحا إلى المعالي، واهتزازا، وأكرمها سجية، وأنفسها اعتزازا، فاستنابه فيما استرعى ودعاه لما كان اليه دعى"[2]، مع التنبيه إلى الشروط التي اشترطها أمير المسلمين على ولي العهد والتي وصفها بالشروط الجامعة، والتي قبلها ولي العهد ورضى بها[3] "وكتبها من رضي إمامتهما(ابن عبد الغفور) على القريب والبعيد، وعلم علما يقينا بأوصاف هذا الترتيب"[4]، ويعني ترتيب أمر ولاية العهد ومايشترط فيه وعليه، ومايفترض أن تتضمنه نصوص من هذا القبيل، وذلك يشير إلى وجود صبغة أندلسية واضحة في كتابة العهد ليس لأنّ كاتب العهد أندلسي فقط، ولكن لأنّ الأندلسيين اعتادوا على مثل هذا النوع من الوثائق من جهة، أو على مثل هذا النّوع من السلوك السياسي[5].

لم يكن هذ العهد هو الأخير، ولكن تلاه كتاب تولية عهد أخر لعلي عن يوسف بن تاشفين، ففي عام 496هـ/1102م جاز يوسف بن تاشفين إلى الأندلس جوازه الرابع والأخير، فاتجه إلى قرطبة ليأخذ بيعتها لولده علي بن يوسف، وتختلف الروايات حول مصحابة علي لأبيه يوسف بن تاشفين، فيذكر صاحب الحلل أنّه عبر إلى الأندلس رفقة والديه علي وتميم[6]، أمّا ابن أبي زرع يقول أنّه بقي بسبتة، ولم يكن رفقة والده في هذا الجواز[7]،ومن المنطقي أن يكون علي حاضرا في هذا الحفل الذي نظم من أجله[8]، وحين انتهى يوسف من مهمة تفقد الأندلس اتجه إلى قرطبة وهنالك قرّر أخذ بيعة أهل الأندلس لولده، فدعا كبار رجال الدولة من أمراء لمتونة وقادة الرأي والفقهاء والقضاة وتلا عليهم عقد البيعة لابنه[9]، الذي تضمن أسباب اختيار ابنه

[1]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 78، 79.

[2]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص79، حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 250.

[3]- **ابراهيم حركات**، النظام السياسي والحربي للمرابطين، ج1، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، دت، ص 203.

[4]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص79، 80.

[5]- عبد المالك الشامي، المرجع السابق،ص123.

[6]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص55. محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص 46.

[7]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص101محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص 46 ، 47.

[8]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص47 .

[9]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص56-57، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 109،، حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص251،

وليّا للعهد، وأنّ اختياره لهذا المنصب من بعده، لم يأل جهدا ولا نصيحة لله ورسوله في هذا الاختيار واستنصح أولي الحل والعقد من قومه، فكلّهم أشار عليه بولده علي أن يكون ولي عهده وأميرا للمسلمين من بعده[1]، ثم أخذ له البيعة من جميع الحاضرين، "وأقسم هؤلاء يمين الطاعة والولاء، ثم وقعوا على عقد البيعة"[2]، وعهد إليه أن يتق الله مااستطاع، ولايعدل عن سمت العدل وحكم الكتاب والسنة"[3] ثم يوصيه بعد ذلك بحسن الدفاع عن المظلومين، وأن يداوم الجهاد ويحسن الدفاع عن العباد والبلاد، ثم يذكر أنّه "دعا لمبايعته من دنا ونأى من المسلمين فلبوا مسرعين وأتوا مهطعين وأعطوا صفقة أيمانهم تبرعين متطوعين، وبايعوه على السمع و الطاعة والتزام سنن الجماعة"[4]، وقام على إثر علي ذلك علي فأقسم أمام الحاضرين بالتزام شروط العقد واتباع السياسة التي رسمها أبوه، ثم أشهد الكتاب، ووقّع على الوثيقة[5]، ثم صدر كتاب البيعة، بقلم وزيره وكاتبه أبو بكر بن القصيرة في ذي الحجة عام 1102م[6].

نشأ الفقيه الكاتب أبو بكر محمد بن سليمان المعروف بابن القصيرة الكلاعي الاشبيلي[7]، في دولة بني عباد، فكان عالما جليلا، صاحب مواهب متوهجة ونباهة عالية[8]، وهو مايسّر له أن يكون من خاصّة المعتضد[9]، ثمّ وزيرا للمعتمد، وسفيرا له لدى ملوك الطوائف، وبينه وبين يوسفبن تاشفين[10]، فأظهر من اللياقة وحسن السياسة مابقي شاهدا له بطول الباع في الميدان، وبلغ مقامه "أنّه كان بغرفة القصر المكرم مقيما لرسوم المعتمد وحدوده، ومنشئا لمخاطاباته وعهوده"، ومعنى ذلك أنّ ابن القصيرة كان يملك خبرة واسعة في مجال إدارة الدولة خاصّة في ماتعلق بوظيفة الكتابة، فقد كان كاتبا ماهرا وله دراية بفن التفاوض، وهي أمور

السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج1، ص242، 143.

[1]- محمد ماهر حمادة، المرجع السابق، ص73.

[2]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص56،57، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 109، حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص251، السيد عبد العزيز سالم، ج1، ص242، 143.

[3]- القلقشندي، المصدر السابق، ج10، ص161،162.

[4]- القلقشندي، المصدر نفسه، ج10، ص161،162.

[5]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص56،57، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 109، حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص251، السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ج1، ص242، 143.

[6]- لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص518-521.

[7]- العباس بن ابراهيم السّملالي، المصدر السابق، ص351.

[8]- ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، م2، ص99.

[9]- تفطن لمواهبه المتوهجة ونباهته أبو الوليد بن زيدون، فاعتنى به وقدمه للمعتضد الذي أعجب به أيما اعجاب، وصار يدنيه منه، ويعلي منزلته لديه حتى قربه في آخر أيامه وجعله من خاصته، إلى أن أفضى الأمر للمعتمد وأحسبه قدكان في أيام أبيه من بعض من يداخله ويصافيه-"، ابن بسام الشنتريني، المصدر نفسه، م2، ص99.

[10]- ابن بسام الشنتريني، المصدر نفسه، م2، ص100.

أهلته إلى أن يكون جزءا من النظام السياسي لامارة بني عباد.

ولما انهارت دولة المعتمد فقد السلطة والوزارة والمكانة، "فكان ذو الوزارتين أحد من هرب، وفي جملة من نكب" إلى أن استدعاه أمير المرابطين يوسف بن تاشفين لحاجته إليه، وولاه كتبة دواوينه ورفع شأنه، حتى أنساه زمانه[1]، وبلغ من مكانته لديه أن صار له بمثابه ظلّه لايفارقه أينما حلّ وارتحل، وظلّ في ركب يوسف بن تاشفين يشرف على دواوينه، ويراسل أنداده، إلى أن توفي سنة 508هـ/1114م بحضرة مراكش[2]، وكان من أهم أعماله أثناء عمله ككاتب ليوسف كتابته لعديد من العهود، أبرزها عهد البيعة لولي عهده علي. فهل استعاد ابن القصيرة تلك المكانة التي كان يتمتع بها أثناء إمارة بني عباد؟

كتب نص البيعة الثاني بعد الأوّل بنحو من سنة، أي في سنة ست وتسعين وأربعمائة 496هـ/1102م، كما جاء في خاتمة العهد، وذلك مؤشر على أنّ قضية استخلاف ولي العهد لم تحسم بكيفية نهائية بعد وثيقة ابن عبد الغفور، وأنّ الأمر ظلّ بين أخذ ورد، وأنّ المرابطين احتاجوا إلى وقت للاقتناع بالموضوع، ويظهر ذلك من الاختلاف الموجود بين نص العهد الأوّل والثاني، لذلك جاءت عبارات العهد الثاني شديدة في التأكيد على الاختيار البعيد عن المحاباة، والالتزام بالمشاورة، ووضع شروط لصاحب البيعة[3].

قد نلمس من خلال اصرار يوسف على تولية ابنه أنّه كان يتعرض إلى ضغوط وتأثيرات أندلسية تدفعه إلى اختيار علي وليا للعهد، وقد يكون ذلك التأثير أسري داخلي يتعلق تحديدا بزوجته قمر أم علي[4]، وقد يكون متعلقا بمشورة أندلسية من الممكن أن يكون ابن القصيرة طرفا فيها، لأنّه كان في منزلة المستشار ليوسف، ولايستبعد أن يكون الأمير المرابطي قد اقتنع بضرورة انتقال السلطة إلى أيادي آمنة تضمن استمرار الدّولة وقوّتها، واقتناعه أيضا بالمخرج الشرعي الذي قد يكون رسمه له مستشاروه، والذي يقوم على تحويل التّقليد السياسي المرابطي إلى سلوك شرعي يتوخى المصلحة العامّة.

---

[1]- ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، م2، ص100.

[2]- العباس بن ابراهيم السّملالي، المصدر السابق، ص351.

[3]- عبد المالك الشامي، المرجع السابق، ص124، 125.

[4]- لم يرد أي نصّ تاريخي يشير إلى شيء من ذلك التأثير، ولكن ذلك لاينف الدوّر الذي لعبته المرأة المرابطية، ذلك أنّ اللّمتونيين كانوا يكنون احتراما كبيرا للمرأة فاستشاروها واحترموا رأيها، فيوسف بن تاشف كان كان لايتوانى في استشارة زوجته الأولى زينب في الأمور الهامّة، حيث لعبت هذه الأخيرة دورا كبيرا في تاريخ المغرب الوسيط، بفضل معرفتها الكبيرة بالقضايا السياسية، إلى درجة أنّها كانت تعرف ب"الساحرة"، فلم تكن فقط زوجة ليوسف بن تاشفين ولكن كانت أيضا مستشارته، وكانت دائما تقدم له العون وتدفعه إلى فتح كل أجزاء المغرب والأندلس، عبد المالك الشامي، المرجع نفسه،ص126.

في الواقع لم تكن للمرابطين قدرة على انتاج مثل هذه الخطابات، نظرا لغياب تقاليد في هذا الشأن، كما أنّ يوسف بن تاشفين نفسه لم يكن يعرف اللّغة العربية[1]، لذلك فإنّ الفرصة أتيحت لهؤلاء الكتاب كي يستولوا على الدّولة كما فعلوا من قبل، فابن القصيرة حسب ابن بسام واحد من الذين استولوا على دولة المعتمد استيلاءا في أخر أيامها[2]، وفي هذا المرسوم تظهر قدرة ابن القصيرة الكاتب الأندلسي المتمرس، على تحويل مسألة التوريث إلى سلوك شرعي يراد به المصلحة العامّة دون أن تكون هناك معارضة لذلك، فبيّن الكاتب أنّ اختيار يوسف لعلي من بين أبنائه لم يكن محاباة له، وذكر الاسم الكامل للمعهود إليه، دفعا لكل شك أو التباس، "فهو الأمير الأجل أبو الحسن علي ابنه"[3]، وأكدّ أنّ يوسف أصدر هذه البيعة بمحض إرادته، وعن هدى وحسن مقصد، بعيدا عن أي تأثير عاطفي أو ميل مع الهوى، أساسه مراعاة الخير للمسلمين وخدمة للدّين، كما أشار لمبدأ الشورى الذي استعمله حين جمع ذوي الرأي والتجربة، وأهل العلم والدّين من قومه، فاستشارهم واستنصحهم فوقع اجماعهم على اختياره، وهكذا كانت توليته عن بصيرة نافذة، ومشورة طويلة[4].

ولم يكن المنطق العشائري الذي يعتمد على مبدأ الحفاظ على التوازن بين مختلف المكونات العصبية، غائبا عن هذه الوثيقة، من خلال ذكر أنّ يوسف"استنصح أولي الرأي"[5]، وقام ب"استشارة الأعليّة"[6]، هذا التوازن الذي يقوم على التراضي كمحور حيوي من شأنه أن يضمن التفاهم والتآزر أو شبه الإجماع على الأقل بين المكونات القبلية للدولة المرابطية[7].

لم يفت ابن القصيرة من خلال هذا الكتاب التأكيد على حماية البلاد الاسلامية، وعدم التفريق بين المتضررين من أي أمر كان "ولايتليّن دون معلن بشكوى ولايتصادم عن مستصرخ لدى بلوى، وأن ينظم

[1]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص32، ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص482.
[2]- آسية الهاشمي البلغيثي، المرجع السابق، ص28.
[3]- القلقشندي، المصدر السابق، ج10، ص161 ، لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص 519.
[4]- آسية الهاشمي البلغيثي، المرجع السابق، ص55، 56.
[5]- القلقشندي، المصدر السابق، ج10، ص161، لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص 519.
[6]- القلقشندي، المصدر السابق، ج10، ص161، لسان الدين بن الخطيب، المصدر نفسه، ج2، ص 519.
[7]- محمد القبلي، المرجع السابق، ص81.

أقصى البلاد، وأدناه في سلك تدبيره، ولايكون بين القريب والبعيد بون في احصائه وتقديره"[1]، وهما عنصران يربطان الأندلس بالمغرب بمصير واحد خصوصا بعد زوال اشكال الحكم في الأندلس بالقضاء على ملوك الطوائف قضاء نهائيا وافتقاد الأندلسيين لقائد يجتمعون حوله[2]، وبذلك استطاع ابن القصيرة ايجاد نوع من التوازن بين فهم الأندلسيين لهذا السلوك السياسي المعتادين عليه والذي يستطيع حسم أية قضية سياسية، وبين علاقة هذا السلوك بالدّولة المرابطية المرتبطة بتقاليدها القبلية من جهة والقائمة على اختيار الأصلح للحكم والملتزمة بالشرع الاسلامي من جهة ثانية من خلال الالتزام بالقرآن الكريم والسنة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين.

لقد غدت الدولة المرابطية، مملكة وراثية، منذ اختيار يوسف بن تاشفين لولده علي، لولاية العهد في سنة 496هـ/1102م، وأصبح تقليداً سار عليه خلفاؤه إلى أن انتهت دولتهم على يد الموحدين[3] وأصبح وأصبح ذلك يتم وفق مشيئة الأمير فيختار من ولده من يراه أهلا لخلافته[4]، مع الأخذ في بعض الأحيان مشورة ورأي أشياخ المرابطين[5]، وكان تعيين ولي العهد يجري بحضور الأمراء والفقهاء وكبار الدولة، ويحق لأمير لأمير المسلمين إقالة ولي العهد وترشيح آخر مكانه، ويحرر ذلك بوثيقة ويحتفظ بها في الخزائن الملكية[6]، وتجدد وتجدد له البيعة بعد توليه إمارة المسلمين من قبل احد كبار أمراء الأسرة الحاكمة[7].

من خلال هذا العرض يتبيّن أنّ الأندلسيين كانت لديهم من القدرات والمهارات مايُمكنهم من التعامل مع أي موقف سياسي، وهذه الوثائق التي عرضناها شاهدة على ذلك، وهي تؤرخ بحق لفترة فاصلة في تاريخ المرابطين بالأندلس، بين مرحلة عسكرية كان فيها الاهتمام الأساسي للمرابطين بالجهاد، وضبط الأمور العسكرية، وبين مرحلة مدنية دخل المرابطون خلالها أجواء الحياة الأندلسية، وأصبحوا جزءا منها بعدما أدركوا ضرورة وجود تفاعل حضاري بينهم كمنقدين قادمين من بلاد المغرب، وبين الأندلسين أصحاب

[1]- القلقشندي، المصدر السابق، ج10، ص161، 162، لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص 519، 520.

[2]- عبد المالك الشامي، المرجع السابق،ص126.

[3]- محمود، المرجع السابق، ص344 ، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص414.

[4]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص156، مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص79 ، 80.

[5]- ابن عذارى، البيان المغرب، ج4، ص97- 98 ؛ مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص79.

[6]- يوسف أشياخ، المرجع السابق، ص478، ابراهيم حركات، النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين، ص79، 80، حسن أحمد محمود، محمود، المرجع السابق، ص346.

[7]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص48 ؛ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص158.

السبق الحضاري.

الفصل الثالث: التأثير الحضاري الأندلسي على بلاد المغرب

المبحث الأوّل: تأثيرات الحياة الإجتماعية الأندلسية على بلاد المغرب

1) التأثيرات في مجال اللّباس

2) ألوان الطّعام ببلاد المغرب وتأثرها بالأندلس

3) التّقاليد الأندلسية ببلاد المغرب

4) اهتمام أهل المغرب باللّهو والترفيه

المبحث الثاني: التأثير الفني والمعماري الأندلسي

1) التأثير الفني الأندلسي في مجال الموسيقى والغناء على بلاد المغرب

2) فن البناء والعمارة

2) التأثيرات المعمارية الأندلسية في عصر المربطين(المساجد أنموذجا)

3) التأثيرات المعمارية الأندلسية في عصر الموحدين

المبحث الثالث: التأثيرات العلمية الأندلسية على بلاد المغرب

1) احتضان حكام بلاد المغرب لعلماء الأندلس

2) الكتب الأندلسية المتداولة في بلاد المغرب

3) تدريس الأندلسيين للعلوم ببلاد المغرب

الفصل الثالث: التأثير الحضاري الأندلسي على بلاد المغرب

المبحث الأوّل: تأثيرات الحياة الإجتماعية الأندلسية على بلاد المغرب

1) التأثيرات في مجال اللّباس

1.1) وصف عام للباس الأندلسيين

لقد برع الأندلسيون في حيّاكة ثيابهم، وكانوا يصنعونها من الحرير، والقطن، والكتّان، والصّوف، وكانت أقمشتهم تزدان بزخارف نباتية، وأزهار وأشكال هندسية مختلفة[1] ، فأهل ألمرية على سبيل المثال كانوا يلبسون الملابس الموشاة والديباج[2]، ، وكذلك الشّأن مع أهل مالقة الذين استخدموا في أزيائهم الثياب المصنوعة من الحرير الموشاة من الذهب[3]، كما كان أهل غرناطة يعتنون بملابسهم ويتأنقون فيها ويفضلون الأنواع المحكمة الصنعة التي كانوا يجلبونها من ألمرية[4]، وكثيرا ماكان أهل قرطبة يرتدون غفائر الصوف الحمر والخضر، وأكثرهم لايمشي "دون طيلسان، إلاّ أنّه يضعه على رأسه منهم إلاّ الأشياخ المعظمون"[5]، ويستخلص ممّا أورده المقري في مؤلفه"نفح الطيب" نقلا عن ابن سعيد المغربي من أنّ ماكان يجري بقرطبة، كان يجري بالأندلس[6]، وبذلك يمكن القول أنّه قلّما وجد أندلسي يسير دون طيلسان، إلاّ أنّ الأعين وحدهم كانوا يضعونه على رؤوسهم، كما ظلّ اللّون الأصفر خاصّا باليهود، وإن كانت النصوص تذكر أنّ ابن قزمان لبس غفارة صفراء، ولكنّه لم يسلم من الانتقاد والتعبير[7]، وقد أكثر الأندلسيين من ارتداء الغفارة، ويستدل على ذلك ما أورده ابن حيّان الذي يذكر أنّ أهل طليطلة ركبوا بثياب زينتهم إلى

---

[1]- عصمت عبد اللطيف دندنش، المرجع السابق، ص 318.

[2]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص119.

[3]- ابن سعيد، المصدر السابق، ص140، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج3، ص219.

[4]- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص148، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق ج1، ص143.

[5]- **صالح يوسف بن قربة**، مقدمة لدراسة الملابس المغربية- الأندلسية في العصر الإسلامي من خلال المصادر التاريخية والأثرية، مجلة التاريخ العربي ، عدد 14، ربيع 1421هـ-2000م، ص48، **أحمد بن محمد المقري**، المصدر السابق، ج1، ص 207-208.

[6]- صالح يوسف بن قربة، المرجع نفسه، ص 259.

[7]- **جلال الدين السيوطي**، نزهة الجلساء في أشعار النساء، دراسة وتحقيق وتعليق: عبد اللطيف عاشور، مكتبة القرآن الكريم للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، دت، ص 99، 100.

الطاغية "يقصد ألفونسوا ملك قشتالة" كأنّهم وفد سلم يشهدون توقيع معاهدة صلح، فأوقع بهم، وقتل منهم عددا كبيرا، وغنم النّصارى ألف غفارة كان يلبسها القتلى.

وكان للفصول أثرها في ارتداء الملابس بالأندلس، حيث تشير المصادر إلى أنّ اللّباس بالأندلس ارتبط بالخصائص الطبيعة وتغيرات المناخ، ففي الشتاء جرت العادة أن يلبس الجوخ، والأكسية الصوفية، بينما تلبس في الرّبيع أثواب الخز دون بطائن ولا أكمام، في حين تميّزت ثياب الصّيف بخفتها، حيث كان الأندلسيون يرتدون أنواع الملابس المختلفة من حريرية وقطنية وكتّانية، وإن كانت الملابس الكتّانية الأكثر استخداما من طرف العامّة لرخصها[1]، ولونها الأبيض، وتشكلت من الكتان والحرير، والقطن، والأردية الإفريقية، والمقاطع التّونسية، والمآزر المشفوعة[2]. كما كان للبيئة المحلية تأثير واضح، ذلك انّ التأثير الإفرنجي في الزي الأندلسي يظهر واضحا[3].

لم يكن العامل المناخي هو العامل الوحيد الذي ترك أثره على الأندلسيين، فقد كان لقدوم زرياب[4] إلى الأندلس أثر كبير على الأندلسيين حيث تعلّموا عن طريقه نظاماً لارتداء الأزياء تبعاً لفصول السّنة وتقلبات الجوّ[5]، حيث علّمهم لبس النّاس الملابس القطنية البيضاء في فصل الصّيف الذي يمتد في الأندلس من أواخر حزيران إلى أوائل تشرين الأول، وأن يلبسوا في فصل الخريف الثّياب الملوّنة ذات الحشو والبطائن الكثيفة[6]، وينتقلوا في فصل الشّتاء عندما يقوى البرد الى أثخن منها من الملوّنات، ويستظهروا تحتها

[1]- عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، 295 ، **محمد أبو الفضل**، الأندلس في العصر الإسلامي، 515هـ-686هـ/1121م-1287م، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1996، ص237.

[2]- **القلقشندي**، المصدر السابق، ج5، ص 271، لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ج1، ص 136.

[3]- **عبد الله عفيفي**، المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، ج3، مكتبة الثقافة، المدينة المنورة، 1350هـ-1932م، ص 138.

[4]- لم تحدد المصادر سنة ولادته وينفرد بروفنسال بالقول أنّه ولد سنة 173هـ /789م، بالعراق دون أن يشير إلى مصادره، وأوّل اشارة إلى دخول زرياب إلى افريقية تعود إلى عهد الأمير الأغلبي زيادة الله الأوّل(201-223هـ/816-837م)، إذ يذكر ابن عبد ربه أنّ زرياب دخل على الأمير الأغلبي سنة 206هـ/821م، لكنّه لم يمكث طويلا إذ سرعان ما ارتحل إلى الأندلس، حيث عبر بعياله وولده مضيق جبل طارق إلى الجزيرة الخضراء، وحينما وصل توفي الحكم ابن هشام الأموي، وتوّلى ابنه عبد الرّحمان الإمارة، فكتب إليه زرياب، وطلب منه دخول قرطبة، **ليفي بروفنسال**، الحضارة العربية في اسبانيا، تر: ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د ت، ص173، زامباور، المرجع السابق، ص 106، 524، عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج4 ، ص153، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج4، ص 120.

[5]- أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج4، ص123، ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص71.

[6]- ابراهيم حسن ابراهيم، المرجع السابق، ج3، ص 454.

إذا احتاجوا بصنوف الفراء[1]، فالشتاء فصل الملابس الثقيلة[2]، ثمّ ينتقلوا في فصل الرّبيع إلى لبس جباب الخز، والحرير والدّراريع الملوّنة التي لا بطائن لها[3]، فالرّبيع هو موسم الملابس الحريرية الخفيفة ذات الألوان الزاهية[4]، لقربها من لطف ثياب البياض الظهائر التي ينتقلون إليها لخفتها وشبهها بالمحاشي ثياب العامّة[5]، ورأى أن يكون ابتداء النّاس للباس الأبيض وخلعهم الملوّن، من يوم مهرجان أهل البلد المسمى عندهم بالعنصرة، الكائن في ست باقين من شهر بؤونة الشمسي من شهورهم الرومية، فيلبسوه في أوّل شهر أكتوبر الشمسي، منها ثلاثة متوالية، بقية السنة الثياب الملوّنة.كما علّمهم تنظيف الملابس البيضاء ممّا يعلق بها من وضر (وسخ) بسبب استخدام بعض أنواع الطّيب أو غيره، بوساطة تصعيدها بالملح حتى يبيض لونها[6].

وأتقن الأندلسيون ترتيب الأزياء واختيار الألوان، فالثّوب الأزرق تناسبه الغفارة الخضراء[7]، والخلد الروماني يلبس تحت القميص[8]، واستحسنوا أن تخلل الملابس طروز، وأن يجعل لها ذيول تسدل بشكل مستو يزيد اللّباس روعة وأناقة[9].

أمّا عن لباس النساء في الأندلس، فإنّ لباس نساء العائلات الوجيهة كنّ يلبسن البرنس عندما يمتطين البغال كما يصف أحد الجغرافيين[10]، كماكانت الأندلسيات يرتدين عند خروجهن من البيت سراويل طويلة متموجة الساق وينتعلن بأحذية من الجلد النّاعم المطرز بالحرير الملوّن، كما كن يتخذن بعض الأساور في أرجلهن فوق العقب[11].

---

[1]– ابراهيم حسن ابراهيم، المرجع نفسه، ج3، ص 454.

[2] – أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج3، ص 128.

[3] – أحمد بن محمد المقري، المصدر نفسه، ج4، ص: 123، ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص71.

[4] – أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق ، ج3، ص 128.

[5]– ابراهيم حسن ابراهيم، المرجع السابق، ج3، ص 454.

[6] – أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج4، ص 124.

[7]– ابن قزمان، ديوان الزجل، نص ولغة وعروض، ف. كورنيطي، المعهد الاسباني العربي للثقافة، مدريد، 1980، ص 180.

[8]– ابن قزمان، المصدر نفسه، ص117.

[9]– ابن قزمان، المصدر نفسه، ص180.

[10]– حسن الوزان المعروف بليون الإفريقي، المصدر السابق، ج1، ص 197.

[11]– **مارمول كربخال**، افريقيا، تر: محمد حجي، محمد ونيبر، وأخرون، ج2، مكتبة المعارف للنّشر والتوزيع، الرباط، 1404هـ-1984م،

لقد أثبتت الأبحاث التي اهتمت باللّباس في الأندلس أنّ الأندلسيين كانوا على جانب كبير من الأناقة والتّرتيب في ملابسهم[1]، وحب الظهور بلبس الفاخر من الثياب فقدد ذكر ابن عبد الملك في ترجمة أحمد بن يحي العبدري(ت566هـ)أنّه "عمد إلى أزياء الملابس التي جرت عادة المترفين باستعمالها في فصل ضدّة القر كالفرا وثياب اللف والقباطي والبرانس"[2]، وكان لباس الفراء من الألبسة الغالية الثمن[3].

2.1) مظاهر التأثير الأندلسي في مجال اللّباس

لقد أشرنا إلى أنّ الأندلسيين كانوا أصحاب ذوق خاص، ومميّز، ورفيع في اللّباس، أمّا أهل المغرب فكانوا على العموم أقل اعتناءا بمظهرهم من الأندلسيين وأكثر تواضعا في لباسهم، وفي هذا الصدّد ذكر ابن صاحب الصلاة، عن عبد المؤمن بن علي أنّه "مالبس قط إلاّ ثياب الصوف عن قميص وعن سراويل وعن جبة تواضعا لله تعالى وزهدا".

أمّا إذا عدنا إلى لباس أهل المغرب فإنّنا نذكر أنّ نساء فاس لايرتدين في فصل الصيف غير قميص يحز منه بنطاق لايخلوا من قبح، أي يلبسن دراعة قطن مصبوغة وطاقية ومئزر قصير، بينما يزيدن في الشتاء دراعة ثانية من قطن[4]، أي ثيابا عريضة الأكمام مع سراويل طويلة تستر سيقانهن، وخمارا يغطي رأسهن، ويكشف القاضي عياض عن بعض أزياء الفاسيين، ومنها "السرواويلات نساء ورجالا ولم يكونوا يلبسونها قبل"[5] وذلك راجع إلى تشدد بعض الفقهاء على الأهالي بفاس مثل القاضي محمد بن عبد الرحمان الذي عندما ولاه يوسف بن تاشفين قضاء مدينة فاس شدد على أهالي المدينة في الملبس فجعلهم يرتدون السروالات رجالا ونساء[6]، ولعلّ هذه العادة استمرت إلى عصر مارمول بدليل قوله وهو يصف لباس نساء مراكش "وليس لهن سراويلات كالفاسيات"[7].ويؤكد هذا المثال الذي ضربناه على الفوارق الشاسعة بين نساء الأندلس و نساء بلاد المغرب.

ص176،177.

[1]- عصمت عبد اللطيف دندنش، المرجع السابق، ص 318.

[2]- القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص80.

[3]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص100.

[4]- **عبد الكبير بن هاشم الكتاني**، زهرة الآس في بيوتات أهل فاس، تح: علي بن المنتصر الكتاني، ط1، ج1، منشورات مطبعة النجاح الحسنية، الدار البيضاء، 1422هـ-2002م، ص 69.

[5]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج8، ص 175، ابن القاضي، المصدر السابق، ج1، ص 253.

[6]- ابن القاضي، المصدر نفسه، ج1، ص 252 ، 253.

[7]- مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص 57.

كان من الطّبيعي أن تعرف بلاد المغرب الكثير من الملابس الأندلسية سواء بسبب التّأثير، أوتشابه الظروف المناخية إلى حد بعيد والّتي لها علاقة بنوعية اللّباس الذي يرتديه السكان في كل فصل[1]، وطبيعي أن تعرف بلاد المغرب الكثير من الملابس الأندلسية خاصّة في العهد المرابطي والموحدي[2] ذلك أنّ هذين العصرين شهد احتكاكا كبيرا بين أهل بلاد المغرب وأهل الأندلس.

وكان للأندلسيين تأثير كبير على أهل المغرب[3]، بسبب تميزهم وذوقهم الرفيع الذي ميّزهم عن عن المغاربة[4]. فقد كان أكثر لباس الموحدين الملابس الصوفية، ولكن بعد دخولهم الأندلس وانفتاحهم على حضارتها وترفها، أقبلوا على ارتداء الملابس الحريرية المطرزة، واتخاذ الرقاق خاصّة وأنّ الحرير كان متوفر على عهدهم بأنواع وذلك مادفع الخليفة المنصور الموحدي ،(580هـ-595هـ/1184م-1198م) إلى اصدار أمر ببيع ما في خزائن الدّولة من الحرائر، وطالب الرعيّة بتخفيف ارتدائها[5].

أمّا عن أزياء النساء فإنّ زيّ نساء الأندلس كان طابعها الأناقة والنّفاسة والإسراف، وهو ماجعله مميّزا عنه في بلاد المغرب[6]، لذلك فإنّ تأثير المرأة الأندلسية في بلاد المغرب كان قويّا، خاصّة وأنّ الفرصة كانت متاحة لها على الدوام للتفوق والنبوغ[7]، برغم قلّة المصادر التي تثبت لنا ذلك.

إنّ زي النساء في بلاد المغرب يكاد يكون مشابها لزي النسوة في الأندلس، حيث تقدم كتب النّوازل إشارات إلى أسماء الثياب، وأنوعها وماكانت تتخذ منه، والتي اشتهر لبسها خاصّة خلال العصرين المرابطي والموحدي، فنجد منها ثياب القطنية والملحفة القطنية التي تلبس غالبا أثناء الشتاء للوقاية من البرد،

[1]- محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص 245.

[2]- **روجيه لاتورنو**، فاس في عصر بني مرين، تر: نقولا زياد، مكتبة لبنان، د ت، ص 135.

[3]- مريم قاسم الطويل، المرجع السابق، ص 256.

[4]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص119.

[5]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، قسم الموحدين، 103، 104، عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص294.

[6]- **مصطفى الشعكة**، الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه، ط6 ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1986 ، 85.

[7]- **ماريا ج فينغيرا**، (المنزلة الاجتماعية لنساء الأندلس)، ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999، ص100، 101.

كما ترتدي ثيابا عريضة الأكمام على سراويل طويلة تبعا للمكان الذي تعيش فيه[1]، وتغطي رأسها[2]، وكذلك كانت نساء المغرب والأندلس على السّواء يلبسن في أقدامهن الجوارب والأخفاف[3]، كما استخدمت النساء في المغرب والأندلس الخلاخل والأساور والأقراط من الذّهب والفضة، والأحجار الكريمة لتزيين اليدين والرقبة وكنّ يحلين بها حتّى الصبيان[4]، كما استعملت الحنّاء لزينة الشعر واليدين والأرجل واستخدم الكحل والسواك للتّجميل والحفاظ على الصّحة، زيادة على العطور والصّابون للتّنظيف[5].

إنّ ما يمكن استخلاصه هو وجود كثير من التقارب بين الأندلس وبلاد المغرب في مجال اللباس في العصرين المرابطي والموحدي، والذي يوحي بحصول عملية التأثير الأندلسي في مجال اللباس، ويعكس وجه الترابط بين القطرين، لكن في تصوّرنا أنّ المرأة المغربية كانت الأكثر تأثرا بالزيّ الأندلسي لاهتمامها بمظهرها أكثر من الرجل، كما أنّ عملية التأثير الأندلسي كانت تتم بدرجة أكبر على مستوى الطبقات العليا للمجتمع بسبب احتكاكها المباشر بالأندلسيين.

2) ألوان الطّعام ببلاد المغرب وتأثرها بالأندلس

1.2) انتقال الأطعمة الأندلسية إلى بلاد المغرب

امتّد التّأثير الأندلسي إلى مجالات حياتية منها، الطّعام، والطّهي، فإذا تتّبعنا ألوان الطّعام في بلاد المغرب نجد أن موائدهم أصبحت حافلة بأنواع الطّعام والحلوى والأشربة والتي كان أغلبها منقولا عن

---

[1]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص56، الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية والأندلس والمغرب، ج2، أخرجه مجموعة من الفقهاء، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1981م ص479.

[2]- الونشريسي، المصدر نفسه، ج10، ص259 ، 347، **مليكة حميدي**، المرأة المغربية في عهد المرابطين (448هـ-541هـ/1056م-1146م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التّاريخ الإسلامي، اشراف صالح بن قربة، كليّة العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2002م، ص 162.

[3]- **يحي ابن عمر**، أحكام السوق(النظر والأحكام في جميع أحوال السوق)، تح: حسن حسني عبد الوهاب، الشركة التوتسية للتوزيع، 1975، ص93، الونشريسي، المصدر السابق، ج6، ص420.

[4]- لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق ج1، ص139،138، **البرزلي**، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تح: محمد الحبيب الهيلة، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002، ص234 ، الونشريسي، المصدر السابق، ج1، ص 374، **العماد الأصفهاني**، خريدة القصر وجريدة العصر، قدمه محمد بهجة الأثري، ج3، منشورات وزارة الإعلام، العراق،ص565.

[5]- البرزلي، المصدر السابق، ص2، ص101.

الأندلس[1].

أدخل زرياب إلى الأندلس التّوابل التي صنع منها التّقلية لبعض الأطعمة[2]، ويبدوا أنّ سكان الأندلس عامّة استعملوا كلّ التوابل من كزبر ،وفلفل، وكمون، وملح، ومرق، وبقل الروم، وخلّ[3]، بل أنّهم أكثروا من استعمالها، إذ أشار أحد الجغرافيين إلى أنّ أهل بسطة يكثرون من استعمال الزعفران[4]، أمّا ببلاد المغرب، فإنّ مرّاكش عرفت التّوابل في بعض طعامها[5] كطعام الثّومية[6]الذي يتستخدم فيه من التوابل، الفلفل، الزنجبيل، والزعفران، وهو طعام مكون من الثّوم المدقوق والدّجاج و قوانصها وتقلى في الزيت، ويجمع مع الدجاجة بملح، ولوز مقشر، ويترك حتّى ينضج و يخرج من القدر ويصب في إناء نظيف[7]،كما تشير وصفات الطّعام التي كانوا يعدّها أهل المغرب على أنّ استخدامهم التّوابل في الطّهي كان كبيرا، فهناك كثير من الأطعمة التي كان من أبرز مكوناتها التّوابل، منها الثّريد، الأحرش، تاحفصت، التّفايا، الصّنهاجي الملوكي، السنبوسك، والملاحظ أنّ كل هذه الأطعمة كانت تتكوّن أساسا من اللّحم، وأنّها تختص بالطّبقة الحاكمة، وهذا مايدفعنا إلى القول بأنّ ذلك ارتبط بحالة التّرف التي عرفتها هذه الطبقة، غير أنّنا يمكن أن نوسع دائرة الاهتمام بالتّوابل إلى الحواضر الكبرى حيث أنّ السكان هناك تميّزوا بكثرة أكلهم إذ اعتادوا على اتخاذ أشكال متعددة من الأطعمة المملوءة بالأدم، والتّوابل، بينما خالفهم أهل البادية الذين اقتصروا على القليل من الأكل الخالي من الأدم[8].

والجدير بالذكر أنّ الأندلس خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين/العاشر والحادي عشر الميلاديين قد شهدت توسعا سريعا في المدن، نعمت فيه الطّبقة المرفهة بالطّعام ذاته، ثمّ إنّ تطوير الزراعة

[1] – **مؤلف مجهول**، الطبيخ في المغرب والأندلس على عهد الموحدين، تح: هويثي ميراندا، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد 1965م، ص87.

[2] – أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج3، ص 128.

[3] – مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 52 ، 56.

[4] – أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج1، ص199.

[5] – مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 87.

[6] – مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص 22.

[7] – مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص 186.

[8] – عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص947 ، 948.

القائمة على الرّي، واستجلاب وأقلمة محاصيل جديدة[1]، واشراك اقتصاد الأندلس بشبكة التّجارة الإسلامية في البحر المتوسط ضمنت الحصول على المواد الأوّلية اللاّزمة لصنوف الطّعام في المدن[2]، غير أنّنا لانستطيع أن نثبت إن كان انتقال التّوابل واستعمالاتها إلى بلاد المغرب كان عبر الأندلس، ومتى كان هذا الانتقال؟ كما أنّنا لانملك دليلا عن متى بدأ أهل المغرب استخدام التوابل؟ هل قبل الفترة محل الدراسة أم قبلها ؟ وهو مايجعلنا غير قادرين على معرفة الطريقة التي استخدمت فيها التوابل.

كانت صناعة الحلوى منتشرة في الأندلس بشكل واضح، وكانت تتخذ غالبا من التّمر والعسل، أو السّكر المدقوق، أومن السكر الأبيض والعسل المصفى[3]، وكان العسل شائعا استعماله في المغرب الأقصى لذلك تميّزت حلويات المغرب الأقصى كذلك بكثرة العسل والزيت المستعملة فيها[4]، فهناك أنواع كثيرة من الحلوى اتفق أغلبها على دخول العسل في مكوّناتها[5]، فصّلت كتب الطّبيخ في الحديث عنها.

تعتبر"المجبنات[6]" أشهر الحلويات الأندلسية، وكانت مفضلة في جميع أرجاء الأندلس[7]، ويذكر صاحب كتاب الطبيخ أنّها كانت تصنع كذلك في طليطلة، اشبيلية، وقرطبة[8]، وفي إشبيلية اعتاد النّاس على حمل هذا النّوع من الطّعام معهم عند التنزه لحبهم له[9]، أمّا مدينة شريس فأكثر المدن الأندلسية شهرة بصناعة هذا النوع من الحلويات، وفي هذا الصدد يقول المقري "وممّا اختصت به احسان الصنعة في المجبنات، وطيّب جبنها يعين على ذلك حتى صار يقال في المثل الشعبي الأندلسي أنّ من دخل شريس، ولم

---

[1]- **دافيد وينز**، (فنون الطبخ في الأندلس)، ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999، ص 1022.

[2]- دافيد وينز، المرجع نفسه، ج2، ص 1022.

[3]- أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج4، ص269.

[4]- القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص175.

[5]- **جمال أحمد طه**، الحياة الإجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي(عصر المرابطين والموحدين)، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنّشر، الإسمندرية، 2004م، ص 192.

[6]- المجبنة هي نوع من القطايف التي يضاف إليها الجبن في عجنها، وتقلى بعدها في الزيت،
الزجالي، أمثال العوّام في الأندلس، "مستخرجة من كتاب ريّ الأوام، ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام، تح وشرح ومقارنة: محمد بن شريفة، ق 2، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتّعليم الأصلي، ص31.

[7]- دافيد وينز، المرجع السابق، ج2، ص 1031م.

[8]- دافيد وينز، المرجع نفسه، ج2، ص1031، مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 200.

[9]- **ابن سعيد**، اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلي، تح: ابراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1980، ط 2، ص 656.

يدخل بها المجبنات فهو محروم"[1].

كانت المجبنات تصنع أيضا في جهات عدّة من بلاد المغرب كما ذكر صاحب كتاب الطبيخ[2]، لكنّ اشارته إلى بلاد المغرب كان في فترات زمنية لا زالت مجهولة، كما أنّ كثيرا من بلاد المغرب ممّن استقروا بشريس أو غيرها من مدن الأندلس الأخرى قد تعرفوا على هذا النّوع من الحلوى، وتذوقوه بل ولعلّ منهم من برع وتميّز في صنعه، وإن كانت المصادر التاريخية لاتملك دليلا على ذلك. ويبدوا أنّ المغاربة الذين كانوا بقيمون في الأندلس قد تعرفوا كذلك على حلوى "المدائن" انطلاقا من مشاركتهم للأندلسيين الاحتفال بالمناسبات الدّينية، خاصّة عيد يناير والتي كانت تصنع فيها مثل هذه الحلوى[3]، غير أنّ تاريخ انتقالها إلى بلاد المغرب لايزال غير معلوم.

كما عرف سكان بلاد المغرب أكلة حوت المروج الأندلسية[4]، ومجبنة البيض[5]، وهي من الأكلات الأندلسية التي عرفت بمراكش، والتي أدخلها موسى بن الحاج يعيش المحتسب بمراكش[6]

2.2) تأثر أهل المغرب بترتيب المائدة الأندلسية

أخذ ترتيب المائدة في الأندلس أشكالا متحضرة منذ انتقال زرياب من بغداد إلى الأندلس، حيث ساعدت ثقافة زرياب الموسوعية، وما حظي به في البلاط الأندلسي من احترام ورعاية وتقدير، على تفجير طاقاته الإبداعية التي تجاوزت حدود المجال الفني إلى المجال الاجتماعي، فقد وضع للطّبقات الرّاقية في الأندلس قواعد للسلوك وآداب الجلوس والمحادثة والطّعام "حتى اتخذه ملوك أهل الأندلس وخواصهم قدوة فيما سنّه لهم من آدابه"[7]، وسمّوه "معلم النّاس المروءة"[8].

علّم زرياب أهل الأندلس أرقى أنواع الطّهي البغدادي[9]، وابتكر لهم ألواناً من الطّعام لم يعرفوها

---

[1] – أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج2، ص35.

[2] – مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 200، دافيد وينز، المرجع السابق، ج2، ص1031.

[3] – **عبد العزيز فيلالي**، تلمسان في العهد الزياني، ج1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002م، ص278 ، 276.

[4] – مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 164.

[5] – مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص 46.

[6] – مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص 46.

[7] – **ابن حزم**، رسائل ابن حزم الأندلسي، تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج1، بيروت، لبنان، 1987، ص 258.

[8] – أحمد بن محمد المقري: المصدر السابق، ج4، ص23، ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص71.

[9] – أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق ، ج4، ص 124.

من قبل[1]، كما أنّه أدخل إليهم التّوابل التي صنع منها التّقلية لبعض الأطعمة، وأشهرها لون النقابا، التي عرفت بتقلية زرياب[2]، ودرّبهم على إعداد مائدة راقية وأنيقة، تقدم فيها الأطباق حسب نظام وترتيب خاص، بدلا من أن يقدموا الطّعام بدون أي ترتيب، وقد وصف لنا ابن بسام تنسيق الموائد فقال: " أخبرني الوليد بن زيدون عن أبي الوليد الباجي كاتب الرسائل قال : دعاني بن عباس يوما مع خواص أصحابه إلى داره فعرنا إلى مجلس ناهيك به متشاكل الحسن في فرشه وستوره وآلته وآنيته، قد طفت فيه فواكه غريبة وأنقال ملوكية على طوله وما وقعت عيني قط على أكثر منها وأغرب من أجناسها، ولا أنفس من أطباقها وقد غطى جميعها بمناديل شب تبين صورها من تحتها إلأ عين والقلوب إليها"[3]، ويتبن من خلال ذلك أنّ تقديم الموائد لم يكن بسيطا وأنّ الموائد كانت تقدم بشكل متناسق، ومرّتب، فَتُقدمُ أوّلا أطباق الشوربة والسواخن، تليها أطباق اللّحم والطّيور المتبلة بالبهارات الجيّدة[4] مثل الخل والمري[5].

وفي النّهاية تقدم أطباق الحلوى من الفطائر المصنوعة من اللّوز، والجوز، والعسل، والعجائن المعقودة بالفواكه المعطرة والمحشوة بالفتسق والبندق[6]، وبين كلّ صنف من هذه الأصناف تقدم أنواع الثرائد والعجائن ومختلف أطباق الكسكسو[7].كما كانت هناك طريقة خاصّة قد جرى العمل منذ عصر ملوك الطوائف بالأندلس وعلى أساسها صارت الفواكه تقدم فوق المائدة بترتيب خاص، حيث يوضع الجوز ثمّ اللّوز فالقسطل، فغيرها من أصناف الفاكهة[8].

وأذاع –زرياب– أنماطا جديدة في تنظيم المائدة، فأخذ الأندلسيون عنه اختيار غطاء الموائد الخشبية من الأديم، أو الجلد الأملس الناعم توضع فوقها مناديل جميلة[9] بدلاً من غطاء الكتّان، لأنّ الجلد

---

[1]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 164.

[2] – أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج3، ص 128، ص 117 ، 118.

[3] – ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، م1 ، م2 ، ص177.

[4] – أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج4، ص126.

[5]– مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 85، **لويس بولسن**، (الطبيخ الأندلسي فن من فنون الحياة ق(05-07هـ/11-13م)، مجلة دراسات أندلسية، عدد6، تونس، 1991م، ص566 ، 567.

[6] – أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج4، ص126.

[7]– مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 85، لويس بولسن، المرجع السابق، ص566 ، 567.

[8]– أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج4، ص206.

[9]– Lévi Provençal,op cit, T3, p420

أسهل للتنظيف "إذ الوضر (الوسخ) يزول عن الأديم بأقلّ مسحة"[1]، وأخذوا عنه استخدام آنية الزجاج الرفيع في موائدهم بدلاً من الأواني الذهبية والفضية[2]، لأنّ الزجاج أسهل تنظيفاً، وأجمل منظراً، وأقل كلفة[3] كما أنّها أكثر انسجاما مع منظر المائدة من الأكواب الذهبية، أو الفضية[4].

أمّا بالنسبة لبلاد المغرب فكان أفراد الأسرة يجتمعون حول لحاف وضع فوقه الطّعام على الأرض أو فوق مائدة منخفضة[5]، مستعملين الملاعق لأكل العديد من الأطباق[6]، ويستغنون عنها في بعض الأطباق[7]، وإذا تعلق الأمر بكسكسو تناوله الجميع في صحن واحد بدون ملاعق، ويكون المرق واللّحم معا في قدر من فخار يتناول كل واحد منهم قطعة اللّحم التي تعجبه، ويضعها أمامه دون تقطيع، ولايستعمل السّكين، وإنّما تمسك قطعة اللّحم باليد وينهش منها بالأسنان قدر المستطاع[8]، ويبدوا من خلال ذلك أنّ ترتيب المائدة ببلاد المغرب كان بسيطا للغاية، وهذا دليل على البساطة التي تميّز بها طعام سكان بلاد المغرب، خاصّة، غير أنّ الصّلة الوثيقة بين الأندلس وبلاد المغرب، اضافة إلى أنّ الطبقة الحاكمة وحاشيتها، قد عاشت في ظلّ حياة مترفة، قد يدفعنا إلى القول أنّ اهل المغرب قد عرفوا التأنق في المأكل، فالخاصّة من أهل المغرب بلاشك قد عرفت أداب المائدة الأندلسية، وهي أن يوضع الطّعام على المائدة ألوان مفردة لون بعد لون[9]، لكنّ الواضح أنّ اهتمام الأندلسيين بطريقة تقديمهم للطّعام قد فاق المغاربة بشكل كبير.

---

[1] – أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق،ج4، ص124.

[2] – ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص 71.

[3] – أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق،ج4، ص 124.

[4] – أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج3 ، ص 128.

[5] – حسن الوزان المعروف بليون الإفريقي، المصدر السابق، ج2، 254.

[6] – Lévi Provençal,op cit, T, p421

[7] – حسن الوزان المعروف بليون الإفريقي، المصدر السابق، ج2 ، 198.

[8] – حسن الوزان المعروف بليون الإفريقي، المصدر نفسه، ج1، ص98.

[9] – مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 85 .

3) التّقاليد الأندلسية ببلاد المغرب

لاشك أنّ تواجد أهل المغرب ببلاد الأندلس من خلال الهجرات المختلفة، قد ساعد على نقل عديد من الظواهر الإجتماعية من الأندلس إلى بلاد المغرب، وقد شملت حالات النّقل هذه كثيرا من العادات والتقاليد الأندلسية، والمتمثلة في الاحتفالات بالأعياد الدينية والقومية والاجتماعية، اضافة إلى مظاهر اللّهو الترفيه التي سادت المجتمع الأندلسي.

1.3) تقاليد الأعياد

من الأعياد التي احتفل بها الأندلسيون ماارتبط بواجباتهم الدينية، ومنها عيدي الفطر والأضحى، فقد اعتاد النّاس على الاحتفال برؤية هلال شهر شوّال حيث كانت تقرع الطبول احتفالا بليلة العيد، وترفع الراية فوق صومعة جامع يوسف بن تاشفين علامة على الابتهاج[1] وتقديم التّهاني[2]، وفي صبيحة العيد تخرج الزكوات[3]، بالاضافة إلى ارتداء الكبار والصّغار للثياب الجديدة[4]، ثمّ تتجه جموع النّاس نحو المصلى[5].

وكانت مظاهر الاحتفال متعددة بالمغرب والأندلس، ومنها خروج الرّجال مع النساء مختلطين للتفرج في أيام الأعياد والاحتفالات، ويذهبون إلى ساحة المصلى حيث يُقمن الخيام للتفرج لا للصلاة على حدّ قول الطرطوشي[6]، وكانت النّساء في الأندلس تخرج لمشاركة الرجال في الاحتفالات والاستمتاع بها معا[7]. ومظهر الاحتفالات ذاته بعيد الفطر بالأندلس نراه ببلاد المغرب، ونستشف ذلك من خلال

---

[1]- مارمول كربخال، المصدر السابق، ص 54.

[2]- الأعمى التيطلي، ديوان الأعمى التيطلي ومجموعة موشحاته، تح: احسان عباس، المكتبة الاندلسية للنشر و التوزيع، دار الثقافة، بيروت، دت، ص 142.

[3]- أحمد بن عميرة الضبي، المصدر السابق، ص 501.

[4]- **محمد بشير العامري**، دراسات حضارية في التّاريخ الأندلسي، ط1، دار غيداء للنّشر والتوزيع، 1414هـ-2012م، ص 22.

[5]- أحمد بن عميرة الضبي، المصدر السابق، ص 501.

[6]- **أبو بكر الطرطوشي**، كتاب الحوادث والبدع، ضبط وتعليق: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، ط1، دار ابن الجوزي للنّشر والتوزيع، االمملكة العربية السعودية، 1411هـ-1990م، ص 141.

[7]- **حسن يوسف دويدار**، المجتمع الاندلسي في العصر الأموي(138- 422هـ/755-1030م)، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، 1414هـ-1994م، ص304.

الإشارات الواردة التي ذكرتها بعض المصادر التّاريخية، منها رواية ابن القطان عن اجتماع النساء والصبيان في عيد الفطر ببجاية، وخروجهم مكتحلين متزينين إلى ساحة تقع خارج المدينة تقام فيها سوق أسبوعية[1]، وهو ما أكده صاحب كتاب "أخبار المهدي" بقوله "فلّما كان عيد الفطر اختلط الرجال بالنساء في الشريعة"[2]، لكنّ الأندلس عرفت حياة أكثر تفتحا من تلك التي عاشها المغاربة، ففى بلاد المغرب تشدّد الخلفاء الموحدين كثيرا في مسألة الاختلاط بين النّساء والرجال في الأماكن العامّة، وخاصة الأوائل منهم مقتدين في ذلك بإمامهم المهدي بن تومرت[3].

ولم يختلف الحال في عيد الأضحى بهذا الخصوص، حيث كانت النساء الأندلسيات يخرجن الى المتنزهات، فيراودهن الرجال، ويعتدون عليهن أحيانا، فأحداث قرطبة سنة 514هـ/1121م بدأت بسبب اعتداء عبد من عبيد المرابطين على امرأة خرجت للنزهة في عيد الأضحى، فمدّ يده إليها، فتطوّر الأمر إلى أحداث خطيرة[4].

كما احتفل الأندلسيون بكثير من الأعياد القومية والاجتماعية، ومنها احتفالات ذات طابع محلي، ترتبط بالمحيط الأوروبي للأندلس، ومنها الاحتفالات مسيحية، والاحتفال بعيد العصير، وعيد يناير، وأخرى ارتبطت بانتماء الأندلس إلى الحضارة الإسلامية، كالاحتفال بالمولد النبوي، وحفلات الختان.

شارك الأندلسيون المسيحيين أعيادهم، ومن هذه الأعياد عيد ميلاد المسيح، كما شاركوهم أيضا الاحتفال بذكرى صلب المسيح، وعيد العنصرة أو عيد سان خوان الذي تحتفل به اسبانيا في 24 يونيو، وخميس أبريل الذي يسمونه بخميس العهد والذي يسبق عيد الفصح المسيحي بثلاثة أيام[5]، وقد أشار أبو بكر الطرطوشي إلى أنّ الأندلسيين في هذه الأعياد يتباعون الفواكه والحلوى من المجبنات، والاسفنج

[1]- ابن القطان، المصدر السابق، ص93 .

[2]- البيدق، المصدر السابق، ص31.

[3]- البيدق، المصدر نفسه، ص 31.

[4]- شهاب الدين أحمد النويري، المصدر السابق، ج24، ص 275.

[5]- أبو بكر الطرطوشي، المصدر السابق، ص 151.

كالعجم تماما واعتبر هذا من البدع[1]، وباعتبار أنّ المغاربة خلال عصري المرابطين والموحدين جزء لايتجزء من النّسيج الاجتماعي الأندلسي فإنّنا لانستبعد أن يكون أهل المغرب قد شاركوا الأندلسيين هذه الاحتفالات.

ومن الاحتفالات التي راجت بالأندلس الاحتفال بمواسم جني المحاصيل، ومنها محصول العنب، والذي عرف بعيد العصير Alacir، والذي كان يسوده جوّ من الرقص، والغناء، والفرح، والسرور[2]، وهو من الأعياد القومية التي احتفل بها الأندلسيون، وهو مناسبة جماعية تقام في فصل الخريف[3]، فكان الأهل يغادرون ديارهم وينتقلون إلى حقول الكروم حيث يقيمون عدّة أيّام وليال لجمع المحصول في جوّ يسوده المرح والغناء والمرقص[4]، وقد وصف ابن الخطيب احتفالات أهل غرناطة بهذا العيد، بقوله"وعادة أهل هذه المدينة الانتقال إلى حلل العصير أوان إدراكه بما يشتمل عليه دورهم، والبروز غلى الفحوص بأولادهم، معوّلين على شهامتهم وأسلحتهم"[5]، وكان الرجال والنساء يخرجون إلى هذه هذه الاحتفالات، ومعهم ألات موسيقية، يغنون، ويرقصون، ويستحمون في النّهر، وقد ارتدى كل واحد منهم أجمل ماعنده[6]، وأشار أحد الفقهاء أنّه ماعبر من ذاك البرّ (الأندلس) إلى هذا البر (المغرب) بدعة أشنع منها[7]، وفي هذا القول دلالة على انتقال كثير من العادت الأندلسية إلى بلاد المغرب.

كما احتفل الأندلسيون برأس السنة الميلادية (يناير)، وهو مهرجان ضخم كان يقام كل سنة،

[1] – أبو بكر الطرطوشي، المصدر نفسه، ص141، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج10، ص157.

[2] – مريم قاسم الطويل، المرجع السابق، ص259.

[3] – **اسماعيل سامعي**، تاريخ الأندلس الاقتصادي والإجتماعي، ط1، منشورات مكتبة إقرأ، قسنطينة، 2007م، ص127.

[4] – **أحمد مختار العبادي**، الإسلام في أرض الأندلس، ص 391.

[5] – لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص138، **احسان عباس**، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ط1، دار الشروق، الأردن، 1997م، ص48.

[6] – **عبد العزيز الأهواني**، الزجل في الأندلس، شركة الأمل للطباعة والنّشر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2002، ص99.

[7] – **نصيرة عزرودي**، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب الأوسط من القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) وحتّى آخر القرن الثامن الهجري(الرابع عشر ميلادي)، رسالة ماجستير، إشراف سحر السيد عبد العزيز سالم، قسم التاريخ، جامعة الإسكندرية، 2007م، ص53.

وتقدم فيه التهاني[1]، وكانت من عادات النّاس فيه شراء فواكه معينة، حيث تملأ الموائد بأصناف الحلويات والفواكه المجففة مثل التين والبلوط، وغيرهما[2]، وتوضع تماثيل مختلفة من الحلوى[3]، ومنها ماعرف لدى الأندلسيين بالتماثيل المعروفة بالنصبات، وهي عبارة عن موائد كبيرة يضع عليها الباعة أشكالا هائلة من الحلوى والفواكه، وقد بلغت بعض النصبات مايربوا على السبعين دينارا لما احتوته من السكر والفانيد وضروب التين والتمر والجوز والقسطل والنارنج واللّيمون[4]. ومن أبرز الحلويات التي كانت تعدّ في هذه المناسبة، حلوى عرفت ب"حلوى المدائن"، والتي وردت نصوص عديدة في صنعها، إذ وصفها الشّعراء والكتّاب وكانوا يسمونها "مدائن يناير" لأنّ معظمها على هيئة مدائن مصفرة ذات أسوار[5]، ويبدوا أنّ تحضير هذه الأنواع من الحلويات وغيرها كان مرتبطا بمختلف المناسبات الاجتماعية والاحتفالات والأعياد[6]، ويبدوا أنّ المغاربة الذين كانوا بقيمون في الأندلس قد تعرفوا على حلوى "المدائن" انطلاقا من مشاركتهم للأندلسيين الاحتفال بالمناسبات الدينية، والتي كانت تصنع فيها مثل هذه الحلوى وهي عيد يناير[7]، فلم يختلف الأندلسيون عن أهل المغرب في الاحتفال بعيد يناير، غير أنّ تاريخ انتقالها إلى بلاد المغرب لايزال غير معلوم.

كانت حلوى المدائن تحضر في عيد النيروز كذلك، الذي يمثّل أوّل يوم من السنة الشمسية الفارسية[8]، وأعد الأندلسيون لهذه المناسبة أنواع عديدة من الحلويات[9]، وقد تضمنت أمثال العامّة عدّة

---

[1]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص100.

[2]- ابن قزمان، المصدر نفسه، ص100.

[3]- ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، مج4 ، ق1، ص47.

[4]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص 464.

[5]- **ابن سعيد** ، المغرب في حلى المغرب ، ج1، ص294، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج5، ص204 ، 206، **ابن عبد الملك المراكشي**، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: إحسان عباس، ج1، دار الثقافة، بيروت، 1973 ، ص565، 566، الزجالي، المصدر السابق، ق1، ص238 ، 239.

[6]- لويس بولسن، المرجع السابق، ص 188 .

[7]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص276 ، 278.

[8]- آدم ميتز، المرجع السابق، ص 197.

[9]- Lévi Provençal, op cit p, T3, 439.

اشارات حول الاحتفال بعيد النيروز[1]، ممّا يدّل على تجذر هذه العادة في الأوساط الشعبية، بل ثمّة مايصور حرصهم على الاحتفال به[2]، واحتفلت سبتة أيضا بعيد النيروز المعروف عندهم بيناير، فكان أهل المغرب يعملون من العجين بأصناف الألوان[3]، وهو دليل على وجود حلقة وصل بين العدوتين في هذا الإطار.

2.3) تقاليد الاحتفالات

حرص الأندلسيون على الاحتفال بعيد المولد النبوي[4] احتفالا كبيرا على الصعيدين الرسمي والشعبي[5]، وفي الوقت الذي كان فيه بعض علماء المشرق المتمسكين بالعادات الإسلامية الأولى، ينظرون إلى الاحتفال بمولد النّبي على أنّه بدعة[6] يشاركهم في ذلك عديد من علماء الأندلس وبلاد المغرب، ظهر كتاب أبو العباس العزفي من خلال مؤلفه "الدّر المنظم في مولد النّبي المعظم" الذي استعرض من خلاله مراسيم الاحتفال بالمولد النبوي الشريف والشّعائر التي تقام وموقف العلماء والفقهاء من البدع والأفعال، والعادات والتقاليد الغريبة على الاسلام[7]، ودعى الناس إلى ضرورة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف[8]، حيث قال"... فيا أمّة محمد، ويا خيرة الأمم كفى بنا جفاءا لأن لا نعرف ميلاد نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام..."[9]، ومن خلال كتابات العزفي وتأمله لما كان يحدث في المجتمع الأندلسي يتبيّن تهرب بعض المسلمين من الاحتفال بالمولد النبوي الشريف والانصراف إلى تقليد المسيحيين في احتفالاتهم بالسيد المسيح، وكان الأجدر بهم الاهتمام بأعيادهم الإسلامية واقامة الشعائر لها[10].

وبالمغرب الاسلامي شهدت سبتة الاحتفال بالمولد النبوي وكان الدّاعي إلى ذلك الاحتفال

---

[1]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص646.

[2]- ابن قزمان، المصدر السابق، ض646.

[3] - **محمد بن تاويت**، تاريخ سبتة، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1402هـ-1982م، ص58.

[4]- محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرنيين، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 1996، ص517.

[5] - أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 391.

[6] - أحمد مختار العبادي ، المرجع نفسه، ص 391.

[7]- محمد بشير العامري، المرجع السابق، ص 16.

[8]- ساند كثير من الفقهاء في وجوب ماقام به العزفيون في سبيل احياء ليالي المولد النبوي الشريف في المغرب والأندلس، حيث نقل عن بعض علماء المغرب بالفتاوي والأراء بقولهم" أنّ المسلك الذي سلكه العزفي مسلك حسن" وحدد أفضل الأعمال التي وجب القيام للاحتفال بالمولد النبوي الشريف، محمد بشير العامري، المرجع نفسه، ص 18.

[9]- محمد بشير العامري، المرجع نفسه، ص 16.

[10]- محمد بشير العامري، المرجع نفسه، ص 16.

القاضي ابن أبو العباس بن محمد العزفي، وهو الذي ألّف في الموضوع كتاب السالف الذكرو الذي أكمله ابنه أبو القاسم[1]، والذي احتفل سنة674هـ/1249م، بليلة المولد النبوي[2]، ووّزع أبو القاسم على النّاس كل أنواع الطّعام، وفي تلك اللّيلة لم يتوقف أهل سبتة عن مدح محمد صلي الله عليه وسلم في كل مكان[3] وخاصة في المساجد[4]، وبرغم أنّ هذه الدّعوة ظهرت بعد نهاية مرحلة الموحدين إلاّ أنّ مسألة الاحتفال تمتد جذورها بلا شك إلى مرحلة الدراسة، وكان الدافع إلى الاحتفال بالمولد النبوي ماكان عليه النّصارى من الاحتفال بعيد الميلاد، فقلدهم أهل سبتة المسلمون في ذلك[5]، ولم يقف الاحتفال به عند سبتة، بل عمّ المغرب الاسلامي كلّه[6]، وهذا يدلّ على أنّ مسألة اتباع أعياد النّصارى مست المغرب والأندلس، ويبدوا أنّ مظاهر الاحتفالات التي كانت تقام بسبتة كان مصدرها الأساسي بلاد الأندلس، حيث كان الناس بسبتة يوليون في احتفال المولد النبوي، ويشطحون على غناء السّمعين كعادة أهل الأندلس[7].وهذا كلّه يبين مدى تأثر سلوك أهل بلاد المغرب بأهل الأندلس[8].

وخلال شهر رمضان ينصرف النّاس إلى العبادة، كختم القرآن فضلا عن كصلاة التراويح التي كانت تقام في المساجد كل ليلة ، فضلا عن ختم القرآن [9]. أمّا بالنسبة للاحتفالات فإنّ أهم احتفال كان في ليلة القدر حيث توقد الشّموع والزيت حتى الفجر[10] في المساجد وتكون مكتظة بالحضور لإقامة الحلقات الدّينية والصلاة، ويذكر الطرطوشي بأنّ أهل الأندلس يحتفون بهذه اللّيلة فيبتاعون الحلوى ويقدمونها[11]، وليلة السابع والعشرين من رمضان ليلة معظمة لدى الأندلسيين والمغاربة، ففيها يختم القرأن في المساجد[12]، وبهذا الخصوص ذكر المؤرخون أنّ الأمير المرابطي تاشفين بن علي رغم محاصرته من طرف الجيوش الموحدية في وهران قصد ربوة عالية يتجمع فيها المتعبدون في هذه اللّيلة فصعد إليها في نفر من

[1] – محمد بن تاويت، المرجع نفسه، ص 117.
[2] – ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج، ص 398.
[3] – ابن عذارى المراكشي، المصدر نفسه، ج، ص 398.
[4] – ابن عذارى المراكشي، المصدر نفسه، ج، ص 399.
[5] – محمد بن تاويت، المرجع السابق، ص 117.
[6] – محمد بن تاويت، المرجع نفسه، ص 61..
[7] – محمد بن تاويت، المرجع نفسه، ص 112.
[8] – محمد عبد العزيز عادل، المرجع السابق، ص 238.
[9] – **ابن الزيات التادلي**، التشوف إلى رجال التصوف، تح: أحمد التوفيق، ط2، منشورات كلية الأداب، الرباط، 1997، ص344.
[10] – محمد بشير العامري، المرجع السابق، ص22.
[11] – أبو بكر الطرطوشي، المصدر السابق، ص 141، 150 .
[12] – ابن عبد الملك المركشي، المصدر السابق، ج5، ص99.

أصحابه "قصد التبرك بحضور ختم القرآن"[1]. وكانت النساء يشاركن أيضا في حفل الختم[2]، وفي هذه الليلة كان أهل المغرب يقصدون بعض المدن من أجل الاحتفال مجتمعين، فيقول ابن الخطيب في ذلك: "وظلّت ليلة سبع وعشرين إحدى المواسم المختصة باستجلاب الأمم وتخييم الخيم واحتفال الأسواق"[3]، ويبدوا أنّ مظاهر الاحتفال بهذه اللّيلة واحدة بالمغرب والأندلس، ولا مجال هنا لاظهار علاقة التأثر بين الطرفين لأنّ هذه المظاهر فرضتها الواجبات الدينية للشهر الفضيل.

ومن الاحتفالات التي كانت رائجة في المغرب و الأندلس حفل اعذار الأطفال، يورد صاحب نفح الطيب رواية مفادها أنّ عادة حفل الختان كانت شائعة عند الأندلسيين منذ النصف الثاني من القرن 4هـ/10م، وبالتّحديد عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر الذي ختن أولاده وختن معهم من أولاد رجال دولته وأكرمهم بخمسمائة ألف دينار، حيث ذكر المقري بأنّ هذه المكرمة صارت مخلدة منه مقلّدة[4]، ممّا يعني أنّها عادة استمرت عند الأندلسيين وترسخت منذ ذلك الوقت[5]. وممّا يدّل على أنّها عادة كانت منتشرة وممارسة ببلاد المغرب رواية أوردها المراكشي عن الخليفة الموحدي أبو يوسف المنصور (580هـ-595هـ/1184-1198م)، حيث ذكر أنّه كلّما دخلت السنة يأمر أن يكتب له بالأيتام المنقطعين، فيُجمعون إلى موضع غريب من قصره فيختنون، ويأمر لكل صبيّ منهم بمثقال، وثوب ورغيف ورمّانة، وربّما زاد على المثقالين درهمين جديدين، "هذا كلّه شهدته لا أنقله عن أحد من النّاس"يقول المراكشي[6]، وبهذا يتضح أنّ الختان كان سنة الذكور واجبة في كلّ من المغرب والأندلس، ونظرا لقيمته الاجتماعية ارتبط بتقليد رسمي في كل من الأندلس و بلاد المغرب.

4) اهتمام أهل المغرب باللّهو والترفيه

1.4) ارتياد الحدائق والمتنزهات

اعتاد المغاربة والأندلسيين على الاستمتاع بأوقات فراغهم بشتى وسائل التسلية، ومن بين هذه

[1]- شهاب الدين أحمد النويري، المصدر السابق، ج24، ص292، 293.

[2]- أبو بكر الطرطوشي، المصدر السابق، ص 141.

[3]- **لسان الدين بن الخطيب**، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، ج، تح: السعدية فاغية، مطبعة النّجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1409هـ-1989م، ص 122.

[4]- أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، 2ج، ص128 .

[5]- **ابن عبدون**، رسالة في القضاء والحسبة، نشر ليفي بروفنسال، المجلة الأسياوية، باريس، 1934م، ص239 .

[6]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، 204.

الوسائل ارتياد الحدائق والمتنزهات، وسماع الموسيقى والطرب والإقبال على الملاهي، ومجالس الخمر، الشيء الذي تمخض عنه أحيانا عادات شادة، جاءت نتيجة لتفسخ المجتمع في مرحلة الهرم، وبسبب الأزمة الاقتصادية التي عرفتها الدولة المرابطية في أواخر أيّامها[1]، حيث يبدوا أنّ أهل المغرب وسكان الأندلس كانت عندهم الرغبة في قضاء أوقات فراغهم في اللّهو، اضافة إلى ميلهم إلى الترفيه.

امتازت الأندلس بالطبيعة الخلابة والمناخ الجيد المتنوع، فنرى الجبال والسهول والهضاب والوديان والمناخ الشديد البرودة والمعتدل والحار، كما أنّ جمال الطبيعة منح المجتمع بهجة وسرورا وفرحا، وخاصّة في الاحتفال بالأعياد، والمناسبات، ويدّل ذلك على ارتباط المجتمع الأندلسي بالطبيعة، التي لقيت تمجيدا خاصّا من الشعراء الأندلسيين الذين افتخروا بها لدرجة أنّهم وصفوها "بجنة الخلد"، ومن هؤلاء ابن خفاجة[2].

وامتازت غرناطة بجمالها وخيراتها[3]كما وصفها ابن الخطيب الغرناطي بقوله:"إنّ الطبيعة الكريمة للمملكة قد اجتدبت المسلمين من افريقيا، والمشرق على مدى العصور منذ الفتح العربي، كما بدأ سيل المهاجرين يفد من الداخل على مملكة غرناطة منذ سقوط الدّولة الأموية علاوة على طوائف البربر الذين وفدوا من المغرب وطاب لهم المقام بأرض الفردوس، حتى غدت بهم غرناطة يوما إمارة، تميّزت بعنصر البرابرة (أهل المغرب)، رغم ما بها من سكان أخرين، وقد زاد تدفق هؤلاء البرابرة (أهل المغرب) على مرّ الأيام وخاصّة على القواعد الجنوبية في عهد دولتي المرابطين والموحدين، يضاف إلى ذلك بعض المحاربين القادمين من افريقيا والذين كانت تستهويهم خيرات البلاد وتغربهم نضرتها بالمقام فيخلفون بها مستوطنين"[4].

هذه الهجرات أدّت إلى زيادة عدد السكان وتنوع المجتمع، وبالتّالي تنوع صفاته وعاداته بالإضافة إلى تفاقم وازدحام السكن في غرناطة حيث صرح لنا ابن الخطيب بقوله:"من أولئك النازحين اسر عريقة

---

[1]- القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 94.

[2]- **ابن خفاجة**، ديوان ابن خفاجة، شرحه وضبطه نصوصه وقدّم له، عمر فاروق الطّباع، دار القلم للطباعة والنّشر والتوزيع، بيروت، ص136..

[3]- محمد بشير العامري، المرجع السابق، ص 12، **أحمد مختار العبادي**، الأعياد في مملكة غرناطة، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1970م، ص 138.

[4]- **لسان الدين بن الخطيب**، كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تح: محمد كمال شبانة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، د ت، ص17.

أندلسية لجأت إلى المناطق الجنوبية والمدن الساحلية"[1]، ومن دون شك أنّ هؤلاء الوافدين كانوا يحملون معهم عاداتهم وتقاليدهم، مما زاد الأعياد والمناسبات الدينية والاجتماعية ثراءا، وقد ينطبق هذا على البربر الذين تواجدوا بالأندلس والذين رجع منهم عدد كبير إلى أرض المغرب.

فقد انتشرت في بلاد المغرب في عهد دولتي المرابطين والموحدين، الحدائق والبساتين بأمر من ولاّة الأمر في المغرب، والتي قام بانشائها خبراء البساتين الأندلسيين، وعرف أهل المغرب ارتياد الحدائق والمتنزهات في أعيادهم واحتفالاتهم ويأتي في مقدمة هذه الحدائق تلك الحديقة الكبيرة التي أنشأها الخليفة عبد المؤمن، وكذلك المتنزهات التي أنشأت بمدينة فاس[2]، وحدائق سبتة التي وصفها العمري بقوله: "وفي برّ العدوة أماكن للفرجة متعددة أخذ هكذا بجامع القلوب ولازمة الأبصار ببونش متنزهة بظاهر سبتة على البحر في نهاية من حسن الوضع وانحدار المياه التي لها على الصخور دوي والتفاف الأشجار"[3]، واشتهر كذلك جبل غمارة بكثرة المتنزهات[4].

2.4) صدى الألعاب الأندلسية ببلاد المغرب

رافقت الاحتفالات بالأندلس وبلاد المغرب ألعاب متعددة ومتنوعة للمتعة والتسلية وقضاء أجمل الأوقات منها مصارعة الثيران والكلاب، ولعبة العصى التي مارسها أهل غرناطة، ولعبة الكتف، وشاعت لعبة الشطرنج في غرناطة ولعبة الحاوي أو العجابي[5]، وسادت لعبة ممارسة القنص والصيد والرمي لتظهر مهارة وشجاعة وقدرة الفرد[6].

وهناك عديد من الألعاب التي كان مصدرها الأندلس وكانت محل اهتمام من أهل المغرب، ومنها لعبة العصا، فقد أورد الغبريني رواية توحي بانتقال هذه اللعبة من الأندلس إلى بلاد المغرب مع هجرات الأندلسيين من خلال ترجمة الفقيه أبي عبد الله العربي، حيث ذكر أنّه احترم ببجاية في سنة

[1] – لسان الدين بن الخطيب، المصدر نفسه، ص 17.
[2] – حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 428 ، 429.
[3] – ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، 100.
[4] – مؤلف مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار، ص 190.
[5] – محمد بشير العامري، المرجع السابق، ص 31-32.
[6] – محمد بشير العامري، المرجع نفسه، ص 32.

561هـ/1165م وركب قصبة وأمسك باليد الأخرى قصبة على هيئة محاربة العدّة، وكان ذلك هو اليوم الذي هزم فيه المسلمون النّصارى بمعركة الأرك[1].

واشتهرت ألعاب الفروسية بالأندلس بالساحات العمومية، وخاصّة بمدينة غرناطة في ساحاتها المشهورة كساحة باب الرملة، أو ساحة باب الطوابين، وداخل احدى هذه الساحات تقام دائرة خشبية في الهواء تدعى الطبلة يقذفها الفرسان برماحهم[2]، وشهدت هذه الساحات كذلك المبارزات الفردية والجماعية التي تشبه معركة حقيقية قد يكون ضحيتها بعض الأشخاص، ولانستبعد أن تكون بعض القرى المغربية قد عرفت بدورها ألعاب الفروسية لاشتهار أهلها بذلك ، وقد وصف الإدريسي أهل قرية أم الربيع بأنّ "الغالب عليهم الفروسية"[3].

ومن الألعاب الشهيرة التي لقيت اهتماما في المغرب والأندلس لعبة الشطرنج ، التي يعود تاريخ دخولها إلى الأندلس حوالي القرن 03هـ/09م عن طريق المغني زرياب، وبعض المهاجرين من العراق، ومن المحتمل أن يوافق ذلك دخولها إلى بلاد المغرب خصوصا وأنّ زرياب نزل بافريقية على عهدي الزيريين قبل ارتحاله إلى الأندلس[4]، وانتشرت منذ ذلك الوقت وأغرم بها الأندلسيون، وقد أوردت المصادر اهتمام بعض الحكام بالأندلس خلال القرن 04هـ/10م بهاته اللّعبة[5]. وعرف المرابطون لعبة الشطرنج، رغم نهي الفقهاء عنها واعتبارها من شغل البطالين[6]، وعرفت هذه اللّعبة انتشارا واسعا بين الطبقة الخاصّة، والعامّة فقد ذكر عن طبيب المرابطين والموحدين أبو بكر بن زهر بأنّه "جيّد اللّعب بالشطرنج"[7]،كما اشتهر أبو بكر ابن العربي بمهارته في هذه اللّعبة[8]، في حين كان للشاعر أبي الصلت بن أميّة الأندلسي "في الشطرنج

[1]- **أبو العباس الغبريني**، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: عادل نويهض، ط2، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1979م، ص81 .

[2]- أحمد مختار العبادي، الإسلام في أرض الأندلس، ص 141.

[3]- الشريف الإدريسي، وصف افريقيا الشمالية، ص70، 71.

[4]-أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج3، ص130 .

[5]- ابن حيّان، المصدر السابق، ص180، 182 ، ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ج4، ق1، ص60.

[6]- القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 95

[7]- **ابن أبي أصيبعة**، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق: نزار رضا، ج3، م1، منشورات دار مكتبة دار الحياة، بيروت ، د ت، ص110.

[8]- حسن يوسف دويدار، المرجع السابق، ص 315..

يد بيضاء"[1].

المبحث الثاني: التأثير الفني والمعماري الأندلسي

1) التأثير الفني الأندلسي في مجال الموسيقى والغناء على بلاد المغرب

1.1) ظهور فن الموسيقى والغناء بالأندلس وبلاد المغرب

كان غناء أهل الأندلس في القديم إمّا بطريقة بطريقة العرب[2]، وإمّا بالطريقة الشعبية للنّصارى التي كانت منتشرة في اسبانيا أيام الفتح الإسلامي لها، وفي الحالتين لم يكن عندهم قانون يعتمدون عليه[3]، وكان أوّل من دخل الأندلس من المشرق الموسقيين، علون وزقون، دخلا في أيام الحكم بن هشام ، وكانا محسنين[4]، أمّا تطور فن الموسيقى بالأندلس والمغرب فيبدأ مع وفود المغني زرياب الذي أحدث نهضة موسيقية[5]، الذي يعتبر صاحب مدرسة تميزت بأسلوب خاص في التلقين و التعليم[6]، وقد كان من أثره أن أصبح للخلفاء والأمراء وأكابر القوم شغف خاص بالموسيقى والغناء[7].

وكان زرياب قبل دخوله إلى الأندلس قد مرّ ببلاد المغرب ونزل بسبتة قبل عبوره إلى الأندلس[8]، وهذا يدفعنا إلى طرح احتمال مفاده أن يكون زرياب قد نشر فنه وموسيقاة ببلاد المغرب قبل الأندلس، وإن كان أثر ذلك لايظهر في المصادر التي تناولت هذه الفترة التّاريخية.

---

[1] – ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص246.

[2] – محمد عبد العزيز عادل، المرجع السابق، ص 158 .

[3] – عباس الجراري، (أثر الأندلس على أروبا في مجال النغم والإيقاع)، مقال منشور بمجلة عالم الفكر، العدد الأوّل، أبريل – يونيو 1981، ص 20.

[4] – أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج3، ص 130.

[5] – زرياب: هو لقب أصبح يطلق على المغني أبو الحسن علي بن نافع، واختلفت الاراء حول هذا اللقب إذ منهم من ذهب إلى القول بأنه شبه طائر أسود حسن التغريد اسمه الشحرور، في حين ذهب آخرون إلى أن لفظة زرياب فارسية تعني الذهب الخالص، للتفصيل أكثر ينظر: **أنخيل جنثالث بالنثيا**، تاريخ الفكر الأندلسي، تر: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دت، ص 114.

[6] – أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج3، ص 126 – 127 .

[7] – محمد عبد العزيز عادل، المرجع السابق، ص 159.

[8] – أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج3، ص124.

من خلال ماتقدم يبدوا أنّ أهم عامل ساهم في نشر وتطوّر الموسيقى بالأندلس هي فتح الأمويين الأبواب أمام انتقال المعارف الموسيقية القادمة من المشرق خاصّة عن طريق استقدام الجواري والقيان الذين تميّزوا باتقانهم للغناء[1]، والذين ساهموا في نشر الأغاني، والألحان العربية المشرقية ببلاد الأندلس[2]، كما أنّ شغف الأمراء بالغناء خاصّة في عصر ملوك الطوائف قد أعطى دفعا قويّا لرواج الموسيقى وتطورها في الأندلس[3]، حيث توّسع انتشار فن الغناء في الأوساط الشعبية خلال هذا العصر، وهو مايجعله العصر الذهبي لفن الموسيقى والغناء[4].

أمّا المسيرة التطورية لفن الموسيقى والغناء ببلاد المغرب فمن الصعب رصدها لغياب المصادر التي أرّخت لذلك، ونظرا لعدم مواكبة أهل المغرب للتطورات التي شهدتها الأندلس حيث توفرت هناك الأسباب التي أدّت إلى تطوّر فن الموسيقى، وإذا تحدثنا عن الموسيقى بمفهومها العام[5] فإنّنا لانستطيع أن ننكر ولع المغاربة بالموسيقى والغناء، فقد دلّت الأبحاث التّاريخية على استعمال أهل المغرب لكثير من الآلات الموسيقية البسيطة.

1.1) موقف المرابطين والموحدين من فن الموسيقى والغناء

كان أهل الأندلس محبين للموسيقى واللّهو بطبيعتهم، وكان الغناء متفشيا في أوساط المجتمع، ورغم حالة التشدد التي أبداها المرابطون ثمّ الموحدون في بداية دولتهم، فإنّ أخبار مجالس اللّهو والأنس لم تنقطع في الأندلس، فانتشرت وسائل اللّهو غير المباحة من مغنيين وشعراء ماجنين يتداولون بينهم كؤوس الخمر، وهذه الظاهرة لم تبدأ مع المرابطين ولا مع الموحدين حيث شاعت قبلهم بكثير، فما موقف المرابطين و الموحدين من انتشار فن الموسيقى والغناء بالمغرب والأندلس ؟

---

[1] – أنخيل جنثالت بالنثيا، المرجع السابق، 154-167.

[2] – إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر قرطبة، 53.

[3] – السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص156.

[4] – **عبد العزيز بن عبد الجليل**، الموسيقى الأندلسية مظهر من مظاهر التسامح في المجتمع الأندلسي، ط1، دورية الحضارة الإسلامية في الأندلس، الدار البيضاء، 2003م، ص263.

[5] – الموسيقى هي "معرفة نسب الأصوات والنغم بعضها من بعض ، وتقديرها بالعدد وثمرته معرفة تلاحين الغناء" عبد الرحمن بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون، ص 57.

بعدما تمّ للمرابطين السيطرة على بلاد المغرب والأندلس عارضوا الاشتغال بالموسيقى ومنعوا أن تباع كتب الغناء، كما أمروا القضاة بكسر آلات الموسيقى التي توجد مع المغنين في الطرقات[1] باعتبار أنّ دولتهم كانت قائمة على الفقهاء، والتزاما بما جاء به داعي المرابطين عبد الله بن ياسين الذي علّم المرابطين الإلتزام بتعاليم الدين[2].

إلاّ أن هذه الشدّة في بدء الدولة المرابطية أخذت تخف حدتها بعد ذلك ، وصارت هناك بعض الجواري اللائي يحسن الغناء[3]، فلم يستطع المرابطون وعلى الرّغم من تأثرهم بتعاليم الفقيه عيد الله بن ياسين، مقاومة مباهج الحضارة الأندلسية بكل مظاهرها ومفاتنها ولاسيما فن الغناء والموسيقى والطرب[4]، فصارت هناك مجالس للطرب[5]، فعلي ابن تاشفين الذي فتن بمباهج الحضارة الأندلسية، قد تعلق أحيانا بمجالس الطرب، تجلى ذلك في مجلس أنس حضره فأنشد بيتين برر فيهما حضوره المجلس[6].

وقد سار أمراء المرابطين على درب أمراء الأندلس في شغفهم بمجالس الطرب والموسيقى ومثالنا على ذلك أبو بكر بن يوسف بن تاشفين المعروف بابن تيفلويت والي سرقسطة في عصر علي بن يوسف، الذي اتخذ من الفيلسوف ابن باجة كاتبا له، فيروي أنّ ابن باجة حضر مجلسا من مجالس الطرب لمخدومه، وألقى موشحه التي أوّلها:

جَرَر الذَيْل أيّما جَرّ وَصَلَ الشُكرُ منْكَ بالشُكْر

فطرب ابن تيفلويت لذلك[7]، حيث تشير إحدى الروايات إلى أن هذا الأخير قد حلف بالإيمان المغلظة ألا يمشي ابن باجة إلا على الذهب، وذلك بعد أن ألقى موشحة له على بعض القينات غنينها في مجلس الوالي

[1]- إحسان عباس، المرجع السابق، 250.
[2] - ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 20.
[3] - أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج6، ص 12.
[4]- حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 340.
[5] - حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص422 ، 423.
[6]- أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج4، ص 216، 217 .
[7]- لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص47، حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 423.

المذكور[1]؛ ويشير أحد الباحثين إلى أن ابن باجة قد أسهم في تطوير الموسيقى والغناء في تلك الفترة واستطاع أن يكون مدرسة موسيقية خاصة به في الأندلس اعتمد فيها على أساليب جديدة في صنع اللّحن الموسيقي، ونقل من خلالها خبرته للعديدين وبالتالي يكون قد أصل لطريقة جديدة لم تكن معروفة بالأندلس من قبل، فمال إليها أهلها ورفضوا ما سواها[2].

لم يختلف حال هذا الفن كثيرا مع مجيء الموحدين فقد كانت نظرتهم للموسيقى من باب أنّها منكر يجب تغييره، واعتبرت اهتمام المرابطين بها من الأخطاء التي تحسب عليهم، وأنها مما أسهم في انهيار دولتهم نتيجة انغماسهم في الملاذ واللهو[3]، حتى أنّه ابن تومرت وهو في طريقه ببجاية رأى مطربين فهجم عليهم، وأخذ منهم بعض آلاتهم وكسرها بزعم أن ذلك يلهيهم عن دينهم[4]، كما اتخذ الخليفة الموحدي يعقوب المنصور (595هـ-1198م)، مع بداية عهده أمرا بقطع الملهين والقبض على من شهر من المغنين، فثقف من وجد منهم بكل مكان، فغيروا هيئاتهم، وتفرقوا على الأوطان، وبارت سوق القيان[5].

على غرار المرابطين لم يستطع الموحدون مقاومة حياة الترف واللّهو التي سادت الأندلس، إذ سرعان ماتغيّر موقفهم اتجاه فن الموسيقى والغناء، وأضحوا أكثر انفتاحا على ترف الحضارة بالأندلس، وأكثر اهتماما بالفنون والآداب، فعادت نتيجة ذلك تجارة القيّان للظهور بالمغرب والأندلس من جديد، وصارت تعرض على عهدهم جوار بارعات في الألحان الأندلسية[6].

ومن خلال ما سبق يتضح لنا تبين جليا مدى التفوق والنبوغ الأندلسي على نظيره المغربي في ذلك، مما يعني أن التأثير الأندلسي على بلاد المغرب هو كان واضحا وجليّا

---

[1]- لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ج1، ص407، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، 482.

[2]- **محمد بن تاويت**، (الموسيقى والغناء في الأندلس)، مجلة الأبحاث، مجلد 21، عدد02، ديسمبر 1968، بيروت، ص114.

[3]- البيدق، المصدر السابق، ص16- 22.

[4]- البيدق، المصدر نفسه، 32.

[5]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص145، **أحمد عزاوي**، مجموعة رسائل موحدية، تح: أحمد عزاوي، ج2، ط1، 1416هـ-1996م، منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، رسالة رقم 100، ص335، 336.

[6]- **زينب نجيب**، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، ج3، ط1، دار الأمير للثقافة والعلوم، 1995م، ص293.

2.1) انتقال فنون الموسيقى والغناء الأندلسية إلى بلاد المغرب

لقد تبين من خلال ماسبق أنّ فن الموسيقى والغناء قد عرف تطوّرا لافتا على يد الأندلسيين، الذين تميّزا ببراعتهم الكبيرة في هذه الفنون، على خلاف أهل المغرب الذين لم يتعرضوا للمؤثرات الكافية التي تجعل هذه الفنون تشهد نهضة مشهودة، لهذا فإنّه من الطبيعي وبحكم الصلات التي جمعت بلاد المغرب بالأندلس خلال عصري المرابطين والموحدين، أن يتأثر اهل المغرب بالمستوى الذي وصلت إليه تطور فنون الموسيقى الغناء.

أ) انتقال فن التوشيح والزجل الأندلسي إلى بلاد المغرب

لقد شهدت الأندلس خلال القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي ابتكار فن أندلسي شعبي جديد مرتبط بفن الموسيقى والغناء، وهو فن الموشحات والأزجال[1]، وهو طراز شعري مختلط، تمتزج فيه مؤثرات شرقية وغربية، عرف رواجا كبيرا وتطورا خصوصا في عصري المرابطين والموحدين، حيث كانت تلك الموشحات والأزجال تلحن وتغنى[2]، ثم أخذ هذا الفن ينتشر ببلاد المغرب عن طريق هجرة وشاحي وزجالي الأندلس، وكان لحواضر بلاد المغرب حظ منهم، إذ وفد عليه ابن اللبانة "أبو بكر محمد بن عيسى الداني"(ت 526هـ/ 1131م"[3]، كما وفد أيضا أبو بكر ابن باجة (ت 534هـ/ 1139م)، الذي

[1] – يقال أنّ مبتدع فن الموشحة، شاعر ضرير من بلدة قبرة Cabra على بعد ثلاثين ميلا إلى الجنوب الشرقي من قرطبة ، ويقال له مقدم بن معافى القري ، وكان من شعراء الأمير الأموي عبد الله بن محمد في أواخر القرن الثالث الهجري، ويلاحظ أنّ الموشحة والزجل فن شعري واحد مع فارق أساسي هو أنّ الموشحة عربية صميما ماعدا الجزء الأخير منها وهو الخرجة، فباللغة الاسبانية أو العامية الأندلسية، أمّا لغة الأزجال كلّها، فهي اللّغة العامية الدارجة على ألسنة عامة الناس في البيوت والأسواق، وتتخللها كلمات وعبارات من عجمية أهل الأندلس، أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص353، 354.

[2] – لتتبع تطوّر فن التوشيح والزجل ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص481– 488، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج4، ص214، **مصطفى عبد الكريم عوض**، فن التوشيح، ط2، دار الثقافة للنشر والتّوزيع، بيروت، 1997، ص17، عبد العزيز الأهواني، المرجع السابق، ص55، إحسان عباس، المرجع السابق، 221 ، 222، **الطاهر أحمد مكي**، الموشحات فن أصيل ومتطور، مجلة الأصالة، العدد 11 سنة 1972، ص118.

[3] – **لسان الدين بن الخطيب**، جيش التوشيح، تح: هلال ناجي، محمد ماضور، مطبعة المنار، تونس، دت، ص59 ، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج3، ص368.

اشتهر في عصر المرابطين، وذكر عنه أنه كان ينظم الموشحات ويلحنها[1].

وبذلك فإنّ استقرار مثل هذين العلمين ببلاد المغرب قد فسح المجال لوقوع احتكاك بينهم وبين المغاربة، بل من الممكن أنهم قد أسهموا في تكوين فئة برعت في هذا الفن بالمغرب، وإن كانت المصادر الأندلسية ومثيلتها المغربية قد بخلت علينا بذكر أسمائهم.

وطبيعي أن يسير أبنا المغرب من الشعراء – أو بعضهم على الأقل – في نفس التيار الجديد لفن الموشحات والأزجال، تأثرا بتيار الشعر الأندلسي اعتبارا للوحدة السياسية بين المغرب والأندلس في عهد المرابطين والموحدين، "فأصبح بر العدوة – بلاد المغرب– يشارك الأندلس في فن التوشيح"[2]، حتى إذا بدأ عهد الموحدين كان من بين أبناء المغرب من اشتهر بالتوشيح والزجل، مثل الشاعر ابن غزلة الذي كان معاصرا للخليفة عبد المؤمن بن علي ومحبا لابنته رميلة[3] كما أنّ رميلة ابنة عبد المؤمن كانت شاعرة فصيحة اللسان تنظم الأزجال الرائعة ومنها الزجل[4]، ومن شعراء بلاد المغرب أيضا الذين لمع اسمهم في سماء التوشيح في العصر الموحدي الشاعر أبو حفص عمر السلمي الاغماتي المتوفى سنة 603هـ/1206م، والذي كانت له موشحات يغنى بها في الأقطار[5] وله أنظام بديعة، وتآليف حسنة، منها الموشحات النبوية على حروف المعجم، وقد عرف عنه أنّه كان شاعرا رقيقا مطبوعا نافذ الذهن، رشيق العبارة، حلو الدعابة[6].

ب) توافد الموسيقيين الأندلسيين على بلاد المغرب

توافد عدد من أعلام الموسيقى الأندلسيين على بلاد المغرب، فنتج عن ذلك احتكاك مباشر للمغاربة بالموسيقى والغناء الأندلسي، وكان من أهم هؤلاء الأعلام أبو بكر محمد بن يحي بن الصائغ

[1] – عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، 482 ، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج4، ص618.

[2] – إحسان عباس، المرجع السابق، ص250.

[3] – **عباس الجراري**، الأمير الشاعر أبو الربيع سليمان الموحدي، عصره، حياته وشعره، دار الثقافة، الدار البيضاء 1984، ص 111.

[4] – **عباس الجراري**، موشحات مغربية، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، أفريل 1973، ص 147.

[5] –**ابن سعيد**، الغصون اليانعة في ينابيع المائة السابعة، تح: ابرهيم الأبياري، دار المعارف، القاهرة، 1977، ص 93.

[6] – الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تح: عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني، ج3، ط1، دار الثقافة، 1425هـ-2004م، ص 99.

المعروف بابن باجة (ت 534هـ/1139م)[1]، فبالإضافة إلى ما كتب في علم النفس والهندسة والفلك فإنّه فيلسوف الأندلس وإمامها في الألحان[2]، وإليه تنسب الألحان المطربة بالأندلس التي عليها الإعتماد[3]، وكان صاحب مدرسة نبغ فيها الكثير من التلاميذ كأبي عامر محمد بن الحمارة الغرناطي الذي "برع في علم الألحان[4]، وبما أنّ ابن باجة قد هاجر إلى بلاد المغرب على عهد حكم يوسف بن تاشفين، حيث تولّى الوزارة[5]، فذلك يعني أن ألحانه قد لاقت رواجا هناك، بل وبقيت معروفة عندهم حتى بعد وفاته بفترة طويلة من الزمن، حيث يذكر عنه أحد المؤرخين بأنّه "صاحب التّلاحين المعروفة"[6]، بل أنّنا لانستبعد أن يكون قد نقل نشاط مدرسته الموسيقية إلى بر العدوة المغربية بعد استقراره ببلاد المغرب مدّة طويلة ناهزت العشرين عاما[7].

ومن معاصري ابن باجة يذكر أبو الصلت أمية ابن عبد العزيز الدّاني (ت 529هـ/1134م)، الذي كان من أبرز المغنين بالأندلس في عصر الطوائف، إذ "كان متقنا لعلم الموسيقى وعمله... جيد اللعب بالعودة"[8].أما عن صلته ببلاد المغرب فترجع إلى عصر ملوك الطوائف حين نزل على ملوكها الصنهاجيين، وقصد أبا طاهر يحي بن تميم بن المعز بن باديس صاحب القيروان وحظي عنده وحسن حاله معه، وبقي بها إلى أن مات ودفن هناك[9]، وبذلك فهو "من لحّن الأغاني الإفريقية وإليه تنسب إلى الآن"[10]، وأوّل من بعث نهضة موسيقية غنائية بربوع هاته البلاد، ثم أكمل حلقة الوصل التي ربطت المغرب بالأندلس موسيقيا من جاءها بعده.

---

[1]- أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج3، ص185، ابن سعيد، المصدر السابق، ج2، ص94.

[2] - ابن سعيد، المصدر نفسه، ج2 ، ص 119.

[3] - أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج3، ص 158.

[4] - ابن سعيد، المصدر السابق، ج2 ، ص 120، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج3، ص140.

[5] - أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج4، ص618.

[6]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، 482.

[7] - محمد بن تاويت، المرجع السابق، 114.

[8]- **ابن أبي أصيبعة**، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا، ج3، منشورات دار مكتبة دار الحياة، بيروت، د ت، ص86، ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص243 ، العماد الأصفهاني، خريدة القصر، ج1، ص189.

[9]- ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص246.

[10]- أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج2، ص106.

ومن خلال ما سبق ذكره نستنتج بأن فن الموسيقى والغناء كان نقطة اتصال حضارية مهمة جمعت بين بلاد المغرب والأندلس، وساهمت في وصل بلاد المغرب بالتطورات المهمّة التي حصلت في ميدان الموسيقى والغناء، والتي لم تمكنه الظروف التاريخية أن يواكبها كما حدث في الأندلس، وبذلك كانت الموسيقى والغناء صلة وصل ضرورية بين الأندلس وبلاد المغرب من أجل اثراء موروثه الحضاري من خلال نقل الفنون المختلفة من موشحات وزجل، وموسيقى، بل أنّ أهل المغرب قد تحوّلوا بعدها بفضل استفادتهم من فنون الأندلس من مرحلة استقبال لهذه المؤثرات الثقافية إلى مرحلة الإبداع فيها.

2) فن البناء والعمارة

بدأ التأثير الفني المعماري الأندلسي على بلاد المغرب يتبلور منذ أواخر القرن 05هـ/11م، مع ظهور دولة المرابطين وبسط نفوذها على العدوتين المغربية والأندلسية، وتواصل هذا التأثير بعدها على عهد الدولة الموحدية التي شمل نفوذها مجالا أوسع من بلاد المغرب، حيث أصبح مع هذا التأثير للمغرب والأندلس في العمارة طراز واحد هو الذي سمي بالفن الأندلسي المغربي الإسباني المغربي: "Hispano-Manireque"[1]، وهذا يدفعنا للاستفسار والتساؤل عن عوامل هذا التأثير المعماري الأندلسي على بلاد المغرب؟ وأهم مظاهره؟

1.2) عوامل التأثير المعماري الأندلسي على بلاد المغرب

لقد كان للوحدة السياسية التي حقّقها المرابطون ومن بعدهم الموحدون بين الأندلس والمغرب أثر فعّال على العدوتين، إذ تمّ انتقال عديد من الظواهر الحضارية بين الجانبين، ومنها الجانب العمراني، وإذا ماتحدثنا عن نقل أهل الأندلس لخبرتهم لبلاد المغرب في هذا المجال فإنّ أهمّ مايلفت الانتباه هي تلك المآثر العمرانية الباقية إلى اليوم، والتي لاتزال شاهدة على حالة الوصل الحضاري بين الضفتين.

لقد فتح المرابطون أبواب بلاد المغرب أمام الحضارة الأندلسية، فأخذت التّأثيرات الأندلسية

[1]- **محمد عبد الله عنان**، الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، ط2، مكتبة الخانجي، 1964، ص274 .

تتدفق في عصرهم على البلاد المغربية[1]، فاشتّد ساعد هذه المؤثرات أكثر من ذي قبل، ولم تعد قاصرة على مدن الساحل بل نفذت إلى إقليم أغمات ومراكش[2]، لأنّ هؤلاء البدو عمدوا إلى الاستفادة من الأندلسيين بقدر استطاعتهم[3]، فجلبوا لأجل ذلك المهندسين والصّناع من الأندلس معتمدين عليهم في إقامة منشآتهم العمرانية كالقصور، والمساجد، والخزانات، والقناطر، والقلاع وقنوات الرّي، وغيرها من المنشآت العمرانية، فساد الفّن العمراني الأندلسي في المغرب، وظهرت تقاليده واضحة وضوحا تامّا فيما تخلف من آثار المرابطين في المغرب والأندلس[4].

وكان لولاّة الأمر دور هام في تشجيع البناء والتّعمير، فأمير المسلمين يوسف بن تاشفين بدأ نشاط التّعمير والبناء، ببناء عاصمته مراكش[5]، ثمّ أتبعه باستقدم عددا من الصناع من قرطبة إلى مدينة فاس للزيادة في مساجدها وسقاياها وحماماتها وخزاناتها[6]، وأشار المراكشي معلقا على ذلك بقوله: "فانقطع إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين من الجزيرة من أهل كل علم فحوله حتى أشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم"[7]، وواصل أمير المسلمين علي بن يوسف اهتمامه بالبناء كإنشائه لمسجد تلمسان والتّوسعة في جامع القرويين[8]، ونفس الأمر كان مع الموحدين إذ روي أن أميري الموحدين يوسف ويعقوب المنصور أنّهم أحضروا من الأندلس مهندسين لإنشاء جميع المباني التي أقاموها في مراكش والرباط وفاس[9].

ويبدو أن استجلاب الصّناع إلى بلاد المغرب كان قد ارتبط بوفرة الصناعات وحاجة الدّولة إلى

---

[1]- حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 363.

[2]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 449.

[3]- **عليّ الجزنائي**، جنى زهرة الأس في بناء مدينة فاس، تح عبد الوهاب ابن منصور، ط2 ، المطبعة الملكية، الرباط ، 1991، ص 32.

[4]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 747.

[5]- يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 251 ، حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 372.

[6]- **بن كانون صافية**، التأثيرات الفنية الأندلسية على المغرب الأوسط في العهد الزياني (633-962هـ/1235-1554م)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس في الآثار، إشراف صالح بن قربة، معهد علم الآثار، تخصص آثار إسلامية، جامعة ابن بعطوش، الجزائر، 1999، 15.

[7]- **عبد العزيز بن عبد الله**، (الفن المعماري بالمغرب والأندلس الأخذ والعطاء)، مقال ضمن كتاب التراث الحضاري المشترك بين إسبانيا والمغرب، الرباط، الهلال العربية للطباعة والنشر، المملكة المغربية، 1993، ص309.

[8]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 373.

[9]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص163، 164.

مثل تلك الكفاءات، كما أفاد في جلب الصناعة للمغرب من خارجه وخاصة من بلاد الأندلس، إذ أسهم كثيرا في نقل الصّناع والعرفاء والبّنائين لمؤثرات الصّنعة الأندلسية إلى بلاد المغرب كافة[1]، إذ تشير المصادر إلى العديد من الأسماء التي برزت في هذا المجال من ذلك أنّ المهندس الذي رسم تصميم دار الصناعة البحرية بسلا على عهد المرابطين كان من إشبيلية[2]، وأن العامل الذي تولى بناء قلعة تاسغيموت المرابطية هو رجل أندلسي[3].

وإلى جانب هؤلاء الصّناع الذين تم استدعاؤهم بطلب من أمراء المرابطين وخلفاء الموحدين هناك آخرين انتقلوا إلى بلاد المغرب برغبة منهم بسبب عدم الاستقرار الذي شهدته الأندلس، خاصّة أمام تزايد هجمات النّصارى في نهاية عهد المرابطين، "فلمّا نفذ قضاء الله تعالى على أهل الأندلس بخروج أكثرهم عنها في هذه الفتنة الأخيرة...تفرقوا ببلاد المغرب من برّ العدوة مع بلاد إفريقية... فكان من أصناف الناس الوافدين من أهل البادية والحواضر ومشاركتهم لأهل المغرب أعمالهم، أهل الصنائع، ومنهم البنائون والمهندسون والعرفاء وغيرهم"[4]. وقد كان لنشاط هؤلاء الصّناع دور مهمّ في إدخال التأثيرات الأندلسية التي كانت منتشرة في الأندلس إلى بلاد المغرب، فكانت استفادة أهل المغرب منهم كبيرة، حيث عمدوا إلى تقليد هؤلاء الصّناع الأندلسيين والتّعلم والأخذ عنهم[5].

ولم يقف الأمر عند ذلك بل تعداه إلى الاستفادة حتى من خبرات الصناع والمهندسين الأندلسيين المقيمين بالأندلس، وتجلى ذلك في عديد المباني التي شيدت هناك[6]، منها على سبيل المثال ما أشار إليها ابن صاحب الصلاة في معرض حديثه عن المسجد الأعظم الذي أقامه الخليفة أبو يعقوب يوسف الموحدي سنة 567هـ/ 1174م بإشبيلية، حيث ذكر اسم الناظر على بناء المسجد وعرفائه والمشرف على الأعمال، والحفاظ على البناء وكانوا من أهل إشبيلية ، زيادة على العرفاء أيضا الذين تكفلوا ببناء القبة التي

[1]- **غوستاف لوبون**، حضارة الغرب، نقله إلى العربية عادل زعيتر، ط3، طبع دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1956 ، ص539.

[2]- الحسن السائح، المرجع السابق، ص190، 191، محمد رزوق، **الأندلسيون وهجرتهم إلى بلاد المغرب**، ص37.

[3]- الناصري السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص11.

[4]- **عبد الرحمن الجيلالي**، تاريخ الجزائر العام، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص271.

[5]- أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج4، ص147، 148.

[6]- أحمد بن محمد المقري، المصدر نفسه، ج4، ص148.

على محرابه وبنجارتها[1]، وأقاموا عن يسار المحراب ساباطا في الحائط يشقه الخليفة من القصر إلى الجامع لشهود صلاة الجمعة[2]، وكذلك الشأن بالنسبة للقصور التي بنوها هناك[3].

وإلى جانب دور البنائين والصناع والمهندسين في نقل التأثيرات المعمارية هناك عامل آخر لا يقل أهمية، وهو جلب مواد البناء الأساسية والكمالية التي تدخل في أكثر عمليات التنميق والتزيين[4]، وإن كانت المواد الأساسية كالطين والآجر متوفرة ومتداولة في كل من بلاد المغرب والأندلس، وبحسب ما تشير إليه الدراسات فإنّ من أهم مواد البناء التي تم استجلابها إلى بلاد المغرب من الأندلس نجد الجص المائل إلى الصفرة وهو مادة استخدمت لتسهيل النقش[5]، وهي تحلي الإطار الخارجي لمحراب المسجد الجامع بتلمسان الذي بناه المرابطون وسبق الإشارة له، ويبدو أن نفس المادّة قد استخدمت بجامع قرطبة، ذلك لأن هندسة الجامع بتلمسان تماثل هندسة جامع قرطبة في شكل عقودها، وفي زخرفة قبة المحراب[6].

زيادة على الرخام، وهو من المواد النادرة استخدمه الفنان المرابطي لصناعة الأعمدة والتيجان ذلك أن معظم التيجان التي أقامها المرابطون في عمائرهم قد تم استجلابها من الأندلس، ولم يتخذ المرابطون تيجانا من هذا النوع لأسباب منها عدم توفر الرخام بمنطقة المغرب عموما[7]، وبالتّالي فإنّ استعمال المرابطين لمثل مواد البناء المستخدمة في الأندلس يمثل خطوة حقيقية لنقل عدد من المؤثرات العمرانية المعروفة في الأندلس بالفن الخلافي بقرطبة[8]، ويضاف إلى هذا استخدام الملاط الذي شيّدت به أغلب الأسوار التي أقامها المرابطون ومن بعدهم الموحدون ببلاد المغرب، والتي سبق الإشارة إليها، والملاط من المواد شديدة

---

[1]- **السيد عبد العزيز سالم**، تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية للطباعة والنّشر والتّوزيع، 1985م، ص201.

[2]- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، 167.

[3]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص230.

[4]- **حسن باشا**، قاعة بحث في العمارة والفنون الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1998، ص244.

[5]- **إبراهيم سليمان الكردي** و**عبد التواب شرف الدين**، المرجع في الحضارة الإسلامية، الكويت: منشورات دار السلام، 1984، ص492- 497.

[6]- **سفروح أم الخير**، تطوّر المحراب في عمارة المغرب الأوسط خلال العصر الإسلامي" منذ بداية افتح الإسلامي حتى نهاية عصر الزيانيين، دراسة تاريخية وأثرية"، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، إشراف صالح بن قربة، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1994، ص66.

[7]- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص678.

[8]- سفروح أم الخير، المرجع السابق، 66.

الصلابة وهو "مزيج من الجير والرمل وقطع الحجارة الصغيرة"[1]، هذا وقد أخذ بناء الأسوار في عصر الموحدين يتجه نحو البناء بالتابية وهي طريقة عرفتها الأندلس منذ القرن 04هـ/ 10م[2]، ولكن استخدام التابية القوية التي تدخل فيها مكونات صلبة كالجيار وغيرها كان يعتبر من طرق البناء التي نقلت إلى بلاد المغرب من بلاد الأندلس على عهدهم[3] وبها بنيت أسوار مراكش وأسوار رباط الفتح[4].

2) التأثيرات المعمارية الأندلسية في عصر المربطين(المساجد أنموذجا)

لقد كان لظروف نشأة الدّولة المرابطية، وطبيعة البلاد التي قامت عليها، وكذا التّعصب الدّيني أثر عظيم انطبع على عمارتها الأولى، حيث تميّزت بالخشونة في الكتل البنائية، والابتعاد عن مظاهر الزخرفة، التي كان يرى فيها المرابطون أنّها منافية لتعاليم الدّين الإسلامي[5]، وبدأت مظاهر الخشونة تزول منذ أن إتّحد المغرب والأندلس في وحدة سياسيّة واحدة تخضع لحكم الأمراء المرابطين، الذين تأثروا بمظاهر الحضارة الأندلسية[6]، خاصّة أثناء حكم الأمير علي بن يوسف الّذي تتلمذ على الحضارة الجديدة، وأعجب بها، وفهمها أصدق الفهم[7].

وبحكم أنّ الدّولة المرابطية كانت قائمة على أسس دينية كمبدأ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، فقد أعطت أولوية كبرى للعمارة الدينية وبخاصة المساجد، ذلك لأنّ العادة جرت في تخطيط المدينة الإسلامية سواء في المشرق أو المغرب على التركّيز على موقع مسجدها الجامع من البؤرة العمرانية، والذي كان يتوسط المدينة ويؤلف قلبها النابض بالحياة، اجتماعيا واقتصاديا وحوله يكثر العمران الإجتماعي

[1]- إبراهيم سليمان الكردي، المرجع السابق، 495.

[2]- **باسيليوبابون مالدونادو**، العمارة في الأندلس، عمارة المدن والحصون، تر: علي إبراهيم منوفي، م2، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2005، ص331، 332.

[3]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص774، 775.

[4]- **عثمان عثمان اسماعيل**، تاريخ العمارة الاسلامية وفنونها التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج3، عصر الموحدين، ط1، مطبعة المعاريف الجديدة، الرباط، 1993م، ص774، 775.

[5]- خليل ابراهيم السامرائي، المرجع السابق، ص 329 .

[6]- **بوطارن مبارك**، العمائر الدينية في المغرب الأوسط من القرن السادس من نهاية القرن الثامن الهجري، "رسالة ماجستر"، جامعة الإسكندرية، 1991، ص 220.

[7]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 450، ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص 26.

كالحمامات والمنازل والأسواق التّجارية[1]، ومن أهمّ المساجد التي بناها المرابطون اعتمادا على سواعد الأندلسيين نذكر:

1.2) مساجد المغرب الأقصى

أ) جامع القرويين بفاس[2]

نظرا للطّابع الدّيني الذي كان يسود الحياة العامّة، فإنّ اهتمام ولاّة الأمر من المرابطين كان كبيرا ببناء المساجد وتعميرها، باعتبارها مركزا للإشعاع الفكري للدّعوة المرابطية[3]، وبدأ ذلك منذ عهد يوسف بن تاشفين عندما دخل مدينة فاس سنة 462هـ/ 1069م[4]، حيث أمر يوسف بن تاشفين ببناء المساجد في هذه المدينة، وكان يلوم أهلها على تقصيرهم في هذا الشأن[5]، ومن أبرز هذه المساجد التي لقيت اهتماما خاصّا من قبل المرابطين جامع القرويين بفاس الذي يعتبر أعظم آثار المرابطين على الإطلاق، والذي يمكن القول أنّه ولد من جديد في عهد المرابطين، لأنّهم أولوه عناية كبيرة وذلك من خلال توسعة المسجد ليستوعب الزّيادة الكبيرة في عدد المصليين، حيث زاد فيه الأمير عليّ بن يوسف منذ سنة 530هـ/1135م زيادة كبيرة[6]، فكانت الزيّادة في جهات المسجد الثلاث، كما تمّ تحسينه وتزيينه، ليأخذ طابعا أندلسيا، فازدان المنبر بتشابكات رائعة متعددة الضلوع قوامها أشكال نجمية ذات ثمانية رؤوس.

---

[1]- **السيد عبد العزيز سالم**، التخطيط ومظاهر العمران في العصور الوسطى، مجلة المجلة، عدد 09، سبتمبر، 1957، ص 54، 55.

[2]- عن تاريخ بناء جامع القرويين بفاس، ينظر: عليّ الجزنائي، المصدر السابق، ص 45 ، 46، السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير في العصر الإسلامي، ص 752.

- Marçais Georges, Manuel d'art Musulmane, l'artchitecteure, Tunisie- Algérie- Maroc- Espagne- Siline, vol 1, Edition Auguste Piard, paris 1954, p 311.

[3]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 369.

[4]- للتفصيل عن ذلك ينظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص141.

[5]- عليّ الجزنائي، المصدر السابق، ص 42 ، حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 451.

[6]- لم يبق جامع القرويين على المساحة الّتي كان عليها منذ التّأسيس، وإنّما ظلّ يتطوّر ويتوسع جيلا بعد جيل سواء، من حيث الشّكل ومن حيث المضمون، وكان أوّل تعديل أدخل على القرويين في عهد الزيانيين بعد ازدياد عدد سكان مدينة فاس ، فزادت عليه عام 322هـ /934م زيادات كبيرة من جهاته الثلاثة الشّرقية والغربية والشمالية، وأدخلت عليه بعض الإصلاحات وكان دلك بدعم وتمويل من حلفائهم الأمويين، سادة الأندلس وخليفتهم الأوّل، عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله، ثمّ أوسع في خطّته المنصور بن أبي عامر المعافري، ولعلّ اهتمام الأمويين بهدا المسجد يعود إلى الدّور الذي كان يقوم به في مواجهة المدّ الشيعي الفاطمي، أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص 366.

وتزدان الحشوات النّجمية بتوريقات نخيلية معروقة ومختمة وفقا للأسلوب الأندلسي[1].

وتظهر بالمغرب الأقصى العديد من العمائر الدّينية نذكر منها قبّة البروديين بمراكش الّتي شيّدت فيما بين 514هـ - 525هـ /1120م – 1130م، وتتجلّى تأثيرات الفنّ القرطبي بصورة واضحة في زخارف هذه القبّة[2]، وتظهر بداخلها ثمانية عقود متقاطعة تشبه في تصميمها عمود قبّة مماثلة في بيت الصّلاة بجامع قرطبة ، أمّا قبّة الوضوء في مسجد أبي يوسف فتظهر التّعقيدات فيها شبيهة بتلك الموجودة بقصر الجعفرية بسرقسطة ، ومن الآثار المهمّة في عصر المرابطين كذلك منبر مسجد الكتيبيّة الّذي بني في الفترة الممتدّة ما بينتوليّة تاشفين ولاية عهد أبيه ، ووفاة أمير المسلمين عليّ بن يوسف[3] وهذا ما يشير إليه النّقش الكتابي الموجود على هذا المنبر حيث جاءت العبارة التّالية "اللّهم أعن الأمير عليّ بن يوسف بن تاشفين ومن بعده وليّ عهده تاشفين"[4]. وهناك نقش أخر على هذا المنبر يشير إلى أنّه صنع بمدينة قرطبة، وفي سقف هذا المنبر بقايا حشوات خشبية ذات أشكال مختلفة تزدان بعناصر نباتية رائعة من النّوع المعروف بالأرابسك[5].

2.2) مساجد المغرب الأوسط

أ) المسجد الجامع بتلمسان

إنّ أهمّ النماذج التي يمكن أن نتوقف عندها ببلاد المغرب كشواهد ماديّة لتسرب التأثير الأندلسي إلى عمارة بلاد المغرب من الأندلس هو المسجد الجامع[6] بتلمسان ببلاد المغرب الأوسط، الذي بني في إطار التّوسع المرابطي سنة 473هـ/1080م عندما اختّط يوسف بن تاشفين إلى جانب مدينة تلمسان القديمة

[1]- حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 365 ، 366.

[2]- السيد عبد العزيز سالم، التخطيط ومظاهر العمران في العصور الوسطى، ص52.

[3]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع نفسه، ص52.

[4]- محمد عبد العزيز عادل، المرجع السابق، ص 158، 159.

[5]- حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص371.

[6]- المسجد الجامع: هو البناء الديني الذي يجمع المسلمين لأداء صلاة الجمعة، وهو يختلف عن المسجد الذي تقام فيه الصلاة، ولا يصلى به الجمعة، ويسمى مسجد الخمسة لأداء الصلوات الخمس به، تمييزا له عن المسجد الجامع الذي يصلى به الصلوات الخمس ومنها صلاة الجمعة، ينظر: **سامي محمد نور**، الكامل في مصطلحات العمارة الإسلامية، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2003، ص32، 33.

مدينة جديدة هي "تاجرارت" فصارت المدينتان بلدا واحدا، وبنوا بها قصر الوالي والمسجد الكبير[1]، الذي يرجع تاريخ إنشاءه إلى عام 530هـ/1130م، والذي يتّفق مع إمارة عليّ بن يوسف، وهذا ما تحمله قاعدة المسجد[2].

وبالنسبة للشكل المعماري للمسجد فهو بناء مستطيل، يتألف من بيت للصلاة وصحن مربع تتوسطه فوارتان، تكتنفه من الجهة أربع بلاطات، تعتبر امتدادا لبلاطات بيت الصلاة ، وتستند عقود الجامع على خمسة صفوف من الدعائم[3].

أمّا التّأثيرات الأندلسية في بناء المسجد فتجلت في العناصر المعمارية والزخرفية في أن واحد، فهو قريب الشّبه بطراز العصر الأموي بالأندلس[4]حتّى لقد شبّه بجامع قرطبة في الرّوعة والأبهة[5]. وتظهر التأثيرات في محراب المسجد الجامع بتلمسان الذي يشبه محراب جامع قرطبة شبها كبيرا[6]، وهي من النوع القائم على الضلوع المتقاطعة في شكل أخاديد نصف دائرية موضوعة بالتناوب على مثلثات وهي بنفس شكل قبة محراب جامع قرطبة[7]، وقبة مسجد باب المردوم بطليطلة[8]، فقد استّمدت واجهة المحراب من تخطيط واجهة باب سان إستيبان بجامع قرطبة، إضافة إلى اقتباس زخارف محرابه، وتوظيفها في محراب تلمسان فجاءت في وحدة فنية متكاملة يغلب عليها الطّابع الفنيّ الأندلسي[9]، فاللّوحتان الرخاميتان اللتّان

[1]- **محمد بن عمر**، "مركز تلمسان الثّقافي من أجادير الإدريسية إلى تاجرارت المرابطية"، مجلة كلية الأداب والعلوم الإنسانية و الإجتماعية، العدد 3و4، جامعة تلمسان، 2004 ، ص 170.

[2]- السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير في العصر الإسلامي، ص 749 .

[3]- **محمد بن عمرو الطمار**، تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م، 45.

[4]- بوطارن مبارك، المرجع السابق، ص221.

[5]- عليّ الجزنائي، المصدر السابق، ص57، حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 452.

[6]- السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة الإسلامية، ج2، ص59.

[7]- عبد العزيز بن سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج2، ص.

[8]- بني على عهد الخليفة الأموي هشام الثاني بن الحكم، وأقامه أحد أعيان المدينة الذين اشتهروا بالعلم على يد موسى بن علي، وكان البناء سنة 390هـ /999م، ينظر: **السيد عبد العزيز سالم**، المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة و النّشر والتّوزيع، 1986، ص25.

[9]- بوطارن مبارك، المرجع السابق، ص222.

تكسوان إزار واجهة المحراب بقرطبة، قلّدتا تقليدا واضحا بالنسبة لمحراب جامع تلمسان[1].

وفي بلاد المغرب وفي عصر المرابطين والموحدين امتد التّقليد أيضا إلى أسقف جامع العمائر فنحد سقف مسجد جامع تلمسان خشبي يعلوه سطح منشوري الشّكل أو مسّنم، على النّحو المتّبع في المسجد الجامع بقرطبة[2].

أمّا تخطيط بيت الصّلاة بجامع قرطبة فتأثّر تأثيرا مباشرا على مسجد تلمسان ، من حيث بلاطاته العمودية على جدار القبلة، فنجد بيت الصّلاة تشتمل على ثلاثة عشر بلاطا، والبلاط الأوسط أكثر اتّساعا من بقيّة البلاطات، ويتميّز هذا البلاط بوجود قبّتين إحداهما أمام المحراب، والثّانية فوق منتصف البلاط الأوسط في نفس وضع القبّة المخرمّة الكبرى بجامع قرطبة، ولم يقتصر التّقليد على ذلك فحسب، بل امتّد إلى صفوف العقود، بحيث أصبح هناك صفّ من العقود القائمة على دعائم ضخمة، تقطع البلاطات الطّولية عرضا، وتقسم بيت الصّلاة إلى قسمين، تماما كما يحدث بالنسبة لصف العقود القائمة على الدعائم بجامع قرطبة [3].

وكان لتنقل الفنانين الأندلسيين إلى المغرب منذ اتحاده بالأندلس أثره على الجانب الفني في المباني المرابطية، ذلك أنّ الزخارف النّباتية المنقوشة على الألواح الخشبيّة التي تشكل جامع تلمسان ، في واجهة المحراب، وفي القبّة المضّلعة قريبة الشّبه بزخارف جامع قرطبة، فقد رسم الفّنان مروحة النّخيل المسنّنة الطّويلة والقصيرة على النّحو السّائد في جامع قرطبة وقصر الجعفرية بسرقسطة[4]، وفيما يتعلق بورقة الأكانتس فالنّمادج التي تزّين واجهة محراب المسجد بتلمسان، تدّل على تأثرها بأوراق الأكانتس بجامع قرطبة. وقد امتدت التّأثيرات الأندلسية إلى الزخارف الخطّية أيضا، حيث تميّزت النقوش الكوفية في جامع تلمسان بسيادة الطّابع الأندلسي في الكتابة[5].

---

[1]- حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص368.

[2]- السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة الإسلامية ، ج2، ص59.

[3]- محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص201 .

[4]- شيّده أبو جعفر المقتدر الذي حكم في الفترة ما بين (438 هـ - 474 هـ /1046 – 1081م)، ينظر: **محمد حسن قجة**، محطات أندلسية في التاريخ و الأدب والفن الأندلسي، ط1، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدّة، 1985، ص 182، 183.

[5]- بوطارن مبارك، المرجع السابق، ص 223.

Marçais Georges, et Wet, Les monuments Arabes de Tlemcen, Fon Temoing, Paris,1905, p175.

والظاهر أنّ مهندس جامع تلمسان تأثّر في بناء هدا الجامع، بجامع قرطبة بحميع ما أضيف إليه من زيادات مع بعض الثّراء في الزخرفة، نتيجة لتطوّر فنّ الزخرفة الأندلسي في عصر المرابطين[1]، لتؤدي الغرض المعماري والفنيّ في الوقت نفسه[2]، ممّا يعني أن المهندس الذي أشرف على البناء في مسجد تلمسان قد حرص على تخطيطه ليكون مماثلا لما هو عليه جامع قرطبة بالأندلس، وهو الأمر الذي يدفعنا إلى التأكيد بأنّ هذا المهندس قد استقدم من الأندلس بدليل مراعاته لهذا التّطابق الكبير، والذي أثبت أنّه على علم ودراية واسعة بالبيئة التي أقيم فيها جامع قرطبة[3]، لكن ذلك لم يكن ليتم لولا رعاية وحرص المرابطين، ممّا يدّل على مدى النّضج الفنيّ والتّحول الحضاري الذي عرفه المرابطون خاصّة في عهد عليّ بن تاشفين[4].

ب) المسجد الجامع بالجزائر

يعد هذا الجامع الكبير من روائع الفن المعماري الإسلامي، وهو نموذج ينطق بتقدم الحضارة الإسلامية وانتشار المدينة بالمغرب الأوسط، وبالنسبة لوصف الجامع الداخلي فهو في مجمله مربع الشكل، مساحته تستغرق نحو ألفي متر مربع، طوله 48 متر وعرضه لا يزيد عن 40 مترا، إذ يحتوي المسجد على أثاث أهمها المنبر وهو ضخم لا يعلم له نظير سوى بجامع القرويين بفاس، ويعاصره منبر جامع ندرومة[5].

يرجع الفضل في انشاء هذا المسجد إلى المرابطين، وعلى الرّغم من إجماع الباحثين في الآثار الإسلامية بالمغرب، على أنّ يوسف بن تاشفين هو الّذي قام ببنائه، إلاّ أنّ تاريخ انشائه مازال غامضا، ومن المرجّح أن يكون تاريخ البناء قبل التّاريخ المحدّد في النّقش الأثري سنة 490هـ/1096م[6]، وقد ذهب

---

[1]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص60.

[2]- بوطارن مبارك، المرجع السابق ،ص221.

[3]- السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج2، ص60.

[4]- بوطارن مبارك، المرجع السابق، ص221.

[5]- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير في العصر الإسلامي، ص666، **غوستاف لوبون**، المرجع السابق، ص259.

[6]- إعتمد الباحثون في تحديد تاريخ إنشاء المسجد إلى النّقش الاثري المسّجل في منبره، ويحمل تاريخ الإنشاء والمحدد بأوّل شهر رجب سنة 490هـ، وكان هدا النّقش موضع خلاف بين الباحثين بين من أخد به لتحديد تاريخ الإنشاء مثل الباحث رشيد بورويبة وغيرهم، وبين من يرفض ذلك لغياب النّصوص التّاريخية الدّالة على ذلك، مثل عبد الرحمن الجيلالي الذي يرى بأن هذا المسجد هو من آثار المرابطين بنوه سنة 477هـ/1082م للتفصيل ينظر: **رشيد بورويبة**، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، تر: ابراهيم شيوخ، إصدارات المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979، ص53 ، 54، **محمد عبد العزيز المرزوق**، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافة، بيروت، دت،

أحد الأثريين إلى القول بأنّه بني سنة 491هـ/ 1097م، وأنّه من مآثر يوسف بن تاشفين[1]، حيث أنّ فتح مدينة الجزائر قد تمّ في حدود سنة 475هـ/1082م[2]، من طرف يوسف بن تاشفين الّذي عرف عنه حرصه على بناء المساجد ، وهو ما يرجح فرضية التّعجيل ببناء المسجد الجامع للجزائر إذ لا يعقل أن تظلّ المدينة بدون مسجد زهاء خمسة عشر سنة[3].

لم يخل هذا المسجد من النّاحية العمرانية والزخرفية من الطّابع الأندلسي، فجاءت بلاطاته الثلاثة المتعامدة عقودها على جدار القبلة، لتظهر مدى الثأثر بالأندلس[4]، خاصّة فيما يتعلق بزيادة اتساع البلاط الأوسط، وزيادة ارتفاعه عن بقية البلاطات الأخرى[5]، أمّا الصحن فقد غرست فيه أشجار النّارنج، والبرتقال على غرار صحون المساجد الجامعة بالأندلس، ومنها جامع قرطبة[6] ، وإذا كان منبر المسجد ذو أصول شرقية، فإنّ زخارف واجهته تتشابه مع زخارف المنشآت الأندلسية، والتي تشمل الزخارف الكتابية والهندسية والمعمارية والنّباتية التي يطلق عليها اسم التّواريق[7]،كما أنّ المنبر من المنابر المتّحركة بواسطة القضبان الحديدية، وهي فكرة جاءت تقليدا لمنبر جامع قرطبة، ويظهر التّأثير الأندلسي كذلك في نوع العقود المفصصة المستخدمة، والتي وإن وجدت بعمائر بني حماد في هذه الفترة، إلاّ أنّ الصّلات الوثيقة التي ارتبط بها المرابطون بالأندلس يرجح أن فكرة هذه العقود مستوحاة من جامع قرطبة.

ج) جامع ندرومة[8]

158، السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص665.

[1]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع نفسه، ص666، غوستاف لوبون، المرجع السابق، ص259..

[2]- الناصري السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص 110.

[3]- بوطارن مبارك، المرجع السابق، ص 17.

[4]- بوطارن مبارك، المرجع نفسه، ص 17.

[5]- يظهر ذلك في المساجد بإشبيلية، ومدينة الزّهراء، وألمرية، ينظر: أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج2، ص 100.

[6]- أوّل من أباح غرس الأشجار في صحون المساجد بالأندلس صعصعة بن سالم الذي توفي 192هـ/807م، وذلك بالمسجد الجامع بقرطبة، متبعا في ذلك مذهب الإمام الأوزاعي الذي أجاز ذلك، السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 2009، ص 93 .

[7]- إنّ هذه الزخرفة التي تعرف بالاربسك لا تزال تعرف في اللغة الاسبانية باسم ataurigos وهي مجموع الزخارف النباتية المحوّرة عن الطبيعة والمتداخلة فيما بينها لدرجة تعقدها لدرجة عدم قدرة العين على تتبعها ، **السيد عبد العزيز سالم**، بعض المصطلحات للعمارة الأندلسية المغربية، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد الخامس، 1957، ص1،2.

[8]- مدينة في طرف جبل تاجرا وغربها وشمالها بسايط طيبة ومزارع وبينها وبين البحر عشرة أميال وساحلها وادي ماسين، وهي مدينة جليلة

يعود تأسيسه إلى عهد يوسف بن تاشفين، وذلك استنادا إلى النّقش الكتابي المحفور على المنبر[1]، ويؤيد الأستاذ رشيد بورويبة ذلك، ويرى أنّه مرتبط باهتمام الأمير ببناء المساجد، وكذلك الأمر الذي وجّهه للولاّة بأن يتخذوا المساجد ويعظموا شأنها[2]، وتتشابه التّفاصيل المعمارية للمسجد الجامع بندرومة، مع المساجد المرابطية ذات الصحن المكشوف، وإذا قارنا هذا المسجد الجامع بالجزائر، فإنّه صورة طبق الأصل ما عدا الاختلاف الذي نلاحظه في المساحة[3]، ولم يخرج عن عمارة المساجد السّابقة لها، فمحرابه يشبه محرابي مساجد المرابطين في بلاد المغرب، وتظهر التّأثيرات الأندلسية في الزخارف الخّطية التي تميّزت بالنّقوش الكوفية، والتي نقشت على بعض الألواح الخشبية المتبقية من منبر جامع ندرومة[4].

3) التأثيرات المعمارية الأندلسية في عصر الموحدين

1.3) اهتمام الموحدين بالفن المعماري

إنّ تصميم مساجد الموحدين يشبه مساجد خصومهم المرابطين، غير أنّ هناك تغييرا جوهري قد طرأ على زخرفة مساجدهم، إذ أنّ نمط حياة التقشف التي أخذوا بها أنسقهم والرغبة في الإصلاح الديني الذي تميزت بها الدّعوة الموحدية في أيّامها الأولى جعلت الواجهات تخلوا من الزخارف الكثيرة التي كانت تغمر الأجزاء الرئيسية في مساجد أسلافهم، والتزموا أنماطا من النّظام والبساطة في زخرفة مساجدهم[5].

ويرى الباحثون أنّ الموحدين قد غيّروا مسار الفن الاسباني المغربي حيث أكثروا من تشييد البنايات الضخمة ورفع الهياكل الخالدة، وكان لهم ذوق خاص في البناء، فاهتموا بالإنشاء والتّعمير سواءا في

ولها نهر وبساتين فيها من جميع الثمار ويذكرها المؤرخين باسمين مختلفين فيذكرها اليعقوبي باسم فلونس ويذكرها البكري باسم ندرومة وهو ما يوحي بتغير اسمها ليصبح ندرومة ولا تبين المصادر متى حدث دلك بالتحديد، ينظر: أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص 80، اليعقوبي، المصدر السابق، ص 112.

[1]- بوطارن مبارك، المرجع السابق، ص 54.

- Marçais Georges, .la chaire de la grande mosquèe de nedroma – de cinquantaire de la facultè des lettres d'alger, 1932 .p 321.

[2]- **محمد رابح فيسة**، المنشأت المرابطية في مدينة ندرومة، (رسالة ماجستير)، جامعة الجزائر، قسم الأثار، 2005م ، ص 53.

[3]- **عبد الرحمن الجيلالي**، تاريخ المدن الثلاث، الجزائر ، المديّة ، مليانة، ط2، مطبعة صاري، بدر الدين وأبناؤه، الجزائر، 1972، ص 35.

[4]- محمد رابح فيسة، المرجع السابق، ص 59.

[5]-ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص236.

المغرب أو الأندلس، وحظيت مراكش والرباط وغيرها من المدن المغربية بكثير من المنشآت الموحدية وقد أولى الخليفة عبد المؤمن (487-558هـ/1094-1163م) اهتمامه بالبناء والتعمير ومن ذلك انشاءه لمدينة الفتح، وبجانب ذلك انشاؤه لكثير من المساجد والقصور في أنحاء مختلفة من البلاد[1]، وقد جرى خلفاء الموحدين على سياسة المرابطين وهي الاستعانة بخبرة أهل الأندلس وبرزت أسماء أندلسية كأحمد بن باسة الذي استعان به الموحدون في كثير من أعمال البناء[2]، والحاج يعيش الأندلسي المالقي الذي اشترك في بناء حصن جبل طارق[3]، وكان المنصور الموحدي يستخدم أسرى الأندلس في أعمال البناء بعاصمته وأثمرت الخبرة الأندلسية ثمرتها بأرض المغرب الأقصى، وظهرت تلك المنشآت والأبنية كجامع القرويين جامع تلمسان ثم جامع الكتيبة وجامع القصبة بمراكش وجامع حسان برباط الفتح وقصبتها[4].

كما بلغت الزخرفة أوجها وقمتها متحدة مع ذلك مع الفن الاسباني، فالزخرفة الجصية تسود الأبنية الأجرية في ترابط هندسي قوي، وتكرر شكل العقد الحدوي في عقيدات صغيرة مسننة ونظمت المسطحات بإطارات هندسية دون مثلها بأي تفصيلات، وهي تجعل في بناء الآجر في العقود المدببة مظهرا جانبيا يشبه ريشة الخوذة وبه شرشرة دقيقة كالمنشار والقنوات غنية بالمقربصات وحشيت الوصلات بالأرابيسك المسطح، كما أنّ ورقة الأكانتوس المزدوجة شكلت العنصر الرئيس للزخرفة النباتية الموحدية حيث اختلفت عن الزخرفة المرابطية فهذه الأخيرة أقل تنوعا ومقتصرة على أشكال أقل عددا، وهي كجميع أنواع الزخرفة الخاصة بنفس العهد، كثيفة جدا وذات مقياس مصغر حتى تكاد تصبح مختلطة المعالم[5]، ومثال ذلك الزخارف الجصية التي تغطي وجه جامع توزر المؤرخ سنة 590هـ/1194م، بتونس، التي تشبه تلك التي عثر عليها بجامع شاطبة المحفوظة اليوم بجامع شاطبة، وكانت مصنوعة في نهاية القرن السادس الهجري-الثاني عشر ميلادي، أمّا الزخرفة النباتية الموحدية فهي أكثر بساطة وأكثر عرضا الزهد الموحدي تتضمن مساحات فارغة، حتّى تكاد توحي أحيانا بشيء من الفقر. وبذلك فقد شملت حركة البناء والتعمير تنوعا كبيرا[6].

2.3) نماذج عن انتقال الفن المعماري الأندلسي إلى بلاد المغرب

[1]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص372، السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير في العصر الإسلامي، ص835.

[2]- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص67، حسن علي حسن، المرجع السابق، ص375.

[3]- مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص144.

[4]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص736، حسن علي حسن، المرجع السابق، ص375، 376.

[5]- مارسي جورج، الفن الاسلامي، ص157.

[6]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص105.

أ) مسجد تينملل

أقامه عبد المؤمن بن علي عند زيارته للمدينة سنة 548هـ/1153م، وقد ابتدع فيه الموحدون هندسة جديدة تميزت بالتقابل التناظر لم تكن معروفة قبلهم في عصر المرابطين، وقد سار الموحدون في بناء هذا المسجد على تقليد سابق ظهر بجامع قرطبة، يعتمد على فتح بابين عل يمين ويسار المحراب للمنبر والأمام، ويبدوا هذا المسجد شبيها بالمساجد السابقة كالقرويين ومسجد الجزائر وتلمسان، غير أنّ تخطيط المسجد فيه كثير من الاختلاف عن المساجد المذكورة[1].

ب) مسجد الكتيبة بمراكش

حسب عبد الواحد المراكشي لم ير مايشبه الأندلس في حسن المباني والتصنيع إلاّ ماشيد بمراكش في دولة عبد المؤمن، ومن أهم مساجد مدينة مراكش مسجد الكتيبة الذي شرع في بناءه الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي سنة 548هـ/1153م[2]، وأشرف على بناءها المهندس الأندلسي"جبير"[3]، لذلك كان التأثير الأندلسي واضحا حيث أنّ عددا من رؤوس الأساطين في الكتيبة من أصل أندلسي، والأعمدة الأربعة التي تساند قوس المحراب من مخلفات الفن الأموي، وتوجد أيضا في المسجد الموحدي بقصبة مراكش أعمدة أموية[4].

ففي منارة الكتيبة توجد طبقات متوالية من الغرف المقوسة السقف[5] تصل بينها درج مركزية لا مرقاة لها ويلاحظ وجود نفس التصميم في كل من (الخالدة) و(حسان)، فالجدار مطلية بجص أصفر كلسي ضارب إلى اللّون الرمادي[6]، وتنعكس على صفحته تموجات وضّاءة تنسل داخل المنارة من النوافد المفتوحة في عرض الحائط وتؤدي الدرج أخر المطاف إلى الجزء العلوي من المئذنة المطل على المدينة، وتستمد النقوش تسطيراتها من أشكال الزهر والسعف الجامعة بين القوّة والرقة[7].

وفي داخل المسجد قبب مخروطة، ففي الطبقة الأرضية فإنّ القبة مخروطة الشكل تبعا للأسلوب

[1]- عثمان عثمان اسماعيل، المرجع السابق، ص190.
[2]- عثمان عثمان اسماعيل، المرجع نفسه، ص190.
[3]- حسن السائح، المرجع السابق، ص193.
[4]- أرنست كونل، الفن الاسلامي، ص141.
[5]- حسن السائح، المرجع السابق، ص245.
[6]- حسن السائح، المرجع السابق، ص245.
[7]- حسن السائح، المرجع السابق، ص245.

الإسلامي الاسباني، بينما تحتوي القاعة السادسة على أفخم قبة ثمانية الهندام ذات ضلاع ومقرنصات وأساطين رخامية منها ماجلب من الأندلس[1]، ولكن لايوحظ في مجموعة المنارة أي عنصر جديد بنفس الأسلوب أو الهندام الشائعين في المغرب.

أمّا مئذنة مسجد الكتبيين من طوابق متوالية من الغرب يصل عددها إلى سبعة طوابق[2] أعد في القسم العلوي منها بيت للمؤذن[3]، وغرفها مقوسة السقف عدا الغرف الأرضية حيث كانت فبتها مخروطية الشكل تبعا للأسلوب المعماري الأندلسي، ويصل بين غرفها سلم مركزي، في حين تحتوي الغرفة السادسة على قبة ثمانية الشكل ذات أضلاع ومقربصات تتشكل منها مجموعة هندسية راذعة وتتوج المئذنة ثلاث كرات من النحاس مطلية بالذهب ومرصعة بالأحجار الكريمة[4] .

كما تأثر بناء المئذنة المغربية بالمئذنة الأندلسية، في زخرفتها الخارجية ونقوشها النباتية، وكذلك كثرة نوافذها المتناسقة في واجهاتها المتعارضة، وبعقودها المستديرة أو المنكسرة ، وتناسق الرسوم والأقواس والفسيفساء التي توجها الأزرق الفيروزي بأكليل من الحجارة الكريمة تتوهج كلّما سلطت الشمس عليها أشعتها[5].

ج) مسجد حسان الجامع بالرباط

بنى الموحدون مسجدا ضخما في مدينة رباط الفتح[6]واسع الفناء وعمل له مئذنة في نهاية العلو على هيئة منار الاسكندرية يصعد فيه بغير درج[7]، وعلى شاكلتها مئذنة مسجد حسان بالرباط[8].

---

[1] –حسن السائح، المرجع السابق، ص245.

[2] – **بالباس**، الفن المرابطي ، ص 25.

[3] – **عبد العباس ابراهيم حمادي**، الحركة الفكرية والعلمية بمدينة مراكش منذ تأسيسها حتى سقوط الدولة الموحدية، وأثرها على المراكز الثقافية الاسلامية جنوب الصحراء، رسالة ماجستير بكلية العلوم، 1980، ص 91 ، 92 .

[4] – عبد العباس ابراهيم حمادي، المرجع السابق، ص 91 ، 92 .

[5] – عبد العباس ابراهيم حمادي، المرجع نفسه، ص 92.

[6] – حسن علي حسن، المرجع السابق، ص399.

[7] – عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص266.

[8] – محمد كمال حسين، انتشار الاسلام وأشهر مساجد المسلمين في العالم، القاهرة 1976، ص 88 ، 89.

د) مسجد الأندلس بفاس

لقي اهتماما خاصّا من قبل الخليفة الموحدي النّاصر حيث أمر بادخال تحسينات عديدة عليه، وكان ذلك سنة 604هـ/1207م[1]، ومن خلال هذا المسجد عاد الموحدون إلى اقتباس روائع المرابطين، فقد أمر الناصر ببناء بابكبير في مسجد الأندلس ذي درج بأسفلها شباك رائع من خشب الأرز ذي خوخات ثلاث، وبعده بيلة من الحجر الأصفر ينفجر منها ماء واد مصمودة، وبأعلى الباب قبتان، الاولى مقرنصة بالجص، والثنية خشبية، وبجانب الباب سقاية ومدخل لمصلى النساء ودار للوضوء على غرار مسجد القرويين[2].

هـ) مساجد بجاية

توفرت المساجد على العهد الموحدي على معظم المواصفات المعمارية للمساجد الكبرى بالحواضر الإسلامية من محاريب أعمدة وعقود[3]، وبرز ذلك في مساجد بجاية بشكل خاص وما يمثل نموذج عن ذلك مسجد عبد الحق الأزدي الإشبيلي دفين بجاية من القرن 06هـ/ 12م، اضافة إلى جامع ملالة الأثري المكان الذي التقى فيه ابن تومرت بعبد المؤمن بن علي، ولم يبق منه سوى محرابه الذي يكتسي أهمية كبيرة في الدّراسات الأثرية الإسلاميه بالجزائر، والذي تبدو عليه تأثيرات الفن الموحدي التي ميّزت القرن 06هـ/ 12م[4].

المبحث الثالث: التأثيرات العلمية الأندلسية على بلاد المغرب

من أهم مظاهر التّقارب المغربي الأندلسي تلك الحركة العلمية النشيطة التي جمعت بلاد المغرب بالأندلس، حيث نبغ في عصر المرابطين والموحدين عدد من العلماء في مجالات العلوم المختلفة : منهم العالم بالفقه، اللّغة، الأدب، التاريخ، الطّب، الفلسفة، وغيرها، غير أنّ الأهم في ذلك هو التقارب الثقافي

[1]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص399.

[2]- حسن السائح، المرجع السابق، ص247.

[3]- **محمد الشريف واشق**، نظرة تاريخية حول الحركة الثقافية في مدينة بجاية، مجلة الصومام، عدد خاص بملتقى الفكر الإسلامي، جويلية، 1985، ص28.

[4]- السيد عبد العزيز سالم، المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة و النّشر والتّوزيع، 1986، ص45.

بين الأندلس والمغرب من خلال انتقال علماء الأندلس إلى بلاد المغرب، وتوّجه علماء بلاد المغرب إلى الأندلس .

1) احتضان حكام بلاد المغرب لعلماء الأندلس

انتقل عدد كبير من أعلام الأندلس إلى العدوة المغربية زمن المرابطين والموحدين، سواءا منهم الذين كانوا في مرتبة الشيوخ ممّن تحملوا المشقة في سبيل نشر العلم، والتّدريس، والإفادة، أوالذين انتقلوا إلى حواضره، وحطّوا رحالهم بمختلف مدنه تدفعهم الرغبة في التّحصيل على كبار شيوخ الحواضر، وقد أبلى هؤلاء البلاء الحسن في ما يتعلق بنقل العلوم، ومختلف المعارف، كما أنّ منهم من تمكن من توّلي مناصب هامّة في التّعليم، الإمامة ، والقضاء، وذلك لجودة تكوينهم العلمي، وهو ماسنوضحه من خلال تتبعنا لحركة تنقلهم انطلاقا من استدعائهم من قبل المرابطين والموحدين، ومساهمتهم في عمليات التّدريس ببلاد المغرب.

1.1) العلوم الدينية

أ) التفسير

توافد على بلاد المغرب الكثير من العلماء الأندلسيين، وهم يحملون معهم كثيرا من العلوم والمعارف الدّينية[1]، وقد عرفت بلاد المغرب على عهد دولة المرابطين بعض الدراسات المتعلقة بتفسير القرآن الكريم، حيث نهض بأعباء هذه الدراسة رجال الفكر والمعرفة الأندلسيين الذين انتقلوا إلى المغرب وهم يحملون معهم كثيرا من المعارف والعلوم، ولا سيما الدّينية[2].

ففي مجال علوم التفسير[3] شجع الأمراء المرابطون انتقال علماء التّفسير الأندلسين، ليتعاونوا مع المفسرين من علماء المغرب في هذا العلم[4]، مثل ابن الخصال الغافقي[1]، الذي سكن مراكش، واشتغل بعلم

---

[1]– **جمال أحمد طه**، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، دار الوفاء للطّباعة والنّشر، الإسكندرية، د ت، ص 279.

[2] – عبد العباس ابراهيم حمادي، المرجع السابق، ص 263.

[3]– يقسم عبد الرحمان عبد الرحمن بن خلدون علم التفسير إلى صنفين : تفسير نقلي مسند إلى الآثار المنقولة عن السلف ، وتفسير يرتبط بمعرفة اللغة والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد ، أمّا المرابطون فقد نهج فقهائهم منهج التّفسير الحرفي للقرآن الكريم ، والحديث الشريف لأنّهم كانوا متّمسكين بمذهب الإمام مالك ، لأن الامام مالك عندما سئل عن تفسير : " الرحمان على العرش استوى " . قال : الاستواء معلوم و الكيفية مؤلف مجهولة والايمان به واجب ، و السؤال عنه بدعة " ، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص444، 445.

[4] – جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص 280 .

التفسير، وكان من أنبه علماء البلاط المرابطي[2]، أمّا مدينة فاس فاستوطنها المفّسر الأندلسي أحمد بن عبد الصمد ابن عبيدة الأنصاري الخزرجي الذي تعود أصوله من الأندلس، توفي بفاس عام 582هـ/1186م[3].

واستدعى الحكام الموحدون بعد ذلك شخصيات أندلسية كثيرة من بلاد الأندلس لأغراض علمية، والتي ذكرتها كتب التراجم[4]، ومن أشهر علماء التّفسير الأندلسيين في عهد الموحدين، أبو الحسن علي بن محمد الغرناطي الذي سكن في الجانب الشرقي من مدينة مراكش وتوفي بها 577هـ /1181م، وكان من العلماء الذين تحفصوا بعلم التفسير فقط إلى درجة أنّ أستاذه أبا بكر بن العربي المعافري كان يتوقع له هذه المنزلة العلمية الرفيعة بالعلم المذكور، إذ أقبل عليه المراكشيون لغرض دراسة علم التفسير فكان "يفسر لهم القرآن من أوّله إلى أخره فنفع الله به خلقا كثيرا"[5].

ب) علوم الفقه

كان معظم أهل الأندلس كانوا على مذهب الإمام مالك المتبع من قبل المرابطين ، ماساعد على توثيق الصّلة بين العدوتين، فظهر عدد من أئمة الفقه مالم يتكرر أمثالهم[6]، وكان أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد 520هـ/1126م[7]–جدّ الفيلسوف المعروف– من أبرز فقهاء المالكيّة ذكرا في عصره، خاصّة في مجال علم الفقه وأصوله، وكان ذا مكانة خاصّة عند أمير المسلمين علي بن يوسف، بل ارتبط بالدّولة

---

[1]– هو محمد بن مسعود بن خالصة بن فرح بن مجاهد ابن أبي الخصال الغافقي، أصله من أهل شاقورة ، ولد سنة 465هـ/1082م ، سكن قرطبة وغرناطة ، برع في الحديث ، وعلوم اللغة ، والتّفسير وبرع في الكتابة ، والنّظم ، اتصل برجال الدولة اللّمتونية، تولى الكتابة والوزارة لعلي بن يوسف ، توفي سنة 540هـ/1146م، ينظر: **ابن بشكوال**، الصلة في تاريخ علماء الأندلس، تح: صلاح الدين الهواري ، ط2، المكتبة المصرية، بيروت، 1423هـ –2003م، ص 256، 257، لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام،ج 2، ص 388.

[2]– عبد الواحد المراكشي، الصدر السابق، ص 237 ، 238.

[3]– يكنى بأبو جعفر ، قرطبي ، سكن غرناطة ، مدّة وبجاية أخرى، ثم استوطن مدينة فاس ، روى عن عديد من العلماء منهم بن أبي الحصال ، وروى عنه كذلك ، كان في شبابه معروفا بالذكاء والنبل، مشهورا بالحفظ للحديث، ذاكرا للتّواريخ والقصص، توفي بفاس عقب ذي الحجة من سنة 582هـ/ 1186م ينظر: ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ص239 ، 240.

[4] – أبو العباس الغبريني، المصدر السابق، ص 203 ، 297.

[5] – **ابن المؤقت المراكشي**، السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، مراجعة وتعليق: أحمد متفكر، ط3، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 1432هـ–2011م، ص 84.

[6]– عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 172.

[7]– كان فقيها عالما حافظا مقّدما فيه ، على جميع أهل عصره وعارفا بالفتوى على مذهب مالك وأصحابه ، بصيرا بأقوالهم واختلافهم ، فأخذ في علم الفرائض والأصول ، من أهل الريّاسة في العلم ، والبراعة والفهم مع الدّين والفضل والوقار، والحلم والسّمت الحسن ، والهدى الصالح، ولد سنة 450هـ/1058م وتوفي 520هـ/1126م، ينظر: النباهي المالقي، المصدر السابق، ص 99 ، ابن فرحون المالكي ، المصدر السابق، ص 373.

المرابطيّة بشكل كبير، وساهم مساهمة هامّة في تدعيمها و خدمتها[1].

لكن عندما أخذ الموحدون بزمام الأمور، غيّروا من المنهج المرابطي الذي كان في نظرهم اجهازا على الفكر والاجتهاد[2]، فكان المذهب الظاهري محببا عند خلفاء الدّولة الموحدية، حيث كان للمهدي بن تومرت داعية الموحدين رحلة في طلب العلم إلى مدينة بغداد، فأخذ بها شيئا من علوم أصول الفقه والدين[3]، ونبغ في علم الاعتقاد على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري، ذلك المذهب الذي يجزم بعقيدة السلف، مع تأويل المتشابه من الكتاب والسنة، وبعد عودة ابن تومرت للمغرب أخذ يدعوا إلى أتباع هذا المذهب بعد أن مزجه بشيء من مذاهب الخوارج والشيعة، وهذا ماكان أهل المغرب ينفرون منه، ويعادون من ظهر عليه، لكنّ ابن تومرت حمل خلال دعوته أهل المغرب على اتباع ذلك المذهب، ورمى من خالفه بالتّضليل والكفر[4].

بعد وفاة ابن تومرت تتبع خليفته عبد المؤمن بن علي خطاه فقام بحرق بعض كتب الفروع المالكية، وردّ النّاس إلى قراءة كتب الحديث، حيث كتب بذلك إلى طلبة المغرب والأندلس[5]، لذلك دخل المنهج الدراسي لعلم الفقه في عهد الموحدين مرحلة ثالثة بفاس، فظهر المذهب الظاهري بصفة أخص عندما أعلن الخليفة أبو يعقوب المنصور عام 583هـ/1187م الحرب على علم الفروع، ومحو مذهب مالك وازالته من المغرب مرّة واحدة، وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث، فأظهر ماقصده أبوه وجدّه من قبل[6]. ففي أيّامه انقطع علم الفروع وخافه الفقهاء، حيث أمر الخليفة باحراق كتب المذهب المالكي في سائر البلاد، كمدونة سحنون، وكتاب بن يونس، ونوادر ابن زيد، وماتطابق مع هذه الكتب، بعد أن جرّد مافيها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآيات القرآن الكريم، وشاهد عبد الواحد المراكشي وهو يومئذ بفاس، مايؤتى من هذه الكتب الأحمال فتوضع وتطلق فيها النار. كما أمر الخليفة أبو يعقوب المنصور الناس بترك الاشتغال بعلم الرأي، أو الخوض في شيء منه، متوعدا من يعمل به بالعقوبة

[1]- **مجمد الأمين بلغيث**، الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين، رسالة دكتوراة دولة، ج1، جامعة الجزائر، 1423-1424هـ/2003م-2004م، ص 112.

[2]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص 283.

[3]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص254.

[4]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص251 ، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص221.

[5]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص195.

[6]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص355.

الشديدة، ثمّ أمر جماعة من علماء الحديث بجمع أحاديث من المصنفات العشرة[1] في الصلاة ومايتعلق بها على نحو الأحاديث في جميع انحاء المغرب وحفظها الناس من العامّة والخاصّة[2].

ج) علم القراءات

أصبح لعلم القراءات[3] بحلول القرن الخامس الهجري شخصيّته المتّميزة في الأندلس عن علم القراءات في المشرق، وذلك بفضل مجموعة من علماء الأندلس[4] ، وبرز بقرطبة ودانية إمامان عظيمان سيوقفان حياتهما لهذا العلم، وهذان العالمان هما أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي القرطبي وأبو عمرو عثمان بن سعيد الدّاني، عرف عنهما استحداثهما لمنهج جديد صار مرجعية للغرب الإسلامي في علم القراءات[5]، ومن العلماء الذين نزلوا بمدينة فاس في عصر المرابطين، واتخدوها وطنا لهم محمد بن محمد بن عبد الله بن معاذ اللّخمي، وهو من أهل إشبيلية، الذي كان إماما في صناعة الإقراء على الرّواية وقد توفي عام 533هـ/1138م[6]، ومن كبار العلماء كذلك في هذا العلم ببلاد المغرب كذلك، فتح محمد بن فتح الأنصاري من أهل إشبيلية، توفي عام 574هـ/1187م، كان مقرئا ضابطا أحكام القراءة وأصولها، تقدّم بمدينة فاس لتعليم هذا العلم[7]، ويذكر كذلك في هذا المجال أحمد بن موسى بن عبد الله بن أبي بكربن مزاحم اللّخمي من مدينة شلب[8]، الذي نزل مدينة فاس وتوفي بها عام 600هـ/1203م، وكان من المتقدمين في اتقان علم القراءات، وتصدر بفاس لإقراء هذا العلم[9]، ومحمد بن يوسف الأنصاري القرطبي

---

[1]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص355

[2]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص354، 355.

[3]- مصطلح " القراءات" في الإصطلاح العلمي مذهب من مذاهب النطق في القرآن يذهب به إمام من الأئمة القراء مذهبا يخالف غيره ، ويرجع عهد القراء الذين أقاموا الناس على طرائقهم في التلاوة إلى عهد الصحابة فقد اشتهر بالإقراء أئمة منهم ، علي و زيد بن تابث ، وابن مسعود وغيرهم-، **بلملياني بن عمر** ، "مذاهب القراء في قراءات الغرب الإسلامي منذ القرن الخامس الهجري" ، مجلة كلية الأداب ، العدد السادس ، جانفي 2005 ، ص 58.

[4]- كان أبو عمر أحمد بن عبد الله الطلمنكي (429هـ/1036م) أوّل من أدخل القراءات إلى الأندلس، ثمّ ظهر من بعده مجموعة من العلماء في علم القراءات من بينهم ، الحافظ أبو عمرو الذاني، محمد بن عقال السرقسطي، وأبو حمد عبد الله بن إدريس بن سهلا المقرئ، ينظر: أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج1، ص 136، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص 445.

[5]- بلملياني بن عمر، المرجع السابق، ص 63.

[6]-**ابن الابار** ، الحلة السّيراء ، ج2، ص 488.

[7]- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س5، ق1، ص532.

[8]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص278.

[9]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص278.

الأصل، والذي نشأ بمدينة فاس وبها توفي عام 610هـ/1213م، وكان مجوّدا للقراءات عارفا بوجوهها[1].

وقد شهد علم القراءات والتجويد في عهد الموحدين تطورا كبيرا لم يشهد له مثيلا من قبل، ويمكن أن يعزى ذلك إلى عدة أسباب منها أنّ أكابر أولئك الحكام كانوا من المهتمين بدراسة هذا العلم حتى عدّوا من أكابر الحفاظ والخطاطين[2]، ولذلك لم يتوانوا في استدعاء فطاحل المقرئين من الأندلس مثل محمد بن عبد الله بن ميمون بن ادريس بن محمد بن عبد الله العبدري الذي استوطن مراكش وانتصب للتّدريس فيها[3]، وقد ذكر بن عبد الملك المراكشي أنّ أغلب أبناء مدينة مراكش التي توفي بها سنة 567هـ/1171م انتفعوا بعلمه[4].

د) علم الحديث

لم يكن في بلاد المغرب لعلم الحديث حظّ يذكر قبل ظهور المرابطين[5]، وبفعل تشجيع الأمراء المرابطين استوطن حواضر بلاد المغرب عدد كبير من علماء الحديث القادمين من الأندلس، ومن أهمّ هؤلاء العلماء الذين قدموا إلى بلاد المغرب أحمد بن علي بن سعده العامري الغرناطي، الذي كان له رواية في علم الحديث[6]، إضافة إلى محمد بن أبي عمرو عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الأندلسي الذي حدّث بمراكش، فنفع الله به كثيرين، وتوفي بإشبيلية سنة 543هـ/ 1148م[7]، ومحمد بن إسماعيل بن عبد

[1]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص278 ، 279.

[2] - ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 233 ، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 237.

[3] - ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج6 ، 319 ، 320.

[4] - ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، ج6 ، ص 319 – 322.

[5]- نال علم الحديث عناية فائقة من ولاّة الأمر، وهو المصدر الثاني الذي اعتمد عليه المرابطون في أحكامهم ، وكان موطأ الإمام مالك في الدّولة المرابطية مدار الدراسات المتّصلة بعلم الحديث ، كما تمّ الإعتماد على فروع مذهب الإمام مالك ، خاصّة في عصرعليّ بن يوسف بن تاشفين ، غير أن عبد الواحد المراكشي ينفي اهتمام المرابطين بعلم الحديث ، ويقول أنهم اعتمدوا على كتب المذهب المالكي، وكثر ذلك حتى نسي النّظر في كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويبدوا أن هذا الرأي مرتبط بعمل الموحدين على تشويه صورة المرابطين، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 235، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 154 .

[6]- ابن فرحون المالكي، المصدر السابق، ص 125.

[7]- روى عن عديد من علماء الأندلس منهم أبي عبد الله أحمد الخولاني، رحل إلى المشرق وحج، لقي كثيرا من العلماء في إفريقية ومصر، وتلا عليهم، وأخذ عنهم التلاوة، ثم قفل إلى الأندلس وتجول في المغرب ودخل مراكش، وعاد إلى إشبيلية، عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س6 ص 360، ابن بشكوال، المصدر السابق،ج2 ،ص 580.

الملك الصدفي الّذي توّفي بمراكش كذلك سنة 520هـ[1]/1126م.

وفي العصر الموحدي يبدوا أنّ الاهتمام بدراسة علم الحديث كان نابعا من مذهبهم الدّيني، حيث فرضت الدولة على المواطنين الدراسات الاجبارية للحديث، وقد جعل لمن يحفظ حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الجوائز السّنية[2]، حيث شهد العصر الموحدي ازدهارا كبيرا لعلم الحديث لم يكن له من قبل، وقد استمد نهضته من اهتمام الخلفاء الموحدين به اهتماما كبيرا ، وتجلى ذلك في المكانة التي أولوها بالرجوع لكتاب اللّه وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، واحراق كتب الفروع، وأيضا في المكانة التي كانت لطلاب علم الحديث في دولتهم وبخاصّة أيام يعقوب المنصور[3].

2.1) الأدب واللغة العربية

تهيأت لبلاد المغرب وخاصّة المغرب الأقصى، ومدينة فاس على وجه الخصوص بعض العوامل التي كان من شأنها أن تعمل على تنشيط الحركة الأدبية بها، ومن هذه العوامل هجرة أهل القيروان وأفريقية على أثر عبث الأعراب الذين سلطهم الفاطميون على تلك البلاد، فعاشوا فيها وخرّبوا معاهدها وشرّدوا رجال العلم والأدب منها، فهاجروا إلى المغرب، وكان حظ فاس منهم عظيما، كما كان لفتنة قرطبة أثر كبير في هجرة الأندلسيين ونزول كثير منهم بمدينة فاس[4]، وكان للرقي السياسي والتفوق الاجتماعي والنهوض الثقافي في العصرين المرابطي والموحدي أثره في نهضة الأدب، وإن كان يغلب عليه في عهد المرابطين الطابع الأندلسي بحكم الوحدة القوية التي أظّلت بلاد المغرب والأندلس، أمّا العهد الموحدي فشهد سيطرة أدباء بلاد المغرب مضمونا وعبارة وخيالا[5]، والفضل الأوّل في هذه النّهضة يعود لخلفاء الموحدين الذين شجعوا هذه الحركة الأدبية[6]، فوُجد شعراء عباقرة تناولوا كثيرا من فنون الشعر العربي، ونبغ من بينهم أفراد جمعت لهم دواوين ضمت آثارهم ، كما ظهرت مؤلفاتهم الأدبية القيّمة[7].

---

[1]- يكنى أبا القاسم، ويعّرف بالزنجابي روى عن أبي عبد الله محمد بن فرح وأبي على الغسّاني، وغيرهما، وكان فقيها حافظا للرأي ذاكرا للمسائل مفتيا لبلده معظما فيه، توفي بمراكش ثم سيق إلى إشبيلية فدفن بها، ينظر: ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 261.

[2] - عبد المالك المراكشي، المصدر السابق، ج6، ص 356- 361.

[3]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص 281.

[4]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص443.

[5]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص 287.

[6]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص293، 270، 375.

[7]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص287.

لم يتّسع انتشار اللّغة العربية بالمغرب الإسلامي إلاّ بعد ظهور المرابطين على مسرح الأحداث، وتوحيد المغرب والأندلس في كيان سياسي واحد[1]، ورغم ذلك تسجل كتب التّراجم توافد مجموعة من العلماء على بلاد المغرب، من بينهم أبو إسحاق ابراهيم بن أبي الفضل بن صواب الحجري الشاطبي الذي نزل بفاس، وهو أستاذ نحوي كان من أهل المعرفة بالعربية واللّغة والأدب، تجوّل في البلاد ملمّا بالعربية ، ثمّ تعلّم الطّب، وقعد للعلاج بطنجة، استّقر أخر عمره بفاس في نحو ست وخمسمائة[2]، ويذكر بعض الباحثين أنّ المرابطين كانت لهم عناية خاصّة بدراسة اللّغة وعلومها[3]، فشجّع المرابطون اللّغة والنّحو، وانكبّوا على تعلمّهما، غير أنّ ذلك ارتبط بالجهود الفردية، ولم يرتق إلى مستوى الدّراسات المتخصصّة[4].

ومن الفنون الأدبية النّثر، ومن فنونه التي ظهرت في هذين العهدين فن الكتابة الإخوانية، التي ظهرت على شكل رسائل، والتي نذكر منها الرسالة التي كتبها الفقيه القاضي عيسى بن عمران قاضي الجماعة بمراكش إلى ولده بمدينة فاس قبل عام 570هـ/1174م[5]، ومن الذين كانت لهم شهرة في هذا الفن أيضا عبد الرحمان بن أحمد بن محمد الأزدي المتوفى عام 576هـ/1180م من أهل غرناطة، وهو من الذين وفدوا على فاس واستقروا بها، حيث كان صاحب خطب، وتواليف، ورسائل، ومقامات، جامعا لمناقب من أدركه من أهل عصره[6].

وفي العصر الموحدي نضجت دراسة علوم اللّسان العربي مع هجرة الكثير من علماء الأندلس إلى بلاد المغرب[7]، ومن هؤلاء المعافري الذي سكن مدينة مراكش باستدعاء من المنصور الموحدي، وكان عالما بعلوم كثيرة منها علم الحديث، فقد كان محدثا راوية عدلا مكثرا صحيح السّماع ثقة متقدما في النّحو[8].

ومن الفنون الأدبية التي ارتبطت بمتطلبات الدّولة فن الكتابة، فافتقاد المرابطين إلى الخبرة في الشؤون السّياسية، العسكرية، الإدارية، والكتابية دفعهم إلى توفيرها من حواضر بلاد الأندلس لحاجة دواوين

[1]- محمد عبد العزيز عادل، المرجع السابق، ص 118 .

[2]- **رجب عبد الجواد ابراهيم**، معجم علماء اللّغة والنّحو في الأندلس من الفتح إلى سقوط الخلافة، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، 1424هـ- 2004م، ص 27 .

[3] - عثمان المراكشي، الجامعة اليوسفية، ص 205.

[4]- محمد عبد العزيز عادل، المرجع السابق، ص 119.

[5]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص268.

[6]- لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ج3، ص482، 483.

[7] - عبد العباس ابراهيم حمادي، المرجع السابق، ص 308.

[8] - ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج6، ص 382.

ودوائر دولتهم إليها، فاستدعوا مجموعة من الأدباء الكتّاب الّذين سهروا على تنظيم شؤون دولتهم[1]، ومن أشهر أدباء الأندلس الذين خدموا في بلاط مراكش المرابطي عبد الرحمان بن أسباط الذي كان من أوائل الأندلسيين الذين عملوا بالبلاط المرابطي وذلك قبل عبور يوسف بن تاشفين إلى بلاد الأندلس وقد توفي في مدينة سبتة سنة 487هـ/1094م[2] ، وابن القصيرة محمد بن سليمان الكلاعي الأشبيلي، وهو الذي ذكر عنه أنّ كان أحد رجال الفصاحة، والحائز على قصب السبق في البلاغة كان على طريقة القدماء الكتاب من إثار جزل الألفاظ، وصحيح المعاني[3]، وكان استدعاه للكتابة بالعاصمة المرابطية من طرف يوسف بن تاشفين بعد وفاة عبد الرحمان بن أسباط، وبقي يشغل هذا المنصب حتى في عهد علي بن يوسف بن تاشفين إلى أن توفي بمراكش سنة 508هـ/1114م[4] .

أمّا ابن الجدّ الفهري المعروف بالأحدب[5]، فقد استدعاه عليّ بن يوسف بن تاشفين إلى مدينة مراكش، وألحقه بديوانه، ومن الكتّاب الذين خدموا الدّولة المرابطية كذلك ابن عبدون، ابن أبي الخصال، وابن الصيرفي، وابن خاقان[6]، وابن القبطرنة، و نبغ على يد هؤلاء نخبة من الكتّاب الذين بلغوا مرتبة رفيعة في فن الكتابة وخدموا بلاط الدّولة المرابطية، ومنهم أحمد بن محمّد بن عطيّة القضاعي، وأبي عقيل بن أبي جعفر بن عطيّة القضاعي .

ومن الأدباء والكتاب الأندلسيين الذين استكتبتهم الدّولة الموحدية أيّام عبد المؤمن بن علي وابنه يوسف، عبد الملك بن عياش بن فرج بن عبد الملك بن هارون الأزدي القرطبي، كان مع تقدمه في الآداب وبراعته في الكتابة شاعرا ومن أبرع النّاس حظا وأحسنهم وراقة، نال عند الموحدين منزلة عالية، وتوفي سنة 568هـ/1172م [7]، أمّا أسلوبه في تحرير الرسائل فلا يختلف عن أسلوب سلفه الكاتب ابن عطية، واضافة إلى الكاتب عبد الملك بن عياش فقد كتب للموحدين كثير من الأدباء الأندلسيين الذين يطول المقام

[1]– محمد عبد العزيز عادل، المرجع السابق، ص 123.

[2] – **محمود علي مكي**، وثائق تاريخية عن عصر المرابطين، مقال بمجلة معد الدراسات الاسلامية بمدريد، المجلد السابق والثامن ، 1960/1959 ، ص 115.

[3] – عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 164.

[4] – الفتح بن خاقان، قلائد العقيان، ص 107 -101.

[5]– ابن بسام الشّنتريني، المصدر السابق، ق 12، 285 ، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 441 .

[6]– من أشهر كتّاب الأندلس، كان أديبا، كاتبا، شاعرا، أخذ العلم عن أدباء عصره، كابن الصيرفي، وابن القصيرة، وابن اللّبانة ، وأبي محمد بن عبدون ، ألّف كتابا ضمّه ما أنتجه من نتر أدبي وهو كتاب " بداية المحاسن وغاية المحاسن " ومن كتبه كذلك " قلائد العقيان، ومطمح الأنفس"، ينظر: أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج8، ص 248.

[7] – ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ق1، ج5، ص 26-30.

بذكرهم[1].

وهناك طائفة كبيرة من الكتّاب ممّن جمعوا بين النّظم والنثر[2]، وعملوا في البلاط المرابطي، ومنهم محمد بن سليمان، الكلاكي الإشبيلي المعروف بابن القصيرة، وقد كان كاتبا ليوسف بن تاشفين، وابنه عليّ من بعده[3]، ويبدوا أنّ الكاتب بن القصيرة كان من أبرز كتاب عصره لاتفاق كتب التراجم على أنّه من أهل البلاغة في وقته اضافة إلى إلمامه بعلوم كثيرة أخرى[4].

أمّا حركة النّتر في العهد الموحدي فقد كانت امتدادا لحركة النتر في العهد المرابطي مع ميلها إلى شيء من التّكلف الذي يكمن في الإسهاب وذكر الألقاب السلطانية لا سيما في الرسائل الديوانية[5]مع الاحتفاظ بروعة الأسلوب والمعنى، وقد واصلت الحركة المذكورة تقدمها وازدهارها تبعا لازدهار الحركة الفكرية والعملية.

وفي مجال الشعر احتضنت مراكش على عهد المرابطين والموحدين كثيرا من الشعراء الذين تزايد عددهم في العهد الموحدي حتّى غصّت بهم عاصمة الموحدين، ومن أهمّ الشعراء الأندلسيين الذين توافدوا على البلاط المرابطي، أبو العباس أحمد بن عبدالله القيسي المعروف بالأعمى التّيطلي[6]، والشاعر أبو بكر بن اليكي[7]، ومحمد بن عبد الرحمان العقيلي الجراوي[8]، والوزير الكاتب أبو جعفر بن عطيّة[1]، وكانت معظم

---

[1] – عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 244 ، 263 ، 311 ، 312.

[2]– يتمثل النثر في الرسائل الديوانية وفي الرسائل الأخوانية، والرسائل العلمية، ويتميز هذا النوع من الكتابة بالإسراف في استخدام المحسنات البديعية كالسّجع والجناس، ومن أمثلة الرسائل الديوانية، رسالة من إنشاء عبد المجيد بن عبدون نيابة عن الأمير سير بن أبي بكر اللمتوني، يخير فيه أمير المسلمين على بن يوسف نفتح شنترين، ومن أمثلة الرسائل الأخوية رسالة كتبها عبد المجيد بن عبدون إلى أبي عبد الله محمد بن أبي الخصال يخطب مودته ينظر: **السيد عبد العزيز سالم**، قرطبة حاضرة قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ص 182.

[3]– محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص 124 .

[4] –ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، مج1، ق2، ص239، 284.

[5] – علي مكي، المرجع السابق، ص 120، 121.

[6]– هو أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة القيسي الإشبيلي، نشأ في إشبيلية ضريرا، لذلك لقب بالأعمى، وهو شاعر وجداني محسن، مجيد، ووشاح، بارع، كانت وفاته سنة 525هـ / 1131م، **عمر فروخ**، تاريخ الأدب العربي، ج5، الأدب في المغرب و الأندلس عصر المرابطين والموحدين، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1982م، ص 161.

[7]– هو أبو بكر بن عبد الجليل بن سهل اليكي ، نسبة إلى يكّة ، وهي حصن شمال مرسية ، كان شاعرا له إجادة ، ومعظم شعره في الهجاء، عمر فروخ، المرجع السابق ، ص 357.

[8]– كان حسن المشاركة في الفقه والأدب والطب، شاعرا مطبوعا خاطب أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين بقصيدة طويلة، فأجازه عليها بتنويم كريم، وكتب صك بتحرير أملاكه، كما ابتغى ينظر : عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج6، ص 368.

أشعار هؤلاء في مدح أمراء المرابطين وخلفاء الموحدين.

وفي العصر المرابطي ظهر نفر من الزجالين والوشاحين وأصحاب الشعر الذي لااحتشام ولاعفة فيه، كنزهون بنت القلاعي تلميذة المخزومي[2]، التي كانت تتعارض أبا بكر بن سعيد الوزير الغرناطي معارضات تنم عن ذكاء، والكتندي[3]، الذي تغنى بنهر اشبيلية، وغيره كثيرون ممّن سبقوه[4]، ومن شعراء المغرب أيضا الذين لمع اسمهم في سماء التوشيح في العصر الموحدي الشاعر أبو حفص عمر السلمي الأغماتي المتوفى سنة 603هـ /1206م، والذي كانت له موشحات يغنى بها في الأقطار[5].

1.3) التاريخ

كان التاريخ الأندلسي في مظهره وأسلوبه يسلك مسلك المشارقة في منهجه وروايته، حيث اتّبع الأندلسيون في معالجة تاريخهم، تلك الطرق التي تقوم على النقل والاقتباس أو المشاهدة العينية وجمع المعلومات، وتحري الحقائق، والاستعانة بالوثائق[6]، وقد توافد عدد من المؤرخين الأندلسيين الذين عاشوا في العصر المرابطي أمثال: عبد الرحمان بن علي الصقر الذي سكن مدينة مراكش وتوفي بها سنة 523هـ/1128م[7]، وأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني.

1.4) التصوف

بالرغم من كلّ الإجراءات التي اتّخذها المرابطون ضدّ المتصوفة، فقد استطاع التّصوف أن يشق طريقه بقوّة، فظهر في عهدهم كثير من المتصوفة، أبرزهم أبو القاسم بن العريف الذي تعرض إلى الاضطهاد، إذ أمر علي بن يوسف بحمله إلى مراكش لمحاكمته، لكنّه استطاع إقناع الأمير ببرائته وتديّنه،

---

[1]- كتب ابن عطية لعليّ بن يوسف ثم لابنيه من بعده تائفين وإسحاق حتى أواخر عهد المرابطين، ثمّ إستكتيه الخليفة عبد المؤمن بن علي وبلغ مكانة مرموقة إلى أن قتل على يده، ابن الأبار، المصدر السابق، ص 238 ، لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ج1، ص 271، ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص 16.

[2]- **انخيل جانتالت بالنسيا**، تاريخ الفكر الأندلسي، تر: حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، ط1، القاهرة، 1955، ص 125.

[3]- انخيل جانتالت بالنسيا، المرجع السابق، ص 125.

[4]- انخيل جانتالت بالنسيا، المرجع نفسه، ص125.

[5] - ابن سعيد، الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، ص 93.

[6] - محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص 134.

[7] - ابن القاضي، المصدر السابق، ص 409.

فأطلق سراحه، وكانت بينه وبين القاضي عياض مراسلات، ومجادلات فقهية[1]، والصّوفي الأخر هو أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قيسي[2].

ورغم أنّ هؤلاء المتصوفة لم يكوّنوا طرقا وجماعات كما حدث فيما بعد، إلا أنّ أثارهم ظلّت قائمة واستمرت إلى العصر الموحدي[3]، ومن أهم المتصوفين الذين ذاع صيتهم في المغرب الأقصى"أبو يعزي يلنور" وهو آل النّور عبد الرحمان بن أبي عبد الرحمان بن أبي بكر الإيلاني المغربي"[4]، تلّقى العلم على يد أبي بكر بن العربي الّذي استوطن فاس، وتخرج على يده مجموعة من أكابر مشايخها، وأعلام زهادها، وكان أهل المغرب، وفاس يستسقون به فيُسقون[5].أمّا الشّيخ أبو الحسن علي بن اسماعيل بن حرزهم فقد كان من كبار الصوفية في عهد المرابطين، وكان ذو علم بالفقه والحديث ومعرفة بالتفسير والتصوف[6]، واجتمعت القلوب على محبته، فكان يقصده النّاس من مختلف البلدان للقراءة عليه[7]، وكان أبو الحسن ممّن وافق الأمير علي بن يوسف على مصادرة كتاب الإحياء، لكنّه عدل عن ذلك، فحثّ على العمل به، وقد درس على يده كبار أصحاب الصوفية كعبد السلام بن مشيش وأبي مدين، وأبي محمد عبد الله التاودي وغيرهم، توفي بفاس عام559هـ/1163م-1164م[8].

وفي عصر الموحدين بدأ التصوف يعرف التميّز ويأخذ طريقه نحو ظهور نحو تكوين الطرق الصوفية، حيث ظهر في هذا العصر عدد لبأس به من المتصوفة، لعلّ أبرزهم الشيخ محي الدين بن عربي المتوفى سنة 638هـ/1240م، وهو من مدينة مرسية تردد على مدينة فاس سنة 591هـ/1194م، وألقى

---

[1]- ابن العريف من أهل ألمرية ، وبها ولد سنة 481هـ ، درس علوم القرآن و السّير، وغلب عليه الزهد والورع، ومال إلى طرق الصوفية، حتّى غدا من اقطاب نحلتهم، وألأّف تصانيف منها "كتاب المجالس "، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 465.

[2]- كان بن قيسي مولدا، يرجع إلى أصل نصراني، نشأ في أحواز شلب، اعتنق طرائق الصوفية وتبخر فيها حتى غدا من شيوخها، ألفّ عديدا من الكتب ، منها "خلع النعلين"، درس على ابن العريف، تزعم ثورة الموريدين التي أشعلها صوفية غرب الأندلس، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 307 ، 308 .

[3] - حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 476.

[4]- ولد ابن أبي يعزي عام 488هـ/ 1095م، وساح في مختلف أنحاء المغرب، كان مطلعا على مبادئ التصوف، وكان أستاذا لأبي مدين بن الغوت، وانتهت اليه تربية الصادقين والناسكين، توفي عام 573هت/1176م، وعمره يقارب مائة وثلاثون سنة ، ينظر: ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص 213، 214.

[5]- ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص195.

[6]- ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص147، 148.

[7]- ابن القاضي، المصدر السابق، ج2، ص414.

[8]- ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص148.

بها علم التصوف[1]، زمن مشايخ الصوفية كذلك السيخ أبو إسحاق الأندلسي من أهل القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، الذي اسوطن فاس وكان من كبار الصوفية[2].

5.1) علم الكلام

كان موقف المرابطين من علم الكلام في غاية التشدد فكفّروا كل من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام، ولكن عندما جاء الموحدون أذاعوا المذهب الأشعري لأنّ ابن تومرت يقترف من معينه، وقد ألّف ابن تومرت في هذا العلم عقيدة باللّسان البربري هي "المرشدة" كما صنّف في هذا العلم كتابا سماه "أعز مايطلب" وعقائد في أصول الدين، كان فيها على مذهب أبي الحسن الأشعري في أكثر المسائل، فأصبح لعلم الكلام منزلة في هذه الدّولة نتيجة اهتمام ولاة الأمر بذلك[3].

وكان من أعلام هذا العلم بدولة الموحدين، أبو الحسن علي ابن محمد ابن خليد الأندلسي الإشبيلي المتوفى عام 557هـ/1162م، الذي تصدّى لشرح عقيدة ابن تومرت بجامع القرويين بفاس معلما لعلم الأصول والكلام[4]، وقد تبعه كثير من العلماء منهم تلميذه أبو عمر عثمان بن عبد الله القيسي المعروف بالسلالجي، الذي يعود إليه الفضل الأكبر في إقناع أهل بصحة عقيدة ابن تومرت، وقد ألّف في هذا كتابه "العقيدة البرهانية" فإلى السلالجي كان مرجع الفاسيين في هذا العلم، حتى لقب بمنقد أهل فاس من التّجسيم، وقد تتلمذ على يده الكثير من الطّلاب في هذا العلم، وتوفي عام 574هـ/1178م[5].

1.6) العلوم العقلية

أ) الفلسفة

يبدوا أنّ بلاد المغرب قد لامست ازدهار الفلسفة بالأندلس، فقد وجد بعض الفلاسفة في البلاط المرابطي، مثل أبو بكر محمد بن الصائغ المعروف بابن باجة[6]، الذي استصحبه الأمير المرابطي يحي بن

[1]- أحمد بن محمد، المصدر السابق، ج، ص138.

[2]- ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص306، 457.

[3]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، 236، 237.

[4]- ابن الزبير، المصدر السابق، ج، ص101.

[5]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص487.

[6]- ولد ابن باجة بسرقسطة حوالي 462هـ / 1070م، سكن سرقسطة ثم ألرية وغرناطة وإشبيلية ثم قدم على بلاط المرابطين، حيث مات مسموما بتدبير منأحد حساده بمدينة فاس سنة 533هـ/1138م ، وكان عالما فاضلا ، له تصانيف في الرياضيات والمنطق، كما نبغ في

يوسف بن تاشفين إلى فاس، وقضى معه عشرين سنة في منصب الوزارة[1]، ومن الفلاسفة الأندلسيين الّذين احتضنتهم مراكش مالك بن وهيب، وكان بمثابة وزير ومستشار للأمير عليّ بن يوسف بن تاشفين، ورغم أنّه تخلى خلال هذه الفترة ظاهريا عن الفلسفة، ولم يظهر من العلوم فيها إلاّ ما كان ينسجم مع رغبات الأمراء المرابطين[2]، إلاّ أنّه ظلّ متعاطفا مع أصحابها، ومع ابن باجة بالذّات[3]، إلى أن توفي بمراكش سنة 525هـ[4]/1130م، وقد مضى الأندلسيون خلال العصر الموحدي إلى دراسة الفلسفة والعلوم قدما[5].

ب) الطب

ورثت الأندلس إرثا كبيرا في مجال الطبّ على عهد المرابطين، لذلك يمكن اعتبار هذا العهد عصر لازدهار الطبّ بالمغرب والأندلس[6]، ولا شك أنّ بلاد المغرب استفادت من أطباء الأندلس، حيث كانت هذه البلاد خاضعة لسلطات مراكش، وتكوّنت جماعة من الأطباء التّفت حول الأمراء المرابطين والخلفاء الموحدين، وسار معظمهم في ركاب هؤلاء، حيث قضوا بقية حياتهم في صنع العلاج وتدريس الطب[7]، وكان لها أثر في تطوّر الطبّ وازدهاره ببلاد المغرب، ومن أهمّ هؤلاء الأطباء الأندلسيين الذين عملوا بالطّب في بلاد المغرب على عهد المرابطين، أبو العلاء زهر بن أبي مروان عبد الملك بن محمد بن مروان[8]، الّذي استدعاه الأمير يوسف بن تاشفين إلى البلاط، وبقي بعد وفاة يوسف طبيبا لإبنه عليّ ، وهو الّذي استوزره، وقربّه منه وأغدق عليه من النّعم والأموال الكثير[9].

الفلك والطبيعة والموسيقى، ينظر: أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج3، ص 434، ابن أبي أصبيعة، المصدر السابق، ص 515 ، 516.

[1]- أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج3، ص 434.

[2]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 253 .

[3]- أحمد بن محمدالمقري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 434.

[4]- ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ص 621.

[5]- انخيل جانتالت بالنسيا، المرجع السابق، ص 126.

[6]- أنجيل جنثالت بالنثيا، المرجع نفسه، ص 469 ، 470.

[7]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص301.

[8]- اشتغل أبو العلاء بالطبّ وهو صغير في أيام المعتضد بالله صاحب اشبيلية وبعد زوال ملكهم أصبح وزيرا لإبراهيم بن يوسف بن تاشفين ، ترك تراثا هامّا في الطبّ ومن كتبه في الطبّ ، "مجريات الخواص"، "الأدبية المفردة"، المدخل إلى الطب"، النكث الطية" كانت وفاته سنة 525هـ/1130م، ينظر: ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، مج1، ق2، ص 216- 219، ابن عذاري المراكشي ، المصدر السابق ، ج4، ص 85، ابن أبي أصبيعة، عيون الانباء ، ج2 ص 64.

[9]- محمد الأمين بلغيث، المرجع السابق، ص 471.

ومن خلال ماتقدم يمكن تصور مدى الجهود الضخمة للأطباء الأندلسيين الذين عملوا على عهد الدولتين المرابطية و الموحدية فقد بذلوا جهودا جبارة في مجال تطبيب الجماهير[1]، أو في مجال إجراء التّجارب العلمية واستنباط النتائج الطبية[2]، كما كان للخلفاء الموحدين بيت للأشربة والمعاجين الطبية[3].

ج) الرياضيات

هناك عديد من الشّخصيات العلميّة الأندلسية التي تدين لها بلاد المغرب بنشر علم الرياضيات، نجد على رأسها الفيلسوف الطبيب الموسيقي ابن باجة، الذي سبق ذكره، والذي كان بارعا في علم العدد، والمساحة، وفرائض المواريث[4]، ومن العلماء الذين استدعاؤهم أمير المسلمين عليّ بن يوسف بن تاشفين العالم الكبير أبا عبد الله بن عائشة، ووّكل إليه حسابات جميع بلاد المغرب، ووضع في يده مقاليد الأعمال، فهو "أكثر من عوّل على علم الحساب، وهو اليوم فيه آية لا يقاس عليها، وغاية لا يضاف إليها"[5].

وفي عصر العصر الموحدي شهد علم الحساب والهندسة نهضة كبيرة بمدينة فاس بتشجيع من الخلفاء الموحدين[6]، أمّا الهندسة المعمارية فكان من أهلها أبو عمران موسى بن حسن بن أبي شامية الذي استعمل الهندسة المعمارية في البناء، وذلك عندما وضع "البيلة والخصة" بصحن جامع القرويين، فضلا عن ما أضافه من هندسة في البناء لهذا الجامع[7].

وبالرغم من أنّ الكتب التي كان يتداولها علماء الطبيعيات في المغرب كثيرة إلا أنّ المعتبرة، والتي كان يعتمد عليها أهل هذا العلم هي التي وضعها ابن رشد ولخص فيها كتب أرسطو وشرحها متبعا غير مخالف[8]، وفي علم الكيمياء يعتبر كتاب ابن بشرون أهمّ مُؤلف، وهو من كبار تلاميذ مسلمة المجرطي شيخ

[1] – محمد عبد العزيز عادل، المرجع السابق، ص 152.

[2] – عبد العباس اباهيم حمادي، المرجع السابق، ص 389.

[3] – عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص 473.

[4] – ابن عبد الملك المراكشي، المصدرالسابق، س5، ص 540.

[5] – اشتهر صونا وعفافا، ولم يخطب بعقلية حظوة زفافا ، فآثر انقباضا وسكونا إلى أن أتحفه أمر المسلمين إلى سباطه فهب من مرقد خموله وشب لبلوغ مأموله... ينظر: ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ق3، م2، ص 887.

[6] – جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص 301.

[7] – ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص64.

[8] – عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص 464.

الأندلس في هذا العلم[1].

2) الكتب الأندلسية المتداولة في بلاد المغرب

تداول علماء المغرب وطلاّب علمها، الكتب الأندلسية، سواءا تلك المتداولة قبل ظهور المرابطين، أو التي أصبحت معروفة بعد ذلك في العصر المرابطي والموحدي، كما وفد على مراكش وغيرها من مدن بلاد المغرب الكثير من العلماء الأندلسيين الذين ساهموا في حركة التأليف بالمغرب[2] .

1.2) في العلوم الدينية

من أهم كتب التّفسير التي اعتمدت عليها الدّراسات في بلاد المغرب في العهد المرابطي، هي بعض كتب التّفسير التي صنفها العلماء الأندلسيون المالكيون مثل كتاب التّفسير الذي صنفه أبو عبد الرحمان بقي بن مخلد ت 276هـ/889م بالأندلس، والذي قيل فيه أنّه لم يؤلف في الإسلام تفسير مثله، ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره[3]، ومن كتب التّفسير الّتي ذاع صيتها في بلاد المغرب، وكان أصحابها من الأندلسيين الذين عاصروا الدّولة المرابطية،"كتاب التّفسير"لأبي محمد بن عطيّة الغرناطي[4]، الّذي عوّل عليه أهل المغرب وتداولوه بالدّراسة، وافتتنوا به في العصور التّالية[5]، أمّا أحمد بن عبد الصمد ابن عبيدة الأنصاري الخزرجي الأندلسي[6]، فله كتاب "نفيس الصّباح في غريب القرءآن" وكتاب "ناسخة ومنسوخة[7]"، وأيضا محمد بن علي بن العربي الحاتمي نزيل فاس، والذي أخذ بها عن علي بن حرزهم، له

---

[1] – محمد عبد العزيز عادل، المرجع السابق، ص 149.

[2] – حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 483.

[3] – ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 116.

[4] – عبد الله عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي بن محارب قيس الغرناطي، ولد سنة 481هـ/1088م، وتوفي سنة 542هـ/1146م ، من أهل غرناطة، من أسرة وبيت عريق في العلم، تفقه على فقهاء غرناطة كابن الربيع، وأبي عثمان، وأبي جعفر، وأخذ الحديث عن أبي علي الجيّاني، والنحو عن محمد بن حارث، وتفسير إبن عطية تلخيص للتفاسير السابقة، ينظر: أحمد بن عميرة الضبي، المصدر السابق، ج2، ص 506 ، 507.

[5] – محمد الأمين بلغيث، المرجع السابق، ص 205.

[6] – يكنى بأبو جعفر، قرطبي، سكن غرناطة، مدّة وبجاية أخرى، ثم استوطن مدينة فاس، روى عن عديد من العلماء منهم بن أبي الحصال، وروى عنه كذلك، كان في شبابه معروفا بالذكاء والنبل، مشهورا بالحفظ للحديث، ذاكرا للتّواريخ والقصص، توفي بفاس عقب ذي الحجة من سنة 582هـ/ 1186م ينظر: عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ق1، ص 239، 240.

[7] – عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ق1، ص 239، 240.

التّفسير" الجمل والتّفصيل في معاني التنزيل" توفي عام 636هـ/1238م[1]، ومن علماء التفسير الذين نبغوا في علم التفسير أيضا، محمد بن يوسف بن عمران المزدغي المتوفى عام 655هـ/1257م، له كتاب "تفسير القرآن" انتهى فيه إلى سورة الفتح[2]، وأبو العباس أحمد بن فرتون السلمي المتوفى عام 660هـ/1261م، ألّف في الأعلام المبهمة في القرآن، وله كتاب استدرك فيه علي السهيلي في كتابه التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام[3].

ومن كتب علوم الفقه المعتمدة من قبل أهل المغرب أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الجد[4] الذي كانت كتبه هي المعتمدة في عهد المرابطين، ومن أشهر مؤلفاته "البيان والتحصيل"، و"المقدمات لأوائل كتب المدونة"، "اختصار المبسوطة" و"تهذيب مشكل الآثار" و"نوازل ابن رشد " ويعتبر البيان والتحصيل من أمّهات كتب المذهب المالكي، فقد استوعب مسائل مستخرجة الأندلسيين، ومدّونة القرويين اللّتين كان فقهاء الغرب الإسلامي في القرون الوسطى يحفظونها عن ظهر قلب[5].

ألّف الأندلسيون كذلك في علم القراءات كثيرا ونبغ منهم عدد كبير حتى أننا نجد أسمائهم تلمع في كثير من مناطق العالم الاسلامي، وتكفي الاشارة إلى كتاب "القراء الكبار"، الذي تناول أكبر طبقات القراء ضم من الأندلسيين 127 قارئا مشهورا[6]، ومن أهم المؤلفات العلمية التي كان الطلبة يقومون بدراستها في هذا العلم ، كتاب محمد بن عبد الله اللّخمي "الايماء الى مذاهب السبعة القراء" وكتاب "تبين المعاني المبهمات"[7]، وكتاب "الاشارة في قراءة الأئمة السبعة المختارة"[8]، وأيضا كتاب "الشمس المنيرة في

---

[1]– جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص 280.

[2]– ابن القاضي، المصدر السابق، ج1، ص222.

[3]– ابن القاضي، المصدر السابق، ج1، ص188.

[4]–كان فقيها عالما حافظا مقّدما فيه ، على جميع أهل عصره وعارفا بالفتوى على مذهب مالك وأصحابه ، بصيرا بأقوالهم واختلافهم ، فأخذ في علم الفرائض والأصول ، من أهل الريّاسة في العلم ، والبراعة والفهم مع الدّين والفضل والوقار، والحلم والسّمت الحسن، والهدى الصالح، ولد سنة 450هـ/1058م وتوفي 520هـ/1126م، ينظر: النباهي المالقي، المصدر السابق، ص 99، ابن فرحون المالكي، المصدر السابق ، ص 373.

[5]– من أشهر مؤلفاته "البيان والتحصيل"، و"المقدمات لأوائل كتب المدونة"، "اختصار المبسوطة" و"تهذيب مشكل الآثار" و"نوازل ابن رشد " ويعتبر البيان و التحصيل من أمّهات كتب المذهب المالكي فقد استوعب مسائل مستخرجة الأندلسيين ، ومدّونة القرويين اللّتين كان فقهاء الغرب الإسلامي في القرون الوسطى يحفظونها عن ظهر قلب، عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق ، ص 390.

[6] – محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم، ص 286 – 292.

[7]– ابن القاضي، المصدر السابق، ج2، ص479.

[8]– ابن القاضي، المصدر نفسه، ج1، ص263.

القراءات السبع الشهيرة"[1]. أمّا عن أهم الكتب التي ألفت في هذين العصرين وكانت متداولة بين أيدي العلماء الدارسين فمنها كتاب "آفاق الشموس وأعلاق النفوس" وكتاب"مقاطع الصلبان ومراتع رياض أهل الايمان"، وهما من تأليف أحمد بن عبد الصمد بن عبيدة الخزرجي المتوفى عام 582هـ/1186م[2]، وكتاب "المطالع على الصحيح" الذي كان عظيم الفوائد تصدر العلامة أبو اسحاق بن قرقول المتوفى عام 569هـ/1173 للإفادة به بفاس[3]، وكتاب "المفهم" على كتاب صحيح مسم لأحمد بن ابراهيم بن عمر الأنصاري القرطبي المتوفى قبل عام 626هـ/1228م[4]، وأيضا كتاب "الأجوبة و الطرر على المدونة" لراشد بن راشد الوليدي المتوفى عام 675هـ/1276م[5].

2.2) في علوم اللّسان العربي

وردت كتب التّراجم والطبقات اشارات تشير إلى وجود نشاط للدراسة النّحوية بالمغرب على العهد المرابطي، غير أنّنا نجهل طبيعة ذلك النشاط والسبب في ذلك يعود إلى أنّ الجهود التي بذلت في هذا المضمار من الدراسات كانت جهودا فردية، ومن كتب النّحو التي كانت تُدّرس في المؤسسات العلمية بمراكش "كتاب سيبوية" وكتاب "الإيضاح " لأبي عليّ الفارسي[6]، ولاشّك أنّ انتقال هذه الكتب قد تمّ عبر الأندلس. ويبدوا أنّ الدراسات اللّغوية المتخصصة المستقلة لم تظهر ببلاد المغرب إلاّ في العهد الموحدي لأنّ العهد المذكور شهد ورود عدد كبير من العلماء النحويين المتخصصين على مراكش استقروا بها وتصدروا لتدريس النحو[7]، فقد اشتهر العديد من علماء اللّغة العربية بمدينة فاس، وكان من أبرز هؤلاء، أحمد بن عبد الجليل التدميري من الوافدين على المدينة، كان عالما باللّغة العربية وله حظ في قرض الشعر، كما أنّ له كتاب في اللّغة العربية سماه "التوطئة في اللّغة العربية" وله شرح كتاب "الفصيح" وله كتاب في شرح أبيات الجمل سماه"شفاء الصدور" وتوفي أحمد بن عبد الجليل عام 555هـ/1160م[8].

ومن أوائل العلماء الأندلسيين الذين استوطنوا عاصمة الموحدين وأسهموا في اقامة المدرسة

---

[1]- ابن القاضي، المصدر نفسه، ج2، ص265.
[2]- ابن القاضي، المصدر السابق، ج1، ص141.
[3]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص 282.
[4]- ابن فرحون المالكي، المصدر السابق، ج1، ص240، 241.
[5]- ابن القاضي، المصدر السابق، ج1، ص196.
[6]- محمد عبد العزيز عادل، المرجع السابق، ص 119.
[7]- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج6، ص 319 – 322.
[8]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص 285 ، 286.

النّحوية فيها، محمد بن عبد الله بن ميمون بن ادريس العبدري، الذي أسهم في الأنشطة العلمية المختلفة في مراكش فقد كان من المبرزين بالدراسات النحوية، وتصدر لتدريسها في مراكش على العهد الموحدي[1]، ومن مصنفاته "مشاحذ الأفكار في مآخذ النظار"[2] و"شرحاه الكبير والصغير على جمل الزجاج" و"شرح أبيات العضدي" و"مقامات الحريري"، و"شرح معشراته الغزلية ومكفرتها الزهدية"[3]، توفي بمراكش سنة 567هـ/1171م [4].

ومن علماء النحو الأندلسيين الذين انتفعت مدينة مراكش في العهد الموحدي علي بن محمد بن خروف الخضرمي النحوي الذي كان إماما في صناعة العربية ، انقطع لتدريسها وصرف جل اهتمامه إلى كتاب سيبويه الذي تناوله بالشرح في كتاب : "تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب" [5] ، ويقع في أربعة أجزاء وقد كافأه محمد الناصر بن يعقوب المنصور الموحدي بأربعة آلاف درهم موحدية[6].

3.2) في علم التاريخ

عرف عن الأندلسيين ولعهم الشّديد بعلم التاريخ، وحماستهم للأخبار، وتقصي الحقائق ومعرفة تاريخ الأمم المجاورة لهم[7]، منهم الذي سكن مراكش وتوفي بها سنة 523هـ[8]/1128م، وكان من مصنفات عبد الرحمان بن محمد ابن علي الصقر الأنصاري التّاريخية، "مختصر السّر والمغازي من سيّر ابن اسحاق"[9]، وتاريخ ابن جعفر الطبري في سفر متوسط، و"منتخب سير المصطفى " لأبي سعيد بن عبد الملك بن محمد الخرسان[10]، ويدّل هذا العمل الذي قام به هذا المؤرخ على أنّ المصنفات التاريخية التي اضطلع عليها الأندلسيون، كانت متداولة للبحث، والدّراسة لدى أهل المغرب في العهد المرابطي .

أمّا في العهد الموحدي فقد نشطت عملية التأليف التّاريخي بين أبناء المغرب، وظهر منهم عدد

[1] – ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج6 ، ص 220.
[2] – ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، ج6 ، ص 319.
[3] – ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، ج6 ، ص 319.
[4] – ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، ج6، ص 322.
[5] – ابن القاضي، المصدر نفسه، ق2، ص 482.
[6] – ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج5 ، 321.
[7] – محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص 134.
[8] – حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 487.
[9] – جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص 295.
[10] – جمال أحمد طه، المرجع نفسه، ص 295.

كبير، وطبيعي أن تتأثر الكتابة التاريخية في المغرب بالكتابة الأندلسية نظرا لأستاذية مؤرخي الأندلس لأبناء العدوة المغربية وتداول كتبهم فيما بينهم، فنجد في العصر الموحدي مجموعة من المؤلفات التّاريخية الهامّة يأتي في مقدمتها، "المعجب في أخبار المغرب" لعبد الواحد المراكشي، و"نظم الجمان" لابن القطان، وتاريخ "المن بالامامة" لابن صاحب الصلاة[1].

4.2) في العلوم العقلية

حظيت العلوم العقلية بالتّشجيع من المرابطين ووصلت إلى درجة كبيرة من التّخصص والتّجويد، فنجد أنفسنا أمام عدد كبير من العلماء الذين اهتموا بالفلسفة والطبّ وغيرها من العلوم، فألّفت المصنفات في الفلسفة والمنطق وغيرها، وإذا كان معظم المؤرخين يؤكدون على أنّ الفلاسفة كانوا عرضة إلى الاضطهاد في العصر المرابطي[2]، ويستدلون على هذه الحقيقة إحراق كتاب الحياء للإمام أبي حامد الغزالي[3]، لكن هؤلاء المؤرخين لم يستطيعوا أن يجدوا جوابا شافيا حول الرعاية والحماية التي خُصّ بها فلاسفة هذ العصر من قبل المرابطين، حيث يمكن اعتبار ذلك عاملا مساعدا في ازدهار الكتابات الفلسفية التّي ظهرت خلال هذه الفترة، فقد وجد بعض الفلاسفة في البلاط المرابطي، مثل أبو بكر محمد بن الصائغ المعروف بابن باجة ، الذي واصل نشاطه الفكري بالحاضرة الأندلسية، ما أمكنه من التّأليف والدّراسة جهارا[4].

وفي ميدان الطب كان لطبيب المرابطين أبي العلاء زهر بن أبي مروان عبد الملك بن محمد بن مروان[5]، تصانيف كثيرة في الطّب منها "الأدوية المفردة" وكتاب "الإيضاح بشواهد الإفتضاح في الرد على ابن رضوان"[6]، توفي بالأندلس سنة 525هـ/1130م[7]، وقد راجت كتبه خاصّة بعد وفاته، حيث أمر أمير

---

[1] – حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 503.

[2] – **خليل إبراهيم السامرائي** ، علاقات المرابطين بالمماليك الإسبانية بالأندلس وبالدول الإسلامية، منشورات وزارة الثقافة و الإعلام، 1985، العراق ص 368 ، 369 .

[3] – عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 407.

[4] – أحمد بن محمدالمقري، المصدر السابق، ج3، ص 434.

[5] – اشتغل أبو العلاء بالطبّ وهو صغير في أيام المعتضد بالله صاحب اشبيلية وبعد زوال ملكهم أصبح وزيرا لإبراهيم بن يوسف بن تاشفين ، ترك تراثا هامّا في الطبّ ومن كتبه في الطبّ ، "مجريات الخواص"، "الأدبية المفردة"، المدخل إلى الطب"، النكث الطية" كانت وفاته سنة 525هـ/1130م، ينظر: ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ق2، ج1، ص 216-218 ، ابن عذاري المراكشي ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 85.

[6] – ابن أبي أصبيعة، المصدر السابق، ج2 ص 66.

[7] – ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج4 ، ص 66 .

المسلمين عليّ بن يوسف بجمع كتبه ونسخها في سائر بلاد العدوة والأندلس[1]، وعمل بالبلاط المرابطي كثير من الأطباء الأندلسيين الّذين كانت لهم مصنّفات طبيّة منها ما يتعلق بالأمراض الغالبة الإنتشار في بلاد المغرب، والأدوية المناسبة لها[2]، ومن أبرز هؤلاء ابراهيم ابن أبي الفضل بن صواب الحجري من أهل مدينة شاطبة الذي تعلم الطب، وقعد للعلاج بطنجة، ورحل بعدها إلى مدينة فاس، فاستقّر بها يمارس مهنته حتى توفي بها سنة 506هـ[3]/1112م، وكذلك أبو بكر محمد بن يحي بن الصائغ المعروف بابن باجة الذي شارك الأطباء في علومهم، فحسدوه على ذلك، وقتلوه مسموما بفاس سنة 533هـ/1138م[4] ، ومن الأطباء الذين عاشوا بم/دينة فاس الطبيب أحمد بن عبد الله بن موسى القيسي الاشبيلي الذي توفي بها عام 571هـ/1175م[5] والطبيب علي بن عتيق الخزرجي نزيل فاس أيضا، والذي كان ماهرا في الطب موفق للعلاج وله تأليف فيه، وقد توفي ابن عتيق سنة 598هـ/1201م[6] أمّا الطبيب أحمد بن الحسن القضاعي المرسي الأصل فارتحل إلى مدينة فاس فاستوطنها، وكان ماهرا في الصناعة الطبيّة، وصنف في علم الطبّ مختصرا سماه "الجمل والتّفصيل في تدبير الصحة" وقد توفي هذا الطبيب عام 599هـ/1202-1203م[7]، ونذكر من الأطباء الوافدين على بلاد المغرب كذلك الطبيب الشاعر محمد بن قاسم الأنصاري الجياني الذي سكن مدينة فاس وأخذ من علمائها[8]، وأبو الحجاج يوسف بن يحي بن اسحاق الإسرائيلي الفاسي المتوفى عام 623هـ/1225م الذي كان فاضلا في صناعة الطب[9]، ومن العائلات التي توارثت مهنة الطب بفاس بنوا أفلاطون اطباء فاس المشهورين[10].

ساهم جيل المرابطين في الرّفع من شؤون العلوم الرياضية، وتمكّنوا من فهم أعمال المؤتمن بن هود صاحب كتاب "الاستكمال في الهندسة"[11]، ورغم أنّ بعض المؤرخين يعتبرون العصر المرابطي ضعيف في

---

[1]- محمد الأمين بلغيث ، المرجع السابق، ص 471.

[2]- محمد عبد العزيز عادل، المرجع السابق، ص 151.

[3] - محمد عبد العزيز عادل، المرجع نفسه، ص 152.

[4]- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ق1، ج2، ص 568.

[5]- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، ق1، ج1، ص185.

[6]- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، ق1، ج1، 256.

[7]- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، ق1، ج1، ص87- 91.

[8]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص 303.

[9]- جمال أحمد طه، المرجع نفسه، ص 303.

[10]- ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص259، 260.

[11]-**أبو القاسم سعد الله**، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1986، ص 404.

إنتاجه الرّياضي، رابطين ذلك بوقوع المرابطين تحت سيطرة الفقهاء المالكيين المتشددين[1]، غير أنّ أواخر هذا العهد ستشهد ظهور عديد من العلماء في الهندسة والعدد وغيرها[2].

3) تدريس الأندلسيين للعلوم ببلاد المغرب

شهدت بلاد المغرب توافد عديد من علماء الأندلس إلى بلاد المغرب بغرض التّدريس، وقد شمل ذلك العلوم المختلفة، ومن أهم العلماء الأندلسيين الذين اشتغلوا بعلم التفسير بمدينة مراكش المفسر الأندلسي ابن الخصال الغافقي[3]، الّذي استقر بمراكش ما يقرب من ثلاثين عاما في عهد علي بن يوسف بن تاشفين[4]، ومن العلماء الأندلسيين الذين قاموا بالتدريس هذا العلم بفاس عيّاض بن موسى اليحصبي المتوفى عام 544هـ/1149م الذي كان يجمع من الحديث كثيرا، وله عناية به، حيث كان يجمعه ويقيّده، وكان من أهل التّفنن فيه، وقد أخذ عنه بفاس جماعة كثيرة[5].

وتدين مراكش إلى رجال العلم الأندلسيين الّذين بذروا فيها البذرة الأولى الخاصّة بالاشتغال بعلم القراءات خلال الحكم المرابطي بل أنّهم ظلّوا يشكلون العمود الفقري للنّهوض بهذا اللّون من الدراسات الشرعية حتى في العهد الموحدي، ويظهر ذلك جليا من تتبع تراجم الشخصيات العلمية التي تصدرت لتدريس علم القراءات بمراكش، فمن الذين بذلوا جهودا علمية لتدريس العلم المذكور، وتطويره من الأندلسيين عندما كانت تحت المظلة المرابطية محمد ابن أغلب بن أبي الدوس الذي كان يمارس مهنة التعليم والإقرار داخل مراكش إلى أن توفي بها سنة 511هـ/1117م[6] .

ومن العلماء الذين قاموا بتدريس علم القراءات بمدينة فاس، وأقرأوا بها علم القراءات والتجويد،

---

[1]- أنخيل جنثالت بالنثيا، المرجع السابق، ص 447.

[2]- من أهم علماء الحساب في الأندلس في عصر المرابطين، أبو بكر بن ألفح بن الأمين (ن 539هـ/1145م)، كان مقدّما في علم الفرائض والعدد والمساحة، وأبو الحسن حنون (ت500هـ/1106م)، كان عالما بالفرائض والحساب ومعلّما لها، والقنصل بن محمد بن إسحاق (ت560هـ/1168م) وأبو العباس بن بشير ، وأحمد بن مضاء ، ينظر، ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، ص 283، 442 .

[3]- هو محمد بن مسعود بن خالصة بن فرح بن مجاهد ابن أبي الخصال الغافقي، أصله من أهل شاقورة، ولد سنة 465هـ/1082م، سكن قرطبة وغرناطة، برع في الحديث، وعلوم اللغة، والتّفسير وبرع في الكتابة، والنّظم، اتصل برجال الدّولة اللّمتونية، تولى الكتابة والوزارة لعلي بن يوسف، توفي سنة 540هـ/1146م ، ينظر: ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 256، 257، لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ج 2، ص 388.

[4]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 237، 238.

[5]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص 281.

[6] - ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص 180، ابن عبد الملك المراكشي، المرجع السابق، س1، م1، ص223، 224.

محمد بن قرقاشش من أهل طليطلة، نزل بفاس عام 512هـ/1118م، كان مقرئا ماهرا له تأليف صغير في اختلاف القراء السبع، وأقرأ هذا العلم بفاس التي اتخذها وطنا له[1].

تعدد أساتذة الحديث ومدارسه في مختلف مراكز الثقافة في الأندلس منذ وقت مبكر، واشتهر من هؤلاء عدد كبير[2]، فكان لهذه المدرسة الأندلسية أثرها في تخريج علماء من أهل فاس صارت لبعضهم الشهرة في هذا العلم، حتّى أصبح أبناء المدن الأخرى من المغرب والأندلس يشدّون الرّحال إليهم لأخذ العلم عنهم، نذكر منهم عبد الله ابن الرّمامة الذي شدّت إليه الرّحال، وأخذت عنه من أبناء جيان، علي بن موسى الأنصاري السالمي[3]، وتحفل كتب التّراجم والطّبقات بعدد لا يحصى من أسماء الذين هجروا من الأندلس إلى بلاد المغرب واشتغلوا بتدريس الحديث[4]، ومن الشخصيات الأندلسية التي هاجرت إلى عاصمة المرابطين واستوطنتها واشتغلت بتدريس الحدبث عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن قاسم بن منصور اللّخمي الذي ولي قضاء الجماعة بمراكش، وكان من رجال الحديث روى عنه وناظر عنده أبو الفضل بن عياض توفي سنة 513هـ/1119م[5]، وعبد الرّحمان بن محمد بن الصقيل الأنصاري الذي استوطن عاصمة المرابطين، وكان له عناية خاصّة بعلم الحديث وروايته، عارفا بطرقه، وصحيحه، وسقيمه فضلا عن المامه بعلوم أخرى، درس عليه علم الحديث بمراكش جماعة، منهم ابنه أبو العباس[6]، ومنهم كذلك محمد بن عليّ بن الصقيل الأنصاري من أهل مدينة شاطبة، قام بتعليم علم الحديث بمدينة فاس وكان من أهل صناعته، توفي بفاس سنة 500هـ/1106م[7]، ومن العلماء الأندلسيين الذين قاموا بتدريس علم الحديث مالك بن يحي بن وهيب الذي سكن مراكش، وتوفي بها سنة 525هـ/1130م، وكان يحيط بعلوم كثيرة منها علم الحديث الذي اشتغل بتدريسه بمدينة مراكش، كما أنّه هو من ناظر المهدي بن تومرت بحضور علي بن

[1]- ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص 424.

[2] - محمد عبد العزيز عادل، المرجع السابق، ص 109.

[3]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص279.

[4]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 580.

[5]- **ابن الآبار**، المقتضب من كتاب تحفة القادم، تح :ابراهيم الأبياري، ط3، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، 1410هـ/1989م، ص 177.

[6] - ابن الأبار، المصدر السابق ، ص 102.

[7]- روى عن أبي الحسن طاهر ، وأبي شاكر عبد الواحد ، وأبي عبد الله بن سعدون ، وأبي القاسم خلف بن عمر الباحي ، لقية بأغمات وريكة وبكار من الفرديس ولقبه بسجلماسة ، وروى عنه كثيرون وكان رواية للحديث منسوبا إلى التّقدم في معرفته وفهم صناعته، عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س6، ص 434.

يوسف بن تاشفين بمسجد ابن يوسف[1] ، ومن العلماء الاندلسيين الذين وفدوا على العاصمة المرابطية مراكش واشتغلوا بتدريس الحديث منهم محمد بن اسماعيل بن عبد الملك الصدفي الذي توفي بمراكش سنة 520هـ/1126م [2]، هذا فضلا عن شخصيات علمية أندلسية أخرى سكنت المغرب في العهد المرابطي واشتغلت بتدريس الحديث[3]، ومن الذين تصدروا لتدريس علم الحديث في عصر الموحدين[4] علي بن محمد بن القطان الكتامي الذي رأس في مراكش طلبة العلم، وكان أحفظ الناس بالحديث[5].

وفي مجال علم الفقه وأصوله كان أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد[6]–جدّ الفيلسوف المعروف– أنبه فقهاء المالكيّة ذكرا في عصره، أخذ عنه عدد لا يحصى من طلبة العلم ، ومنهم علماء بلاد المغرب، كالقاضي عياض بن موسى اليحصبي السّبتي[7]، كما كانت تأتيه إلى الأندلس أسئلة من مختلف مدن الغرب الإسلامي، ومنها سبتة، مراكش، كما تردّد على بلاد المغرب ومارس بها نشاطا علميّا[8].

وتوافد على جامع القرويين بفاس للقيّام بتعليم اللّغة العربية مجموعة من العلماء الأندلسيين من بينهم محمد بن أغلب بن موسى المرسى المتوفى سنة 511هـ/1117م[9] ، ومحمد بن حكم بن أحمد بن باق السرقسطي المتوفى عام 538هـ/1143م، الذي كان إماما في علم اللّغة استوطن فاس، وأخذ عنه الكثير من النّاس فنون اللغة حيث قام بتدريسها بالمدينة[10]، وأبو إسحاق ابراهيم بن أبي الفضل بن صواب الشاطبي، وهو أستاذ نحوي كان من أهل المعرفة بالعربية واللّغة والأدب، تجوّل في البلاد ملمّا بالعربية[11]،

---

[1] – بشكوال، المرجع السابق، ج2، ص 621، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 184، 185، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج3، ص 479.

[2] – ابن بشكوال، المصدر السابق،ج2، ص 580.

[3] – عبد العباس بن ابراهيم، المصدر السابق، ج8 ، ص 540.

[4] – ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج6، ص 382.

[5] – أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج3، ص 180.

[6]– كان فقيها عالما حافظا مقّدما فيه، على جميع أهل عصره وعارفا بالفتوى على مذهب مالك وأصحابه، بصيرا بأقوالهم واختلافهم، فأخذ في علم الفرائض والأصول، من أهل الريّاسة في العلم، والبراعة والفهم مع الدّين والفضل والوقار، والحلم والسّمت الحسن، والهدى الصالح، ولد سنة 450هـ/1058م وتوفي 520هـ/1126م، ينظر: النباهي المالقي، المصدر السابق ، ص 99، ابن فرحون المالكي، المصدر السابق، ص 373.

[7]– ابن فرحون المالكي، المصدر نفسه، ص 378.

[8]– ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س6، ص 307، 308.

[9]– النباهي المالقي، المصدر السابق، ص 119.

[10]– جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص 285.

[11]– رجب عبد الجواد ابراهيم، المرجع السابق، ص27 .

اضافة محمد بن أغلب توافد على فاس مصعب بن محمد بن مسعود ين عبد الله بن مسعود الخشني الجياني المتوفى عام 604هـ/1208م الذي سمع علم اللّغة العربية من أبي الحسن بن حنين، وأبي عبد الله بن الرمامة بفاس، وأصبح رئيسا في صناعته، عالما به، قام بتدريسه طيلة حياته، فوفد إلى فاس العديد من طلبة المدن الأخرى للأخذ عنه، له تأليف صغير في العروض، وظلّ الخشنى يُدّرس اللّغة العربية بفاس، حتّى أنّه بعد صيته فيها[1].

ومن أهم المتصوفين الذين ذاع صيتهم في المغرب الأقصى في عصر المرابطين ، "أبو يعزي يلنور" وهو آل النّور عبد الرحمان بن أبي عبد الرحمان بن أبي بكر الإيلاني المغربي[2]" ، تلّقى العلم على يد أبي بكر بكر بن العربي الّذي استوطن فاس.

وفي ميدان الطب قام أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر بن أبي مروان عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر بتدريسس الطّب بمراكش[3] ومن بين الذين تتلمذوا على يده في العلم المذكور أبو الحكم بن غلنده[4] الذي أصبح طبيبا في البلاط الموحدي فيما بعد[5]، ويمكن من خلا هذا المثال تصوّر مدى الجهود الجهود الضخمة للأطباء الأندلسيين الذين عملوا على عهد الدولتين المرابطية و الموحدية فقد بذلوا جهودا جبارة في مجال تدريب الطلبة وتدريسهم .

وفي علم الموسيقى كان من جملة تلاميذ ابن الحاسب المرسى في الموسيقى أبو الحسن بن الوزير أبي جعفر الوقش، الذي كان ولوعا بالموسيقى "وقد رزق فيها .. ذوقا مع صوت بديع أشهى من الكأس للخليع"[6].

---

[1]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص 285 ، 286.

[2]- ولد ابن أبي يعزي عام 488هـ/ 1095م، وساح في مختلف أنحاء المغرب، كان مطلعا على مبادئ التصوف، وكان أستاذا لأبي مدين بن بن الغوت، وانتهت إليه تربية الصادقين والنّاسكين، توفي عام 573هت/1176م، وعمره يقارب مائة وثلاثون سنة ، ينظر: ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص213 ، 214.

[3] - ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ق1، ج5، ص 19.

[4] - العباس بن ابراهيم، المصدر السابق، ج8، ص 355.

[5] - ابن الأبار، المصدر السابق، ص 71 ، 72 .

[6] - أحمد بن محمد المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 138.

الفصل الرابع : اسهام البربر الحضاري في العصرين المرابطي والموحدي

المبحث الأوّل: الخريطة الديمغرافية لبلاد المغرب في العصر المرابطي والموحدي

1) التحولات الخريطة البشرية في العصر المرابطي
2) التحركات البشرية في العصر الموحدي

المبحث الثاني: علاقة بربر بلاد المغرب بحضارة الأندلس

1) الحالة القبلية للمجتمع المغربي في عصري المرابطين والموحدين
2) الاحتكاك الحضاري لبلاد المغرب بالأندلس

المبحث الثالث: مظاهر الحضور الإجتماعي لأهل بلاد المغرب بالأندلس

1) أثر لباس بلاد المغرب على الأندلسيين
2) انتقال الأطعمة المغربية إلى الأندلس

المبحث الرابع: اسهام البربر في الحياة الثقافية بالأندلس

1- أعلام المغرب الذين دخلوا الأندلس لتحصيل العلوم
2- أعلام المغرب الذين قاموا بالتدريس في الأندلس
3) الإنتاج العلمي لعلماء بلاد المغرب

الفصل الرابع : اسهام البربر الحضاري في العصرين المرابطي والموحدي

صاحب تأسيس كل من الدّولتين المرابطية والموحدية تحركات بشرية لانظير لها، كان لها دور كبير في تغيير البنية الديمغرافية لبلاد المغرب، فقد انتقلت في عصر المرابطين قبائل صنهاجة بمجموعها من جنوب الصحراء إلى شمال المغرب، وحينما ظهر الموحدون على مسرح الأحداث قاموا باستدعاء قبائل بني هلال إلى شمال المغرب، وبالنّظر إلى الوحدة السياسية التي أحدثها المرابطون والموحدون بين الأندلس وبلاد المغرب، فإنّ تحركات بشرية أخرى شهدتها بلاد العدوة المغربية خلال هذه الفترة، يتعلق الأمر بهجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب، وتوافد البربر على الأندلس، وهو ماسيحدث انقلابا في مكونات الخريطة البشرية لبلاد المغرب، فضلا عن خلق تحولات اجتماعية، وتفاعلات حضارية، وتحديات أمام بربر بلاد المغرب من أجل اظهار قدراتهم على التعاطي مع المعطيات الجديدة، والاسهام في عمليّة التواصل الحضاري بين بلاد المغرب والأندلس.

المبحث الأوّل: الخريطة الديمغرافية لبلاد المغرب في العصر المرابطي والموحدي

1) تحولات الخريطة البشرية في العصر المرابطي

1.1) انتقال قبائل صنهاجة من الصّحراء إلى شمال بلاد المغرب

يعتبر العنصر البربري أهم العناصر المكوّنة لسكان بلاد المغرب في الحقبة المرابطية، حيث يمثل هذا العنصر السواء الأعظم، ومنها قبائل صنهاجة اللّثام التي كان مستقرها بأقصى جنوب الصّحراء، والتي تبنت حركة اصلاحية دينية دفعتها إلى التوسع شمالا إلى أن وصلت ساحل البحر المتوسط. إنّ تدفق هذه الموجات البشرية الصنهاجية الكبيرة كان له بلا ريب تأثير كبير على تغيير الخريطة الديمغرافية لشمال بلاد المغرب، وخاصّة منه المغرب الأقصى.

تُجمع الروايات التّاريخية أنّ دولة المرابطين أو الملثمين تنتمي إلى قبائل صنهاجة[1]، التي كانت تقيم بصحراء المغرب في تاريخ غير مضبوط، وامتدت مواطنها جنوبا حتّى بلاد السودان[2]، واحتلت مساحات شاسعة من المغرب الأقصى، وقد ضمّت صنهاجة مجموعة كبيرة من القبائل بلغت السبعين قبيلة[3]، من

[1]- حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ص115، 116، أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص165.

[2]- أبو عبيد البكري، المصدر نفسه، ص164، مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص17، حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 37، حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 39.

[3]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ج2، ص6، الناصري السلاوي، ،ج2، ص3، عبد الرحمن بن خلدون، العبر،ج6، ص202، حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 39، حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، 295، 296.

أبرزها لمتونة، جدالة، مسوفة، لمطة وجزولة، حيث تعتبر هذه القبائل من أهم العناصر التي مهدت لنشأة دولة المرابطين، وانتقلت بمجموعها من جنوب الصحراء إلى المغرب الأقصى، وساهمت في تسيير وإدارة الدّولة[1].

تفاوتت هذه القبائل من حيث مكانتها بحسب الأدوار العسكرية والسياسية التي أدّتها خاصّة أثناء قيام الدّعوة المرابطية، كما اختلفت قدراتها الاقتصادية بقدر تحكمها في الطرق التجارية، لكنّ توّحدها في مشروع واحد سيدفعها إلى التوجه شمالا نحو أراضي المغرب الأقصى من أجل تحقيق أهدافها الدينية، السياسية، العسكرية والاقتصادية. تأتي لمتونة في طليعة القبائل الصّنهاجية التي كانت في الطّور الصّحراوي لدولة المرابطين نظرا لدورها كوسيط تجاري، فضلا عن قوّة رجالها، وهو مادفع عبد الله بن ياسين إلى الإستناد عليها[2]، وتبرز جدالة في المقام الثاني بعد لمتونة، حيث تحملت هذه القبيلة عبئا كبيرا في الجهاد الذي خاضه المرابطون[3]، وكانت أقوى القبائل وأغناها بسبب اشتغالها بتجارة الملح والتبر والرقيق[4]، أمّا مسوفة فقد أهلّها موقعها بين سجلماسة وأودغشت للسيطرة على تجارة الذهب[5]، فهذه القبيلة حينما توّلت قيادة الملثمين، استطاعت ربط مجتمعها بسائر المجتمعات المغربية الأخرى، ووصل تاريخ صنهاجة الجنوب بتاريخ المسلمين في المغرب[6]، بينما امتدت مضارب قبيلتا لمطة وجزولة من جبال درن حتّى وادي نول لمطة القريب من المحيط الأطلسي[7].

تنفيدا للمشروع المرابطي شهدت بلاد المغرب أكبر هجرة للقبائل الصّنهاجية من جنوب الصّحراء متّجهة إلى المغرب الأقصى، وقد بدأت هذه الهجرة مع الطلائع الأولى للجيش المرابطي الذي اندفع من الجنوب[8]، ولم تكن هذه الهجرة بدون دافع ولا موانع، فالهجرة كانت تعني قيام الملّثمين بالتوجه شمالا لمحاربة القبائل المنحرفة عن العقيدة الصحيحة وتثبيت الدعوة المرابطية، هذا بالتوازي مع تحقيق أهداف اقتصادية، حيث انطلقت العمليات العسكرية المرابطية بعد توحيد عبد الله بن ياسين معظم فروع قبيلة صنهاجة، وكانت البداية سنة 447هـ/1055م حينما دخل المرابطون إلى درعة وسجلماسة، لتستمر هذه

[1]- **عبد الرحمان زكي**، الاسلام و المسلمون في غرب افريقيا، القاهرة ، مطبعة يوسف، دت ، ص 20.

[2]- **القادري بوتشيش**، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، 1997م، ص17.

[3]- حسن علي محمود، المرجع السابق، ص 298.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6 ، ص 182، حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص46، 103.

[5]- محمد عبد الهادي شعيرة، المرجع السابق، ص 20.

[6]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 105.

[7]- حسن أحمد محمود ، المرجع نفسه، ص 44.

[8]- اختلف المؤرخون في بدايات هذا التدفق ورواتهم في هذا الشأن مضطربة أشد الاضطراب، ينظر في هذا الشأن تصورا لحسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 190، 191، القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 18.

العمليات ثلاثين سنة بدون انقطاع إلى غاية 477هـ/1084وهو تاريخ فتح المرابطين مدينة سبتة وبالتالي استكمال فتح المغرب، ووصول الصنهاجيين إلى شمال المغرب.

شمل الاندفاع الصّنهاجي من الجنوب إلى المغرب الأقصى على الخصوص مدينة أغمات التي أصبحت قبلة للمرابطين الذين كلّما أنهوا معركة ضدّ أعدائهم عادوا ليستقروا بهذه المدينة التي اتخذوها عاصمة لهم، لأهميتها الاقتصادية فهي"منذ القديم ينزل بها التّجار لأنّها كانت دار التّجهز للصحراء"[1]، فنجم عن ذلك اكتضاضها بالوافدين الجدد، "فكثر الخلق بها وضيّقوا على حالة أهلها وكانوا على حالة صعبة"، وبالتّالي أصبحت المدينة تعيش وضعية ديمغرافية صعبة من جرّاء هذه الهجرة الواسعة، خاصّة إذا علمنا أنّ عدد الجيوش التي تركها أبو بكر بن عمر مع ابن عمّه يوسف بن تاشفين قبل عودته إلى الصّحراء سنة 452هـ/1060م بلغ ثلث الجيش المرابطي، وهو ماتحدده الروايات بعشرة ألاف رجل[2]، وهذا معناه أنّ تعداد الجيش المرابطي بلغ ثلاثين ألفا، هذا فضلا عن سكان المدينة والوافدين عليها، فكان لهذا الاكتضاض والمعاناة التي مرّ بها سكان أغمات أن جعلت أشياخها يرفعون شكوى إلى الأمير أبي بكر بن عمر حول مالحقهم من ضيق وعناء، وإثر ذلك بدأت صنهاجة اللّثام في التفكير في بناء مدينة أخرى تستوعب هذا الفائض من السّكان المقيمين بأغمات وشرعوا في بناء مدينة مراكش[3].

وابتداءا من سنة 454هـ/1061م بدأ المرابطون جديا في تنظيم شؤونهم السياسية والعسكرية والاستراتيجية[4]، وممّا لاشك فيه أنّ الاهتمام بضبط وتنظيم التدفق الهائل للهجرة الصنهاجية باتجاه الشمال كان من بين خططهم حيث اختطوا مدينة مراكش التي"وجدوا في فحصها من المسرح الخصيب للجمال والدّواب ماغبطهم بها"[5]. وكان تأسيسها بمثابة الانطلاقة الحقيقية للهجرة الصّنهاجية المنظمة صوب المغرب الأقصى التي شملت العناصر اللّمتونية على الخصوص[6]، وكانت البداية بحثّ يوسف بن تاشفين الملّثمين بالقدوم إليه "وكتب إلى بعض إخوانه ...يحضهم على الوصول إليه القدوم عليه ويعدهم بالخير الجزيل الحفيل، فوصل منهم جماعة كبيرة"[7]، وبعد الانتصارات التي أحرزها أبو بكر بن عمر في الصحراء وعودته

[1]- عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 46.

[2]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 134 -135، مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 24 ، 25.

[3]- القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص19

[4]- توقف تيار الفتح المرابطي في سنة 454هـ/1061م، وذلك من أجل الاهتمام بالربوع المفتوحة واقرار السكينة بها وتنظيم شؤونها، وتأمين القبائل التي أدعنت الطاعة للمرابطين، كما أنّهم عنوا بتنظيم الجيش وتسليحة واراحته، واتخذوا من مراكش مرتكزا للانطلاق لتحقيق هدفهم الأساسي وهو مواجهة زناتة الشمال، حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 201.

[5]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، 16.

[6]- القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص19 .

[7]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص23.

منها سنة 466هـ/1073م مع مجموعات صنهاجية هامّة، فضلت هذه الأخيرة الاستقرار في المغرب الأقصى[1]، فانضافت إلى مجموع القبائل الصنهاجية التي كانت مستقرة هناك.

واضافة إلى القبائل التي صحبت يوسف بن تاشفين كجند أثناء اخضاعه للمغرب الأقصى والتي شملت لمتونة وجدالة ومسوفة ولمطة[2]، فإنّ هناك أعداد هامّة من العناصر الصنهاجية التي بقيت في الصحراء، ثمّ التحقت بالمغرب الأقصى لتشارك جيوش يوسف بن تاشفين الانتصارات وغنائم الحروب "فوفد عليه منهم جموع كثيرة، وكثروا بكل مكان"[3]، وبعد استقرار الأمور لابدّ أنّها استقرت بالمغرب الأقصى[4].

وابتداءا من سنة 470هـ/1077م انتقلت بعض قبائل الملثمين بمجموعها إلى المغرب الأقصى، حيث "بعث يوسف بن تاشفين إلى الصّحراء للمتونة ومسوفة وجدالة وغيرهم بما فتح الله عليه من ملك المغرب وطاعة أهله ويؤكد عليهم في القدوم، فوفد إليه منهم جموع كثيرة ولاّهم الأعمال، وصرف أعيانهم في مهمات الأشغال فاكتسبوا الأموال، وملكوا رقاب الرّجال، وكثروا بكل مكان وساعدهم الوقت والزمان، وكثرت جموعهم، وتوّفرت عساكرهم"[5]، حيث يلاحظ حرص بنو تاشفين على استدعائهم من مواطنهم والاعتماد عليهم في توجيه الأمور، والمشاركة في بناء الدّولة المرابطية، ويبدوا أنّ استدعاء هؤلاء جاء بغرض تنفيذ مشروع السيطرة على الساحل المغربي، وويفهم منه كذلك أنّ التفكير في الأندلس بدأ منذ تلك اللّحظة كذلك، فقد أدرك يوسف بن تاشفين أنّ الانتصارات التي حققها في شمال المغرب لن تكون مأمونة دون عصبية قويّة تشدّ أزره وتمده بالرجال[6]، هذا فضلا عن الغنائم الهائلة التي حصدها الجيش المرابطي خلال غزواته، ومن هنا يمكن الربط بين الهجرة الصنهاجية واقتصاد المغازي القائم على التّوسع وغنائم الحرب[7]، كما أنّ ضمّ الأندلس حتّم عليه المزيد من الطلب على القوة البشرية لتثبيت أقدامه، خاصّة وأنّ الأندلس "يقع بين بحر مهلك وخلفه عدّو مدرك"[8].

---

[1]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص26 ،25.

[2]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 296.

[3]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 33، القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص19.

[4]- القادري بوتشيش، المرجع نفسه، ص19.

[5]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 20.

[6]- شهاب الدين أحمد النويري، المصدر السابق، ج11، ص 143.

[7]- القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 19.

[8]- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري كتاب الجغرافية، تح : محمد حاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد، د ت، ص81 .

2.1) مناطق استقرار القبائل الصنهاجية بعد الهجرة

لم يخل زحف صنهاجة الصّحراء نحو الشمال من تحول في التركيب السّكاني، وتغيير في مجالات الاستقرار[1]، فقد تمخض عن زحف القبائل الصنهاجية من الصحراء نحو شمال المغرب احتلالها أراضي القبائل الأخرى[2]، فنتيجة حروبهم ضدّ برغواطة عرفت منطقة تامسنا هجرة أعداد كبيرة من السكان نحو السّوس، وجبال الأطلس، لكنّها لم تتحوّل إلى مجال جغرافي فارغ بل عمرت من طرف الصنهاجيين[3]، وبذلك يتضح أن التّغييرات في التركيب السكاني وميادين التّعمير الجديدة إنّما حدثت بعد وصول صنهاجة الجنوب إلى الشمال.

وبعد استيلاء المرابطين على مدينة سبتة ومنطقة الريف أخضعوا قبيلة غمارة لسلطتهم، واستولوا على أرضهم، وطردوهم منها، واتخذوها مقرا لهم[4]، ومن القبائل الصّنهاجية الصّحراوية التي استقرت في حوض ورغة بعد اكتساح المرابطين شمال المغرب، قبيلة" لمطة " التي اتخذت من المنطقة الواقعة بين "فاس"و"تاودا*" مستقرا لها خاصّة بعد أن أقام أمراء المرابطين بها مايشبه قلعة بمدينة "بني تاودا" القريبة من "جبل غمارة" حتّى يتسنى لهم مراقبة تحركات قبائل غمارة[5]، فالزّحف الصّنهاجي شمل إذن حوض ورغة الذي كانت تقطنه قبائل غمارة فتم إبعادها واستقرت هي في مكانها[6] ،ممّا يدّل على أنّ صنهاجة اللّثام لم تقتصر في استقرارها على مدن المغرب الأقصى القديمة، بل أنّها أوجدت لنفسها مستقرات جديدة في هذه المنطقة أيضا[7].

لقد شهد العصر المرابطي تعميرا جديد، ولعلّ ما يؤكد ذلك هو خلوّ منطقة الأطلسين الكبير الشرقي والمتوسط وبلاد فازاز من التجمعات البشرية قبل قيام الحكم المرابطي، حيث اقتصر الوجود السكاني على بعض التّجمعات الصّغيرة المتناثرة في تلك المناطق[8]، ممّا يعني أنّ تعمير المنطقة بعد ذلك جاء نتيجة للهجرة الصنهاجية، وفي هذا الصدد يؤكد المؤرخون المعاصرون للفترة المرابطية استقرار بعض قبائل صنهاجة منذ وقت مبكر جنوب وادي سوس مثل لمطة وجزولة، كما تمّ تعمير جبل فازاز الذي أصبح

---

[1]- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، المصدر نفسه، ص 137.

[2]- ابن سعيد، الجغرافيا، ص 124.

[3]- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، المصدر السابق، ص137، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 512.

[4]- القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص31.

[5]- القادري بوتشيش، المرجع نفسه، ص 22.

[6]- الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص 187.

[7]- القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 22.

[8]- أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص 146 ، 148 ، القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 20.

منطقة سكنية صنهاجية تعرف بجبل صنهاجة[1]، إضافة إلى ظهور تجمعات سكانية لبعض القبائل الصّنهاجية يطلق عليها"صنهاجة أملوا " بالجبل المحاذي لمدينة داي[2]، كما وردت أسماء لبعض القبائل الموالية للحكم الموحدى من القبائل الصنهاجية التي عمّرت الأطلس الكبير بقسميه الشمالي والجنوبي[3].

إنّ أهم اشكالية يمكن أن تطرح عند دراسة هجرة العناصر الصنهاجية من مواطنها الجنوبية باتجاه أقصى شمال المغرب هي مسألة استقرار قبائل المرابطين بالمدن، حيث أنّ وصولهم إلى هذه المناطق قد جعلهم في احتكاك مباشر بالحضارة المغربية الأندلسية التي كانت مزدهرة بفاس واقليم الريف والمدن الساحلية، فمن اليسير تفسير سيطرة الصنهاجيين على الأراضي الخصبة، وبسط نفوذهم على طرق التّجارة، وبحثهم عن المجالات الحيوية، لكنّ ارتباطهم بالمدن يتطلب كثيرا من الامعان.

تؤكد المصادر أنّه من طبيعة قبائل صنهاجة سكن الخيام والأكواخ، و ذلك بسبب تنقلهم الدائم وعدم استقرارهم لاعتمادهم على نمط الرعي والانتجاع، فهم قوم "لايعرفون حرثا ولازرعا ولاثمارا، وإنّما أموالهم الأنعام، وعيشهم اللّحم واللّبن"[4]، ولذلك كانت مساكنهم مؤقتة نظرا لترحلهم المستمر، و"لم يكن لصنهاجة ميل لسكن الدّور"[5]، لذلك حينما كانوا يقتحمون المدن ويهزمون أهلها، فإنّهم لم يكونوا يستقرون بها بل يفضلون البقاء خارجها في الخلاء لعدم تعودهم على سكنى الدور والمنازل، وقد يستلزم الأمر منهم عدّة أجيال حتى ينسوا سكنى الخيام و يقبلوا بسكن الدور[6]، ولكن في الحالة المرابطية نجد حسب الرواية التاريخية أن صحراويي لمتونة انتقلوا بسرعة من سكن الخيام إلى الاستقرار بالمدن دون المرور بأي فترة انتقالية، وهو أمر غير مألوف في سلوك القبائل الصّحراوية، وكأنّ هذه القبيلة تخلت بسرعة عن شخصيتها الصّحراوية وانتقلت فجأة من قبيلة رعوية مترحلة إلى قبيلة زراعية مستقرة دون المرور بأي فاصل

---

[1]- ابن سعيد، المصدر السابق، ص 124.

[2]- الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص75.

[3]- **أبو بكر الصنهاجي المكنى بالبيدق**، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تح: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971، ص53، 56.

[4]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص98، لسان بن الخطيب، المصدر السابق، ج3 ، ص225، ابن أبي زرع ،المصدر السابق، 120.

[5]- القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص16.

[6]- ينطبق هذا الأمر على العرب الفاتحين الذين اعتادوا سكنى الخيام، لذلك فإنّهم حينما فتحوا مصر ثمّ تونس فإنّهم لم يستقروا بالاسكندرية مثلا أو بقرطاج بل استقروا مدة طويلة خارجها في مدينتي الفسطاط والقيروان، وعن الحالة المرتبطة بقبائل صنهاجة، يشير عبد الرحمن بن خلدون إلى ذلك بقوله: "وهذه الطبقة من صنهاجة هم الملّثمون الموطنون بالقفر ، وراء الرمال الصحراوية بالجنوب، أبعدوا في المجالات هناك منذ دهور، قبل الفتح لا يعرف أوّلها، فأصحروا عن الأرياف، ووجدوا بها المراد، وهجروا التّلول وجفوها".، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 241، محمد مزين، فاس وباديتها مساهمة في تاريخ المغرب السعدي 1549-1637م، ج، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإسلاية، الرباط، 1406هـ، 1986، ص131، يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 67 .

زمني يذكر، وهو أمر يحتاج إلى مزيد من البحث والتقصي.

كان على قبائل صنهاجة بعدما حققت وحدتها أن تتوفر على مجال حيوي تتجه إليه[1]، فانتزعت الأراضي الخصبة التي سيطرت عليها قبائل زناتة، والتي شهدت خلال هذه الفترة تفرقا، هذا اضافة إلى أنّ هذه القبائل كانت تقف حجرة عترة أمام سيطرة الملثمين على تجارة المغرب والسودان لذلك فإنّ مناضلة زناتة كان أمرا ضروريا[2]، وإذا أخذنا بهذا المعطى فإنّ أكثر المناطق التي استقرت بها قبائل صنهاجة هي البوادي وسفوح الجبال الخصبة، غير أنّ استقرار أوضاع الدّولة المرابطية دفع بالهجرة الصّنهاجية إلى الاتجاه نحو المدن خاصّة منها المدينة الجديدة مراكش، ثمّ مدينة فاس [3].

ورد في المصادر التّاريخية كثير من الإشارات على استقرار قبائل صنهاجة بالمدن، خاصّة شمال المغرب الأقصى، فقد أشار الإدريسي[4] مثلا إلى أنّ العيون التي تزود النّهر الكبير لمدينة" فاس " تسمى "عيون صنهاجة"، وهذا مايرجح فرضية سيطرة صنهاجة على أحواز مدينة فاس،كما أورد ابن الأحمر[5]، ذكر لبيت بني الخلوف بفاس وأن أهله "عرب صنهاجيون من صنهاجة الصحراء" وهذا يعد دليلا قاطعا على اتخاذ بعض الأسر الصنهاجية مدينة فاس مستقرا لها،كما وردت إشارات أخرى إلى تواجد عناصر أخرى من لمتونة بمدينة فاس، اتخذت منها موطنا ومقر عمل، وحسبنا على ذلك تميمة اللّمتونية ابنة يوسف بن تاشفين التي توّلت بعض المهام الإدارية بهذه المدينة[6]، وفي ترجمة ابن أبي الخصال يذكر ابن القاضي "أنّه سكن مدينة فاس صحبة محمد بن الحاج المسوفي"[7] .

وتقدمت قبيلة لمطة شمال الجوز عند ظهور الموحدين، ثمّ استقرت شمال فاس، وشملت الهجرة الصنهاجية مدنا أخرى" كسلا "و" مكناسة" التي أثارت خصوبة أراضيها وكثرة بساتينها، وزيتونها شهوة الوافدين الصّنهاجيين[8]، كما أنّ أحد أمراء الملثمين بنى بها المدينة المعروفة باسم "القصر" ليسكنها مع جالية من بني عمّه[9]، كما امتدت الهجرة الصّنهاجية إلى مدن أخرى مثل طنجة التي اتخذتها موطنا، وهذا

[1]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 191.

[2]- حسن أحمد محمود، المصدر نفسه، ص 190.

[3]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص23.

[4]- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ص 94.

[5]- **ابن الأحمر**، بيوتات فاس الكبرى، تح: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص42.

[6]- ابن القاضي، المصدر السابق، ج1، ص173، 174.

[7]- القادري بوتشيش، المرجع السابق ، ص 21 .

[8]- الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص73، 78.

[9]- الشريف الإدريسي، المصدر نفسه، ص77، 78.

مانستشفه من قول الإدريسي"أنّ سكان طنجة ينتسبون إلى صنهاجة"[1].

إنّ المعطيات التّاريخية المتوفرة تدفعنا إلى القول بأنّ استيطان القبائل الصنهاجية كان بمدن شمال بلاد المغرب، غير أنّ النصوص التاريخية تطرح اشكالية بهذا الخصوص إذ لاتوّضح ما إذا كانت هذه العناصر تنتمي إلى صنهاجة الشمال المستقرة منذ القديم كما يقرر ذلك ابن خلدون[2]، أم أنّها تنتمي إلى صنهاجة الجنوب، فالعنصر الصّنهاجي كان يتواجد في أقصى شمال المغرب، خاصّة في منطقة ورغة وطنجة، بل إنّ هذه النّصوص تؤكد أنّ بعض القبائل الصّنهاجية فضلت الاستيطان بمنطقة الهبط بعد انتهاء الحملات العسكرية، فصار تواجد قبيلة صنهاجة يمتد عبر السّاحل، من طنجة حتى تخوم البصرة، وقصر صنهاجة[3].

على الرغم ممّا يذكره ابن خلدون عن الأصل الشّمالي للعناصر الصّنهاجية المعنية، فإنّ فرصة تزايد الصنهاجيين الجنوبيين لابدّ، أن تكون توفرت بتوافد الجيوش المرابطية إلى منطقة الهبط التي أصبحت قاعدة انطلاق الحملات العسكرية نحو الاندلس[4]، يؤكد هذا الافتراض ماذكره البيدق[5]، وهذا يعني أنّ أكثر سكان شمال بلاد المغرب أصبح من صنهاجة، خاصّة بعد توسع المرابطين نحو الشرق ووصولهم إلى ماوراء جبال الونشريس، وبالتّالي فإنّ مسألة سكنى صنهاجة للمدن ماتزال مسألة غامضة، لكن واعتمادا على المعطيات الخاصّة بالتّحولات التي عرفتها عناصر السّكان في الحقبة المرابطية نجد أنّ أكثر من كان مهيئا لسكنى المدن هم صنهاجيوا الشّمال، الذين عاشوا حياة شبه مستقرة، وتعاطوا الأعمال الزراعية[6]، ولكنّهم لم يمثلوا سوى نسبة ضئيلة[7]، وقد يكون هؤلاء قد ساعدوا بني قبيلتهم الجنوبيين في سرعة الاندماج والاستقرار بالمدن، انطلاقا من اعتقادهم بأنّهم يمثلون كيانا قبليا له شعور واحساس بالتضامن والانتساب الوهمي إلى جدّ مشترك[8]، مصداق ذلك ما أورده المؤرخون حول تضامن صنهاجة بني حماد مع المرابطين في صراعهم ضد الموحدين[9].

وقد ينطبق هذا الأمر على كبار رجال قبائل صنهاجة الذين سيشكلون فيما بعد الطبقة

---

[1]- الشريف الإدريسي، المصدر نفسه، ص169.

[2]- عبدالرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 302، القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 22. 23.

[3]- القادري بوتشيش، المرجع السابق ، ص 22.

[4]- القادري بوتشيش، المرجع السابق ، ص23.

[5]- البيدق، المصدر السابق، ص 76.

[6]- **التقي العلوي**، "أصول المغاربة، القسم البربري، شعب صنهاجة"، مجلة البحث العلمي، المركز الجامعي للبحث الرباط، السنة 14، العدد 28، سنة 1977، ص100.

[7]- القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص17.

[8]- القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص

[9]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 130، 131.

الأروستقراطية[1]، فيوسف بن تاشفين أمير المرابطين كان أفتح أفقا لجوّ الحضر برغم كونه قائدا من نمط صحراوي كامل[2]، وليس مستبعدا أن يكون قد وجه النّاس إلى الاستيطان بالمدن، وفي هذا الصدد لايمكن أن ننفي بشكل كامل قدرة كبار رجال صنهاجة على التّعامل مع الواقع الجديد، فقد اعتمد يوسف بن تاشفين على بني قبيلته من الصنهاجيين في إدارة الدّولة، حينما استدعاهم ووّلاهم المناصب، ولن يتوّلى هذا الأمر إلاّ من كان له دراية بحياة الحضر والمدن، خاصّة وأنّ بعض الصّنهاجيين كانوا شبه مستقرين في المدن أو ضواحيها كمسوفة[3]، كما أنّ منهم من كان نشاطه الاقتصادي يقوم على التّجارة في المقام الأوّل، علما بأنّ العمل التجاري يرتبط أساسا بالمدن التي تعتبر مراكز تجارية.

وخلاصة القول إنّ الدّولة المرابطية حينما تجاوزت حدود الصحراء متقدمة إلى الشمال، لم يعد تاريخها تاريخا محليا يخص تاريخ الصحراء، بل بدأت تتخذ صفة أوسع، وبدأت تحتك بمواطن الحضارة القديمة، وبالثّقافة الاسلامية المنتشرة في أرجاء المغرب[4]، وقد فرض ذلك على الصنهاجيين أن يتذوقون طعم حياة الاستقرار، ويميلون إليها[5].

2) التحركات البشرية في العصر الموحدي

1.2) موقع قبائل مصمودة في الخريطة الديمغرافية الجديدة

حينما انهارت دولة المرابطين على يد الموحدين، وجدنا قبائل أخرى تحتل مركز الصدارة بالمغرب الأقصى باعتبارها القبائل المؤسسة للعهد الجديد، وهذه القبائل هي المصامدة، الذين تقع ديارهم وأماكنهم بمنطقة المغرب الأقصى، يقول ابن خلدون: "فأمّا المغرب الأقصى منه وهو مابين وادي ملوية من جهة الشرق إلى أسفي حاضرة البحر المحيط وجبال درن من جهة الغرب فهي في الأغلب ديار المصامدة من أهل درن وبرغواطة"[6] وحدّد لنا المراكشي المجال الجغرافي للمصامدة بقوله:" فحدود بلادهم النّهر الأعظم الذي يصب من جبال صنهاجة، وينتهي إلى البحر الأعظم بحر إقيانس، يدعى هذا النّهر أم الربيع...وآخر بلادهم الصحراء الذي يصب من جبال صنهاجة وينتهي إلى البحر الأعظم بحر اقيانس، يدعى هذا النّهر أم الربيع...فهذا حدّ بلاد المصامدة عرضا، وحدها طولا من الجبل المعروف بدرن- جبل الأطلس- إلى

[1]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص296.

[8]- سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص 41 .

[3]- عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 305.

[4] - حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 186.

[5]- القادري بوتشيش، المرجع السابق ، ص23.

[6]- العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج6،ص101.

البحر الأعظم المسمّى أقيانس"[1]، و"قبائل المصامدة أمم لايحصيهم إلاّ خالقهم"[2]، وقد أقاموا في المنطقة أحقابا طويلة حيث شاركوا مع غيرهم في صنع تاريخ المنطقة، "ولم تزل مواطنهم بالمغرب الأقصى منذ الأحقاب المتطاولة..."[3].

لقد تطوّرت تاريخيا الخريطة البشرية لقبيلة مصمودة وقد عرضها لنا ابن خلدون بالتفصيل، وبقسميها الشمالي والجنوبي[5]، وصنّفهم إلى أصناف ومن خلال التّصنيف الذي ذكره سوف نحاول الوقوف على أهم تلك المجموعات التي صنّفها[6].

- مجموعة مصمودة الشمال من البحر المتوسط إلى نهر سبو ونهر ورغة، وهم مصامدة منطقة الريف الذين سموا غمارة[4] التي تعد بمثابة شريحة هامّة من سكان القسم الشمالي الجبلي خلال العصر المرابطي وبعده[5]، ويعتبر البكري المعاصر لدولة المرابطين أهم جغرافي تحدث عن هذه الفئة من السكان خلال القرن الخامس الهجري، وهو يحدد مجال امتداد بطونهم لتشمل ضواحي قصر صنهاجة[6]ومدينة البصرة[7]، وكانت هذه القبيلة تفضل خاصّة المناطق الأكثر ارتفاعا[8]، وبعد استيلاء المرابطين على مدينة سبتة ومنطقة الريف خضعت قبيلة غمارة لسلطتهم، وأُخرجت من طنجة[9]، واستولت على أراضيهم واتخذوها مقرا لهم[10]في حين لم يتسنى لهم ازاحة قبائل غمارة المصامدة من جبال الريف نظرا لحصانتها ومناعتها الطبيعية، وحتّى يتسنى للمرابطين احكام السيطرة على قبيلة غمارة وتحركاتها عملت على بناء سلسلة من القلاع والحصون[11]، والراجح أنّ هذه الإجراءات الأمنية التي أقدم عليها المرابطين قد أثّرت سلبا على الوضعية الاقتصادية لمصامدة الريف فحرموا من النزول إلى سهل ورغة الخصب .

---

[1]- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص244.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 223.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون ، المصدر نفسه، ج6، ص 216.

[4]- سموا غمارة نسبة إلى جدهم غمار بن مصمود،أما العامّة فتزعم أنهم عرب غمروا الجبال فسموا غمارة غير أن"ابن خلدون"فنّد هذا الزعم، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص 249.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 249.

[6]- يسميه الشريف الإدريسي قصر مصمودة، والراجح أنّ هذه هي التسمية الصحيحة نسبة إلى من يسكنه من قبائل مصمودة، ومنها غمارة للمزيد ينظر: صفة المغرب، ص168 .

[7]- أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص 104-105.

[8]- مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص190، 191.

[9]- القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 31.

[10]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 191.

[11]- الشريف الادريسي، المصدر السابق، ص 81.

اضافة إلى غمارة استقرت مجموعة أخرى من قبائل مصمودة بجبل درن الذي تطلق عليه المصادر جبل المصامدة[1] أو بلاد المصامدة[2]، ويشاطره في ذلك عبد المنعم الحميّري حيث يشير إلى أنّ غالبية سكان جبل درن من المصامدة فيقول: "وفي الجبل من المصامدة أمم لاتحصى"[3]، ويبدوا أنّ المصامدة قد استقروا بهذا الجبل وتكيّفوا مع طبيعته القاسية نظرا لما يزخر به من خيرات متنوعة كانت مصدر رزقهم[4]، واكتفائهم الذاتي، وهذا مايؤكده ابن خلدون في قوله "فاستغنوا بقطرهم عن سائر أقطار العالم[5].

والملاحظ أنّ قبيلة مصمودة الأطلس الكبير بجبال درن الذين كوّنوا الدولة الموحدية في القرن السادس الهجري ماهو إلاّ حلف جديد يعبّر عن تطوّر آخر في بنية المجتمع المغربي له وزنه الاجتماعي والسياسي المتّميز[38] ونجاح هذا الحلف في جانبه التنظيمي هو الذي ساعد قبيلة مصمودة على الظهور خاصّة في عهد يوسف بن تاشفين، إذ كانوا يخضعون نظريا لسلطة المرابطين، لكن الواقع أنّ جبال الأطلس كانت مانعا أمام اخضاعهم[42].

– مجموعة مصمودة الوسط من سبو إلى نهر أم الربيع وهم مصامدة السهول أو(تامسنا) الذين يعدّون أقلية مقارنة مع مصامدة الجبال[6]، ومع ذلك فقد وصفوا بأنّهم" أمم لا تنحصر"[7]، ويحدد حسن الوزان، مجالهم بالمنطقة المحصورة بين حاحة ووادي العبيد بما فيها دكالة والجهة المواجهة لجنوب الأطلسي، وجميع السهول المجاورة له[8]، وهو بذلك لا يختلف كثيرا عن المجال الذي حدّده ابن خلدون[9]، وتعد المناطق السالفة الذكر خاصة منها تامسنا من أغنى وأخصب بلاد المغرب الأقصى هذا ما حذا بمارمول[10] أن يصفها" زهرة البربر " ويبدوا أن هذه الطبيعة الزراعية هي التي وجهت قبائلها نحو احتراف الزراعة[11]، وليس من السهل بمكان

[1]– عبد الرحمن بن خلدن، المصدر السابق، ج6 ، ص 248.
[2]– ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص15.
[3]– عبد المنعم الحميّري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص235.
[4]– الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص 63، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص68 .
[5]– عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص264.
[6]– عبد الرحمن بن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص245.
[7]– عبد الرحمن بن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص314.
[8]– مارمول كربخال، المصدر السابق، ص9.
[9]– عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص314.
[10]– مارمول كربخال، المصدر السابق، ص126.
[11]– ابن حوقل، المصدر السابق، ص83، الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص 71.

تحديد قبائل تامسنا رغم أن البكري[1] حدد مجموعة من القبائل التي كانت تدين بملة بورغواطة، وذكر منها جراوة، وزواغة، ومنصجة، ومطّغرة، ومطماطة وغيرها، لكن بتتبعنا لمناطق استقرار بعض هذه القبائل يتضح لنا أنها لم تستوطن منطقة تامسنا وهي بعيدة عنها كل البعد نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر جراوة ومطّغرة، والتي لا تمت بأية صلة للمصامدة[2].

- مجموعة مصمودة الجنوب جنوب نهر أم الربيع إلى سلسلة جبال الأطلس الصغير وهؤلاء هم المصامدة الخلص التي اتخذت من السهول مستقر لها ، حددها ابن خلدون[3] وذكر من بينها هيلانة وبني ماكر، كما ذكر رجراجة في أقصى الجنوب، وذكر من بينها هيلانه وبني ماكر، كماذكر رجراجة في أقصى الجنوب ودكالة وتحديدا بمحاداة نهر تانسيفت، هذا فضلا عن هسكورة وهزميرة وكلاوه وأصادة[4] وقبائل أخرى اتخذت من السهل الفاصل بين جبل درن والسوس موطنا لها، ومن القبائل المصمودية أيضا قبيلة دكالة التي بقيت على ولائها للمرابطين حتّى أخر أيّامهم رغم نسبها المصمودي[5].

والجدير بالذكر أنّ عملية زحف صنهاجة الجنوب إلى شمال بلاد المغرب لم تؤدي إلى تغيير واضح في مواقع قبائل المصامدة، وقد يرجع ذلك إلى استماثة هؤلاء –المصامدة- في الدفاع عن مواطنهم ضدّ أي وافد أجنبي، والراجح أن المرابطين وجدوا صعوبة في إخضاع قبائل المصامدة[6]، ولم يتوغل المرابطون في جبل درن إلا بعد أن اختبروا حالهم، وأدركوا نقاط ضعفهم، وعرفوا الصراعات التي كانت تحدث بينهم[7]، وعلى الرغم من ذلك فقد حرص الأمراء المرابطين منذ الوهلة الأولى لبدء دعوتهم على كسب ود المصامدة نظرا لأنّهم كانوا يشكلون غالبية سكان المغرب الأقصى، ولهذا فإنّنا نجد عبد الله بن ياسين داعية المرابطين حين اجتمع لديه المال من الزكاة والأعشار بعث مقدار منه إلى طلبة بلاد المصامدة، وقضاتها في محاولة لاستمالتهم[8]، وقد أثمرت هذه السياسة، إذ كان لهذا التودد مع كراهية المصامدة للزناتين أن جعلت المصامدة لا يقاومون جيوش المرابطين القادمة من الجنوب بل أيّدوهم وحالفوهم ضدّ حكام المنطقة من

[1]- أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص 140، 141.
[2]- القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 32.
[3]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص364.
[4]- عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ص324، 325.
[5]- عبد الوهاب بن منصور، المرجع نفسه، ص324.
[6]- القاضي عيّاض، المصدر السابق، ج8، ص82.
[7]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص85.
[8]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص80.

الزناتيين[1]، ونظير تلك الخدمة التي قدمها المصامدة للمرابطين عمل يوسف بن تاشفين على ضمّ مجموعة كبيرة منهم إلى جيشه[2]، حيث أنّه أشرك القبائل المغربية المهزومة منها المصامدة[3]،كما أوصى يوسف بن تاشفين ولي عهده علي، بأن لايسيء للمصامدة، يقول ابن الخطيب"فلمّا قربت وفاته-أي وفاة يوسف- أوصى ابنه ولي العهد أبا الحسن بثلاث وصايا أحدهما ألا يهيج أهل جبل درر-وصحتها درن- ومن ورائه من المصامدة وأهل القبلة"وهذا يؤكد حقيقة القوّة والنفوذ الذي تمتع به قبائل المصامدة[4]، والراجح أنّ هذا التعامل مع المصامدة كان ينّم عن بأسهم وشدتهم وعليه فقد راع المرابطون عدم إثارتهم، ويشير إلى ذلك ابن خلدون بأنّه لم يكن في قبائل المغرب أشدّ منهم بأسا ولا أكثر جمعا[5].

2.2) التحول الديمغرافي بعد غزو العرب الهلالية لبلاد المغرب الأقصى

اضافة إلى البربر فإنّ المكوّن الأهم لسكان بلاد المغرب في العهد الموحدي هم العرب الذين ظهروا على مسرح الأحداث إمّا صراعا ضدّ الموحدين أو جنودا لهم في معاركهم الحربية، وما تخلل ذلك من محاولة نقلهم إلى المغرب الأقصى إمّا بحد السيف، وإمّا بالترغيب والعطايا[6].

ارتبطت الهجرة العربية بالفتح العربي الإسلامي لبلاد المغرب حيث انتشرت القبائل العربية في المدن المغربية، وزادت هذه الهجرات في فترة الخلافة الأموية اثر سياساتها التعريبية اتجاه البربر، وعلى الرغم من وجود هذه الهجرات إلاّ أنّ ذلك لم يؤثر في تركيبة سكان بلاد المغرب ولا في لسانهم البربري، حيث ظلّت عملية التعريب محدودة، لكنّ غزو العرب الهلالية بعد منتصف القرن الخامس سيكون له تأثير على التركيبة السكانية وعلى انتشار اللّغة العربية[7].

تمت الغزوة الهلالية من قبل قبائل بني هلال وبني سليم وبطونها من الاثبج ورياحا وعديا وزغبة وربيعة، وهي قبائل كانت مواطنها بنجد والحجاز، وحول الطائف، وكان نشاطها يقوم على قطع الطرق والإغارة على أطراف الشام، ثم انتقلوا بعد ذلك إلى مصر عبر سيناء هروبا من الجدب والظروف القاسية في شبه

---

[1]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص195، 196، حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ص300.

[2]- مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص26، 33.

[3] - **عبد العزيز بن عبد الله** ، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، معلمة المدن والقبائل، مطبوعات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، المغرب، 1977، 347.

[4]- حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ص301.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص366.

[6]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 309.

[7]- **عز الدين أحمد موسى**، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن 6هـ، ط1، دار الشروق، بيروت، 1403هـ-1983م، ص93.

الجزيرة العربية، فأسكنهم الفاطميون بعد استيلائهم على الشام ضفة النيل الشرقية[1].

هاجرت القبائل الهلالية إلى افريقية بعد قطع بنو باديس الصنهاجيين الخطبة للفاطميين بمصر سنة 427هـ/136م، وتحويل الطاعة والخطبة على المنابر للخلافة العباسية في بغداد سنة 437هـ[2]، فأدّى ذلك إلى نقمة الفاطميين عليهم الذين دفعوا بهذه القبائل انتقاما من بني باديس الصنهاجيين من شرق النيل إلى افريقية[3]، فانساحت هذه القبائل في أرض افريقية بأعداد هائلة واستوطنوا السهول والبسائط[4]، وبلاد الساحل[5]، وكان لغزو هذه القبائل لبلاد افريقية والمغرب الأوسط آثار سلبية، بسبب مالحقها من خراب ودمار بفعل شن الغارات وقطع الطرقات وافساد الزرع وقطع الثمار ومحاصرة المدن[6].

أغفلت المصار التاريخية عن ذكر أي نشاط للعرب الهلالية في المغرب الأقصى خلال العصر المرابطي، لأنّ جموعهم لم تكن قد وصلت بعد إلى هناك، اضافة إلى أنّ القوّة الفتية المتمثلة في المرابطين حفظت المنطقة من تطلع العرب الهلالية لغزو المنطقة فقاموا بتحصينها بوضع حامية قويّة بتلمسان[7]، وبرغم ذلك وردت إشارات تفيد باشتراك العرب الهلالية في عمليّة الجهاد التي كان يقوم بها المرابطون في الأندلس، فذكر استشهاد بعض العرب، ومنهم الإمام الجزولي في معركة اقليش سنة 501هـ/1107م[8].

وفي عصر الموحدين بدأت سياسة جديدة تجاه العرب الهلالية، حيث قام عبد المؤمن بن علي باستدعاء القبائل العربية من افريقية إلى المغرب الأقصى"وأخل افريقية من العرب وأجلهم إلى بلاد المغرب وادخرهم لحرب ابن مردين شان احتجت لذلك"[9]، وساعد على ذلك هزيمة العرب ضدّ جيوش عبد المؤمن بالمغرب الأوسط وافيقية، ومعاملته الحسنة لأسراهم من الأولاد والنساء[10]، ويبدوا أنّ أعداد العرب التي رجع بها الخليفة عبد المؤمن إلى المغرب كانت كبيرة حتّى أنّ ابن صاحب الصلاة عبّر عن ذلك بقوله :"وقد استاق

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص187.

[2]- ابن ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص230، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص18-20، ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص265.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص20، ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص296.

[4]- جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر: محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1991م، ص242.

[5]- ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ج4، ص200-203، عز الدين موسى، المرجع السابق، ص94.

[6]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص290.

[7]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 307.

[8]- ابن القطان، المصدر السابق، ص09، 10.

[9]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص276.

[10]- البيدق، المصدر السابق، ص120، ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص144.

—عبد المؤمن — في أتباعه من العرب من رياح وبني حشم وبني عدي من بني هلال وقبائلهم يطبق بهم الفضاء عدا عدد الذباب وعدد الحصى..."[1].

وبذل خلفاء عبد المؤمن بن علي جهودا كبيرة من أجل كسب العرب واستغلال طاقاتهم الحربية لصالح الدولة الموحدية، وضمان مساعدتهم في مواجهة النّصارى بالأندلس متبعين في ذلك سياسة ليّنة تقوم على وحدة النسب العربي بينهم وبين الموحدين[2]، وعرفت فترة حكم المنصور ازدياد عدد الوافدين إلى المنطقة من العرب، وذلك لما كان يبدله لهم الهم من العطايا والأموال، حتّى أنهم مثلوا أهم عنصر في الجيش الموحدي[3]، وأصبحوا يشكلون أحد أهم شرائح المجتمع في بلاد المغرب[4].

وكان عبد المؤمن بن علي قد أنشأ لهم منذ البداية هيئة أشياخ العرب والتي تماثلها هيئة أشياخ الموحدين[5]، وهذا يدل على الأهمية التي أولاها الخلفاء الموحدين للعرب للانضمام إليهم ومساندتهم في أعمالهم، برغم أنّ العرب الهلالية كانوا عناصر شغب دائمة، إلاّ أنّ الموحدين استطاعوا كسبهم والاستفادة منهم في المعارك الكبرى التي خاضها الموحدون[6]، إلاّ أنّ ذلك لم يكن كافيا كي يتخلص العرب لهلالية من صفة الشغب التي لازمتهم، وذلك ماظهر بعد ضعف الدّولة وفقدان الخلفاء الموحدين السيطرة على الأمور[7].

وفي سنة 584هـ/1188م، قام المنصزر بتحديد أماكن معيّنة لإقامة بعض القبائل العربية كقبائل جشم وبنو رياح من لني هلال، حيث انزلهم بسهول المغرب المحاذية للمحيط الأطلسي، في كل من تامسنا بوسط المغرب الأقصى، مابين سلا ومراكش، وبالغرب مابين القصر الكبير وساحل المتوسط، وكذلك نقل الكثير من العرب إلى المغرب الأقصى سنة 584هـ/1180م[8]، وهكذا يلاحظ أنّ الموحدين قد اتبعوا سياسة تعميرية جديدة تقوم على احلال القبائل العربية محل القبائل البربرية المهزمة والمطرودة من أراضيها، كما يلاحظ أنّ الموحدين منحوا العرب أخصب الأراضي على سبيل الانتفاع مقابل أداء الخدمة العسكرية ودفع الضرائب، وبالتالي فإنّ التعامل الموحدي مع المجموعات البشرية جاء متأثرا بمعطيات عقدية وأخرى

---

[1]- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 14، حسن علي حسن، المرجع السابق، ص311.

[2]- أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب و الأندلس، ص111.

[3]- عبد الله علي علام، المصدر السابق، ص240.

[4]- النّاصري السلاوي، المصدر السابق، ج3، ص171.

[5]- النّاصري السلاوي، المصدر نفسه، ج3، ص171.

[6]- **حسين مؤنس**، موسوعة تاريخ الأندلس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1999م، ص51.

[7]- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص443، عز الدي أحمد موسى، المرجع السابق، ص99.

[8]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص314.

جيوسياسية جعلت المغلوب يتحرك أحيانا أكثر من الغالب[1].

المبحث الثاني: علاقة بربر بلاد المغرب بحضارة الأندلس

شكلّ البربر العنصر الغالب من سكان بلاد المغرب خلال العصرين المرابطي والموحدي، وخاصّة قبائل صنهاجة والمصامدة، فقد تبادلت القبيلتان المواقع، وكان لهما دور كبير في توجيه تاريخ المغرب الإسلامي[2]، فكل من الصنهاجيين والمصامدة، قد عاشوا في أرض بلاد المغرب متأثرين بالأحداث التي مرّت بها المنطقة ومؤثرين فيها، فحينما توّلت القبيلتان القيادة لم تكتف بسياسة محلية، بل اتخذت سياسة عالمية، عن طريق وصل مجتمع المغرب بتاريخ المسلمين في الأندلس وحتّى المشرق[3]، وبالنّظر إلى الطابع البدوي الصحرواوي لقبائل المرابطين، والنّظام القبلي للموحدين، وباعتبار أنّ هذه القبائل قد بدأت مرحلة احتكاك مباشر بأهم موطن للحضارة الإسلامية بالأندلس، فإنّ التساؤل الذي يفرض نفسه يتمحور حول مسألة قدرة هذه القبائل على تقبل المعطيات الحضارية الجديدة، والتحوّل من المرحلة القبليّة إلى الحياة المدنية.

1) الحالة القبلية للمجتمع المغربي في عصري المرابطين والموحدين

من خلال تتبع النّصوص يتضح أنّ أهم العناصر البشرية التي شكلت خريطة سكان المغرب مابين القرنين الخامس والسابع من الهجرة عناصر متعددة من السكان وفي مقدمة هذه العناصر البربر، الذين مثلوا السّواد الأعظم من سكان حواضر المغرب الأقصى وبواديه على الخصوص ثم يأتي العنصر العربي الذي اتخذ من المدن مستقرا له، والذين صار لهم دور مؤثر في عهد الموحدين اضافة إلى الأندلسيين، وبدرجة أقل الأقليات الأخرى على غرار الصقالبة والروم والعنصر السوداني والأتراك الغز، وأهل الذمة من اليهود والنّصارى[4] .

يقوم النّظام الإجتماعي عند البربر على أسس قبلية محضة، فالقبيلة هي عماد النّظام الاجتماعي،

[1]- محمد زنيبر، المرجع السابق، ص48، 49.
[2]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص 153.
[3]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 105.
[4]- القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص8، حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 294.

سواءا كانت تعيش على الرّيادة[1]، والغزو أو مستقرة تتكسب من الفلاحة وتربية الأغنام[2]، وتتركب القبيلة البربرية من عشائر وأسر لأفرادها من الولاء لها والتعلق بها أكثر من القبيلة نفسها، فالعصبية عند البربر تقوى كلّما ضاق المجتمع، وتضعف كلّما اتسع، فهم يشبهون في ذلك العرب[3]، ويرأس الأب أو الزوج الأسرة وله سلطان مطلق عليها، وهو أعلى مقاما وأشد احتراما من الأم أو الزوجة[4]، وتؤلف الأسر والعشائر في نظاق القبيلة حلفا في ساعات العسرة، وتسير صفا واحد لشن غارة على عدوّ، أو لصد مغير، وهم في ذلك يستجيبون لنداء الدم، وليس العقل[5].

وكانت لكل قبيلة قرية أو قرى تلتقي فيها أسبوعيا يوم عقد السوق لبيع الغلات وشراء لوازم الحياة واصلاح الآلات والتقاضي لدى الحكام وتلقي البريد واستشارة الأطباء، وتنتخب القبيلة أو العشيرة مجلس القرية المسّمى (الجماعة) وتختار الجماعة من بين اعضائها رئيسا لها يسمّى أمغار ومعناه الكبير[6].

وقام المجتمع الموحدي عل الطّبقية من بدايته، فكانت القبائل الموحدية السلطة والسلطان وغير الموحدين رعية لها، فيقول ابن القطان[7] "أنّ بن تومرت اختص هذه القبائل بكثير من الاختصاص، وعقد لهم من البر والتّكرمة ما أنهضهم" وأكد عبد المؤمن هذا النّظام عندما اختص أبناءه "السّيادة" وأبناء هذه القبائل بالوظائف الكبرى، وقصر التعليم على النابهين من أولادهم، وصارت هذه الطبقة تشمل بني عبد المؤمن، وأشياخ الموحدين وملكت الأموال الجمة و الضياع الشاسعة التي تقدر بعشرات الألاف، واستثمروا الأموال في التجارة والصناعة فعظمت ثرواتهم[8].

---

[1]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص 153.

[2]- عبد الوهاب بن منصور، المرجع نفسه، ص 280.

[3]- عبد الوهاب بن منصور، المرجع نفسه، ص 280.

[4]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص 153.

[5]- عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ص 280، 281.

[6]- عبد الوهاب بن منصور، المرجع نفسه، ص 280.

[7]- ابن القطان، المصدر السابق، ص 80.

[8]- يقول المراكشي عن هذه القبائل : " وقبائل الموحدين يجمعهم هذا الاسم ويعمهم، وهم الجند والأعوان والأنصار ومن سواهم من سائر البربر المصامدة رعية لهم وتحت امرهم سبع قبائل : أولاها قبيلة ابن تومرت وهي قبيلة تسمى هرغة وهي قليلة العدد بالنسبة لقبائل الموحدين ، ثمّ قبيلة عبد المؤمن بن علي وهي قبيلة كثيرة العدد جمّة الشعوب، لم يكن لها من قديم الدّهر ولا في حديثه ذكر من رياسة ، ولاحظ من نباهة ، إنّما كانوا أصحاب فلاحة، ورعاة غنم، وأصحاب اسواق يبيعون فيها اللبن و الحطب، وسوى ذلك من سقط المتاع فتبارك المعز المذل، المعطي المانع، فأصبح القوم اليوم، وليس فوقهم أحد ببلاد المغرب، ولا تطال أيديهم يد، لكون عبد المؤمن منهم، ثمّ أهل تينمل، وهم قبائل شتى يجمعها اسم هذا الموضع ثم هنتاتة وهي أيضا قبيلة ضخمة جدا وفي بعضها رياسة وشرف من الدهر القديم، ثمّ كنفيسة وهي قبيلة عزيزة منيعة ثم كدميوة ، وليست كلها بل بعضها رعية ثم من استجاب لموحدين المستحقين لهذا الاسم عندهم، والذين يأخذون

وقد نالت بعض قبائل المصامدة مكانة متميّزة نتيجة انضمامها لدعوة ابن تومرت، وصار أبناؤها يكونون طبقة ممتازة في الإدارة ووظائف الدولة، يقول ابن خلدون:"وخص –ظاي ابن تومرت– بالمزية من دخل في دعوته قبل تمكنها فتح مراكش فكان إنّما اختص بهذا لقب أهل السابقة قبل ذلك الفتح...فاختص..هؤلاء القبائل بمزية هذه السابقة واسمها وأقاموا الامير وحملوا سريره"ويبين ابن خلدون من خلال هذا النص أنّ سبع قبائل احتلت مكان الصدارة نتيجة انضمامها للدعوة الموحدية يضاف إليها قبيلة كومية والتي ينتسب إليها عبد المؤمن بن علي[1].

أمّا عن علاقة قبائل صنهاجة ومصمودة بالمعطيات الحضارية الجديدة فلا يمكن أن ندركه إلاّ من خلال تقصي علاقتهما بالروافد الحضارية، والتي ارتبطت بشكل رئيسي بمنطقة البحر المتوسط، وطبيعة المجتمع البربري الذي كان مايزال في عصر الرابطين والموحدين ينقسم إلى قسمين: بربر رحالة، وبربر مستقرون، فالرحالة منهم يرتادون الكلأ بمواشيهم وينتقلون بسبب ذلك من جهة إلى أخرى، وهؤلاء لايحترفون تجاة ولاصناعة ولافلاحة، وإنّما يعيشون من انتاج ماشيتهم ومن الغنائم، والأسلاب التي يستولون عليها خلال الحروب[2]، وتنتمي قبيلة صنهاجة التي أسست دولة المرابطين إلى هذا النّوع من القبائل التي عرفت بتنقلها الدائم وعدم استقرارها، لاعتمادهم على نمط الرعي والانتجاع، فهم قوم "لايعرفون حرثا ولازرعا ولاثمارا، وإنّما أموالهم الأنعام، وعيشهم اللّحم واللّبن"[3]، وبسبب ترّحلهم الدائم كانت مساكنهم عبارة عن خيام مقامة داخل دواوير "فلم يكن لصنهاجة ميل لسكن الدّور[4]، ولكن برغم ذلك يقسم ابن خلدون هذه القبائل إلى أهل مدر، وهم سكان المناطق الشمالية المقيمين في بيوت مبنية، وأهل وبر وهم قبائل الملّثمين الساكنين بشمال المغرب الأقصى، كما يذكر صنهاجة البز وهم قبائل نهر ورغة المحترفون للحراثة والحياكة، اضافة إلى صنهاجة العز وهم الممتنعون في الجبال[5]، حيث كانوا ينون بيوتهم بالحجارة ويسقفونها بالطين[6].

العطاء وتجمعهم الجيوش، وينفرون في البعوث وغير هؤلاء القبائل من المصامدة رعية لهم"المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 225 ، 226.

[1]– حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ص301 ، 302.

[2]– عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ص 286.

[3]– ابن حوقل، المصدر السابق، 98، لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ج3، ص225، ابن أبي زرع ،المصدر السابق، 120.

[4]– القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص16.

[5]– عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ص 329.

[6]– عبد الوهاب بن منصور، المرجع نفسه، ص 282.

أمّا القسم الثاني فهو المستقر، وهم أشد لصوقا بالأرض منهم بها، وقد نتج عن استقراره انتظام حياتهم، واشتغالهم بالمهن كالزراعة والصناعة والتجارة، وسكنت هذه القبائل بيوتا مبنية داخل دشرات، محصنة،[1]، وقد اشتهرت منهم قبائل كثيرة منها قبيلة مصمودة التي قامت على أكتافها دولة الموحدين، وبربر هذا القسم أقرب إلى الحضارة من الرحل باعتبار أنّهم قبائل مستقرة على خلاف قبائل صنهاجة الذين يعتمدون على التّرحال.

إلى جانب قبائل مصمودة هناك قبائل بربرية أخرى اعتمدت حياة الاستقرار ولامست حياة الحضارة، نذكر منها قبيلة كتامة التي حدد البكري مواطنها على طريق الموصل بين سبتة و طنجة، وطنجة وفاس[2] وفي بعض القرى ذات الأراضي الخصبة[3]، غير أنّ تغييرا من المحتمل أنّه حدث بخصوص هذه القبيلة بعد وصول المرابطين إلى الشمال، فلا توجد إلاّ اشارة واحدة أوردها الادريسي حول استقرار قبيلة كتامة على نهر سفدد القريب من البصرة[4]، ويشير ابن خلدون إلى حقيقة هذه القبيلة حيث ذكر أنّها تخلت عن اسمها الحقيقي بقوله"وهم ينتفضون من اسم كتامة ويفرون منه"وليس منه"[5]، ويرجع ابن خلدون السبب في ذلك إلى تأييدهم السابق للفاطميين إذ يقول "ويفرون منه لما وقع منذ أربعمائة سنة من النكير على كتامة بانتحال الرافضة وعداوة الدّول بعدهم فيتفادون الانتساب إليهم"[6]. والراجح أنّ كتامة اندمجت في القبائل المجاورة لها مثل غمارة وصنهاجة، وأصبحت من ضمن المجموعات المشكلة للمجتمع المرابطي.

وإلى جانب قبيلة كتامة نجد أيضا قبيلة أوربة هي الأخرى التي استقرت بالمغرب الأقصى، وقد لعبت هذه القبيلة دورا هامّا في تأسيس دولة الأدارسة إذ تعدّ القبيلة الأولى التي بايعت الإمام إدريس سنة 172هـ/789م، وهي أولى القبائل المستوطنة لمدينة فاس مباشرة بعد إتمام بنائها[7]، وليس من المستبعد أن تكون القبيلة قد حافظت على مواطنها ثم ركنت إلى العزلة وهذا ما أدخلها في طور النسيان إلا أنّها عادت إلى الظهور على واجهة الأحداث في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي[8]، غير أننّا لا نملك

[1]- عبد الوهاب بن منصور، المرجع نفسه، ص 286.
[2]- أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص104، 109، 114.
[3]- أبو عبيد البكري، المصدر نفسه، ص109، 110.
[4]- الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص169.
[5]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص176.
[6]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص176.
[7]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص174.
[8]- أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص90.

معلومات توضح طبيعة علاقتها بالدّولة المرابطية وماخلفه حكمها للمغرب الأقصى من نتائج على مناطق تعميرها واستقرارها، ولكننّا يمكن أن نقول أنّ رصيدها الحضاري ظلّ بشكل أو بأخر ماثلا بالمنطقة، ومن الممكن أن يكون قد ترسخ لدى قبائل أخرى خاصّة تلك التي استقرت بمدينة فاس.

في النّهاية يمكن القول أنّ أوضاع القبائل بالمغرب الأقصى اختلفت تبعا للسلطة الحاكمة، فحين صارت مقاليد الأمور بيد المرابطين، فإنّ قبائل صنهاجة وعلى رأسها قبيلة لمتونة- التي انتقلت بمضاربها من الجنوب، واستقر بها المقام في المغرب الأقصى- احتلت قبائلها مكانة ممتازة بين سواها من القبائل الأخرى، فلّما سقطت دولة المرابطين، وقامت دولة الموحدين على أكتاف المصامدة أصبحت هذه القبائل لها الصدارة في احتلال المناصب والمراكز القيادية بالبلاد[1]، وبالتّالي أصبح للقبيلتين موقف من التّحضر.

2) الاحتكاك الحضاري لبلاد المغرب بالأندلس

كان من الطبيعي أن تتوثق الصلة بين المغرب والأندلس في عهد المرابطين والموحدين ذلك العهد الذي جمع بين الدّولتين في وحدة سياسية واحدة الأمر الذي فتح كل أبواب التنقلات الفردية والجماعية على مصراعيها أمام الجميع خاصة وأنّ ولاة الأمر من المرابطين والموحدين كانوا يرحبون دائما بعلماء وأدباء الأندلس، ويغدقون عليهم الصّلات، ويتخذون منهم الوزراء والكتاب والقضاة وغير ذلك من مناصب الدّولة.

وعموما لم يكن أمام أهل العدوتين في كل من المغرب والأندلس أية حواجز يمنع تدفقهم فرادى أو جماعات من المغرب إلى الأندلس أو العكس، وقد ساعد ضيق المسافة بين العدوتين على عبور كثير من البربر إلى الأندلس[2]،كما عبر الكثير من الأندلسيين إلى بلاد المغرب.

1.2) أثر هجرة الأندلسيين الحضارية على بلاد المغرب

شهدت بلاد المغرب خلال العصرين المرابطي والموحدي توافد العديد من الأندلسيين، خاصّة بسبب حروب الاسترداد التي شنتها اسبانيا المسيحية على مسلمي الأندلس، غير أنّ حركة الجهاد التي شنتها كل من الدّولتين المرابطية والموحدية قد عززت الوحدة بين ضفتي المغرب والأندلس، الأمر الذي ساهم في نشر حالة الاستقرار، والدفع بحركة الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب، هذه الهجرة التي سيكون لها تأثيراتها

[1]- حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ص306.

[2] - الشريف الإدريسي ، المصدر السابق، ص 726.

الحضارية المتنوعة، وإن كان ذلك على مستوى محدود إلاّ أنّها ستعتبر إضافة مهمّة لرصيد المغرب الحضاري.

إنّ الأبعاد السياسية والحضارية التي تولّدت عن الهجرة الأندلسية في العهدين المرابطي والموحدي لم تكن طارئة، وإنّما كانت تشكل استمرارا لمرحلة تاريخية سابقة وإن اختلفت عنها في بعض ظروفها ومظاهرها[1]، فمنذ القرن الثاني للهجرة غيّرت موجات الهجرة اتجاهها لتنطلق من الأندلس باتجاه بلاد المغرب[2].

ساهم الضغط النّصراني بشكل أساسي في هجرة العديد من سكان الأندلس إلى حواضر بلاد المغرب فاستقروا فيه، فقد ورد في إحدى الروايات أنّ احتلال طليطلة سنة478هـ/1085م أسفر عن هجرة جماعية لسكان المدينة قدرها خمسون ألف نسمة[3]، وبعد تزايد سقوط سرقسطة بيد النّصارى سنة 512هـ/1118م خرج غالبية أهلها مهاجرين إلى المدن والأراضي الأندلسية الباقية[4]، وغيرها[5]، كما عبر بعض منهم إلى بلاد المغرب، فقد كان خط سير هؤلاء الثغريين المهاجرين من سرقسطة البيضاء أيام حكم أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين537هـ/1143م، حيث حملهم الأسطول المرابطي العامل في السواحل والجزر المرابطية من ميناء ألمرية إلى جزائر بني مزغنة الحاضرة المرابطية الشهيرة بالمغرب الأوسط، وهناك كان موطن استقرارهم بحومة الثغريين، ولا تزال الهضبة التي استوطنوها تحمل اسمهم إلى اليوم[6].

وبعد هزيمة الموحدين في معركة العقاب سنة 609هـ/1212م[7] أخذ سلطان الموحدين في الأندلس يتداعى، وأصبحت القواعد الأندلسية الكبرى تنهار تباعا ففي سنة 627هـ/1229م سقطت جزيرة ميورقة، وفي سنة 633هـ/1235م سقطت قرطبة حاضرة الخلافة، وفي نفس السنة سقطت بلنسية كبرى مدن شرق الأندلس، وفي سنة 641هـ/1243م سقطت دانية، وفي سنة 643هـ/1245م سقطت جيان، وفي سنة 644هـ/1246م سقطت شاطبة، وفي سنة 1248/646م سقطت اشبيلية كبرى مدن غرب الأندلس، وقاعدة الموحدين فيها، وهكذا تهاوت أبرز قواعد الأندلس، وحلّت بالأندلسين محنة

---

[1]- محمد رزوق، المرجع السابق، ص 28.

[2]- عن الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب قبل عصر المرابطين ينظر، الفصل الأوّل من هذا البحث

[3]- ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص119، ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص86.

[4]- **خليل ابراهيم الكبيسي**، هجرة الأندلسيين وهجرتهم إلى المغرب العربي، كلية الأداب، جامعة بغداد، ص138.

[5]- أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج3، ص447، 490 .

[6]- **محمد لمين بلغيث**، فصول في التاريخ والعمران بالغرب الاسلامي، ط1، أنتير سينيبي، الجزائر، 1428هـ/2007م.

[7]- خليل ابراهيم الكبيسي، المرجع السابق، ص139.

قاسية[1]، وبعدها كان من الطبيعي أن يهاجر القسم الأكبر من سكان المدن الساقطة إلى مناطق آمنة، سواءا بالأندلس أو ببلاد المغرب.

فحينما سقطت مدينة اشبيلية سنة 646هـ/1248م، "خرج منها الخاص من أهلها و العام"[2] حتّى أنّ المدينة ظلّت خالية بعد ذلك ثلاثة أيام[3]، حيث قام ملك قشتالة بتخصيص أسطول من خمس سفن كبيرة وثمان صغيرة، ليتم تهجير أربعمائة ألف، منهم مائة ألف هاجروا بطريق البحر إلى مدينة سبتة، وتفرق البقية في أنحاء مختلفة من المغرب والأندلس[4].

إنّ سقوط الحواضر الإسلامية الأندلسية بيد النصارى في عصر الطوائف والمرابطين إلى غاية سنة 609هـ/1212م من العصر الموحدي لم تكن مؤثرة في الدفع بالهجرة الأندلسية بشكل كبير، لانّ ميزان القوى كان لايزال يميل إلى المسلمين، فثمة أسباب أخرى ساهمت في اندفاع الأندلسيين نحو بلاد المغرب[5] ، فتوحيد بلاد العدوتين في وحدة سياسية واحدة في عصري المرابطين والموحدين[6]، وإشاعتهم الإستقرار والأمن والطمأنينة، خاصّة في عهد يوسف بن تاشفين وأوائل عهد علي بن يوسف[7]، كان السبب في التحاق كثير من الأندلسيين ببلدان المغرب[8].

كان من بين هؤلاء المهاجرين الأندلسيين الكثير من العلماء الذين كانوا يفضلون الرّحيل للإستقرار بالمدن المغربية، الّتي تحوّلت إلى قبلة لهؤلاء العلماء الأندلسيين[9]، يقول ابن خلدون في هذا الصدد"...وأمّا أهل الأندلس فافترقوا في الأقطار عند تلاشي ملك المغرب بها ومن خلفهم من البربر،

---

[1]- خليل ابراهيم الكبيسي، المرجع نفسه، ص139.

[2]- خليل ابراهيم الكبيسي، المرجع نفسه، ص143.

[3]- عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص 60.

[4]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص 486، عبد الرحمان الحجي، المرجع السابق، ص482.

[5]- سحر السيد عبد العزيز سالم، الهجرات الأندلسية والمورسكية الكبرى إلى جنوب البحر المتوسط، اضواء على المراكز التجارية بين المغرب الأوسط والأقصى في القرن 3هـ، من كتاب أوراق تاريخية بحر متوسطية من العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1996م، ص251 ، 250 .

[6]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 443 .

[7]- حسن علي حسن، المرجع نفسه، ص 450.

[8]- **محمد مكي الناصري**، "وحدة المغرب في ظل الاسلام"، مجلة الثقافة، السنة3، عدد 15، الجزائر، 1973، 04، **محمد الأمين بلغيث**، الأندلسيون وأثارهم بفحص الجزائر ومتيجة، منشور ضمن كتاب دراسات و بحوث أندلسية، 261- 263 .

[9]- **محمد إبلاغ**، "الرياضيات في الاندلس مابين القرنين (3 و 9 هـ /10 و 15 م)، السجل العلمي لندوة قرون من التقلبات و العطاءات، القسم الثالث، ط1، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1417هـ/1996م، ص 44 ، 45 .

وتغلبت عليهم أمم نصرانية، فانتشروا في عدوة المغرب وافريقية، من لدن الدّولة اللمتونية إلى هذا العهد، وشاركوا أهل العمران بما لديهم من الصنائع، وتعلقوا بأذيال الدّولة..." [1].

كانت هدف أهل العلم الذين تنتقلوا من الأندلس إلى بلاد المغرب إمّا طلب العلم أو العمل على نشره، وكان معظمهم ينتهي به المطاف إلى الاستقرار والاستيطان هناك، ومن المؤكد أنّ تواجد هؤلاء قد شجع شجع أقاربهم ومعارفهم على اللحاق بهم خاصّة من كانت لهم رغبة في أخذ العلم عنهم، ومجالستهم، والأمثلة في ذلك كثيرة أوردتها كتب الطبقات وتراجم العلماء[2]، كما أنّ العلماء و الأدباء ورجال العلم والمعرفة الذين هاجروا إلى المغرب واستوطنوا في عهد الدولة الموحدية قد غصت بهم كتب التراجم و الطبقات وكانوا أضعاف الذين هاجروا إليها في عهد أسلافهم المرابطين[3].

لم تقتصر الهجرة الأندلسية على العلماء، وإنّما امتد إلى فئات أخرى من حرفيين، بنّائين، ومزارعين، وذلك بتشجيع من ولاّة الأمر بغرض الاستفادة من خبرتهم في شتّى المجالات[4]، ومن أهم الحرف التي نقلها الأندلسيون إلى بلاد المغرب دباغة الجلود وتصفية قصب السكر، وصناعة الخزف في كل من مراكش وفاس[5]، كما رحب ولاة الأمر أيضا بالتّجار والمزارعين المهرة من الأندلسيين[6]، ومن الأمثلة التي نضربها لتوضيح عناية المرابطين بالحرفيين، استقدام يوسف بن تاشفين مجموعة من الصنّاع في ميدان البناء والمعمار من قرطبة إلى مدينة فاس للزيادة في مساحة مساجدها وسقاياتها وحمّاماتها[7]، كما استقدم علي بن يوسف مجموعة من المهندسن لبناء قنطرة تانسيفت[8]، كما قام هؤلاء المهاجرين الأندلسيين ببناء القنوات التي تنقل الماء من الجبل إلى مراكش، وهذا النوع هو الخطارات[9].

لم تتوقف الهجرات الأندلسة عند هذا الحد بل تواصل توافد الأندلسيين على المغرب لخدمة المرابطين والموحدين على السواء، إلا أنّ ما يسترعي الانتباه هو أنّ ذلك اتخذ أحيانا شكلا رسميا، ففي عهد

---

[1]- محمد رزوق، المرجع السابق، ص47.

[2]- أبو العباس الغبريني، المصدر السابق، ص 36، 39 ، 45 ، 55 ، 73، 80 ، 158 ، 193.

[3] - محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص 224.

[4]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 348.

[5]- محمد رزوق، المصدر السابق، ص37.

[6] - محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص 225.

[7]- محمد رزوق، المرجع السابق، ص37.

[8]- **عبد العزيز بن عبد الله**، معطيات الحضارة المغربية، ج1، ط3، دار الكتب العلميّة، الرباط، 1963م، ص113.

[9]- عبد العزيز بن عبد الله، المرجع نفسه، ج1، ص113.

المرابطين تمّ ترحيل عدد من الأندلسين المسيحيين إلى سلا ومكناس أيّام علي بن يوسف بفتوى ابن رشد الجد[1]، وكان الحال نفسه في عصر الموحدين، وذلك بصدور ظهير للخليفة الموحدي الرشيد أوكل فيه إلى القاضي[2] أبي المطرف بن عميرة بالاشراف على تنفيده، وكان ذلك في 21 شعبان سنة 637هـ/1239 سنة 637هـ/1239[3]، بعد سقوط بلنسية وشقر وشاطبة، يقضي باسكان جالية هذه المدن وغيرهم من بلاد شرق الأندلس بمدينة رباط الفتح[4]، إذ" أذن لهم..في النقلة الى رباط الفتح...بقضيضهم وقضهم، وأن يتخذوا مساكنه وأرضه بدلا من مساكنهم وأرضهم....وأن يتوسعوا في الحرث ففي أرضه هناك متسع، ويتبسطوا في كل مالهم منه مكافئ وبه منتفع ويغرسوا الكروم وأنواع ...على عادتهم ببلادهم، ويتاثلوا الأملاك لأنفسهم وأولادهم وأولاد أولادهم..." كما هيأ جميع الظروف لحمايتهم، "والولاة والعمّال...مأمرون بأن يحفظوهم في أموالهم من كل أذى يلم بجانب من جوانبهم، ويعوق عن مآرب صغير أوكبير من مآربهم، وأن يكرموا غاية بنيانهم وأعيانهم ويوّلوهم من حسن الجوار ما ينسيهم أوطانهم..."[5]، وهذا الظّهير يمثل حالة نادرة إذ لم يسبق أن استاذن أهل الأندلس حاكما من حكام بلاد المغرب في ذلك، لأنّ الانتقال بين العدوتين كان حرّا لا تتدخل فيه السلطة الحاكمة وقد يرجع ذلك إلى أنّ الاضطراب قد عمّ في هذه الفترة المغرب كذلك.

وبرغم أنّ الهجرة الأندلسية نحو بلاد المغرب ظاهرة لافتة لازمت فترة المرابطين والموحدين إلاّ أنّ الغالب على هذه الهجرة كان طابع طابع الهجرة الفردية أو العائلية، ولا يمكن الحكم عليها بأنها هجرة جالية، إذ لا يمكن اثبات ذلك، وهذا ما أوضحه المقري في قوله "أعلم جعلني الله تعالى و إياك ممّن له للمذاهب الحق انتحال أن حصر أهل الارتحال لايمكن بوجه ولامجال، ولا يعلم ذلك على الاحاطة إلاّ علاّم الغيوب الشديد المحال"[6]، إذا ماقورنت بالفترات الآحقة التي وصفها صاحب العبر بالجلاء[7].

لقد كان من أهم نتائج ظهور فئة الأندلسيين في المجتمع المغربي انتشار الحضارة الأندلسية في

---

[1]- الونشريسي، المصدر السابق، ج8، ص56.

[2]- محمد ماهر حمادة، المرجع السابق، ص 31.

[3]- محمد رزوق، المرجع السابق، ص34.

[4]- **عبد الله السويسي**، تاريخ رباط الفتح، مطبوعات دار المغرب للترجمة والتأليف، الرباط، 1979، ص 93

[5]- محمد رزوق، المرجع السابق، ص35، 36.

[6]- أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج2، ص213.

[7]- ظهر مفهوم الجالية بعد القرن 07هـ/13م ، ووظفه ابن خلدون ليفيد بأنّ عدد النازحين كان هاما، وأصبح اكثر استخداما بعد سقوط غرناطة 1492م، راجع: عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص385، 386، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج4، ص525، 526، محمد رزوق، المرجع السابق، ص160، 173.

مجموع المغرب مع فلول هؤلاء الأندلسيين التي استقرت بالحواضر الكبرى مثل تونس بجاية وتلمسان وهران وفاس مراكش والرباط وغيرها وحتى[1]، في بعض النواحي الجبلية مثل فازاز بالأطلس الأوسط[2]، فمنذ أن خضعت الأندلس للسلطة في مراكش في عهد يوسف بن تاشفين قد تبلور ظهور فئة الأندلسيين في المجتمع المغربي، بل استطاع الأندلسيين فرض أنفسهم كجزء من المجتمع المغربي[3]، فكان لهم أثر كبير في تكييف الحياة الإجتماعية والإقتصادية بالمغرب، لاسيما في المراكز التي استوطنوها، حيث اختلف التأثير باختلاف هوية المهاجرين وطبيعة المهجر.

لقد استطاع المهاجرون الأندلسيين نقل أفكار اقتصادية جديدة لم يكن للقبائل عهد بها في مجتمعاتهم واقتصاداتهم[4]، حيث غلب الأثر الفلاحي الأندلسي في كثير من المناطق خاصّة منها سلا، فبينما تأثرت الرباط بالطابع الارستقراطي والصناعي[5]، كانت العاصمة مراكش منطقة جذب يتسابق الأندلسيون على شرف السكن بها حتى ضاقت بهم، ولم يعد بها مكان للبناء ولا بيت للإيجار، وينهض دليلا على ذلك الامير يوسف بن عبد المؤمن عندما أصدر أوامره لقبائل هسكورة وصنهاجة بالإنتقال إلى مراكش لم تجد تلك القبائل مكانا لسكناها مما اضطره إلى توسيع المدينة[6]، وقد وسعت ثانية على عهد ابنه المنصور الموحدي[7].

كذلك ساهم الأندلسيين في انتشار اللغة العربية بين صفوف البربر الذين تغلغلت الروح العربية في نفوسهم إلى درجة أنّهم أصبحوا يرفضون باستنكار فكرة الانتساب إلى أورمة بربرية في هذا الإحتمال سبابا لهم وضربا من المحال، وهم لا يكتفون باتخاذ العربية لغة لهم فحسب بل يؤكدون أنهم عرب وأنّه لا تجرى في عروقهم نقطة من الدم ليست عربية[8]، فبعد أن كان ابن تومرت يجادل، فلا يجد من يجابهه إلا من رجال الأندلس كمالك بن وهب الإشبيلي، أما غيرهم من أهل المغرب فما كان يفهمه حتى يقابله

[1] – محمد عبد العزيز عادل، المرجع السابق، ص 225.
[2] – محمد عبد العزيز عادل، المرجع نفسه، ص 226.
[3] – حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 281.
[4] – محمد عبد العزيز عادل، المرجع السابق، ص225 .
[5] – محمد عبد العزيز عادل، المرجع نفسه، ص223 .
[6] – ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص 126.
[7] – محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص 111.
[8] – محمد عبد العزيز عادل، المرجع السابق، ص 226.

بالجدال[1].

يبدوا أنّ تألّق نجم الحضارة الأندلسية التي كان من مظاهرها حياة الأبهة والرقي التي عاشها الأندلسيون، قد طبعت الحياة الإجتماعية ببلاد المغرب[2].

2.2) تعمير المرابطين والموحدين للأندلس

اعتاد الباحثون الذين تناولوا تاريخ الهجرة بين المغرب والأندلس أن يركزوا على الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب، وماتركته من أثار، لكنّهم أهملوا كل الإهمال توافد أهل المغرب إلى بلاد الأندلس ومايمكن أن ينتج عنه من نقل سلوكات أندلسية إلى بلاد المغرب، خاصّة أنّ كثيرا ممّن هاجروا إلى الأندلس قد عادوا إلى ديارهم بعد انتهاء مهامهم، فأي أثر يمكن أن تتركه هجرة أهل المغرب إلى الأندلس على بلاد المغرب؟

كانت أهم هجرات البربر باتجاه الأندلس في العصر المرابطي، في انتقال مجموعات ثالثة من بربر صنهاجة اللّثام المرابطين، ممّن تمّ استدعاؤهم من المغرب إلى الأندلس لردع الخطر النّصراني[3]، وكانت وجهة نظر الجانب الأندلسي هي الاستعانة بالمرابطين للوقوف في وجه ألفونسو وأطماعه[4]، وذلك بعدما يئسوا من أمراء الأندلس الذين أصبحوا عاجزين عن التّصدي للعدّو الذي يتربص بهم[5].

لاتوجد اشارات دالة عن هجرات جماعية نحو الأندلس إلاّ خلال الحقبة المرابطية، حيث تمّ تجنيد عدد كبير من قبائل المغرب الاسلامي بغرض الجهاد، فقد"تمّ تجنيد كل القبائل، وفتح باب التّطوع، فكثرت أعداد المتطوعة"[6]، وفي هذا الصدد يذكر ابن أبي زرع أن عدد الجيش المرابطي بلغ سنة 453هـ/1061م أربعين ألفا، ثمّ وصل بعد سنة واحدة فقط – أي 455هـ/ 1062م- مائة ألف فارس من دون المشاة[7]، بل أنّ يوسف بن تاشفين قد أشرك القبائل المغربية المهزومة من المصامدة وزناتة[8]، اضافة إلى عناصر أخرى

---

[1] – محمد بن تاويت، المرجع السابق، ص 65.

[2] – حسن أحمد محمود ، المرجع السابق، ص 421.

[3] – مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص38، 66 ، 71، موسى لقبال، المرجع السابق، ص186، 187.

[4] – مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 38، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 130، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ص 442، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 144.

[5] – عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 261.

[6] – ابن القطان، المصدر السابق، ص13.

[7] – ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص138، 139.

[8] – عبد العزيز بن عبد الله، المرجع السابق، ص347.

ممّن تم استجلابهم[1]، وبعد ضمّ المرابطين للأندلس وصلت الهجرة الصّنهاجية أوجها، إذ انتقلت القبائل الصّنهاجية من قبل المرابطين، مع الحملات العسكرية، واستقرت في الأندلس[2].

وقد سار خلفاء يوسف على نهجه من استكثار الجند البربر بالأندلس، منهم ابنه علي الذي قلّدهم الأسلحة وأوسع عليهم الأرزاق، واستكثر من الرماة وأركبهم وأقام هممهم، وعني بالغزو ومباشرة الحرب[3]، وذلك عملا بوصية أبيه إذ كان من جملة الشروط التي اشترطها عليه والده لولاية عهده أن يركب سبعة عشر ألف فارس[4].

فبدخول المربطين إلى الأندلس تعزز عنصر البربر الموجود به، والذي كان منتشرا في المدن والأقاليم[5]، وأصبحوا يقومون بأعمال التجارة والزراعة أو الصناعة، ويبدوا أنّ قبائل الملثمين كانوا يعيشون بمعزل عن المجتمع الأندلسي، إذ كانت لهم عاداتهم وتقاليدهم، كما أنّ أغلبهم من الطبقة العسكرية خشنة الطّباع "لا عهد لها بالدعة ولا علم عندهم برخاء العيش، إنّما هم أحدهم فرس يروضه، ويستفرهه، أو سلاح يستجيده أو ضريح يلبي دعوته"[6].

يضاف إلى هذا مجموع البربر الذي دخل الأندلس برسم الجهاد خلال هذه الفترة مجموع آخر، وقد جاء انتقالهم عبر هجرتين متباعدتين الأولى حدثت سنة 515هـ/1121م نحو قرطبة يبدوا أنّها أحدثت مشكلا اجتماعيا سكتت المصادر التاريخية عن ذكره، وأهم الاشارات وردت في نوازل ابن رشد، إذ ورد أنّ سكان قرطبة استفتوا الفقيه ابن رشد حول بربر العدوة القادمين عليهم في جموع سنة 515هـ[7].

والمعلوم أنّ هذه الهجرة جاءت مباشرة بعد بداية حركة المهدي بن تومرت في المغرب، وثورة العامّة في قرطبة ضدّ المرابطين سنة 514هـ/1120م[8]، أمّا الهجرة الثانية فقد حدثت سنة

---

[1] – عن تدفق البربر من المغرب نحو الأندلس مع الفتح المرابطي والموحدي، ينظر: عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص190، 200، 281، 293، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص152-155 ، السلاوي الناصري، المصدر السابق، ج2، ص105، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص94.

[2] – القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 23.

[3] – ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص80.

[4] – عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص252.

[5] – عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 261.

[6] – عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 163، عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 261.

[7] – **القادري بوتشيش**، حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2006م، ص35.

[8] – البيدق، المصدر السابق، ص35، ابن القطان، المصدر السابق، ص111، مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص86 ، 87، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص305، 318 .

535هـ/1140م وتميزت بكثافة عدد المهاجرين، حتى أنّ ابن عذارى وصفها بالانجلاء العظيم إلى الأندلس[1]، كما أنّ كثرة المجاعات التي شهدتها بلاد المغرب عامّة أواخر عصر المرابطين كانت سببا وراء جعل هذه الجموع البربرية تيمم وجهها شطر الأندلس، إضافة إلى الزحف الموحدي الذي وصل في تلك السنة إلى شمال المغرب[2].

استمرت هجرات البربر على عهد الموحدين، فقد استنفر عبد المؤمن جميع بلاد المغرب برسم الجهاد، فاجتمع له من عساكر الموحدين، و المرتزقة ومن قبائل البربر وزناتة أزيد من ثلاثمائة ألف فارس، ومن جيوش المتطوعة ثمانون ألف فارس ومائة ألف راجل، وجهو أسطولا في البحر، وغدوا جميعهم إلى الأندلس[3]، ولم يتوان خلفه يوسف بن عبد المؤمن في حشد المتطوعة من بجاية ، وتلمسان ثمّ نهض ليعبر الأندلس في مائة ألف من العرب والموحدين، قاصدا قرطبة فدخلها سنة 567هـ/1171م، ثم ارتحل بعدها إلى اشبيلية التي أطاعه أهلها وسلّموا إليه جميع بلاد شرق الأندلس[4]، ثمّ جاز مرّة ثانية لفتح الأندلس، واستدعى لذلك قبائل العرب أوّلا ثمّ قبائل زناتة ثمّ المصامدة، ثمّ مغراوة وصنهاجة وأصناف البربر، فعبروا إلى الأندلس[5]، وسار يعقوب المنصور 580-595هـ/1184-1198م على نهجه وحشد الحشود بقيادة زعماء قبائل البربر، وعقد لكل رئيس على قبيلته، وجعل الأندلس في الميمنة وزناتة والمصامدة وكافة قبائل المغرب في الميسرة، وجعل الرماة والمتطوعة في المقدمة وزحفوا للقاء العدو، وهزموه في معركة الأرك[6]، وفي عهد النّاصر الموحدي 595-610هـ/1198-1213م اجتمع لديه من أهل المغرب والأندلس ستمائة ألف، وذلك سنة 607هـ/1210م ،خرج بهم إلى اشبيلية إلاّ أنّ الجيش مني بالهزيمة عند موقعة العقاب سنة 609هـ/1212م[7].

إنّ المصادر التّاريخية لاتمدنا باحصائيات واضحة ودقيقة حول مجموع أعداد البربر الذين توافدوا

---

[1] – ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص98 .

[2] – **الحسين بولقطيب**، جوائع وأوبئة مغرب عهد الموحدين، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 2002م، ص46.

[3] – ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص202، شهاب الدين أحمد النويري، المصدر السابق، ج24، ص300، 301، الناصري السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص128.

[4] – ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص114، 119، الناصري السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص138، 139.

[5] – ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص 230، الناصري السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص 134.

[6] – ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص200، 228.

[7] – عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص401، 402، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، قسم الموحدين، 263 ، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص238-240، الناصري السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص200.

على الأندلس خلال الفترة محل الدّراسة، وإذا اعتمدنا على احصاء الأعداد التي تذكرها المصادر فإنّ مشاكل جمّة ستواجه أي باحث، منها عدم القدرة على معرفة أنّ كل عدد ذكر هو رقم مستقل عن الأخر أم مضاف إليه، بالاضافة الى سكوت المصادر عن ذكر بعض أعداد وفود البربر إلى الأندلس، وبرغم ذلك يمكن أن نلاحظ أنّ أعداد البربر الوافدين إلى الأندلس في العصر الموحدي كان أكبر منه في العصر المرابطي، كما أنّنا يمكن أن نجزم أنّ أعداد البربر كانت كبيرة جدّا ويصعب حصرها.

إنّ انتقال هذه الأعداد الهائلة من البربر إلى الأندلس جعلها تشكل شريحة عريضة من المجتمع الأندلسي، وبغض النّظر عن انعزالية هذه الفئة الطارئة على الأندلس، فإنّ تواجدها هناك سيعزز عمليّة التواصل الاجتماعي بين الأندلسين والبربر المغاربة سواء من خلال التعايش، أو الاحتكاك، أو تناقل السلوكات الاجتماعية المختلفة خاصّة أنّ هذه الجالية كانت منتشرة في كثير من الحواضر الأندلسية.

لقد أنزل المرابطون والموحدون قبائلهم التي دخلت الأندلس برسم الجهاد في المدن والثغور[1]، خاصّة الحواضر الرئيسية، حيث شهدت قرطبة استيطانا بربريا كبيرا باعتبارها قاعدة الأندلس وأهمّ مدنها منذ عهد الأمويين، وقد استوطنتها قبائل مصمودة وهوارة وكتامة[2]، كما سكن فرع من كتامة منطقة شقندة[3]، كما استقر البربر في مدن جنوب الأندلس، فاستقر معظم قبائل مصمودة في الجزيرة الخضراء، وبماردة[4]، واستقرت زناتة في شذونة[5]، وباشبيلية أيضا بكورة لبلة في حصن شذفيلة الذي يعد معقلا للبربر[6]، أمّا قبائل نفزة ومكناسة فقد استقرتا في منطقة تمتد مابين قرطبة وبلاد الجلالقة[7]، واستوطنت قبائل هوارة ومديونة منطقة شنتريه[8]، أمّا صنهاجة فكان مستقرها في شاطبة ومرسية، وكانت قبيلة كومية من الوافدين

[1] – حسين مؤنس، فجر الاسلام، ص368.

[2] – ابن عذارى المركشي، المصدر السابق، ج1، ص43، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص239.

[3] – عبدالرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص256.

[4] – العذري، المصدر السابق، ص120، **ليوبولد بالباس**، المدن الاسبانية الاسلامية، تر: دورو دي لابنيا، مراجعة عبد الله بن ابراهيم الغمار، ونادية محمد جمال، ط1، مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 2003م، ص123، ابن حيان، المصدر السابق، ص07، عبد المنعم الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص119، 137، 170.

[5] – ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص113.

[6] – العذري، المصدر السابق، ص106، 176.

[7] – الاصطخري، المصدر السابق، ص 36.

[8] – **فراد محمد أرزقي**، القوى المغربية في الاندلس في الأندلس عهد ملوك الطوائف القرن 05هـ/11م، ديوان المطبوعات الجامعية، 1991، ص128.

على ألمرية وبرشانة[1].

ويلاحظ على تلك القبائل المهاجرة أنّها توافدت على نفس الأماكن التي استقرت بها سابقاتها ممّن تنتمي إليها في أصولها، ممّا يؤكد استمرارية التواصل البربري بالأندلس[2]، وأصبحت في الأندلس توجد أماكن خاصّة بكل قبيلة ، تنسب إليها كجزء سمي باقليم "لماية" التابع لكورة ريّه واقليم مدينة أوربة التابعة إلى دانية وغيرها[3].

غير أنّ اختيار البربر لأماكن سكناهم بالأندلس ارتبط بعناصر كثيرة، منها عامل الصدفة حيث أنّ بعضهم لم تكن لديه أي فكرة عن هذه المناطق[4]، كما أنّ منهم من اختار المناطق الجبلية من الأندلس التي تتشابه مع سكناهم ببلاد المغرب[5]، وقلة منهم من استقر بالمناطق السهليّة[6]، إلاّ أنّ اختيارهم ارتبط بشكل رئيسي بالعامل الطّبيعي حيث مال البربر إلى المناطق الشبيهة بمواطنهم ببلاد المغرب[7]، ولايجب أن نهمل أنّ استقرارهم ارتبط كذلك بتوجيه السلطة العسكرية واحتياجات المعارك لأنّ معظمهم تواجد بالأندلس من أجل الجهاد، وقلة منهم انتقلوا إلى الأندلس بمبادرات فردية.

كان توافد أهل المغرب على الأندلس فرصة لهم للاحتكاك بالحضارة الأندلسية، فقد شاهد هؤلاء المغاربة وكان عددهم بالآلاف ذلك الإزدهار الحضاري الأندلسي بأمّ أعينهم، وأنّ العائدين إلى المغرب مهما كان عددهم لابد أنّهم سوف ينقلون شيئا من ذلك إلى المغرب، كنقلهم لبعض السلوكيات الأندلسية، وبذلك يمكن القول أنّ نقل التأثيرات الأندلسية إلى بلاد المغرب لم يقتصر فقط على هجرة الأندلسيين، بل ارتبط بعودة أهل المغرب من الأندلس.

---

[1] – البيدق، المصدر السابق، ص127 ، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص224.

[2] – **حناش فهيمة**، العلاقات بين المغرب الأوسط والأندلس خلال القرنين 05-06هـ/11-12م-دراسة اجتماعية وثقافية- مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في حضارة المغرب الأوسط في العصر الإسلامي، اشراف: اسماعيل سامعي، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية، قسنطينة، 2011-201م، ص45.

[3] – **بوزياني الدراجي**، القبائل الامازيغية ، أدوارها ومواطنها وأعيانها، ط1، الجزائر، دار الكتاب العربي، 1999، ص76، 77.

[4] – عبد الرحمان الحجي، المرجع السابق، ص137.

[5] – عبد الواحد دنون طه، المرجع السابق، ص76، 77.

[6] – حسين مؤنس، المرجع السابق، ص196.

[7] – حناش فهيمة، المرجع السابق، ص 42.

مجمل القول أنّ عصر المرابطين والموحدين قد أنتج حركية تاريخية فريدة من نوعها، تقوم على هجرة متنوعة، مختلفة ومتعددة، فهناك هجرة لقبائل صحراوية من جنوب المغرب إلى شماله، وهجرة أندلسية نحو شمال المغرب، وتدفق مرابطي نحو الأندلس، ثمّ هجرة عربية هلالية طبعت عصر الموحدين، وبالتالي أصبحنا أمام واقع تاريخي أساسه وجود اتصال حضاري مباشر مابين منطقتين مختلفتين، منطقة حاملة للحضارة وهي الأندلس، ومنطقة باحثة عن الحضارة، وهي بلاد المغرب.

3) تأثر الطبقة الحاكمة بالحضارة الأندلسية

إنّ التعاليم التي بثها عبد الله بن ياسين في صفوف أنصاره المرابطين وسار عليها خلفاؤه من الأمراء خلّفت جيلا حديث العهد بحركة الزهد والتقشف[1]، ملتزما أشد التزام بتعاليم زعيمهم الروحي عبد الله بن ياسن، شغوفا بالجهاد[2]، كما كان هذا الجيل كان حديث العهد بحياة الصّحراء البسيطة الخشنة غير المتكلفة[3]، وغالبيته من الطبقة العسكرية خشنة الطّباع فهم"رجال لا عهد لها بالدعة ولا علم عندهم برخاء العيش، إنّما هم أحدهم فرس يروضه، ويستفرهه، أو سلاح يستجيده أو ضريح يلبي دعوته"[4]، وقد خاض هذا الجيل معارك شرسة بالمغرب والأندلس كانت لاتزال ماثلة في أذهانهم[5]،كما أنّ انغماس الدّولة في معركة الجهاد، وانشغالها بأعمال القيادة والإدارة صرفهم بعض الشيء عن التّجويد والاتقان[6].

إنّ هذا الوصف ينطبق على جميع المرابطين، بما فيهم الطبقة الحاكمة، فيوسف بن تاشفين وهو أمير المسلمين "كان لباسه الصّوف، لم يلبس قط غيره، وأكله الشعير، ولحوم الإبل وألبانها مقتصرا على ذلك، ولم ينتقل عنه مدّة عمره إلى أن توفي"[7]، وكان احتقاره لمظاهر الترف تكسبه محبة شعبه وتقوّي في نفوسهم عواطف التوقير والشرف[8]، واستطاع أمراء المرابطين السّير على هذا النّهج ويقاوموا مؤثرات المال

[1]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص421.
[2]- سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص 85.
[3]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 421.
[4]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 163.
[5]- سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص 85.
[6]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص441.
[7]-ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 136.
[8]- حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص36.

الوفير، والحياة الأندلسية المترفة الراقية، وظلّوا في عهد يوسف بن تاشفين قدوة صالحة للأمراء المتزهدين العزوفين عن متع الحياة، فقد آثر عن الأمير سير بن أبي بكر الزهد والتّقشف وخشية الله[1] وصار في نفس الطّريق أبو عبد الله بن عائشة الذي لم يكن بين قوّاد المرابطين مثله بأسا وجدّا في نصرة الدّين، واستبصار في أداء الطّاعة[2]. فهؤلاء المرابطون أشبه بالمسلمين الأوائل في صدر الاسلام، عاشوا حياة البساطة والزهد والجهاد[3]، وبالتّالي فإنّ هؤلاء الملثمين ظلّوا يحملون معهم عادات الصحراء وتقاليدها الدينية والاجتماعية لفترة طويلة.

وبضم المرابطين الأندلس إلى دولتهم في المغرب، بدأ تطوّر جديد يطرأ على الطبقة الحاكمة، لاسيما بعدما أبهرتهم مظاهر الأبهة في حضارة الأندلس، فأخذوا بها واستغرقوا فيها[4]، وفي اعتقادنا فإنّ بوادر تذوق المرابطين للحضارة الأندلسية ظهرت مبكرا، وفي عصر يوسف بن تاشفين نفسه[5]، وقد يدفعنا هذا إلى البحث في مسألة في غاية الأهمية لها ارتباط وثيق بمسألة تأثر المرابطين بحضارة الأندلس، وهي مسألة امتلاك يوسف بن تاشفين لحس حضاري وذوق فني، وقد يجدر بنا أن نتوقف أوّلا عند علاقة يوسف بطبيعة الأندلس الفاتنة، وهل كان لها وقع عليه. ليس لدينا دليلا يؤكد وجود حالة إعجاب أو انبهار ليوسف بالأندلس !

يذكر لنا المراكشي أنّ يوسف بن تاشفين قد تجوّل في الأندلس عقب معركة الزلاقة، وقد أمعن في التّجول في كورة اشبيلية وراقه غناها وجذبته خصوبة أرضها، ففيها الرساتيق على مسيرة عشرين فرسخا عامرة بالضياع كلّها تين وعنب وزيتون، وكان يوسف قضى مرحلة طويلة من حياته في صحراء قاحلة، ثمّ أتته الفرصة لضم تلك البلاد إلى مملكته فأخذ يخطط لذلك، وبلاشك أنّ غناها لفت انتباه المرابطين فهم بدو صحراويون قضوا حياتهم في شظف العيش[6]، وبرغم أنّ قرار المرابطين بضم الأندلس ارتبط أساسا بأسباب استراتيجية ودينية، وبغض النّظر عمّا أورده المراكشي من أنّ يوسف بن تاشفين كان يصغر من قدر الجزيرة[7]، لكننّا لايمكن أن نغفل عن وجود حالة إعجاب دفعت يوسف إلى قراره هذا،

[1]- الونشريسي، المصدر السابق، ج 9، ص 703.
[2]- ابن الأبار، التكملة لكتابي الصلة،ج1، ص55.
[3]-عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 171.
[4]- حمدي عبد المنعم ، المرجع السابق، ص 346.
[5]- حمدي عبد المنعم ، المرجع السابق، ص 340، حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص422
[6]- سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص 113، 114.
[7]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص133-135.

خاصّة أنّ يوسف أسرّ لبعض ثقاته يسأله عن الحيلة في تحصيلها[1].

صحيح أنّ يوسف بن تاشفين رجل صحراوي يتصف بعادات الصحراء وتقاليدها[2]،لكنّ قساوة الصحراء وخشونتها لم تؤثر على احساس يوسف فقد كان يتعشق الجمال أينما وجد ويختار نساءه من الجميلات[3]، فكان من بين زوجاته زوجة أندلسية تدعى قمر[4]، ولا نستبعد أن يكون هناك سعي من يوسف على أن ينشأ ابنه علي تنشأة رجل دولة، حيث سيكون لزوجته الأندلسية هاته دور كبير في تربية وليّ العهد علي، وليس غريبا بأن ينشأ بعد ذلك تنشئة أندلسية، كما أنّ يوسف كان يسمع الغناء ويطرب له رغم ما تردد عند بعض المؤرخين من جهله بلسان العرب، إذ أهدى يوسف المعتمد بن عباد جارية حسنة الصوت جيّدة الغناء سمع منها وطرب لغنائها[5].

لانريد بهذا الحديث أن ننكر أنّ يوسف كان متورعا متقشفا، لكننّا حاولنا أن نستنطق المستويات الحضارية التي احتك بها يوسف بن تاشفين، والتي تراوحت بين أهل الصّحراء وأهل الأندلس، ولذلك يمكن أن نقول أنّ عصره هو بداية تذوق المرابطين للحضارة الأندلسية خاصّة على مستوى الطبقة الحاكمة.

لقد اختلط المرابطون بعد توسعهم بشعوب أخرى ذات الحضارات المتقدمة في الأمصار المفتوحة وبخاصّة المجتمع الأندلسي[6]، فعندما تمكن المرابطون من توحيد العدوتين الأندلسة والمغربية، كان ذلك يعني تلاقي حضارة أندلسية راقية بحضارة ناشئة أقل رقيا وازدهارا[7]، وبالنظر إلى المعطيات المستجدة في علاقة العدوتين كان من الطّبيعي أن يكون للمؤثرات الأندلسية صدى أكبر من ذي قبل في عهد سيادة الأمويين على الأندلس مثلا، فماذا لو توقف المرابطون بزحفهم عند شمال المغرب الأقصى وبقيت الأندلس على حالها من الفوضى وعدم الاستقرار، هل كانت سيحدث تبدل أوضاع المرابطين، لابدّ أنّ التدفقات الحضارية الأندلسية ستستمر على وثيرة بطيئة،كما كان حالها بالمغرب من قبل، لأنّ تدفق المؤثرات الحضارية سيكون بسيطا، ولكن بما أنّ المرابطين كانت لديهم اليد الطولى في الأندلس، وأصبحوا المتصرفين

[1]- عبد الواحد المراكشي، المصدر نفسه، ص 138.

[2]- سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص 36.

[3]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، 85، الناصري السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص103.

[4]- سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص 38.

[5]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 442 ، حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 340.

[6]- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 268.

[7]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 427.

في شؤونها فإنّ المؤثرات الحضارية كانت كبيرة خاصّة على الطبقة الحاكمة، ولذلك كانت هي الأكثر تأثرا من غيرها، فحالة المشاهدة كانت كبيرة وحالة الاحتكاك أكبر وأوسع.

لقد شاهد أهل المغرب كيف كان يعيش أهل الأندلس، فتغيّر حالهم بعد هذا الإحتكاك[1]، فتلك الحياة البسيطة لم تستمر طويلا بعد وفاة يوسف بن تاشفين، فلم يستطع المرابطون وعلى الرغم من نشأتهم في الصحراء وتأثرهم بتعاليم الفقيه عبد الله بن ياسين، مقاومة مباهج الحضارة الأندلسية بكلّ مظاهرها ومفاتنها، إذ تغلبت الحياة الأندلسية بمتعها وبهجتها ومسّراتها وانغمس المرابطون في لجتها، واضطروا أن يعيشوا كما كان النّاس يعيشون في الأندلس[2]، ومال المرابطون بألوان الترف بعد احتكاكهم بالأندلسيين، واطلاعهم على أساليب الحياة في المدن الأندلسية ممّا جعلهم يتأثرون بحياة الرفاهية والمتعة، التي كان يحياها أبناء الأندلس[3]، وهذا أمر طبيعي فلابدّ أن تطغى الحضارة الأندلسية المتقدمة على المرابطين ذوي الحضارة البسيطة الساذجة، وليس من المعقول أن تظل أجيال المرابطين في حالة التقشف والزهد والاستنفار للحرب، تلك الحياة التي مارسها الجيل الأوّل من المرابطين[4].

ظهرت البوادر الأولى في عهد علي بن يوسف فلم يكن هذا الأمير الذي ولد في بحبوحة العز والترف متقشفا كأبيه، ولم يكن من الممكن أن يكون كذلك، وهو الذي ولد في حجر العز والسلطان[5]، فرغم ماعرف عنه من تفقه، إذ كان أقرب إلى الزهاد منه إلى الملوك[6]، إلاّ أنّه كان يعيش في قصور فخمة، فأمير المسلمين كان يحرص إذا مارحل إلى الأندلس أن ينزل في مدينة اشبيلية في معرش غاية في الحسن والجمال، قد وصفه صاحب القلائد[7]. وهكذا عاش علي بن يوسف ابن تاشفين عيشة أقرب ما تكون إلى ماكان يحياه ملوك الطوائف[8]، وقد أبدع الأديب الأندلسي الكبير الفتح بن خاقان في وصف هذا القصر الرائع الجمال[9]، كما أقام أمير المسلمين قصرا أخرا في مرسية، وهو قصر منتقوط[10]، فعلي بن يوسف كان

---

[1]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 171.

[2]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 422.

[3] - حسن أحمد محمود، المرجع نفسه، ص422 ، 423.

[4]-عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 171.

[5]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 443.

[6]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 171.

[7]- للتّفصيل ينظر: **ابن خاقان**، حسن أحمد محمود، المرجع السابق، 422، حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 326.

[8]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، 423، حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص347.

[9]- ابن خاقان، قلائد العقبان، ص 111.

[10]- حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 344.

شغوفا بمجالس الطرب والموسيقى، ففي مجلس طرب حضره ، قال للوزير أومحمد بن مالك المعافري في هذا المجلس :

لاتلمني إذا طربت لشجو ببعض الأنس فالكريك طروب

ليس كشق الجيوب علينا انّما الحق أن تشق القلوب[1].

وقد كان ذلك أمرا طبيعيا فعليّ أندلسي النّشأة، وقد بلغ شغفه بالأندلس وحضارتها أنّ بلاطه المغربي كان يضم نخبة ممتازة من أئمة الفقهاء، وكبار الشعراء والأدباء والعلماء الأندلسيين حتّى قال عنه صاحب المعجب أنّ بلاطه أصبح أشبه ببلاط الخلفاء العباسيين في بغداد[2]، ونفس الشّيء يقال عن ابنه الأمير تاشفين الذي لم يشرب قط مسكر، ولا استمع إلى قينة، ولا اشتغل بلذة ممّا يلهو به الملوك[3]، لكنّه فتن بماهج الحضارة الأندلسية.

وقد حذا الأمراء حذو أمير المسلمين علي بن تاشفين فعاشوا في ولايتهم عيشة مترفة[4]، واتخذوا القصور الحسان، التي تفنن فنانوا الأندلس في بنائها وزخرفتها، وتأنقوا في المأكل والمشرب، واتخذوا مجالس من الشعراء والمغنيين والندماء، ومنحوهم العطايا الكبيرة[5]، وقد كانت مجالس الطرب والأنس والموسيقى من الأمور المألوفة في حياة أمراء الأندلس فقد كان هؤلاء الأمراء يعقدون مجالس الطرب في قصورهم ومنياتهم[6]، وسار أمراء المرابطين على درب أمراء الأندلس في شغفهم بمجالس الطرب والموسيقى، التي وصف ابن خفاجة البلنسي مجلسا من تلك المجالس في بلنسية أحسن وصف فقال :

فكم يوم قد أردنا بأفقه نجوم كؤس بين أقمار ندمان

والقشيب و الأطيار ملهى بجزعه فما شئت من رقص على رجح ألحان[7] .

كما نجد صاحب سرقسطة الأمير في عصر علي بن يوسف والمعروف "بابن تيفوليت" اعتاد

---

[1]- أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج4، ص 216 ، 217. السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج2، ص 111، حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص340.

[2]- حمدي عبد المنعم، المرجع نفسه، ص 346.

[3]- لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص448.

[4]- حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 342.

[5]- أحمد بن محمد المقري، أزهار الرياض في أخبار عيّاض، ج2، ص209.

[6]- حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص340 ، 341.

[7]- حمدي عبد المنعم، الرجع نفسه، ص340 ، 341.

على منادمة" أبي بكر بن باجة" وكانت تطربهما قنية من القنيات المجيدات في الشعر والغناء[1]، فيروي أنّ ابن باجة حضر مجلسا من مجالس الطرب لمخدومه، وألقى موشحه التي أوّلها :

جرر الذيل أيّما جر وصل الشكر منك بالشكر

فطرب ابن تيفلويت لذلك[2]، كما أن الشاعر "أبو بكر محمد بن الروح الشلبي " كان ينادم الأمير "إبراهيم بن يوسف تاشفين[3].

وليس مستبعدا أن يكون أمراء المغرب قد عاشوا مثل هذه الحياة المترفة، وخصوصا أنّ الدّولة كانت تنقل أمراء الأندلس إلى المغرب، وأمراء المغرب إلى الأندلس، وكان الأمير المنقول إلى المغرب يصحب بطانته ووزارءه وكتابه، فقد بدت مراكش في أواخر العهد المرابطي زاخرة بهذه الحياة المترفة الرفيعة، وانتشرت بها قصور الأمراء والقواد وخدّام الدّولة[4]، حيث يشير الإدرسي في هذا الصدد إلى كثرة قصور الأمراء و القوّاد في مراكش حاضرة الدّولة بقوله" وكان بها –أي مراكش – أعداد قصور الكثير من الأمراء و القوّاد وخدم الدولة"[5]، ومنهم الأمير المرابطي الزبير بن عمر الملّثم، والذي كان يعرف بمنية الزبير قصرا، وغرس في بستانه أشجارا من اللّوز، وبذلك أصبح أمراء الدّولة يعيشون في ولاياتهم عيشة مترفة، فتأنقوا في الملبس والمأكل، واتخذوا مجالس من الشعراء والمغنيين والنّساء، وبدأوا يحيون حياة لا تكاد تختلف عن الحياة التي يحياها أهل الأندلس[6]. وكلّما أمعنت الدّولة في ترفها كلّما تناست رسالتها، وأطرحت المثل التي وضعها عبد الله بن ياسين، فذكر البيدق"أنّ الحوانيت كانت مملوءة دفوفا وقراقر ومزامير وعيدانا وأربية وكيتارات وجميع اللّهو"[7].

وبذلك يمكن القول أنّ أمراء الجيل الثاني لم يصمدوا طويلا ، إذ تغلبت الحياة الأندلسية بمتعتها وبهجتها ومسراتها ، فعاشوا حياة لاتختلف عن الحياة التي كان ملوك الطوائف يحيونها[8]، ولم يستطع

---

[1]– عيسى بن الذيب، المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصاية 48هـ-54هـ/1056م-1145م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، كليّة العلوم الإنسانية الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008-2009م، ص 102.

[2]– لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ج1، ص 47 ، عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص437، أحمد بن محمد المقري، أزهار الرياض في أخبار عيّاض، ف2 ، ص 209 .

[3]– أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج4، ص72.

[4]– حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص423.

[5]– الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص 68.

[6]– حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص423، حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 347.

[7]– البيدق، المصدر السابق، ص 65.

[8]– أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج4، ص72.

المرابطون وعلى الرغم من نشأتهم في الصّحراء، وتأثرهم بتعاليم الفقيه عبد الله بن ياسين ،مقاومة مباهج الحضارة الاندلسية بكل مظاهرها ومفاتنها ولاسيما فن الغناء و الموسيقى والطرب[1]، حيث اتخذوا مجالس من الشعراء و المغنيين والندماء، ومنحوهم العطايا الكبيرة،كما تأنق المرابطون في المأكل و المشرب [2].

وقام المجتمع الموحدي عل الطبقية من بدايته، فكانت القبائل الموحدية السلطة والسلطان وغير الموحدين رعية لها، فيقول ابن القطان[3] "أنّ بن تومرت اختص هذه القبائل بكثير من الاختصاص، وعقد لهم من البر و التكرمة ما أنهضهم" وأكد عبد المؤمن هذا النّظام عندما اختص أبناءه " السيادة " وأبناء هذه القبائل بالوظائف الكبرى، وقصر التعليم على النابهين من أولادهم، وصارت هذه الطبقة تشمل بني عبد المؤمن، وأشياخ الموحدين وملكت الأموال الجمة و الضياع الشاسعة التي تقدر بعشرات الألاف، واستثمروا الأموال في التّجارة والصناعة فعظمت ثرواتهم[4].

وقد نالت بعض قبائل المصامدة مكانة متميّزة نتيجة انضمامها لدعوة ابن تومرت، وصار أبناؤها يكونون طبقة ممتازة في الإدارة ووظائف الدولة، يقول ابن خلدون:"وخصّ بالمزية من دخل فيدعوته قبل تمكنها فتح مراكش فكان إنّما اختص بهذا القب أهل السابقة قبل ذلك الفتح...فاختص..هؤلاء القبائل بمزية هذه السابقة واسمها وأقاموا الامير وحملوا سريره"ويبين ابن خلدون من خلال هذا النص أنّ سبع قبائل احتلت مكان الصدارة نتيجة انضمامها للدعوة الموحدية يضاف إليها قبيلة كومية والتي ينتسب إليها عبد المؤمن بن علي[5].

وبالرغم من أنّ الموحدين في أوّل عهدهم تصدّوا بشدة لكل وسائل اللّهو إلاّ أنّ ذلك لم يجد استجابة كاملة من السكان، وسرعان مالقي الفنانون على يد الموحدين تشجيعا كبيرا، فنجد الوزير أبو بكر بن زهر منقطعا إلى الخليفة أبو يعقوب المنصور ، وشاعت في أواسط الناس موشحات القاضي أبي حفص بن عمر بفضل ألحانها، ودخل سلا أبو الحسين بن الحمارة الغرناطي تلميذ بن باجة في القريض والموسيقى، بل أنّ أحد أمراء هذه الدولة المتأخرين وهو أبو الحسن علي بن عمر بن عبد المؤمن ، يصبح من أهل الولع بالموسيقى فيفتح لروادها بيته[6]، وقد انتقل هذا الولع إلى المغرب، فالشقندي وهو يتحدث

[1]- حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 340.

[2]- أحمد بن محمد المقري، أزهار الرياض، ج2، ص 209.

[3]- ابن القطان، المصدر سابق، ص 80.

[4]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 225، 226.

[5]- حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ص301 ، 302.

[6] - أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج2، ص 102 .

عن آلات الطرب الأندلسية في رسالته التفاخرية يتعرض للمغرب بقوة ،"وليس في برّ العدوة من هذا شيء إلاّ ما جلب إليه من الأندلس، وحسبهم الدف وأقوال واليرا وأبو قرون ودبدبة السودان وحماقى البربر"[1].

وعلى غرار المرابطين كان للموحدين كثير من القصور وصفها ابن سعيد[2] حيث ذكر بأنّ كل قصر يستقل بالدّيار والبساتين والحمامات والاصطبلات، حتى أنّ صاحب القصر ليغلق بابه على جميع من خوله وأقاربه ولا يحتاج إلى شيء أخر من خارج داره، ولا يشتري شيئا من السوق لمأكله، ولا يقرئ أولاده في مكتب خارج بيته ولا يخرج من بابه إلاّ راكبا"[3]، وهذا يعني أنّ خلفاء الموحدين كانوا على استعداد لاحتضان حضارة الأندلس .

وبرغم احتكاك المرابطين والموحدين بحضارة الأندلس فإنّ البنية القبلية بقيت أساس التّنظيم الاجتماعي لمعظم هذه العناصر، وفي المغرب الأقصى على الخصوص لغلبة البنية البدوية[4]، باستثناء بعض الحواضر التي تتوسطه كما لاحظ ذلك ابن خلدون[5]، فالبرغم من قيام حكم مركزي قويّ ظلّت التنظيمات القبلية تتحكم في شرايين الحياة الاجتماعية، بينما كانت الأندلس قد تجاوزت البنية القبلية منذ عهد المنصور ابن أبي عامر[6]، وهذا يعني أنّ تأثير الحضارة الأندلسية لم يمس كل فئات المجتمع بقدر ما مسّ الطبقة الحاكمة.

المبحث الثالث: مظاهر الحضور الإجتماعي لأهل بلاد المغرب بالأندلس

إنّ الواقع السياسي الذي أصبحت تحياه الأندلس في ظلّ حكم المرابطين والموحدين كان له على أرض الواقع انعكاسات اجتماعية، كما سبق وأن تناولناه سابقا، وإذا كنّا قد حدّدنا أوجه التأثير الاجتماعي الأندلس على بلاد المغرب فيما سبق، فإنّ الأندلس تحت السلطة السياسية لبلاد المغرب،

[1] – أحمد بن محمد المقري، المصدر نفسه، ج3، ص 213.

[2] – القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص 161.

[3] – عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 272.

[4] – القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص9.

[5] – القادري بوتشيش، المرجع نفسه، ص 9.

[6] – في هذه الفترة نجد العصبية القديمة التي ملأت قسما كبيرا من الحياة السياسية في الأندلس خلال فترة الولاة، وفترة الإمارة قد انقرضت بفضل صرامة الخليفة عبد الرحمان الثالث، وهذا التّحول العميق في تنظيم الأسرة العربية تعمق في عهد الحاجب المنصور ابن أبي عامر لاحساسه بالخطر الدائم الذي سيلحق نظام الحكم بسبب ذلك الاحترام للعلاقات القبلية والشرف الدموي، فقر وضع حد لهذا كله بجعل العرب وتابعيهم في نفس المستوى مع الأندلسيين الأخرين فيما يخص وظائف الدولة، وذلك بإلغاء الطريقة القديمة في الأندلس، وهي التي تهم الجند العرب والأعطيات التي تخصهم، القادري بوتشيش، المرجع نفسه، ص9.

والهجرات المعاكسة التي كانت باتجاه الأندلس قد أنتجت بلا شك نوعا من الحضور الاجتماعي المغربي ببلاد الأندلس

1- أثر لباس بلاد المغرب على الأندلسيين

1.1) وصف عام لألبسة أهل المغرب

ممّا لاشك فيه أنّ بلاد المغرب كانت تعرف عادات وتقاليد اجتماعية مختلفة، ومنها الأزياء، وبالتّالي كانت هناك ألبسة تميّز بها سكان بلاد المغرب دون غيرهم من الشعوب الإسلامية الأخرى، غير أنّ هذه الأزياء اختلفت في هذه البلاد الواسعة من منطقة إلى أخرى، وبحسب المدن والأرياف، كما ارتبط لباس أهل بلاد المغرب بالخصائص الطّبيعة وتغيرات المناخ، وكان الاختلاف في الملبس يظهر حسب طبقات المجتمع المختلفة، وبحسب توجه السلطة الحاكمة، وباعتبار أنّ بلاد المغرب والأندلس أصبحت رقعة جغرافية واحدة تحت سلطتي المرابطين ثمّ الموحدين فإنّ لباس أهل المغرب لابدّ أن يكون له صدى في أرض الأندلس.

كان لباس سكان الصحراء من بلاد المغرب يتركب من عباءة ضيقة من الصوف الخشن، ويضع كل واحد منهم على رأسه أو يلف حول وجهه قطعة من النسيج الأسود على شكل عمامة، كما أنّهم كانوا يتلثمون فيحجبون وجوههم التي لا ترى منها غير العينين، "وهم يلتزمون النقاب فإذا حصر أحدهم على وجهه لم يميزه أحد عن أهله"[1]، أمّا لباس سكان الجبال فهو يختلف عن لباس أهل الصحراء، فكانت ثيابهم الصوفية بسيطة جدّا لدرجة أنّ بعضهم كان شبه عار، كما أنّ منهم من اكتفى بقطعة من قماش يلتفون بها، واقتصر بعضهم على ارتداء قمصان قصيرة[2].

واختلفت أزياء أهل البادية عن ملابس سكان الحواضر[3]، ففي منطقة الريف لبس السكان أثواب

---

[1]- **الحبيب الجنحاني**، المغرب الإسلامي الحياة الاجتماعية والاقتصادية"3- 4هـ"،" 9- 10م"، الدار التونسية للنشر 1978، ص 184.

[2]- يشير ليون الافريقي إلى بعض من أزياء سكان جبال المغرب الأقصى، منها سكان جبل أداوعاقل أوّل قسم من الأطلس الذين لا يلبسون قمصانا ولا ثوب محيط بالإبرة، أمّا سكان جبل جزول بإقليم السوس كانوا يلبسون قمصانا قصيرة من الصوف دون أكمام، وهي ضيقة ملتصقة بأجسامهم ، وكان لباس سكان جبل دادس رديء لدرجة أن معظمهم عار، مارمول كاربخال، المصدر السابق، ص25- 70- 116- 123.

[3]- القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص86.

الصوف، وعمامات بيضاء[1]، أمّا في مراكش عاصمة المرابطين والموحدين فاعتاد النّاس على لباس البرانس والعمامات والسراويل، وجبّات من جوخ ملوّنة تصل إلى الأرجل، وقطعا صغيرة مفصلة على شكل القرن كانصاف سترات من فوق شملة رقيقة أومن خيوط الحرير والصوف، وقمصان وقلنسوات قرمزية[2].

ونجد أن اللّباس في بلاد المغرب تمايز بتمايز النّاس وطبقات المجتمع، فلبس الزهاد الألبسة الصوفية، أمّا الأعيان فكانوا يرتدون ملابس من قماش الصوف المستورد وفوقها عباءة وبرنس، وفوق رؤوسهم قلنسوة، ويلفون حولها عمامة من كتان، كما أنهم لا يلبسون الجوارب، ولا يغطون سيقانهم بشيء فوق الحذاء[3]، ويذكر صاحب الحلل الموشية أنّ أمير المؤمنين يوسف ابن تاشفين أهدى عمّه أبا بكر في جملة ماهداه به مائة عمامة ومائة غفارة[4].وكان من عادة الفقهاء والعلماء ارتداء البرانس الصفراء والبيضاء، والعمائم[5] والغفائر[6]، أيّام الجمع والأعياد، أمّا باقي الأيّام فيلبسون ما تيّسر من اللّباس[7]، ويجعلون على رؤوسهم أحيانا قلنسوة، وبها تزيّا ابن تومرت عندما رحل إلى المشرق[8]، أمّا بالنسبة للعامّة من النّاس فكان لباسهم يختلف حيث كانوا يلبسون البرنس[9]، والشاشية[10]، والسلهامة[11]، والجبّة[1]. بينما كان الجند يرتدون

---

[1]- أورد **عبد الحق بن ابراهيم الباديسي**، في ترجمته محمد بن دوناس مايشير إلى وجود لباس خاص بأهل البادية، وهذا يعني أنّهم كانوا يختلفون في ملبسهم عن أهل الحواضر، المقصد الشريف والمنزع اللّطيف في التعريف بصلحاء الريف، تح: سعيد إعراب، ط2، المكتبة الملكية، الرباط، 1414هـ-1993م، ص 59.

[2]- مارمول كاربخال، المصدر السابق، ص 57.

[3]- **دلال لواتي**، عامّة القيروان في العصر الأغلبي"184-296هـ/800-908م، رسالة ماجستير منشورة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2001، ص247.

[4]- **سحر عبد العزيز سالم**، "ملابس الرجال في الأندلس في العصر الإسلامي"، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1995م، ص 10.

[5]- القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 83.

[6]- القادري بوتشيش، المرجع نفسه، ص 83.

[7]- **ابن الحاج الفاسي**، المدخل، م1، مكتبة دار التراث، القاهرة، دت، ص151، 152.

[8]- القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص83.

[9]- وهو ثوب خارجي استعمله أهل المغرب في العصرين القديم والاسلامي، وهو "كل ثوب رأسه منه متصل به سواءا أكان دراعة أم ممطرا أو جبّة"، والبرانس لباس صوفي كان يستعمل في فصل الشتاء للوقاية من البرد والمطر، كما استعمل في بعض المناطق في كل فصول أو على مدار السنة، وحسب المقدسي فإنّ سكان بلاد المغرب من البربر كانوا جميعا يرتدون البرانس البيضاء والسوداء على حد سواء صالح يوسف بن قربة، المرجع السابق، ص51، القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 84.

[10]- القادري بوتشيش، المرجع نفسه، ص83.

[11]- هي شبيهة بالبرنس، جاء في احدى الروايات انّ الشاعر أبا بكر البكي الذي عاش في الفترة موضوع الدراسة سافر من فاس إلى تلمسان، وتوقف بإحدى الحانات، فدخل عليه رجل"وعلى وجهه سلهامة قد سترته"ممّا يدّل على أنّها كانت تغطي حتّى الرأس خاصّة في الأيام المطيرة حسبما ورد في الرواية المذكورة، القادري بوتشيش، المرجع نفسه، ص 83.

الغفائر القرمزية، والعمائم ذات الذؤابات[2]، وحسبنا أنّهم شوهدوا بعمائمهم في معركة الزلاقة[3].

أمّا بالنسبة لملابس المرأة فالأمر شائك أكثر لأنّه اختلف أشد الاختلاف في بلاد المغرب، فنساء الصّحراء يرتدين لباسا حسنا حسب عادة البلاد، وهو قميص أسود واسع الأكمام ويجعلن فوقه خمارا أسود، أو أزرق، يلتحفن به، ويجعلن هدبه على أكتافهن من أمام ومن خلف حيث يمسك بمشبك[5]، أمّا المرأة – في الريف – فلباسها كسوة وسراويلات وتضع على رأسها مايسمّى بالكنبوش أو القب، وتلبس الجوارب والأخفاف في قدميها[4].

وقد أشارت كتب النوازل إلى ثياب الحرير والكتان والقطيفة واللّحفة القطنية التي تلبسهن النساء في الشتاء للوقاية من البرد[5]، كذلك لبست نساء مراكش ثيابا من الحرير والقماش[6]، ولباس المرأة يشبه لباس الرجل الغلائل والأقمصة وكانت تلبس كذلك الملحفة وهي كساء لسائر الجسم والمقنعة وهي ثوب واسع يشبه الملحفة، ولبست الجلباب والإزار الذي يغطى النصف الأسفل من البدن وكذلك المناديل كالمهلبي ولبست المرأة كذلك الخمار لتغطي به رأسها , وكان النساء يكثرن من لباس الثياب المعصفرة[7].

أمّا المرأة المرابطية والتي احتلت مكانة متميّزة في مجتمعها فلم تتخذ القناع[8]، وكانت تلبس لباسا يشف عن جسمها، وتجعل شعرها في غطاء على رأسها يشبه "سنم الجمل"، وهذا الغطاء عبارة عن قطعة من النّسيج الرقيق يبلغ طوله نحو ذراع تعصب به المرأة رأسها، ويرتفع ويلتف على شكل سنم الجمل بنحو ربع ذراع[9].

ومن المهم ونحن بصدد الحديث عن الأزياء في عصر المرابطين والموحدين التّوقف عند لباس الطّبقة الحاكمة ذلك أنّ اهتمام هذه الطبقة باللّباس كان كبيرا وواضحا، فالمرابطون والموحدون ينحدرون من بيئتين مختلفتين، فبيئة المرابطين صحراوية بدوية، وبيئة الموحدين جبليّة ريفيّة، لكنّها أقرب إلى سكان الحضر،

---

[1]– القادري بوتشيش، المرجع نفسه، ص 83.

[2]– **ابن غازي** المكناسي، الروض الهاتون في أخبار مكناسة الزيتون، تح: عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1408هـ-1988م، ص 6.

[3]– لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام، ص.244

[5] – ليون الإفريقي، المصدر السابق، ص64 .

[4] – الونشريسي، المصدر السابق، ج3، ص350.

[5] – كمال أبو مصطفى، المرجع السابق، ص48.

[6]– مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص 57.

[7]– دلال لواتي، المرجع السابق، ص246.

[8]– عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 303.

[9]– عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 320.

والأكيد أنّ تأثير البيئة على اللّباس كان واضحا، ومن الطّبيعي أن يكون هناك اختلاف بين المرابطين والموحدين في مجال الأزياء.

كان أكثر لباس المرابطين الملابس الصّوفية التي استخدموها بألوان عدّة، وإن كان اللّون الأكثر استخداما هو اللّون الأسود[1]، الذي يعبر عن تعلقهم بالعباسيين[2]، واشتهرت لمتونة منهم في الصحراء بأثواب الصوف والعمائم المعروفة بالكرازي[3]، وشاعت بمدينة نول لمطة ألبسة تسمّى السفسارية، فضلا عن البرانس[4]، ولبس سكان جزولة معاطف صغيرة أو قمصان من صوف ضيقة جدا، قصيرة لا تصل إلى الركبتين، ليس لها أكمام و لاأطواق، يضعون فوقها سترة من القماش الخشن[5].

ويؤثر عن زعيم الموحدين الروحي المهدي ابن تومرت أنّه كان يظهر التقشف والبساطة في لباسه، حيث اقتصر على لبس"ثياب الصوف من قميص ومن سراويل ومن ناجبة تواضعا"[6]، وفي هذا الصدّد يذكر ابن صاحب الصلاة عن عبد المؤمن بن علي أنّه "مالبس قط إلاّ ثياب الصوف عن قميص وعن سراويل وعن جبّة تواضعا لله تعالى وزهدا"[7]، كما أنّ الخليفة أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن أنعم في سنة 560هـ/1164م على الموحدين وصلّوا صحبة أخيه السّيد أبي حفص إلى مراكش وأجناد العرب والغازين بالكسوة التّامة من العمائم والغفائر والبرانس والأكسية[8].وإن كان الأمراء المرابطون والموحدون قد لبسوا الصوف فإنّ ذلك لايرتبط في اعتقادنا بمسألة التقشف فقط، إنّما بالطابع العام للمجتمع المغربي الذي لم يكن متأنقا في مسألة اللباس، بل كانت ميزته الأساسية التواضع، فأكثر النّاس كانوا يلبسون الأكسية الصوفية، التي كانت تعد لباسا عامّا شاع استعماله في بلاد المغرب حيث ارتداه الزعماء والقادة والأمراء، وعامّة النّاس.

2.1) تقليد الأندلسيين لألبسة أهل المغرب

اختلفت أزياء بلاد المغرب نسبيا عن لباس الأندلسيين[9]، حيث يظهر أنّ أثر البيئة كان له مفعوله

[1]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص147.
[2]- عبد الرحمن بن خلدون، ج6، ص 89.
[3]- الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص 58.
[4]- الشريف الإدريسي، المصدر نفسه، ص 75.
[5]- مارمول كربخال، المصدر السابق، ص 70.
[6]- صالح يوسف بن قربة، المصدر السابق، ص53.
[7]- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 132.
[8]- ابن صاحب الصلاة، المصدر نفسه، ص 291.
[9]- القادري بوتشيش ، المرجع السابق، ص 82.

في هذا الاختلاف، فإذا قارنا لباس أهل الأندلس مع لباس أهل المغرب بلاد المغرب لوجدنا أنّ التأثير الإفرنجي في الزي الأندلسي يظهر واضحا، وعلى الخصوص في الملابس الحريرية المطرزة والقلانس، بينما كان أهل المغرب أقل اعتناءا بمظهرهم وهذا ما انعكس على أزيائهم[1]، وفي الواقع وجد أهل المغرب تحت حكم المرابطين والموحدين الكثير من حضارة الأندلس كي يقلدوها، ومنها الملابس والأزياء[2]، فهل وجد الأندلسيين من ملابس بلاد المغرب ماهو جدير بالتّقليد ؟

اتخذ المرابطون اللّثام يضعونه على وجوههم حتى صار علامة مميّزة لهم وعن غيرهم من قبائل المغرب، وعن عامّة النّاس[3]، ذلك أنّهم يتلثمون وهم أطفال وينشئون على ذلك[4]، واستمر المرابطون في التزيي باللثام حتّى بعد بسط نفوذهم على المغرب والأندلس، وبذلك أصبح زيّا خاصّا بالمرابطين، يتميّزون به عن غيرهم من الطبقات الاجتماعية الأخرى[5]، بما فيها الأندلسيين، وفي هذا الصدد يقول ابن عبدون "يجب أن لا يلثم إلاّ صنهاجي أو لمتوني أو لمطي..."[6]، ممّا يؤكد أنّ اللّباس يحمل رسالة سياسية، واجتماعية ذات دلالات رمزية، القصد منها التميّز والحفاظ على وحدة الجماعة التي تنتمي لنفس القبيلة[7]، وعند المرابطين أصبح اللّثام دالا على الفئة الحاكمة[8]، ومعبّرا عن الجاه والنّفوذ، ويدّل ذلك عدم السماح لغير المرابطين باستعماله[9]، "...فإنّ الحشم والعبيد من لا يجب أن يلثمون على الناس ويهيبونهم"[10]، كما حذّر الأمير علي بن يوسف في رسالة بعثها إلى حامية بلنسية هؤلاء من مغبة الاستمرار في استغلال اللّثام رمز المرابطين في اتيان أبواب الفجور[11]، وكدليل على أنّ اللّثام أصبح يعبر عن وضع اجتماعي متميّز، أنّ أبا اسحاق بن يحي المسوفي، حينما سئل أحد مشايخ الصوفية وسأله عن كيفية الالتحاق بأهل الزهد

---

[1]- القادري بوتشيش، المرجع نفسه، ص83.

[2]- طراز الملابس في عهد دولة المرابطين في المغرب العربي، www.almasalik.com

[3]- ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة، ص218، ابن تومرت، المصدر السابق، ص263.

[4]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص99 .

[5]- القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 75.

[6]- حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 325.

[7]- **بومدين بوزيد**، اللّباس الدّيني الرمزية المعرفية والاجتماعية، الدّوحة ملتقى الابداع العربي، العدد 66، أفريل 2013م، www.aldohamagazine.com/article.aspx ?n

[8]- القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 79.

[9]- القادري بوتشيش، المرجع نفسه، ص 79.

[10]- حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 325.

[11]- **حسين مؤنس**، نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين: 520/1126إلى 1145، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، م1، عدد3، مدريد، 1955، ص118.

والموريدين أمره الشيخ بإزالة اللّثام عن وجهه كدليل على التواضع[1]، ويستدل على قيمته كذلك من خلال كثرة الأمداح التي قيلت للاشادة بالمرابطين[2].

وبرغم سعي المرابطين الحثيث على منع انتحال الناس للّثام، فإنّ اللّثام بشكله وتفصيلاته، وقيمته الحربية والدينية، وانتشار الجاليات الملّثمة في المدن والقرى الأندلسية بعد أن تزايدت أعدادهم، جعله رمزا بالغ الأهميّة في التمييز والتأثير على الاتباع، وجعل ارتداء اللّثام ظاهرة لافتة للمجتمع الأندلسي، بل أنّنا نستطيع الجزم أنّ هناك محاولات جرت لتقليد الملثمين في عاداتهم وزيّهم، فثمة ظاهرة لاحظها ابن باجة وتتعلق ببعض الناس الذين كانوا يلبسون الملابس الأنيقة فوق الملابس الخشنة اخفاءا لوضعهم الاجتماعي الحقيقي ومحاولة التقرب من الأعيان[3]، وهذا القول يؤكد سعي بعض العناصر الى التشبه بالمرابطين، فالذين كانوا يتشبهون بالملّثمين إنّما كانت لديهم رغبة في تحسين وضعيتهم الاجتماعية، وفرض وزنها داخل المجتمع[4]، وكان هناك من الأندلسيين من استخدموا هذه الملابس من باب استرضاء الحكام الجدد، ولو أدّى ذلك الى سخرية الناس منهم[5]، وأنّ التشبه بلباس المربطين لم يكن يرتكبه الخدم، والحشم فقط، بل استغله بعض الأندلسيين، فتنكروا في زيهم وتلثموا، وارتكبوا ضروبا من الفساد، متخفين في اللّثام، وهذا مايظهر في زجل لابن قزمان[6]، الذي يحكى أنّه لبس العمامة وتلثم ليخفي شخصيّته ليقابل إحدى النّساء، بل وصل الحال ببعض الأندلسيين إلى استغلال لباس المرابطين في قضاء حوائجهم إذا كان البعض يتلثم ويغير شكله، حتى يجري النّاس إلى برهم، وإكرامهم وقضاء حوائجهم مخدوعين في لباسهم وهيئتهم[7]، وفي اعتقادنا أنّنا لايمكن أن نتحدث عن تقليد الأندلسيين للباس الملّثمين إلاّ في نطاق ضيّق، بل أنّ هذا التقليد لم يكن إلاّ ظاهرة ظرفية اختفت بانتهاء دور المرابطين في الأندلس، وارتبطت باستغلال لباس الملّثمين كطبقة مميّزة في المجتمع، لذلك قام المرابطون بالتصدي لهذه الظاهرة.

لم يختلف الأمر بالنسبة للموحدين الذين اعتبروا اللّباس مسألة في غاية الأهميّة للتميّز عن بقية أفراد المجتمع، فحين قامت الدّولة الموحدية ذمّ اللّثام وأصبح الملثمين من المخالفين لابن تومرت سياسيا

[1]- ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص254.

[2]- ينظر ماقاله ابن خفاجة في القائد الطاهر تميم، ديوان ابن خفاجة، المصدر السابق، ص 100

[3]- القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 82.

[4]- القادري بوتشيش، المرجع نفسه، ص 79.

[5]- طراز الملابس في عهد دولة المرابطين في المغرب العربي، www.almasalik.com

[6]- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 270.

[7]- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع نفسه، ص 270 ، 271.

ومذهبيا[1]، ثمّ منعوا التزي بمثل أزياء الخلفاء حفاظا على مكانتهم[2]، وكان الخليفة الموحدي المنصور أكثر من اهتم بمسألة الأناقة والتميّز في الملبس، فكلّف يعقوب بن جاووا وأخوه يوسف للعمل في نسيج الحرير واحتكار الملابس الغالية ذات القيمة الفنية الفريدة لتقديمها له[3]،وتفشى في عهده لبس الديباج المذهب، وتكلف الأعيان كثيرا في لباسهم"، فأمر بإخراج ما كان في المخازن من ضروب ثياب الحرير، والديباج المذّهب فبيعت منه ذخائر لا تحصى بأثمان لم توف ولم تستقص[4].

وكان لنشوء دولة الموحدين تأثير مباشر في تاريخ الأزياء المغربية، وقد أحدث المهدي بعد رجوعه من المشرق تغييرات عديدة على نمط الملابس حينما مرّ ببجاية[5]، لكن لبس العمائم والقلانس استمر برغم ماقام به ابن تومرت في بجاية من منع التعمم، والتي وصفها بعمائم الجاهلية[6]، فقد ذاع لبس العمائم على عهده الموحدين[7]، فكانوا عادة مايرتدون عمامة من النّوع المعروف باسم الكرزية[8].

ويبدوا أنّ أهل المغرب المقيمين بالأندلس خاصّة رؤسائهم، كانوا يؤثرون لبس العمائم[9]، أمّا في الأندلس فتشير المصادر أنّ العمائم لا تستعمل إلاّ نادرا، ولايلبسها إلاّ القضاة والفقهاء، وكان بعضهم يفضل عليها القلنسوة[10]، من الخز أثناء الصّلاة أو الدخول إلى الخلفاء والملوك[11]، وإن كان قد لبسها المفتون[12]، فقد ذكر المقري أنّ الغالب على أهل الأندلس ترك التّعمم[13]، لاسيما في شرق الأندلس، "فأهل

---

[1]- **بومدين بوزيد**، اللّباس الدّيني الرمزية المعرفية والاجتماعية، الدّوحة ملتقى الابداع العربي، العدد 66، أفريل 2013م، www.aldohamagazine.com/article.aspx ?n

[2]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص187.

[3]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص232.

[4]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص174

[5]- طراز الملابس في عهد دولة المرابطين في المغرب العربي ، www.almasalik.com

[6]- البيدق، المصدر السابق، 52 ،

[7]- مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 129 .

[8]- وقد عرفت الكوزية في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس فقط، أما عن أصل كلمة كرزية فهي ليست عربية وإنّما هي أمازيغية الأصل، جاءت من كلمة " تركزيت" التي تعني العمامة من الصوف وحدث لها تحوير فأصبحت كوزرية، **عائشة حنفي**، لباس البدن عند الرجال بمدينة الجزائر في العهد العثماني، حوليات المتحف الوطني للآثار القديمة، العدد 09، سنة 2000م، ص48، 49.

[9]- ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص86 ، 87.

[10]- شاع استخدام القلانس في الأندلس على الأخص في عصر الخلافة الأموية، **رينهارت دوزي**، القاموس المفضل بأسماء الملابس عند العرب، مجلة اللسان العربي، تر: أكرم فاضل، المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي، جامعة الدوّل العربية، الرباط، 1972، ص100.

[11]- لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص136، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج1، ص222.

[12]- ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، م2، ص111.

[13]- صالح يوسف بن قربة، المرجع السابق، ص48، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج1، ص ص 207، 208.

الأندلس لا يتعمّمون بل يتعهدون شعورهم بالتّنظيف والحنّاء مالم يغلب الشيب، ويتطيلسون فيلقون الطّيلسان على الكتف والكتفين مطويا طيا ظريفا، ويلبسون الثياب الرفيعة الملّونة من الصوف والكتان ونحو ذلك وأكثر لباسهم في الشتاء الجوخ، وفي الصيف البياض، والمتعمم منهم قليل"[1]، أمّا أهل الغرب الأندلسي، فلا تكاد ترى فيهم قاضيا ولا فقيها مشار إليه إلاّ وهو بعمامة تسامحوا بشرقها في ذلك[2] ، وهذه الأوضاع التي بالمشرق في العمائم لا يعرفها أهل الأندلس، حتّى أنّهم إذا رأوا على رأس مشرقي قدم إلى بلادهم شكلا منها، أظهروا التعجب والإستظراف، ولا يأخذون أنفسهم بتعاليمها، لأنّهم لم يعتادوا ولم يستحسنوا غير أوضاعهم[3].

ويبدوا أنّ لبس العمامة يعدّ تقليدا أدخله البربر المغاربة معهم للأندلس، ثمّ مالبث أن أصبح عادة انتقلت بعد ذلك إلى مختلف أوساط المجتمع الأندلسي مع استنكار بعضهم لها، ولكن السؤال الذي يطرح متى أدخل المغاربة لبس العمائم إلى الأندلس ؟ فهناك اشارة ترجع إلى عهد الدّولة العامرية[4]، وقد يكون زاد استخدامها في العهد المرابطي[5].

ويبدوا أنّ أهل المغرب قد كان لهم بعض التأثير على الأندلسيين فيما يتعلق بلبس العمائم، ويتضح ذلك من خلال رواية أوردها صاحب الحلّة السّيراء عن المعتصم ابن صماديح حين التقى بيوسف بن تاشفين في حصن "لييط" حيث ذكر أنّه كان يلبس العمامة والبرنس، تقربا لابن تاشفين فلمّا شاهده المعتمد صاحب أشبيلية على تلك الحال نظر إليه نظرة ساخرة، وأدرك المعتصم أنّه يهزأ منه[6]، ويدّل ذلك على استهجان الأندلسيين بلبس العمائم خاصّة في عصر المرابطين، حيث عبّروا عن ذلك من خلال أمثالهم منها قولهم "طَالَعْ هَابَطْ، بْحَلْ عْمَامْ في رَاسْ مْرَابْطْ"[7]، وبرغم ذلك يبدوا أنّ لبسها قد انتشر بين جماعة الأندلس خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي وقد ورد في ديوان ابن قزمان مايوحي بذلك[8].

---

[1] – ابن فضل العمري، المصدر السابق، ص 231.

[2] – أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج1، ص107 .

[3] – أحمد بن محمد المقري، المصدر نفسه، ج1، ص 222، 223.

[4] –ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص48.

[5] – أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج6، ص112 ، العماد الأصفهاني، المصدر السابق، ج3، ص499.

[6] – أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق،ج6، ص 12، ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص86 ، 87، القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 82.

[7] – **محمد بن شريفة**، تاريخ الأمثال والأزجال في الأندلس والمغرب، ج، بحوث ونصوص، مطبعة المناهل، منشورات وزارة الثقافة، الرباط، 2006، ص251.

[8] – ابن قزمان، المصدر السابق، ص 560.

إلى جانب العمائم شاع لبس القلانس وانتشر استخدامها في بلاد الأندلس وبلاد المغرب[1]، فحين دخل المهدي إلى بجاية لقي بها الصبيان في زي النساء يرتدون شواشي الخز[2]، وفي الأندلس كان يلبسها السادة كالمعتمد ابن عباد[3] ،كما لبسها من قبل مبارك ومظفر العامريان يظاهر كلّ منهما الوشي على الخزّ، ويتقلس الموشي[4].

وكثيرا ماكان أهل قرطبة يرتدون غفائر الصوف الحمر والخضر، أمّا الغفائر الصفر، فكانت "مخصوصة باليهود"[5]، وأيضا استعملت الغفارة[6]، إذ كان يلبسها بعض ولاة المرابطين بالأندلس[7]، كما كانت من ضمن الهدايا التي أنعم بها يوسف بن عبد المؤمن سنة 566هـ/1170م على المغازين من أشياخ الموحدين[8]، وكان الأندلسيون يلبسونها أيضا[9].

إلى جانب العمائم شاع لبس القلانس وانتشر استخدامها في بلاد الأندلس وبلاد المغرب[10]، فحين دخل المهدي إلى بجاية لقي بها الصبيان في زي النساء يرتدون شواشي الخز[11]، وفي الأندلس كان يلبسها السادة كالمعتمد ابن عباد[12] ،كما لبسها من قبل مبارك ومظفر العامريان يظاهر كلّ منهما الوشي على الخزّ، ويتقلس الموشي[13].

وكثيرا ماكان أهل قرطبة يرتدون غفائر الصوف الحمر والخضر، أمّا الغفائر الصفر، فكانت "مخصوصة باليهود"[14]، وأيضا استعملت الغفارة[15]، إذ كان يلبسها بعض ولاة المرابطين بالأندلس[1]، كما

---

[1]- ابن القطان، المصدر السابق، ص93

[2]- ابن القطان، المصدر السابق، 93.

[3]- ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص141.

[4]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص162.

[5]- صالح يوسف بن قربة، المرجع السابق، ص48، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج1، ص 207، 208.

[6]- أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج1، ص108، مصطفى الشكعة، المرجع السابق، 84.

[7]- ابن الأبار، المصد السابق، ج1، ص120، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج3، ص268، الونشريسي، المصدر السابق، ج3، ص122.

[8]-ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالغمامة ، 29.

[9]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص560، العماد الأصفهاني، المصدر السابق، ج3، ص504 .

[10]- ابن القطان، المصدر السابق، ص93

[11]- ابن القطان، المصدر نفسه، 93.

[12]- ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص141.

[13]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص162.

[14]- صالح يوسف بن قربة، المرجع السابق، ص48، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج1، ص 207، 208.

[15]- أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج1، ص108، مصطفى الشكعة، المرجع السابق، 84.

كانت من ضمن الهدايا التي أنعم بها يوسف بن عبد المؤمن سنة 566هـ/1170م على المغازين من أشياخ الموحدين[2]، وكان الأندلسيون يلبسونها أيضا[3].

وفي حقيقة الأمر إنّ التّطور الذي شهدته كل من الدّولتين المرابطية والموحدية والاحتكاك الذي كان بين المغرب والأندلس جعل الكفة تميل لصالح التأثير الأندلسي على حساب أهل المغرب في مجال اللباس، ذلك أنّ أهل الأندلس عرف عنهم الأناقة وحبّ الظهور بلبس الفاخر من الثياب، ولذلك مال أهل المغرب أكثر إلى تقليد الأندلسيين في لباسهم وعلى رأسهم الطبقة الحاكمة، فكانت الغفائر الزيبية والبرانس المسكية لباسا خاصا بالخلفاء الموحدين[4]، واختص الخلفاء أنفسهم بلبس الغفارة الزبدية والحمراء، والخضراء[5].

2- انتقال الأطعمة المغربية إلى الأندلس

لقد اهتّم سكان المغرب بأنواع الأطعمة التي تطبخ، وأكثر ما استعملوا اللّحوم بمختلف أنواعها واهتموا بأساليب حفظها ونقلها إلى مختلف الأماكن، ومن اللّحوم المستعملة في طعامهم، لحوم الماعز، الأبقار، الأغنام، الطّيور في طعامهم[6]، فقبائل لمتونة الصّحراوية اعتمدوا على لحوم الإبل[7]، واستعملت قرية أنقال لحم طيور النّعام في غذائها[8]، كما طبخ الصّنهاجيون الذين يسكنون بالقرب من نول لمطة أكلة تعرف بالبربرية آسلوا[9]، وفي مدينة تلمسان وصفت اللّحوم بأنّها شحيمة أي بها شحم كثير ، وتجارة اللّحوم بها رائجة[10].

ويذكر السّقطي من بين هذه الأطعمة البلاجة الذي يصنع من اللّحم الغنمي الفتي السّمين[11]

---

[1]- ابن الأبار، المصد السابق، ج1، ص120، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج3، ص268، الونشريسي، المصدر السابق، ج3، ص122.

[2]-ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالغمامة ، 29.

[3]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص560، العماد الأصفهاني، المصدر السابق، ج3، ص504 .

[4]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص 187.

[5]- مريم قاسم الطويل، المرجع السابق، ص256.

[6]- **بان علي محمد**، "أنواع الأطعمة والأشربة في بلاد المغرب العربي عصري المرابطين والموحدين"، م18، كليّة التربية للبنات، جامعة بغداد، 2007م، ص.

[7]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 74 ، 75.

[8]- أنقال قرية دار المرابطين بالمغرب الأقصى كثيرة الورع والنّعام، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص120.

[9]- القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص70 ، الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص59 .

[10]- الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص 54.

[11]- مؤلف مجهول، الطبيخ في المغرب والأندلس على عهد الموحدين، ص 49.

وبقايا الأكباد[1]، ويضاف إليه الملح والبصل والزيت اليسير والكزبرة اليابسة، والثوم، وتضع على نار معتدلة حتّى تنضج ثمّ تصفى من المرقة وتقلى في مقلاة بزيت حتّى تحّمر ثمّ توضع في الطّجين ويضاف عليها اللّوز والزعفران، ثمّ تدخل الفرن مرّة أخرى كي تجف مرقتها ويحمر أعلاها ثمّ تخرج[2]، وكان هذا الطبق متداولا في العديد من مناطق بلاد المغرب[3]، فقد عرفت فاس طعام البلاجة[4]،كما اشتهر بالأندلس طبق يحضر باللّحم يسمّى "البلاجة"[5].

وببلاد المغرب كانت هناك أيضا طبخة تستدعي الاهتمام تدعى "التفايا" وهي أكلة للطبقة الحاكمة والمكوّنة من لحم الغنم السّمين مع اللّوز المقشر المحلول بماء ورد البيادق[6]، وهناك أكثر من صيغة لتحضيرها، ومن بين الفوائد الخاصّة لهذا الصنف من الطّعام أنّه يقوم على "تغذية متوازنة" يناسب المعدة الضعيفة، ويكوّن الدّم الجيّد[7]، ومن أنواع التّفايا وصفة عرفت بين النّاس باسم"تاحفصت" المعروفة بمراكش، وهي نوع من التفايا المقليّة المكوّنة من اللّحم المقطع إلى قطع صغيرة ممزوج ببعض التّوابل يترك على النّار حتّى يجف ويقلّى بعدها في الزّيت حتّى يتم نضجه[8]، وكانت التفايا من ضمن تقاليد الطبخ في الأندلس[9]، ويذكر المقري شكلا أخر عرف عند الأندلسيين باسم التّفايا التي تحضر بلحم الضأن الفتي السّمين، ويضاف إليها الملح والفلفل والكزبرة اليابسة وشيء من ماء البصلة من فوقه مع الزيت العذب، وتطهى على النّار ببندق ولوز[10]، ومن المحتمل أن تكون هذه طبخة التفايا قد انتقلت من بلاد المغرب إلى الأندلس .

ومن الأطعمة التي تحضر باللّحوم "اللّمتونية"[11]، والتي يتضح أنّها من أصل بربري، وهذه الطّبخة يجب أن تحضر على نفس الطّريقة التي يحضر بها طبق "التفايا"، حيث تتكوّن اللّمتونية من الطّير

---

[1]- القادري بوتشيش، المرجع السابق، 72.

[2]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص195.

[3]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 49.

[4]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص177.

[5]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 49.

[6]- دافيد وينز، المرجع السابق، ج2، ص1033.

[7]- دافيد وينز،المرجع نفسه، ج2، ص1031.

Huici Miranda, Ed, la Cocina Hispano Maghreb En epoca Almoahade, Madrid, 1965, p 85.

[8]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص193.

[9]- دافيد وينز، المرجع السابق، ج2، ص 1031.

[10]- القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص72.

[11]- دافيد وينز، المرجع السابق، ج2، ص1031.

مثل الدّجاج، والأوّز وفراخ الحمام، وغيرها مضاف إليها الثّوم و اللّوز، والجوز وعند نضج هذه اللّحوم تصب مرقتها على الرقاق المفتت ويضاف عليها الزيت والفلفل والكمّون[1]، وممّا يذكر أنّ هذا الصّنف كانت تصنع في جميع بلاد المغرب[2]ومنها فاس[3]، كما كان معروفا في الأندلس[4].

ومن وصفات الطّبخ التي تصنع باللّحم "الصّنهاجي"[5] الذي ينسب إلى قبيلة صنهاجة البربرية التي حملت سلالة المرابطين والتي دخلت إلى الأندلس، وكان يتكوّن من طبيخ كثير التوابل فيه لحم بقر صاف، ولحم ضأن، ودجاج، وحمام، وصغار الطّير، مع أنواع من كرات اللّحم المغطاة باللّوز[6]. إنّ الشّيء المثير للاهتمام هو وجود لحم البقر في هذه الوصفة، حيث أنّ اللّحم شكل إحدى خصائص الطّبخ في الأندلس، لكن لحم الضأن، والحمل، كانا أكثر ما يستهلك من لحوم، ويأتي بعدها لحم الدّجاج، والطّيور المنوّعة[7]، ولا يعرف إن كان "الصنهاجي" قد وصل إلى الأندلس مع دخول المرابطين، أم مع فرع صنهاجي آخر، وهم بنو زيري الذين دخلوا قبل المرابطين واستقروا بغرناطة[8]، لكنّ المؤكد أنّ طعام الصّنهاجي مغربي الأصل، فقد عرفت مدينة فاس طعام الصّنهاجي الملوكي[9]، والواضح أنّ طعام الصنهاجي قد انتقل إلى الأندلس، وصار بعدها يشكل إحدى خصائص الطّبخ في الأندلس، والواضح كذلك أنّ استخدام لحم البقر عادة مغربية وجدت صدى لها في الأندلس .

وعرفت مدينة فاس الثّريد الكامل[10]، وهو طبق يوصف أنّه من أطعمة الخلفاء والأمراء والوزراء، والطبقة المقربة إليها[11]والأثرياء وهو طعام متنوع جدّا ، ومكلف ، لاحتوائه على الكثير من

---

[1]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص195.

[2]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص187.

[3]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص177.

[4]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص187.

[5]- دافيد وتيز، المرجع السابق، ج2، ص1030.

[6]- دافيد وينز، المرجع السابق، ج2، ص1030.

[7]- Huici Miranda, Op cit,, p 85.

[8]- حناش فهيمة، المرجع السابق، ص96.

[9]- الصنهاجي الملوكي مكوّن أساسا من لحم البقر ولحم الغنم وفراخ الحمام واليمام، وكذلك العصافير، ويرش فوقه لوز مقسوم، ويطهى في الفرن، وهو طعام الخوّاص الذين كانت الأمخاخ من الأغذية المحبوبة المشتهاة لهم، فهي تكوّن جل غذائهم، جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص 177، 194.

[10]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص177.

[11]- جمال أحمد طه، المرجع نفسه، ص177، ص 179، دافيد وينز، المرجع السابق، ج2، ص 102.

المكونات الباهضة الثمن[1]، من اللّحم البقري السمين، ممزوج بكثير من التّوابل وبهارات اللّحم كالبصل والفلفل والزنجبيل والكزبرة اليابسة والكمون والزيت الكثير والبيض والزيتون، ومن الدجاج وفراخ الحمام أو اليمام المطبوخة ،والعصافير المقلوه، وتؤخذ أمراق هذه اللحوم وتجمع في قدر نظيفة ويضاف اليها الزيت وماتحتاج إليه من التوابل قدر الكفاية ويسقى معها الثريد المفتت من الخبز ويضاف إليه أنواع اللّحوم السابقة، على أن يكون في أعلى القصعة الفراخ واليمام والحمام، ثمّ تقدم مصفوفة بنظام على طبق كبير[2]، كما شاعت أكلة الثريد باللّبن[3]، أو اللّحم[4]، وأحيانا بالفول والسمن[5]، وطعام الثريد حسب أحد الباحثين وجد كذلك في الأندلس[6]، ممّا يعني أنّ أثر أطباق الطبخ المغربي التي أثرت في الطبخ الأندلسي هي التي يتعلق صنعها وتحضيرها باللّحوم.

وكانت أطعمة الدقيق والعجين منتشرة ومتنوعة ببلاد المغرب، وكانت تشكل منها أطعمة عديدة ومنها أرغفة الخبز الذي كان يحضر بأنواع شتى[7]، وهو المادّة الأساسية في غذاء السكان[8]، إذ لم تخل منه أي دار من الدور في تلك الفترة[9]، وكان الخبز يقدم في الفطور والعشاء، غير أنّ تحضيره ارتبط بكل أسرة وما تملكه من إمكانيات[10]، فالنّوع الواحد منه يشكل أشكالا وهو يبقى واحدا لايتغيّر، ولكن تدخله مواد أخرى ويطبخ على نحو يجعله متعدّد تعدد الأطعمة التي يدخل فيها والغالب عليه هو الخبز[11]، وقد ذكرت المصنفات أسماء أنواع من الخبز المصنوع من القمح منها خبز الطابوني، المغموم، المشوك، الرقاق اللّبق، المشطب، المرشين الأصفهاني، خبز الماء[12].

تميزت صناعة الخبز من مدينة إلى أخرى فمدينة أشروس في جبل نفوسة اشتهرت بجودته من

---

[1]- دافيد وينز، المرجع السابق، ج2، ص 102.

[2]- دافيد وينز، المرجع السابق، ج 2، ص 102.

[3]- القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص71.

[4]- القادري بوتشيش، المرجع نفسه، ص71.

[5]- القادري بوتشيش، المرجع نفسه، ص71.

[6]- دافيد وينز، المرجع السابق، ج2، ص 1029.

[7]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 99،100 .

[8]- القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص71.

[9]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص195.

[10]- جمال أحمد طه، المرجع نفسه، ص195.

[11]- **سهام الدبابي الميساوي**، الخبز طعام في الأندلس في القرون الخامس والسادس و السابع الهجري(11-12-13م)، مجلة دراسات أندلسية، عدد7، جانفي1192، تونس، ص73.

[12]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص190.

حيث الطّعم، والصنع فقد استعملوا الشّعير الذي يزرع عندهم، ومن الواضح أنّه كان من النّوعية الجيّدة[1]، ومدينة قفصة اشتهرت بجودة الخبز[2]، وكان خبز قنتورية بالأندلس من أحسن الأنواع[3] ، واعتبر خبز الحنطة المطبوخ في التنور أفضل أنواع كلّها، يليه خبز الشعير، ثمّ خبز الأرز، الذرة، الجاروس، فالدخن[4]، وكان خبز القمح أفضلها وأغلاها لما له من فوائد صحيّة كثيرة، لذلك نصح الأطباء مرضاهم بتناول هذا النّوع من الخبز دون سواه[5].

وفي الأندلس كان النّاس يحتفون كثيرا بالخبز كطعام، ويعود ذلك إلى توفر الحبوب في تلك الربوع من جهة وإلى تواصل عادات متوسطية قديمة، والتأثر بتقاليد عربية وبربرية من جهة ثانية[6]، وباعتبار الهجرات الكثيفة لبربر المغرب نحو الأندلس خلال عصري المرابطين و الموحدين فذلك يعني أنّ بعض الطرق التي يحضر فيها الخبز قد انتقلت معهم إلى الأندلس، بالتّالي كان لأهل المغرب تأثير في تقاليد الطّبخ هناك.

وكان الخبز في بعض الحالات يتخذ شكلا من أشكال الطّعام[7]، منها طعام يعرف ب "الثّريد"، الذي يعتبر من أهم الوصفات التي عرفها مجتمع المغرب، حيث كانت تصنع على أنواع منها ثريد من عمل أهل بجاية يسمونه "شاشية ابن الوضع"[8]، وممّا يذكر هو ولوع الأندلسيين بطعام "الثريد" الذي يصنع عندهم من الخبز، ويظهر ذلك من خلال الوصفات العديدة لتحضيره والتي أوردها صاحب كتاب الطبيخ[9]، وعلى هذا فمن المحتمل أن يكون طعام الثريد من الأطعمة ذات الأصول المغربية، والتي دخلت للأندلس مع وفود المهاجرين، فتعرّف أهل الأندلس عليها وولعوا بطبخها.

واضافة إلى الخبز الذي كان يعتمد في صنعه على القمح، فقد كان للقمح استعمالات أخرى، إذ صنعت منه أنواع كثيرة من العصائد[10]،والبركوكس[11]، والكسكسي[12]، وهذا الطعام مغربي

---

[1]- ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة، ص45.

[2]- الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص47.

[3]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص 190.

[4]- **ابن خير الإشبيلي**، كتاب الفلاحة، تح: التهامي الناصري، طبعة فاس، 1357 ، ص138.

[5]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص 189.

[6]-سهام الدبابي، المرجع السابق، ص 80.

[7]- سهام الدبابي، المرجع نفسه، ص73.

[8]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 183.

[9]- مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص 183.

[10]- ابن الزيات التّادلي، المصدر السابق، ص 302.

[11]- الزجالي، المصدر السابق، ج2، ص 100.

[12]-دافيد وينز، المرجع السابق، ج2، ص 1034 .

انتقل إلى الأندلس مع هجرات البربر[1] ، ولا تشير المصادر إلى زمن انتقاله ولا إلى الطريقة التي انتقل بها، لكن الإشارات التي أوردتها كتب الطبخ، خاصّة صاحب كتاب الطبيخ توضح أنّ طعام الكسكسو كان طعاما تقليديا سائدا في الأندلس[2]، وأنّه كان يتناول في الأندلس على عهد الموحدين، إذ صار عندهم يطبخ على عدّة انواع منها "الفيتاني"[3]الذي ذكر صاحب كتاب الطبيخ أنّه كان يصنع في مراكش، وأعطى التفاصل حول كيفية طبخه[4].

وشاع في بلاد المغرب تناول كثير من أنواع الحلوى نجد منها"القرصة"[5]كما عرفوا أكل أنواع أخرى من الحلوى تسمّى "الزلابية"[6]، وعرف أهل تلمسان نوع آخر من الحلوى يسمى "بالمشهدة" وأشار صاحب كتاب الطبيخ إلى طريقة صنعها، ويبدوا أنّها انتقلت أيضا الى الأندلس[7]، يضاف إليها نوع يسمى "المركبة الكتامية " حيث تصنع في قسنطينة، وتسمّى أيضا المؤرقة بالتّمر، ويصنعها أهل افريقية أيضا[8]، ويبدوا أنّ قبائل كتامة بالمغرب كانوا يتناولونها لأنّ اسمها قد نسب إليهم ، وربّما أنّ صاحب كناب الطبيخ أشار إلى أنّها كانت تعرف بهذا الإسم في الأندلس، وهذا يعني أنّ قبائل كتامة قد أدخلوها معهم إلى هناك، وبالتّالي تناولوها بتأثير تلك القبائل[9].

أمّا الاسفنج فهو الحلوة المشهورة التي يصنعها المغاربة[10]، وقد أورد صاحب كتاب الطبيخ كيفية تحضيره، ممّا يوحي بأنّه كان معروفا أيضا بالأندلس، ومتناولا عندهم ولعله دخل عن طريق هجرات أهل المغرب إلى هناك[11] وهو من الأكلات التي كانت تصنع في الأسواق[12]وهذا ما يجعلها قابلة للانتشار الناس.

---

[1]- **رجب عبد الجواد**، ألفاظ المأكل والمشرب في العربية الأندلسية(دراسة في نفح الطيب للمقري، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص 50.

[2]- دافيد وينز، المرجع السابق،ج2 ص1032.

[3]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 181.

[4]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص181.

[5]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 230.

[6]- مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص 230، عبد الجواد رجب ابراهيم، المرجع السابق، ص39.

[7]- **يحي بن خلدون**، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تح: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1985م، ص127، مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 230.

[8]- مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص 230.

[9]-.حناش فهيمة، المرجع السابق، ص103.

[10]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 200.

[11]-ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ق4، ج2، ، ص247.

[12]- الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص 65.

وكان لأهل المغرب والأندلس اهتمامات بصناعة الأشربة بمختلف أنواعها، حيث بيّنت كتب الطبخ المغربي والأندلسي طريقة تحضيرها وبأنّ لها فوائد صحيّة وعلاجية[1]، ومن أهم هذه الأشربة التي كان يقبل عليها الناس بالأندلس وبلاد المغرب شراب العسل مضاف إليه القرفة والزنجبيل وجوزة الطيب[2]،وكان استهلاك العسل شائعا في المغرب الأقصى[3]، وأيضا شراب الحلاب، وشراب النعنع والبنفسج وشراب الريحان[4]، اضافة الى أنواع من الاشربة لفتح الشهية كشراب الورد اليابس[5] اضافة إلى أشربة مهمة كشراب الجزر والرمّان والعناب[6].

وقد شاع في عدّة مدن مغربية نوع من الشراب يتناولونه عندما يأكلون الطّعام وهو شراب مطبوخ يسمّى الرّب[7] ، وكان يباع في مدينة مراكش في مكان خاصّ يسمى بباب الرّب[8]، أمّا أهل مدينة تارودانت من المصامدة فإنّ الرّب، لديهم يسمى أنزير تتم صناعته من عصير العنب، ويطبخ على النّار الى أن يذهب ثلثه ويرفع على النّار ثم يخلط مقداره ماء ويشرب وقسم أخر لا يخلط بالماء بل يشربه هكذا ، وأهل السوس الأقصى يمزجونه بالماء ويرون أنّه حلال مالم يصل بهم إلى حدّ السّكر[9]، واتخذته صنهاجة شرابا خاصّا بها[10]، حيث يقومون بنقع الزبيب في الماء بعد دقه ثمّ يصفوه ويشربوه، علما أنّ الزبيب يجلب اليهم عن طريق التّجارة ولا يوجد في بلدهم[11]، وقد اعتاد أهل المغرب على تناوله في بلادهم، ومنها نقلوه معهم إلى الأندلس فانتشر شربها هناك[12]، وكان شربه مجهولا أوّلا، ثمّ انتبهوا إلى أنّ مفعوله لايختلف عن مفعول الخمر الحرام، فأصدر الموحدون منذ سنة 580هـ/1184م الأوامر بمنعه بعدما كان يقدم في

[1]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص235 ، 236.

[2]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 235.

[3]- ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ص 126.

[4]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص239، 240 ، 242 ، 243.

[5]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص241، 242.

[6]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص236 ، 248 ، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج1، ص144.

[7]- **ابن منظور**، لسان العرب، ج1، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ/1993م، ص 405.

[8]- مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص211، **محمد المغراوي**، الموحدون وأزمات المجتمع، ط1، منشورات دار جذور للطبع، الرباط، 2006م، 78-80.

[9]- الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص 75.

[10]- محمد المغراوي، المرجع السابق، ص78، 80.

[11]- الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص 36.

[12]- حنّاش فهيمة، المرجع السابق، ص108.

الاحتفالات الرسمية، ويباع في كلّ مكان بالمغرب[1].

المبحث الرابع: اسهام البربر في الحياة الثقافية بالأندلس

إنّ الوحدة السياسية التي تحققت بين المغرب والأندلس خلال العصرين المرابطي والموحدي كانت تعني حدوث تواصل ثقافي وعلمي بين العدوتين، من خلال تشكل حقل ثقافي كانت نواته الأساسية الوحدة المذهبية التي ساعدت على وحدة أدوات التفكير والاجتهاد، وإذا كانت بلاد المغرب قد فتحت مجالاها الثّقافي لاحتضان علماء الأندلس كما رأينا، فإنّ الأندلس كذلك فتحت أبوابها أمام طلاب المعرفة، ممّا دفع أهل المغرب لأن يوّجهوا أنظارهم إلى مختلف مدنها تدفعهم الرغبة في التّحصيل وتبادل المعارف والاطلاع على المؤلفات، كما أنّ منهم من عاد إلى بلده محمّلا بالعلوم، حيث عملوا على نشرها، وأتيحت الفرصة لبعضهم بفضل ما حصّلوه من معارف وعلوم أن يساهم في حركة التأليف والتصنيف.

تصوّر كتب الطّبقات العلاقات التي نشأت بين المغرب والأندلس، والتي توثقت في عهد المرابطين والموحدين فتتحدث باسهاب عن أعلام المغرب الذين وفدوا على الأندلس، وألموا بمدارسه، وجلسوا إلى فقهائه، وأدبائه وشعرائه، وعادوا الى بلادهم بذخيرة علمية عظيمة ينفعون بها الناس[2].

إنّ تتبع الأثر العلمي لطلاب وعلماء بلاد المغرب بالأندلس في عصري المرابطين والموحدين يتّطلب عملا دقيقا نظرا للصّعوبات التي يمكن أن تواجه أي باحث في هذا الاطار، ذلك أنّ هناك حاجة ماسة إلى ضبط منهجية هدفها الوصول إلى كشف هذا الأثر، وفي نظرنا أنّ تتبع ذلك من خلال عرض التراجم المختلفة لن يفي بالغرض خاصّة أنّ كثيرا من البحوث قد تمّت على هذا المنوال، لذلك ارتأينا أن نعالج الموضوع من خلال الكشف عن حركة تنقل طلاّب العلم والمعرفة للدّراسة والتّدريس بالأندلس، زيادة على رصد العلوم والمعارف التي برزوا فيها ونقلوها معهم إلى حيث ارتحلوا اضافة كشف النّقاب عن مكانتهم العلمية التي حصلوا عليها، أومؤلفاتهم المدّونة.

1- أعلام المغرب الذين دخلوا الأندلس لتحصيل العلوم.

إنّ تتبع تواجد أعلام المغرب بالأندلس خلال الفترة المرابطية والموحدية يتطلب عملية احصاء لهم تتوافق زمنيا مع سنوات وفاتهم، أو ما يدّلل على معاصرتهم لهذا العهد غير أنّنا نرى أنّ تتبع التراجم حسب العصور لن يكون ذا فائدة، خاصّة أنّنا أمام ثلاثة عصور متداخلة سياسيا- نهاية عصر الطوائف،

[1]- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 171.

[2]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص429.

عصر المرابطين، عصر الموحدين- وفي هذا الصدّد سنجد مناطق جغرافية تأخر انضمامها السياسي للدّولة الموحدية مثلا، كما يمكن أن نجد مناطق أخرى خرجت عن سلطة الموحدين في مطلع القرن السابع الهجري، لذلك فالتّعامل مع الفترة الزمنية ككلّ متكامل سيسهل عمليّة الدّراسة.

اضافة إلى ذلك فإنّ بعض تراجم الأندلسيين قد أظهرت أنّ المغيلي والجراوي والزناتي والكزني والأوربي هي مواضع مدن وقرى نسب إليها عدد من الأعلام بالرغم من أنّها أسماء قبائل بربرية، وبتصريح المترجم وتتبع القرائن التي تضمنها تراجم هؤلاء الأعلام اتضح أنّهم ليسوا بالضرورة بربرا، وهو مايقال عن أعلام انتسبوا إلى أماكن حملت أسماء قبائل عربية، كالغافقي نسبة إلى قرية غافق شمال قرطبة، والقضاعي نسبة إلى قضاعة بالقرب من بلنسية[1].

يتبيّن من خلال تتبع كتب التّراجم أنّ أعلام بلاد المغرب الذين دخلوا الأندلس للدّراسة قد وفدوا من حواضر عدّة ومراكز علميّة كبرى، ذلك أنّ مدارس المغرب تفوقت تفوقا واضحا[2]في عصر المرابطين والموحدين، ومن أهمّ هذه المراكز مدرسة فاس التي بلغت في عهد المرابطين "من الغبطة والرفاهيّة والدعة مالم تألفه مدينة من مدن المغرب"[3]، وتصور لنا كتب التراجم والطّبقات هذه العلاقة الوثيقة التي جمعت فاس بالأندلس في عصري المرابطين والموحدين، فتحدثت عن أهل فاس الذين وفدوا على بلاد الأندلس وألموا بمدارسها ، وجلسوا إلى فقهائها وعلمائها[4]، حيث كانت مدينة فاس في اشعاعها الحضاري وأثرها الثقافي في عصر المرابطين والموحدين تمثل المدينة الأهم في المنطقة المحيطة بها، منها منطقة الأندلس التي اتصلت بها بمختلف الصلات عبر تاريخها في هذين العهدين[5].

أمّا مدينة مراكش فكان لها دور ثقافي مهمّ كعاصمة للدّولة المرابطيّة، ثمّ الموحدية، فأصبحت مركزا علميّا مشهورا بالمغرب الأقصى، يقصده طلاّب العلم من مختلف مدن المغرب الإسلامي، وهو ماجعلها ملتقى علماء بلاد المغرب وعلماء السّودان الغربي والأندلس، وكانت تلمسان مركزا لدراسة المذهب المالكي، وتخريج العلماء المالكيين، فهي بحسب وصف المؤرخين دار للعلماء والمحدثين وحملة الرأي على

[1]- **الحبيب الحاكمي**: الإسهام العلمي للبربر في الأندلس على عهد الموحدين من منتصف القرن السادس إلى مطلع القرن السابه الهجريين (ق12-13م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، اشراف عبد القادر بوباية، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية ، قسم التاريخ وعلم الآثار ، جامعة وهران، ص 91.

[2]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص431.

[3]- عليّ الجزنائي، المصدر السابق، ص 33.

[4]- جمال أحمد طه ، المرجع السابق، ص 305.

[5]- جمال أحمد طه، المرجع نفسه، ص 304.

مذهب الإمام مالك[1].

وبرغم ما أصبحت عليه مدن المغرب من مكانة علميّة إلاّ أنّها ظلّت بحاجة إلى رصيد مدن الأندلس الثّقافي، لذلك لم تنقطع وفود طلب العلم على الحواضر والمراكز العلمية الكبرى بالأندلس خلال الفترة محلّ الدراسة، فقد كانت كلّ مدن الأندلس كبراها وصغراها مراكز ثقافية[2]، حيث استفادت من حالة الإستقرار التي بثّها المرابطون ومن بعدهم الموحدون، ومن أهم هذه المراكز الثّقافية الأندلسية قرطبة، اشبيلية، مرسية، بلنسية، ألمرية، دانية، طرطوشة، شاطبة، سرقسطة، غرناطة، بطليوس[3]، وشلب[4] وغيرها، والتي كانت مراكز للإشعاع العلمي.

تعتبر قرطبة أهم هذه المراكز بوصفها قاعدة المرابطين بالأندلس، ارتحل إليها طلاب العلم من الأندلس والمغرب، لتوسطها للأندلس، وشهرة علمائها وأدبائها[5]، وهي أكثر مدن الأندلس كتبا وأشدّ النّاس اعتناءا بخزائن الكتب، حتّى صار ذلك عندهم من ألات التعيين والريّاسة[6]، وفي هذا يذكر أحمد المقري في كتابه "نفح الطيب" أنه لعظم أمر قرطبة كان عملها حجة بالمغرب"، حتّى أنّ الفقهاء المغاربة يقولون في الأحكام: "هذا ما جرى به العمل في قرطبة"، وينطبق هذا الوصف على غيرها من الأعمال الأندلسية التي كان أهل المغرب يعتدُّون بها ويعتمدونها.

ومن هذه الحواضر اشبيلية التي ارتفع ذكرها كمركز من مراكز الأدب والفن والموسيقى والطرب ،وازدهارها العلمي في عهد المرابطين هو استمرار لما تحقق من تطور فكري في عهد المعتمد ابن عباد[7]، أمّا غرناطة فكانت من مراكز العلم التي اجتمعت فيها العلوم الفقهية، والفلسفية، الصوفية، وكثر بها التأليف في كتب الفقه، واشتهرت دانية بالقراءات، وحافظت على مركزها العلمي في عهد المرابطين والموحدين، فكان يحج إليها الطلاب من جميع أنحاء الأندلس للأخذ على قرائها المشهورين[8]، وبالنسبة لألمرية فهي

---

[1]- أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص77.

[2]- ابن سعيد، المصدر السابق، ص 111.

[3]- بالأندلس من اقليم ماردة، بينهما أربعون ميلا، وهي حديثة الاتخاذ، بناها عبد الرحمان بن مروان المعروف بالجليقي، ينظر: عبد المنعم الحميّري، المصدر السابق، ص46.

[4]- من بلاد الأندلس، وهي قاعدة كورة أكشونبة، وهي مدينة بقبلي مدينة باجة، ولها بسائط فسيحة، وبطائح عريضة، ولها جبل عظيم منيف، كثير المياه، ينظر: عبد المنعم الحميّري، المصدر نفسه، ص106.

[5]- أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج1، ص 153، 154.

[6]- أحمد بن محمد المقري، المصدر نفسه، ج1، ص 155.

[7]- عصمت عبد اللّطيف دندش، المرجع السابق ، ص 384.

[8]- ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ق3 ، م1 ، ص 23.

مدينة الصوفية والعلوم الفقهية، لعبت دورا مهما في تطوّر العلوم الدّينية، كما اشتهرت بعدد كبير من علمائها ومفسريها ومتصوفيها، وبذلك أصبحت من أهمّ المراكز الروحيّة[1]، أمّا مدن الشرق في الأندلس مثل مرسية وبلنسية، وشاطبة وجزر ميورقة[2]، فكانت لها نفس الاتجاهات الفكرية لمدينة ألمرية، ولعبت هذه المدن دورا رئيسيا في ازدهار العلوم الإسلامية، وكانت سرقسطة كذلك من المراكز المهمة التي ازدهرت فيها علوم الفلك، والطّب، والفلسفة[3].

اضافة إلى ذلك كانت هذه المدن الأندلسية مقصدا لطلاب العلم لأنّها كانت تتوفر على كوكبه من العلماء والمشايخ ممّن كان لهم تمكن وضلوع في العديد من العلوم، كأبي الوليد بن رشد، أبو علي الصدفي، ابن العريف، ابن عطيّة، ابن العربي، ابراهيم ابن خفاجة، وغيرهم. فكان على طلاّب العلم من أهل المغرب الاتصال بكبار علماء الأندلس ومحدثيها وفقهائها، لأنّ لقاءهم فيه مزيد كمال في التّعلم، وتضاعف عدد الشيوخ يجعل الأستاذ موضع استقطاب بالمغرب وخارجه.

تشير التراجم التي أمكننا الوصول إليها إلى عدد ممّن شدّ الرحال إلى مدن وعلماء الأندلس، فكان لهم اتصال بفقهاء قرطبة كابن رشد، وأبي البحر الأسدي، وفقهاء مرسية كابن عتّاب معلى بن أبي جعفر، وأبي علي الصدفي، وابن عطيّة، ابن العربي، ابراهيم بن خفاجة، أمّا ألمرية فكان يقصد من خلالها أبو العباس بن العريف، الذي قصده أهل الزهد في الأندلس والمغرب[4]، ومن أئمة علماء غرناطة الذين كان يُشّد الرحال إليه الفقيه علي بن محمد بن عبد الرحمان بن الضحاك والمعروف بابن البقري(ت552هـ/1157م[5]، وبنفس المدينة كان أهل العلم يحجّون إلى أبو الأصبع بن سهل (ت486هـ/1092م[6]، ولاتستثنى بقية مدن الأندلس من هذه القاعدة، حيث قصد الناس عباس بن سرحان الشاطبي ببسطة، وأبو الوليد الباجي، ومن المحتمل أنّ من علماء بلاد المغرب من تلّقى علومه من نفس العلماء.

يتّجلى من خلال ماذكرناه القيمة الكبيرة التي كانت تكتسيها الرحلة إلى الأندلس، وكأنّ طالب العلم كان ملزما بهذه الرحلة، يوّد من خلالها ربّما الحصول على الثّناء والاعتراف، وقد يكون دليلا على

---

[1]- عصمت عبد اللّطيف دندش، المرجع السابق ، ص 385 .

[2]- هي جزيرة يابسة وطولها عشرة فراسخ وعرضها ثمانية ، ومنها تجلب الملح و الخشب إلى بلاد إفريقية ، وهي جزيرة كثيرة الثمار والزرع ، ينظر: **أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري**، كتاب الجغرافية، تح : محمد حاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد، د ت ، ص 128.

[3]- عصمت عبد اللّطيف دندش، المرجع السابق ، ص 385.

[4]- عصمت عبد اللّطيف دندش، المرجع نفسه، ص 385 .

[5]- كان فقيها محدثا متكلما له تواليف كثيرة منها كتابه " السداد في شرح الإرشاد " وكتاب " مدارك الحقائق في أصول الفقهى"، وله رسالتان في التصوف، المرجع نفسه، ص 384.ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة المصدر السابق، ص100.

[6]- لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، ص266، ابن فرحون المالكي، المصدر السابق، ص364.

ذلك أنّ هناك من ارتحل إلى الأندلس أكثر من مرّة من أجل التّحصيل ولقاء الشيوخ، ويمكن أن نذكر في هذا المجال أمثلة عديدة لعلّ أبرزها أبو عبد الله محمد بن عيسى بن حسين التميمي (ت505هـ/1111م)، والمولود بفاس، والذي رحل إلى الأندلس ثلاث رحل، فاتسع في الأخذ وتقلد الشورى، وأصبح عارفا بالفقه والحديث حافظا ضابطا كثير الكتب[1]، وأبو موسى عيسى بن يوسف بن عيسى بن علي الأزدي (ت543هـ/1148م) والمعروف بابن الملجوم، والذي دخل الأندلس مرتين، وكان عارفا بالفقه ذاكرا للمسائل متقدما في علم الفرائض، محدثا حافظا راوية، وكان من أهل الجلالة والأصالة[2].

وكان هناك من علماء بلاد المغرب من انتقل إلى أكثر من مدينة أندلسية كأبي علي بن محمد بن الحاج داور بن عمر الصّنهاجي اللّمتوني(ت547هـ/1152م)، الذي سمع العلم بقرطبة، مرسية، وبلنسية[3]، وأبي يعقوب ينتان بن تويت، الذي ارتحل إلى قرطبة، ومرسية، وأبو اسحاق ابراهيم بن يوسف الوهراني الحمزي، الذي انتقل إلى كل من ألمرية، جزيرة شقر، ومالقة، ولقي خلال رحلته كبار العلماء أمثال: ابن العريف، ابن عطيّة، ابن العربي، ابراهيم ابن خفاجة[4]، وهذا يدّل على أنّ الرحلة العلمية كانت تمثل للطالب مشاقا كبيرا وأنّ علماء المغرب كانوا على قدر هذه المهمّة.

هذه المشاق العلميّة لم تمنع أن يكون من بين المرتحلين إلى الأندلس أمراء من الأسرة اللّمتونية منهم : أبو يعقوب ينتان بن تويت: وهو من أمراء المرابطين، كان فقيها، قرأ على فقهاء قرطبة، كابن رشد، وفقهاء مرسية، كابن عتّاب معلى ابن أبي جعفر[5]، وأبو علي المنصور بن محمد بن الحاج داور بن عمر الصّنهاجي اللّمتوني (ت 547هـ/ 1152م) وهو من رؤساء لمتونة، وكان واليا ليحي بن علي بن غانية أيّام كونه بها إحدى عشر عاما، روى الحديث عن جماعة من أشياخ الأندلس[6].

وإذا كانت هذه الرحلة قد لقيت هذا الاهتمام من الطبقة الحاكمة، فإنّها كانت من تقاليد الأسر العلمية العريقة ببلاد المغرب كبيت بني سمجون اللّواتيين الطّنجيين، الذين ظهر منهم كثير من أهل العلم والفضل، ورحل بعضهم إلى الأندلس، واستقروا فيها، فظهر منهم بها أيضا علماء فضلاء منهم أبو عبد الملك بن سمجون (ت491هـ/1097م)، وهو زعيم المغرب وشيخه وذو الجاه العريض والقول المسموع

---

[1]- **عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ج1 ، الرباط ، 1380هـ ، 1960م، ص 86.

[2]- عبد الله كنون، المرجع نفسه، ص 90.

[3]- ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص193، 194، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س8، ق2، ص378.

[4]- ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص 130 ، 131 .

[5]- حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 269.

[6]- ابن الأبار، المصدر السابق، ج2 ، ص193، 194، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س8 ق2 ، ص378.

فيه[1]، كان من أهل العلم والأدب، وله شعر وخطب قويّة العارضة كثيرة الغريب، انتقل إلى طنجة صدر الدّولة المرابطية، فتقلد أحكامها، وانصرفت إليه جميع أمور الأندلس والمغرب[2]، أمّا بيت بنو الملجوم فعرف منهم أبو موسى عيسى بن يوسف بن عيسى بن علي الأزدي، (543هـ/1148م)، المعروف بابن الملجوم، وهو من بيوتات المجد القديمة بفاس[3]، كان جدّهم الفقيه العالم يوسف بن عيسى من أهل الفتوى والشورى، وهو الذي استفتاه يوسف بن تاشفين اللّمتوني لما أراد الجواز إلى الأندلس لينازل ملوكها...فلمّا أفتا له بذلك جاز أمير المسلمين إلى الأندلس وأنزل الثوّار من ولايتهم وظلمهم للمسلمين[4]، وكان عيسى عارفا بالفقه ذاكرا للمسائل، متقدما في علم الفرائض، محدثا حافظا راوية، سمع ببلده من أبيه قاضي الجماعة أبي الحجاج، ومن أخرين، وكان ممّن تولّى القضاء بفاس وبمكناس[5].

يتبيّن من خلال ذلك أنّ الرحلة العلمية إلى الأندلس لم تقتصر على طلاّب العلم فحسب بل طبقات مهمّة من المجتمع، قد تكون أبرزها مشايخ المغرب، الذين دخلوا الأندلس برغم مستواهم التعليمي الكبير الذي تلقوه ببلاد المغرب، ففي مجال الفقه نبغ عديد من علماء بلاد المغرب، الذين كان لهم باع كبير في هذا العلم، نذكر على سبيل المثال، أنّ أبو عبد الله بن عيسى: (ت 505/1111م)، الذي تلّقى شطراً من دراسته الفقهية بالأندلس قبل أن يصبح هو نفسه عمدة في الفتيا، وتدريس الفقه بسبتة، كان يتّلقى استشارات كبار قضاة الأندلس[6] ، أمّا القاضي عيّاض اليحصبي السبتي (ت 544هـ/1149م)، الذي دخل الأندلس طلبا للعلم في سنة 507هـ/1113م، ودرس في قرطبة على نفر كثيرين من المحدثين والفقهاء[7] فكان أكثر فقهاء بلاد المغرب رفعة ومنزلة في عهد المرابطين، وكان محدّثا وعالما باللّغة والنّحو، وكان كذلك أديبا خطيبا مترسلا بليغا وشاعرا[8]، اعتبر إمام المالكية وقدوتهم[9].

---

[1]- عبد الله بن كنون، المرجع السابق، ص 92 .

[2]- القاضي عياض، المصدر السابق، ص 197 .

[3]—كان لهذه العائلة مستقر في فاس على عهد الدّولة الادريسة، وكانت لهم مصاهرات بالادارسة وبالقبائل البربرية الزناتية، تداولوا مناصب الدّولة كالإمارة و الحجابة والقاضاء والفتوا، للتفصيل عن بيت أبن الملجوم ينظر:**ابن الأحمر**، بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطّباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص 10-15.

[4] - ابن الأحمر، المصدر نفسه، ص 14، 15.

[5]- عبد الله كنون، المرجع السابق، ص 90.

[6]- عبد الله كنون، المرجع نفسه، ص 87 .

[7]- ينظر أسماءهم في: **أحمد بن محمد المقري**، أزهار الرياض في أخبار عيّاض ، ج3 ، ضبط وتحقيق ، ابراهيم الابياري ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة ، 1308هـ/1939 م، ص 362.

[8]- عمر فروخ، المرجع السابق، ص 291.

[9]- حسن علي حسن، المرجع السابق ، ص 465.

وفي مجال الأدب ساهم علماء المغرب كغيرهم من العناصر الأندلسية في إثراء الأدب العربي، نثرا و شعرا، فظهر مجموعة من الأدباء الذين أثروا ميدان الأدب، ومن أهم من ارتحل أو استقر بأرض الأندلس في العصرين المرابطي والموحدي أبو إسحاق ابراهيم بن جعفر بن أحمد اللّواتي المعروف بإبن الفاسي (ت513)، معاصر يوسف بن تاشفين، كان من الوافدين إلى الأندلس لمتابعة دراسته، وكانت له مشاركة في الأدب[1]، وجعفر بن محمد بن عطيّة القضاعي،كان مولده سنة 517هـ/1173م، انتقل مع أسرته مابين دانية ومراكش، كان أبو جعفر كاتبا مترسلا بليغا سهل الأخذ سيّال الطبع وله نظم عاد[2].

ووجد من أعلام المغرب من تفوّق في مجال الشعر كمحمد بن عبد الله السلمي، أصله من جزيرة شقور، مولده بأغمات بمراكش سنة 530هـ/1136م، امتاز بقرض الشعر سكن مدينة فاس بعد أبيه، وولي قضاء اشبيلية وغيرها، توفي باشبيلية سنة 603هـ/1206م[3]، ومن الأدباء الذين نبغوا في عصر الموحدين يحي بن الزيتوني، من أصل فاسي، كان أديبا خفيف الرّوح رقيق الحاشية حسن المذهب، له شعر بديع وترف مطبوع، أورد ابن بسام واقعة جرت بينه وبين أبي الوليد بن زيدون بمجلس المعتمد، قصد فيها أديب الأندلس أن ينال من المترجم ولكن هذا أفحمه[4]، ومن أشهر الشعراء من أبناء المغرب الذين اشتغلوا بالبلاط الموحدي أبو العباس أحمد الجراوي[5]، أديب المغرب على الإطلاق في زمانه الذي ابتدأ دراسته في مدينة مراكش وأتمها في الأندلس[6]، أمّا محمد بن حبوس فيطلق عليه شاعر العصرين المرابطي والموحدي، وهو من الشعراء المتقدمين في العصر المرابطي، وكان قد انتقل الى الأندلس متّخفيا حتّى والت الدّولة المرابطية [7]، ومن شعراء فاس النابغين في العصر الموحدي الشاعر الشهير "ابن الياسمين" أبو محمد بن عبد الله بن حجاج (ت601هـ/1204م)، أصله من بني حجاج من قلعة فندلاوة، سكن مدينة فاس، وقد خدم ابن الياسمين الخليفة الموحدي يعقوب المنصور ثم ولده الناصر من بعده[8]، وله شعر كثير

[1]- أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج3، ص157. حسن علي حسن، المرجع السابق ، ص 465.

[2]- أحمد بن محمد المقري، المصدر نفسه، ج5، ص 184.

[3]- صالح محمد فياض أبو دياك، العلاقات الثقافية بين المغرب والأندلس، مجلة المؤرخ العربي، العدد 33، السنة الثالثة عشر، 1407هـ/1987م، ص 118.

[4]- عبد الله كنون، المرجع السابق ، ص 93.

[5] - عبد العباس ابراهيم، المرجع السابق، ص 339.

[6]- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج، ص 98- 102، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ق1، ج1، ص 92، 93، العباس بن ابراهيم السّملالي، المصدر السابق، ج2 ، ص 71.

[7]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص289.

[8]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص 290.

حوى مسائل حسابية وهندسية ومعضلات رياضية من الصّعب فهمها[1]، فهي تدّل على أنّ ثروة ابن الياسمين الأدبية لايستهان بها[2].

كانت مشاركة علماء المغرب في الأندلس خلال العهدين المرابطي والموحدي مشاركة علمية معتبرة في العلوم الدّينية، وعلوم اللّغة، وآدابها، ولم يكونوا بمعزل عن بقية العلوم، كعلم الكلام، والفلسفة، ففي علم الأخبار مثلا حفظت لنا كتب التّراجم بعض كأبي علي المنصور بن محمد بن الحاج داود بن عمر الصنهاجي اللّمتوني، الذي كان عارفا بالأخبار، والسنن والأثار، وهو فخر لمتونة العلمي ليس لهم مثله ممّن دخل الأندلس[3].

برغم النشاط العلمي المحسوس لشيوخ وطلبة المغرب إلاّ أنّنا يجب أن نشير إلى أنّ تواجدهم بالأندلس كان محدود نسبيا خلال هاته الفترة، وأكثرية من من دخل منهم للأندلس كان للدراسة ولتحصيل العلم، والإفادة من شيوخه، واختار الكثير منهم العودة لنشر تلك العلوم ببلده، أو ببلدان المغرب الأخرى، كما أنّ هذا التّواجد كان عبارة عن مبادرات خاصّة، من الأساتذة، والطّلاب للاستزادة من علوم الأندلس، على خلاف توافد علماء الأندلس على بلاد المغرب الذي كان بتشجيع من السلطة الرسميّة.

2- أعلام المغرب الذين قاموا بالتدريس في الأندلس

لم يكتف المرتحلون إلى الأندلس من أعلام المغرب بطلب العلم بل قاموا بدور تعليمي لايستهان به، وقد تحدثت كتب التراجم والطّبقات عن عدد لابأس به عن أولئك الذين قاموا يعلّمون في معاهد الأندلس ومدارسها[4]، قادمين من حواضر المغرب العلمية المختلفة، فكان منهم من تلّقى علومه بحواضر المغرب العلمية وانتقل للتّعليم بالأندلس، ومنهم من تحوّل من طالب للعلم إلى مدّرس للعلوم هناك، منتشرين بمختلف المدن الأندلسية، وكان أكثر مايشتغلون بتدريسه العلوم الدينية، خاصّة منها الفقه.

عرفت العلوم الفقهية بالمغرب والأندلس خلال الفترة مابين القرنين الخامس والسادس الهجريين ازدهارها كبيرا برغم اختلاف المرابطين والموحدين حول الأصول الفقهية، فالفقه المرابطي كان فقه فروع لا سبيل إلى الاجتهاد فيه لكون المرابطين أنفسهم كانوا يميلون إلى التّسليم بأقوال أئمة المذهب المالكي، أمّا

[1]- جمال أحمد طه، المرجع نفسه، ص 291.

[2]- جمال أحمد طه، المرجع نفسه، ص290.

[3]- **حاج عبد القادر يخلف**، الإسهام الفكري للبربر في الأندلس من العهد العامري إلى نهاية الوجود المرابطيي (371-539هـ/981م-1144م)، "رسالة ماجستير"، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2008-2009، ص 169، 170.

[4]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص 305.

الأصول المعتبرة عند الموحدين في الفقه، هي القرآن والسنة والاجتماع[1]، أما القياس فلا يأخذون به إلاّ القياس الشرعي[2]، لذلك فقد ازدهرت على عهدهم دراسة أصول الفقه وأصول الدين في بلاد المغرب إلى درجة أنّ بعض الأندلسيين كانوا يرحلون إلى المغررب لدراسة هذين العلمين[3]، وعُقدت المجالس العلمية الحافلة في كل من مدينة مراكش وسبتة وفاس للمناظرة، وبزغت إلى الوجود بهذه المدن أسماء فقهاء خدموا المذهب المالكي خاصّة بتصدرهم تدريسه بحواضر الأندلس الكبرى.

بتتبعنا لأعلام المغرب الذين قاموا بتدريس العلوم الفقهية بالأندلس سنجد أنّ منهم من قعد للتّدريس على يد فقيه أندلسي، ويمكن أن نذكر في هذا الاطار عددا منهم، كأبي يوسف الزناتي، الذي قعد للتّدريس والمناظرة على الفقيه أبي القاسم محمد بن إسماعيل الزنجاني بإشبيلية، واجتمع إليه مدّة قبل رحيله إلى العدوة[4] أمّا عبد الله بن إبراهيم الكتامي السبتي، المتخصص في الفقه والتّوحيد والعقيدة، فكان يخلف أبا الوليد الباجي في التّدريس إذا غاب، ويتّضح من خلال اتجاهه المعرفي أنّه اشتغل بتدريس التّوحيد والعقيدة بسبتة قبل التحاقه بالأندلس[5].

ومن هؤلاء الأعلام من كان يحدث ويناظر عنه كعبد الله بن سعيد الوجدي الذي كان من جلّة الفقهاء الحفاظ لمسائل الرأي القائمين عليها، وكان يناظر عليه ويجتمع في ذلك عليه، وقد حدّث عنه أبو العرب عبد الوهاب بن محمد التيجي، وأبوعبد الله بن خليل القيسي نزيل مراكش، وإذا كان عبد الله بن سعيد الوجدي قد وليّ قضاء بلنسية لأوّل فتحها في الدّولة المرابطية، في سنة 498هـ/1104م، وتوفي بها قبل سنة 510هـ/1116م[6]، فإنّه وبلا شك قد درّس بها .

كما كان منهم من درّس بالمغرب قبل التحاقه بالأندلس، ومن الأمثلة التي نضربها بهذا الخصوص، إسحاق بن ابراهيم بن يعمر الفاسي ت609هـ/1212م، من فقهاء المالكية في المغرب، كان متبحرا في الفقه حتى قيل إنّه كان يحفظ المدونة مدونة سحنون، درّس الفقه المالكي في المغرب والأندلس[7]،

[1] – ابن تومرت، المصدر السابق، ص 18 ، 280.

[2] – ابن تومرت، المصدر نفسه، ص 173، 174.

[3] – محمد عبد العزيز عادل، المرجع السابق، ص115.

[4] – حاج عبد القادر يخلف، المرجع السابق ، ص 149.

[5] – ووفاته سبقت وفاة أبي بكر المرادي بسنوات كثيرة، لأنّ المرادي ينسب إليه أنّه أوّل من أدخل التّوحيد إلى المغرب، القاضي عياض، المصدر السابق ، ص 31.

[6] – عبد الله كنون، المرجع السابق ، ص 87 .

[7] – **ايمان بنت دخيل الله العصيمي**، العلاقات العلمية بين الأندلس ومدينة فاس من بداية القرن الثالث الهجري وحتى سقوط غرناطة(201-898هـ/818-1292م)، ص 222.

وهذا دليل على الصلة الفقهية الوثيقة بين المغرب والأندلس التي كان أساسها وحدة أدوات التفكير والاجتهاد"[1].

ولم يتّخلف علماء المغرب الأوسط عن الركب، إذ كان لهم نصيب فيما يتعلق بتدريس العلوم بالأندلس، خاصّة منها العلوم الفقهية، منهم على سبيل المثال ابن سعيد (أبو محمد) ت510هـ-1116م، والذي كان يناظر عليه ويجتمع في ذلك إليه وبه تفقه جماعة،،،[2].

وتمكن مغاربيون كثيرون من فرض أنفسهم في مجال القراءات، وعلوم القرآن بالأندلس، التي تنقلوا إليها أساتذة أو طلابا، وأصبحوا فيما بعد من أعلام علوم القرآن ومن بينهم: موسى بن سليمان اللّخمي (ت1100/494م) وهو من الّذين رحلوا إلى الأندلس واستقروا بألمرية واشتغلوا بدراسة الإقراء[3] ، ومنهم كذلك... محمد بن سعيد بن .. (أبو العباس) ت 539هـ/1144م، تصدر باشبيلية للإقراء، ذكر مجموعة من طلبته الذين قدموا للدراسة عليه من اشبيلية ومالقة وسمعوا مؤلفه وأجاز لبعضهم[4]، أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن حرب المعروف بالمسيلي، الذي تصدّر للإقراء بإشبيلية، وكان من أهل الحذق والتّجويد[5]، ومن الذين علّموا هذا العلم بالمغرب والأندلس عبد الرحمان بن القاسم بن يوسف بن محمد المغيلي (ت614هـ/1217م)، من أهل فاس، نشأ ودرس بمسقط رأسه، وأخذ عن مشيخة بلده، ثم انتقل إلى سبتة فسمع من أبن عبيد الله، وأبي ذر الخشني، وأبي العباس الجراوي وغيرهم، وروى عنهم، ثم سكن غرناطة وتصدر للإقراء بها بعد أجازو ابن رشد له، توفي في غرناطة أخذ عنه كثير من شيوخ الأندلس منهم أبو القاسم بن الطّيلسان، وأبو عبد الله بن سعيد بن الطراز، أبو محمد القرطبي وغيرهم[6].

كما كان لأعلام أهل المغرب نصيب في تدريس علوم الأصول والكلام، ويمكن أن نذكر منهم على سبيل المثال أبو القاسم عبد الرحمان بن محمد المعافري (ت 502هـ/1108م)، من أهل سبتة، ولى قضاءها والخطابة بمسجدها، كما تولّى قضاء الجزيرة الخضراء، ودرّس بها الأصول والكلام مدّة حياته، وعليه أخذ ذلك جماعة من الشيوخ، ورحل إليه النّاس في درس ذلك عليه[7]أمّا....بن جبارة بن خلفون (أبو تميم) ت584هـ-1188م، فإجتمع إليه ببلنسية وبتلمسان في علم الأصول وغير ذلك، وبه انتفع أهل

---

[1]- **محمد القبلي**، مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، ط1، دار توبقال للنشر، 1987م، ص18.

[2]- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص914، 915.

[3]- القاضي عياض، المصدر السابق، ص 197.

[4]- ابن الأبار، المصدر السابق، ج1وج2، ص48، ص158-759.

[5]- ابن الأبار، المصدر نفسه، ج1، ص46 ، 47 .

[6]- ابن الأبار، المصدر السابق، ص 592.

[7] - عبد الله كنون، المرجع السابق، ص 91.

بلنسية وعنده طول ولايته ناظروا، وكان هو يصفهم بثقوب الأذهان وجودة القريحة[1]، وبالنسبة لأعلام فاس البارزين الذين درّسوا علوم الأصول والكلام، فتذكر لنا كتب التراجم منهم، علي بن حسن الصيني الفاسي المتوفى عام 600هـ/1203م الذي ولي قضاء غرناطة، وقام بتدريس العربية وعلم الاصول، وغير ذلك من العلوم بتلك المدينة، وكان عليّا بارعا في علومه[2]، أمّا أبو الفرج بن المهاجر الفاسي (ت630هـ/1232م) والذي كان متقدما في علوم الأصول والكلام، فقام بتدريس هذه العلوم وغيرها بمدينة أشبيلية، حيث تفقه عليه جماعة هناك[3].

كما كان أبو الفرج بن المهاجر الفاسي نحويا عارفا أخذ بفاس "كتاب سيبويه"عن ابن الخروف تفقها، وأقرا هذا العلم بإشبيلية كذلك[4]، وكان هناك كثير من أعلام المغرب من درّس علوم العربية في الأندلس في العصور المختلفة منهم ...بن علي بن محمد ت 614هـ-1218، الذي أقرأ العربية بجزيرة ميورقة وأخذ عنه،،،[5].وعبد الرحمان بن القاسم بن يوسف بن محمد المغيلي الفاسي المتوفى عام 619هـ/1221-1222م والذي قام بتدريس علوم اللّغة العربية بسبتة ثمّ بعد ذلك بغرناطة[6]. وهناك من جمع بين تعليم اللّغة العربية وعلوم أخرى ذات صلة مثل عبد الله بن محمد ابن عبيد الله الحجري المري السبتي، ولد سنة (505هـ/1111م) ، علّم بمالقة اللّغة والقرآن والحديث، ثمّ سكن سبتة ثم فاس، مدّة وعاد إلى سبتة فاستقر بها، فرحل النّاس إليها من كل مكان للسماع منه، وكان ممّا جمع الله له بين العلم والعمل واتساع الرواية[7].

ومن الذين اختصوا بتعليم القرآن بالأندلس أبو محمد تاشفين بن محمد المكتب، ت609هـ/1212م ، كان عالما زاهدا عابدا، معلّما بالقرآن له حظ من الشعر، دخل الأندلس غازيا ودخل قرطبة سنة 608هـ/1211م، فأقام بها أيّاما يلقى فيها الزاهدين[8].

وبرغم أنّ الغالب على أهل المغرب الاهتمام بالعلوم النّقلية، إلاّ أنّ ذلك لايعني أنّهم لم يكن لهم

---

[1]- ابن الأبار، التكملة للصلة، ج2، ص719.

[2]- ابن الزبير، المصدر السابق، ج7، ص184-149.

[3]- **جلال الدين السيوطي**، بغية الوعاة في طبقات النحويين والنحاة، ج2، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، دت، ص244.

[4]- ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص 108.

[5]- إبن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص271.

[6]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص 307.

[7]- **محمد بن القاسم الأنصاري السبتي** ، إختصار الأخبار عمّن كان بثغر سبتة من سنّي الأنصار ، تح : عبد الوهاب بن المنصور ، ط2 ، الرباط ، 1403هـ-1983م ، ص 13.

[8]- ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص 235، ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص 172.

تمكين في العلوم العقلية، برغم قلتهم حسب المصادر التّاريخية، ومن أبرز من يذكر في هذا الصدّد عبد الله بن الياسمين الذي قام بتعليم علم الجبر والرياضيات بأشبيلية بعد عام 578هـ/1182م[1]، وبدر بن ابراهيم المتوفى قبل عام 600هـ/1203م، دخل الأندلس فسمع النّاس منه باشبيلية[2].

3- الإنتاج العلمي لعلماء بلاد المغرب

إنّ توافد أعلام بلاد المغرب للدّراسة والتّدريس بالأندلس في عصر المرابطين والموحدين يشير إلى حقيقة تلك الحركة العلمية التي كانت في الاتجاه المعاكس، أي من المغرب إلى الأندلس، لكنّ ثمرة هذه الحركة كانت أكثر وضوحا من خلال ظهور عدد لابأس به من التآليف والتّصانيف التي كان أصحابها من أهل المغرب، وبناء على ماتشير إليه الروايات الترجمية فإنّ منهم من اختار نشر علومه ومعارفه ببقائه في الأندلس مع الأندلسيين، ومنهم من فضّل الرجوع والعودة ليحمل معه ما تلقاه من علوم ومعارف وينشرها بين أهل المغرب.

تنوعت المصنفات والمؤلفات التي دوّنت، في الفقه والحديث منها التآليف الفقهية للقاضي عيّاض اليحصبي السبتي(ت 544هـ/1149م)، التي نذكر منها "الشفا في تعريف حقوق المصطفى" ، "مشارق الأنوار إلى صحيح الأثار"، "ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أئمة مذهب مالك"، "الغُنية"[3]، وأبو عبد الله محمد بن عليّ بن جعفر بن أحمد بن محمد القيسي (ت567هـ/1171م)، الذي له تواليف منها :" تسهيل المطلب في تحصيل المذهب" وكتاب "التّقصي عن فوائد التّقصي" و"التبيين في شرح التّلقين" و"مختصر نبيل في أصول الفقه"[4]، ومحمد بن علي بن جعفر(أبو عبد الله) ت 567هـ/1171م من قلعة بني حماد، كان مهتما بالفقه والأصول وله في ذلك ثلاث مصنفات.

وفي علم الحديث تبرز تصانيف أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم ابن عبد الله ابن ياسين الحمزي المعروف بابن قرقول، وهو من الأفاضل، وصحب جماعة من علماء الأندلس، وكان يبصر الحديث ورجاله، حدّث وأخذ عنه النّاس، وصنّف وألّف، ومن مؤلفاته "مطالع الأنوار على صحاح الآثار" صنّفه على منوال "مشارق الأنوار "للقاضي عيّاض" توفي بفاس سنة (569هـ- 1173م)،[5]، أمّا أبو عبد الله

---

[1]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص307.

[2]- جمال أحمد طه، المرجع نفسه، ص307.

[3]- عمر فروخ ، المرجع السابق ، ص 291.

[4]- حاج عبد القادر يخلف، المرجع السابق ، ص 147.

[5]– ابن خلكان، المصدر السابق، ج1 ، ص62 .

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مفرج بن سليمان بن عبد الله العزيز القيسي الشاطبي المعروف بابن تريس ويشتهر بالمكناسي (ت561هـ/1165م)، فكانت له مشاركة في علم الحديث وروايته متّسقة، وله في شيوخه مجموع سمّاه "التعريف"[1]، ومن العلماء المهتمين بالحديث ابراهيم بن أدهم (أبو إسحاق) (ت569هـ/1173م) من المسيلة، وضع مصنفات في ذلك، لكنّ الروايات لم تشر إلى أسمائها.

وفي علوم القرآن ظهرت عديد من المؤلفات والتّصانيف، منها كتاب "التقريب في القراءات السبع" لأبي العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن حرب المعروف بالمسيلة[2]، وهو من القُرّاء العارفين بالقراءات، كما وضع أحمد بن محمد بن سعيد المسيلي 539هـ/1144م مصنفا في علم القراءات سمّاه "التقريب"، ولعلّه قد وضّح وقرّب فيه طرق قراءة القرآن وتلاوته في الروايات الموجودة في ذلك، اضافة إلى مصنفات أبي علي منصور بن الخير يعقوب بن علي المالقي المغراوي المعروف بالأحدب(ت 526هـ/1131م) الذي صنّف في القراءات كتبا أخذها عنه النّاس، وأثنى عليه اليسع بن حزم فقال "رحلت إليه فوجدته بحرا في علوم القراءات بعيد الغور والغايات"[3]، أمّا أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصّنهاجي، المعروف بابن العريف (ت536هـ/ 1141م)، فيعتبر فقيها زاهدا، إماما في الزهد، عارفا محققا، تصدر للإقراء بألمريّة وسرقسطة[4]، كان يكتب سبعة خطوط لايشبه بعضها بعضا، وله مشاركة بالعلوم وعناية بالقراءات وجمع الروايات، من تصانيفه: "محاسن المجالس"و"مطالع الأنوار ومنابع الأنوار"، طلبه سلطان مراكش علي بن يوسف بن تاشفين، ولم يلبث أن توفي في مراكش بعد وصوله إليها، وكان عمره 55 عاما[5]، ويمكن أن نذكر اضافة إلى هؤلاء كذلك أبو الأصبع عبد العزيز بن علي بن محمد بن مسلمة بن عبد العزيز السماتي الإشبيلي، ويعرف بابن الطّحان(توفي بعد 554هـ/ 1159م)، كان أستاذا ماهرا في القراءات، وله تواليف منها ،كتاب"شعار الأخيار وهجيري الأبرار في التّهليل والإستغفار"، يقول عنه ابراهيم حركات بأنّه مغربي، ولد باشبيلية وقد غادرها إلى فاس سنة554هـ/ 1159م، وله تلاميذ أندلسيون[6]، ومن تلمسان نذكر عبد الله بن محمد أبو محمد 561هـ/1165م، كان متمكنا في علوم القراءات واللّغة والأدب والشعر وله مصنفات في تلك العلوم.

تؤكد أبحاث الدّارسين المحدثين أنّ هذه المؤلفات والمصنفات كانت تكتب بالحرف العربي في بلاد

---

[1]- ابن الأبار، المصدر السابق، ج2 ، ص 28 29.

[2]- ابن الأبار، المصدر نفسه ، ج1،ص 46 ،47.

[3]- ابن الأبار، المصدر السابق ، ج4 ، ص72 .

[4]- حاج عبد القادر يخلف، المرجع السابق ، ص 147.

[5]- ابن عميرة الضبي، المصدر السابق، ج2 ، ص 209، ابن الأبار، المقتضب من كتاب تحفة القادم، ص 70 .

[6]- ابن الأبار، المصدر السابق ، ج3،ص94 95، ابراهيم حركات، مدخل إلى تاريخ العلوم، ص 11، 12.

المغرب خلال المرحلة الوسيطية[1]، ولا تطلعنا المصادر- المتوفرة- على ظهور التأليف باللّغة البربرية في الأندلس بشكل واضح وصريح إلاّ نادرا من خلال كلمات ارتبط ظهورها بالتواجد الكبير للبربر في الأندلس[2]، والظّاهر أنّ ذلك راجع إلى المكانة التي حظيت بها اللّغة العربية وانتشارها الواسع في عصري المرابطين والموحدين[3]. حتّى أنّها امتدّت لتكون لغة التأليف والتّصنيف للمغاربة في ميدان النتر والشعر، فظهر بهذا الخصوص مجموعة من الأعلام الذين أثروا الساحة الأدبية بالمغرب والأندلس كان أهمّهم في مجال النتر أبو عبد الله بن ابراهيم بن وزمّر الحجازي الصّنهاجي[4]، الذي أثنى عليه المؤرخون ونعتوه بأوصاف تؤكد مكانته الرفيعة فيسمّيه ابن سعيد بجاحظ المغرب صاحب المسهب، الذي اشتهر ببلاغته البديعة نظما ونثرا ومعرفة التصنيف[5]، بينما وصفه ابن الخطيب بالأديب المصنف فقال "وكان ماهرا كاتبا شاعرا رحالاً"، وذكر تواليفه البديعة "الحديقة في البديع"[6]، أمّا المقري فقد قال عنه "حافظ الأندلس، إمام الأدباء، رئيس المؤلفين، حسنة الزّمان، نادرة الإحسان"[7].

أمّا في مجال الشعر فظهر أبو عبد الله محمد بن سليمان النفزي، الذي أسهم بإقراء كتب الأدب، فقد أخذ عنه كتاب "أدب الكاتب" لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وكتاب "فصيح الكلام" لأبي العباس أحمد بن يحيبن زيد الشيباني الملّقب بثعلب[8]، وفي ميدان الشّعر الصّوفي برز أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي المعروف بابن العريف، كان صاحب منظوم بديع وأكثر شعره في طريقة الزّهد والتصوف ومن مختارات نظمه قوله :

لست أدري أطال ليلي أم لا كيف يدري بذلك من يتلّقى ؟
لـو تفرغت لاستطالـة ليلي ولرعي النّجـوم كنت مُخـلا[9].

---

[1]- **ابراهيم القادري بوتشيش**، حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الاسلامي، ص56.

[2]- الحبيب الحاكمي، المرجع السابق، ص 82.

[3]- يرى أحد الباحثين أنّ المراسلات المرابطية كانت تتم باللغتين البربية والعربية أو بلغة نصارى الأندلس حسب مقتضى الحال، استنادا منه إلى النص الذي يتحدث عن كاتب يوسف ابن تاشفين ومعرفته باللغات، ينظر: **بغداد غربي**، خطة الكتابة على عهد الموحدين، مذكرة ماجستير غير منشورة، قدمت بكلية الحضارة والعلوم الإنسانية، جامعة وهران، 2006-2007م، ص11.

[4]- ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص35 ، 36، لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ج3، ص328، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق ، ج4، ص123.

[5]- ابن سعيد، المصدر السابق، ج2، ص35.

[6]- لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ج3، ص328 ، 330.

[7]- لسان الدين بن الخطيب، المصدر نفسه، ج4، ص123.

[8]- ابن خير الإشبيلي، المصدر السابق، ص 299 300.

[9]- أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج5 ، ص 598 .

إنّ للعاشقين عن قصر الليـ ـل وعن طوله من الفكر مخّلا
إذا نـزلت بساحتك الـرزايا فلا تجـزع لها جـزع الصّبي
فإنّ لكـلّ نـازلة عـزاء بمـا كـان من فقـد النّبي[1]
لأنهضنّ إلى حشري بحبهم لابارك الله فيمن خانهم فنسي[2]

وفي النّحو ظهر أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن فرج بن سليمان بن عبد العزيز القيسي الشاطبي، المعروف بابن تريس المشهور بالمكناسي، كان بصيرا بالنّحو وله فيه تأليف سمّاه "الإبتداء بهمزة الأمرو الإيواء"[3].

أمّا في علم الأخبار، فقد حفظت لنا كتب التّراجم بعض الأسماء منها : "أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن مفرج بن سليمان بن عبد العزيز القيسي الشاطبي"، الذي كانت له مشاركة في حفظ التواريخ ، أمّا "أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله النفزي" فكان له تواليف في الزهد منها، "الفوائد المبسوطة"، "بستان المتيقن"، "رياض العابدين"، "سبيل الهدى".

بالنّظر إلى أنّ بلاد المغرب والأندلس أصبحتا وحدة سياسية واحدة فإنّ ذلك فرض على علماء بلاد المغرب أن يؤدوا نفس الأدوار التي أداها نظرائهم من بلاد الأندلس، حيث استطاعوا نشر مصنفاتهم العلمية، وتراث بلدهم بالأندلس، مساهمين بذلك في اثراء حركة التأليف بالمغرب والأندلس،مع أن المصادر الترجمية لم تهتم بذكر تفاصيل كبيرة عن تلك المصنفات، ما أدّى إلى ضياع جزء من التراث المغربي.

من خلال ماتقدّم يتبين بأنّ علماء بلاد المغرب سواءا كانوا طلبة علم أو أساتذة قد أفادوا بلاد الأندلس بما حملوه معهم من زاد في العلم اضافة إلى مؤلفات بقيت الاستفادة منها عامة بعدهم من الطلبة الأندلسيين ومن كلّ من له رغبة في التبحر في العلم، فكان من نتائج ذلك أن ارتفع نبض النّشاط العلمي في بلاد المغرب والأندلس، وازدهر العمل التأليفي في مختلف العلوم، وكان انعكاس هذا التّقارب العلمي بين العدوتين واضحا جليّا.

[1]– ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س5، ص 331.
[2]– أحمد بن عميرة الضبي، المصدر السابق، ص 142.
[3] – ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص28 29.

الفصل الخامس: التمازج الحضاري بين المغرب والأندلس في عصري المرابطين والموحدين

المبحث الأوّل: الاندماج العسكري بين الجيش الأندلسي وجيوش بلاد المغرب

المبحث الثاني: التمازج الإجتماعي بين المغرب والأندلس

المبحث الثالث :مسالك التّواصل التّجارية والثّقافية بالمغرب الإسلامي خلال العصرين المرابطي والموحدي.

الفصل الخامس: التمازج الحضاري بين المغرب والأندلس في عصري المرابطين والموحدين

لقد ركزنا في الفصول السابقة على اظهار الصلات المتعددة التي نشأت بين بلاد المغرب والأندلس خلال الفترة المرابطية والموحدية، وقد تأكدّ لنا وجود علاقة تأثير متبادلة، والتي كانت تتم بلا شك عن طريق الملاحظة والاحتكاك بين أهل المغرب والأندلس، لكنّ هذه العلاقة لم تقتصر على هذا الأمر فقط، فبلاد المغرب والأندلس بمكوناتهما البشرية والاجتماعية والجغرافية ووحدتهما السياسية خلال هذه الفترة الزمنية الممتدة لأكثر من قرن قد شهدت حالات من الإندماج والانصهار والمشاركة والتعاون سواءا على مستوى الفعل البشري، أوعلى مستوى الالتحام الجغرافي.

المبحث: الاندماج العسكري بين الجيش الأندلسي وجيوش بلاد المغرب

كوّنت بلاد المغرب والأندلس دولة واحدة أيّام الدولتين المرابطية والموحدية، لدرجة أنّ البلدين سميا بالعدوتين، عدوة المغرب وعدوة الأندلس[1]، وقد لعب الجيش دورا مهما في تحقيق وحدة المغرب والأندلس، بعدما قام بأعمال جليلة بدءا بالجيش المرابطي الذي خاض معارك طويلة كي يصل إلى الأندلس بدءا بمعارك الجنوب إلى معارك المغرب الأقصى والأوسط، ثم العبور إلى الأندلس ومواجهة النصارى والقضاء على ملوك الطوائف ثم الوثوب هناك من أجل تحدي النصارى، ولم تكن مسيرة الجيش الموحدي أقل مشاقا، انطلاقا من مواجهة المرابطين في المغرب والأندلس، إلى القضاء على ثورة الأندلسيين، فالمواجهات المتواصلة لجيش النّصارى بالأندلس، وإذا كان كل المرابطين والموحدين على دراية تامّة بأحوال بلاد المغرب ومتمكنين من أسباب النّصر هناك، فإنّ عبور الجيوش المرابطية والموحدية على التوالي إلى الأندلس قد فرض عليهم واقعا جديدا لم يكن ادراكه بالأمر السهل لولا تعاونهم العسكري مع الأندلسيين الذي تقاسم الخبرات وتكوين جيش موحد.

[1] – **علي المنتصر الكتاني**، انبعاث الاسلام في الأندلس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005، ص 389.

1) تكوين الجيش المرابطي والموحدي

يعود الفضل في تأسيس الجيش المرابطي إلى عبد الله بن ياسين الداعية الروحي للمرابطين وذلك حينما ابتنى رباطا للعبادة[1]، لإعداد مريديه إعدادا تربويا دينيا سليما، ونهج بهم منهجا سلوكيا قائما على العلم والجهاد في سبيل الله، وقد بدأ الجيش بسبعة نفر من قبيلة "جدالة" ونفر واحد من "لمتونة" وهو"يحي بن عمر اللّمتوني" صحبة فقيههم عبد الله بن ياسين[2]، ولم يكد يمضي عليه بضعة أشهر حتّى أقبل عليه وتوافدوا إلى رباطه[3]حتّ اجتمع له نحو ألف رجل من أشراف صنهاجة، سمّاهم بالمرابطين لملازمتهم لذلك الرّباط[4]، تلّقوا فيها تكوينهم الروحي والحربي[5].

استطاع عبد الله بن ياسين تحويل هذه الطائفة إلى جماعة حربية هدفها دعوة قبائل الملّثمين للدخول في الإسلام وانضمامهم لدعوته[6]، ولكثرة الموريدين وضع عبد الله بن ياسين نظاما خاصّا للقبول في رباطه، ووضع قواعد تُطّبق داخل الرّباط، يسير عليها الجميع، كي لا تفسد الرّابطة النّاشئة بالمخّربين، فكان ينتقي أطهر الملّثمين نفسا وأوفرهم قوّة وأقدرهم على تحمّل المشاق[7]، وكان يفرض على الموريدين الجدد انكار ماكانوا عليه من قبل أن يدخلوا في الإسلام من جديد، كما أقام عليهم الحدود[8]،كي يُطّهرهم من الذنوب، واقتصّ منهم وفقا لأحكام الشّريعة الإسلامية، وفرض عليهم قضاء مافاتهم من صلاة[9]، ويبدوا أنّ الموردين كانوا

---

[1]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 125، السلاوي الناصري، ج2 ، المصدر السابق ص8 .

[2]- **فتحي زغروت**، الجيوش الاسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين(المغرب والأندلس)، ط1، دار التويع الاسلامية، القاهرة، 1426هـ-2005م، 59، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج2، ص301، 302.

[3]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 125 .

[4]- ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص 125، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 302.

[5]- فتحي زغروت، المرجع السابق، ص59.

[6]- فتحي زغروت، المرجع نفسه، ص 59.

[7]- سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص 26 .

[8]- كان يضرب حد الزاني مائة سوط، وحد المفتري ثمانين سوطا وحد الشارب مثلها، وربما زيد، أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص 169، ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص 12.

[9]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 125.

يجتازون اختبارا بدنيا ونفسيا شاقا بموجبه يعتبر كل من اجتازه جنديا في هذا الرباط[1]، فكان يطرد من يفشل في التّجربة ويبقى من يجتازها بنجاح، ثم يجمع الفائزين ويتّولى تثقيفهم في أمور الدّين[2].

ومن الواضح أنّ عبد الله بن ياسين كان يهيئ المرابطين لهدف عظيم كان يسعى إلى تحقيقه، وهو توحيد الملّثمين تحت لوائه[3]، وبالتّالي التأسيس لقوّة عسكرية بسيطة ومهيكلة [4]، حيث قسّم هذه القوّة إلى عشرات أو خمسات، وعيّن على كل عشرة منها عريفا أو نقيبا يكون أميرا لها ومسؤولا عنها سواءا في حياة الرباط أو في تبليغ الدّعوة إلى الأهل والعشائر، وقد اختار لهذه المجاميع قائدا عسكريا سياسيا هو يحي بن ابراهيم الجدالي زعيم جدالة[5]، كقائد عسكري ثمّ من بعده يحي ابن عمر اللّمتوني ثمّ أبو بكر بن عمر اللّمتوني من بعده، وهؤلاء القوّاد مهمتهم قيادة هذه الجماعات في الحروب بينما تفرغ "ابن ياسين" للتوجيه الديني ونشر الدّعوة بنفسه[6].

أمّا عن فن القتال الذي عرفه المرابطون في هذه المرحلة، فكان يتماشى مع تقاليد الملّثمين في خوض المعارك، حيث كانوا يعتمدون على صنفين من المقاتلة: الرّجالة، والأبّالة [7]، وقد وصف لنا البكري المعاصر للمرابطين طرق قتال الملّثمين، ونقل بعضها صاحب الحلل فقالا"وهم يقتالون على الخيل والنجب"[8]، "وكان قتالهم على النجب أكثر من الخيل"[9] "وكان أكثر قتالهم رجالة صفوفا، بأيدي الصف الأوّل القنا الطويل، ومايليه من الصفوف بأيديهم المزاريق يحمل الرجل الواحد منها عدّة يزرقها فلا يكاد يخطى ولايشوى ولهم رجل قد قدموه أمام الصف بيده الراية، فهم يقفون ماوقفت منتصبة وإن أمالها إلى الأرض جلسوا جميعا فكانوا أثبت

[1]- فتحي زغروت، المرجع السابق، ص60.
[2]- سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق ، ص 26 .
[3]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 141.
[4]- فتحي زغروت، المرجع السابق، ص60، 61.
[5]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص79، فتحي زغروت، المصدر نفسه، ص60.
[6]- فتحي زغروت، المرجع نفسه، ص60، 61.
[7]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 386.
[8]- أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص166.
[9]- مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص22.

من الهضاب ومن فر أمامهم لم يتبعوه"[1]، ويدّل ذلك على وجود تنظيم عسكري دقيق يعتمد على ترتيب مسبق، ومهارة في استخدام الأسلحة، وسرعة في تنفيذ المهام العسكرية.

كانت مرحلة عبد الله بن ياسين مهمّة جدّا بالنسبة للمرابطين فهو صاحب الفضل في بعث تلك الروح الكبيرة في المرابطين التي تلائمت مع شدتهم في القتال، فقد أصبح هؤلاء الملّثمين يقاتلون من أجل هدف أسمى[2]، وقد ظهر هاته الروح جليّة عندما قالوا لعبد الله بن ياسين :"أيّها الشيخ المبارك مُرنا بما شئت تجدنا سامعين طائعين، ولو أمرتنا بقتل آبائنا لفعلنا"[3]. لكنّ هذه المرحلة ستنتهي بوفاة ابن ياسين، وكانت الفترة التالية أكثر أهميّة من النّاحية العسكرية ذلك أنّها كانت بحاجة إلى قائد عسكري محنك، وشاءت الظروف التي مرّت بها الدّولة المرابطية أن يتوّلى القيادة السياسية والعسكرية للمرابطين، رجل سيكون له أكبر الأثر في تاريخ المرابطين العسكري، إنّه يوسف بن تاشفين الذي أوكلت إليه مهمة استكمال فتح المغرب الأقصى، فكان على مستوى المسؤولية، واستطاع في بضعة سنين أن يتّغلب على معظم نواحي المغرب الجنوبية الوسطى والشمالية.

باستلام يوسف بن تاشفين الأمر في المغرب، نجد قيادة جديدة لاتختلف عن القديمة إنّما هي استمرار لها ومستوحاة من مصدر واحد موصول بالإرث الذي خلّفه عبد الله بن ياسين. فيوسف بن تاشفين قائد من نمط صحراوي كامل مالكي شديد التّدين والتّقشف[4]. استطاع أن يقود قبائل الملّثمين لتحمّل فتح المغرب بمجهودهم الخاص[5]، ولم يكن الأمر ليتم دون الإقدام على تنظيم قوى المرابطين الذين بلغ تعداد جيشهم عند فتح فاس مئة ألف مقاتل[6]، بعد تغلبهم على معظم قبائل المغرب، وهذا يدّل على أهميّة هذا الجيش، وقيمة تنظيمه، وتطويره، فقد قسّمه يوسف بن تاشفين إلى فرق، وخصص لكل فرقة سلاحا خاصّا، وكوّن بالخصوص فرقة من

[1]- أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص166.
[2]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 375، 376.
[3]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص79.
[4] - سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص 41 .
[5] - حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص377.
[6] - سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص 169.

الفرسان من الخيّالة الزناتيين[1]، كما أنشأ فرقا من المشاة والرماة والأغزاز والسهام والنّشاب[2].وجعل الإبل تحدق بمعسكره حتّى إذا احتدم القتال في معركة ما سيقت للحرب فتدخل الرعب في قلب العدو، واتخذ الطبول والبنود، وجعل على رأس كلّ فرقة قائد عسكري محنّك[3].

لم يكن من السّهل على يوسف أن يحتفظ بثمار النّصر الذي حققه بعد فتح المغرب، فكان عليه أن ينّظم تلك الطّاقة العظيمة، ويسخرها في معركة الجهاد بحنكة[4]، لذلك فقد وسّع دائرة التجنيد بإشراك القبائل المغربية المهزومة من زناتة ومصمودة وغمارة[5]، في الجيش، وأطلق عليهم اسم الحشم[6]، واستطاع أن يؤلف بين هذه القبائل ويحببها بالنّظام الجديد[7]، كما أنّه ضم إلى جيشه وحرسه، عددا مهمّا من العبيد، بلغ نحو ألفين[8]، وبعث إلى الأندلس فاشترى عددا كبيرا من العلوج أو الأرقاء النّصارى، وأنشأ منهم فرقة قويّة من الفرسان[9]، واستطاع يوسف بن تاشفين أن يجعل من هذا الجيش قوّة موحدة ومتكاملة تتكوّن من طوائف متعددّة متعلقة بمشروع الجهاد تحت قيادة يوسف بن تاشفين.

قامت الدولة الموحدية على أنقاض الدولة المرابطية، نتيجة دعوة دينية تجديدية، حاولت

---

[1]-. حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص382، **عبد الحق المريني**، الجيش المغربي عبر التاريخ، ط5، مطبعة المعارف الجدية، الرباط، 1997، ص25.

[2]- سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص 169.

[3] - عبد الحق المريني، المرجع السابق، ص25.

[4]- حسن أحمد محمود، المرجع نفسه، ص 376.

[5] - ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص89، سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص 170، حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 377.

[6] - مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص20، سعدون عباس نصر الله ، المرجع السابق ، ص 170.

[7] - حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص377.

[8] - هم فرق السودان، لم يكن يوسف الوحيد الذي اعتمد عليهم بل سبقهم الأغالبة والزيريين، وكان أفرادها يحملون أسلحة خفيفة من درق اللّمط وسيوف الهند ومزاريق الزّان، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج3، ص1183، مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص13، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج2، ص 310، حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص378، 379.

[9]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج2، ص 310.

تغيير الوضع الديني والسياسي الذي كان يسود بلاد المغرب والأندلس تحت حكم المرابطين، لكنّ نجاح هذا التغيير ارتبط بمدى قدرة الموحدين على نشر أفكارهم التوحيدية والمهداوية، وامتلاكهم القوّة العسكرية التي تعتبر أهمّ أداة للتّغيير.

تأسس الجيش الموحدي في عهد مؤسس الدّولة الموحدبة محمد بن تومرت، وكانت قبائل المصامدة تمثل العنصر الأساسي للجيش الموحدي، وتتكوّن من هرغة وكدميوة وكنفيسة وقبائل أهل تينملل وهنتاتة، أضاف إليها عبد المؤمن بن علي قبائل هسكورة، وصنهاجة، وكومية، وكانت هذه القبائل كلّها تعرف بالموحدين، كان النظام الذي وضعه بن تومرت نظاما عسكريا بحتا، وكان ذلك أمرا ضروريا في الجهاد، فوضع لاتباعه نظاما يقوم على "الطبقات" تتميّز كلّ طبقة فيه عن الأخرى في وقت السلم والحرب، ومن أهم هذه الطبقات أهل العشرة، وهم صحابة ابن تومرت ووزارؤه الذين منهم عبد المؤمن بن علي الذي تولّى الأمر بعد ابن تومرت[1].

يثبت البيدق للموحدين تسع غزوات في حياة ابن تومرت[2]، كانت معركة البحيرة بلا شك أعنف معركة خاضها الموحدون في حياة المهدي، انتهت بأشنع هزيمة لحقت بالموحدين على يد المرابطين[3]، فقد فيها ابن تومرت جلّ أصحابه، وتوفي بعدها بقليل، وذلك بسبب اشتراك كلّ الطبقات في المعركة[4]، وهو أمر يدل على عدم نضج الموحدين الحربي في تلك الفترة.

ولم يتخذ الجيش الموحدي طابعه الكامل إلا في عهد عبد المؤمن بن علي الذي يعد من أعظم قوّاد العصور، فلمّا آلت الخلافة إلى عبد المؤمن بن علي ألغى نظام الطبقات الذي لم يبق منه سوى مجلس الخمسين والسبعين. أمّا النّظام الحربي فقد بقى على ماكان عليه في عهد ابن تومرت[5].

لم يكن الجيش الموحدي خلال فترة الدعوة جيشا نظاميا بل كان يتكوّن على أساس النفير العام للقبائل الموحدية، وبعد فتح مراكش نجد اشارات واضحة تميز بين الجند النّظامي و

[1]- حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ج4، ص370، يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص305.
[2]- عبد الله علاّم، المصدر السابق، ص204.
[3]- عبد الله علاّم، المصدر نفسه، ص208.
[4]- حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ج4، ص370.
[5]- حسن ابراهيم حسن، المرجع نفسه، ج4، ص370.

المطوّعة، ثمّ بدأت القبائل البربرية تنظم إلى الجيش الموحدي تباعا وذلك منذ حملة عبد المؤمن على مراكش إلى غاية الخليفة الموحدي النّاصر، حيث انضمت قبيلة زناتة، كما انضمت قبيلة مسوفة المرابطية، وكان يطلق على القبائل البربرية غيرالموحدية أسماء عديدة منها: "الحشم"، "الجند"، و"عبيد المخزن"، كما انضمت قبائل العرب الهلالية إلى الموحدين بعد فتحهم بجاية، كما احتفظ الموحدون بالجند الروم الذين كانوا يشتغلون فيالجيش المرابطي، وقد ظهر هؤلاء لأوّل مرّة بعد فتح مراكش مباشرة سنة 541هـ/1147م. وبذلك يلاحظ مدى التنوع الذي اصطبغ به جيش الموحدين.

2) التعاون العسكري في ادارة المعارك

1.2) انتقال الجيش المرابطي إلى الأندلس

أ) التخطيط المزدوج لمواجهة النّصارى

لقد وجّه العامل الجغرافي طاقات المرابطين بعدما أطلّت دولتهم على شواطئ البحر المتوسط التي كانت تتعرض لغارات الفرنجة، فقد سعى ألفونسو السادس إلى احتلال شبه الجزيرة الايبيرية، وطرد المسلمين منها، وقد تمكنّ بعد مدّة من احتلال طليطلة 478هـ/1085م، ولم يكن ملوك الطوائف قادرين آنذاك على مواجهة النّصارى، فاستنصروا بالمرابطين وبقائدهم يوسف بن تاشفين.

أصبحت مواجهة المرابطين لنصارى الأندلس أمرا استراتيجيا وضروريا، فقد استمر اتصال يوسف بن تاشفين بملوك الطوائف أكثر من أربع سنوات من أجل انقادهم، وكان يوسف في تلك الأثناء يمتلك كل الامكانيات ليقوم بذلك فقد أصبح يتوفر على جيش ضخم متحمس للجهاد، لكنّه برغم ذلك لم يقرر التّدخل في شؤون الأندلس إلاّ بعد أن درس أحوال الأندلس، وأحوال أمرائها، ولن يتسنى ليوسف بن تاشفين القيام بذلك دون الإستناد على أهل الأندلس، ومن أبرز من اعتمد عليه أمير المرابطين خلال هذه الفترة كاتبه ووزيره الأندلسي عبد الرحمان بن أسباط الذي كان على دراية بأحوال الأندلس وخباياها، فنصحه بأن يتسلم الجزيرة الخضراء

لكي تكون آمنة لعبور الجيش ولحماية خطوط التموين[1]، وهذا في اعتقادنا أوّل عمل عسكري مهم قام به يوسف ليضمن النّجاح في معركة الأندلس، ويدّل على قيمة الأعمال التي قام بها الأندلسيون وسيقومون بها بعد ذلك لنجاح مهمّة المرابطين وعلى أنّ المعركة في الأندلس معركة مشتركة بين المرابطين والأندلسيين.

كما كان لفقهاء الأندلس دور مهم في تهيئة العقول الأندلسية لقبول فكرة الاستنجاد بالمرابطين[2]، فقد اجتمع مشاييخ قرطبة وزعمائها للتشاور حول إنقاذ الأندلس من الخطر النّصراني، ورأوا ضرورة الاتصال بالمرابطين، واستدعاء الأمير يوسف بن تاشفين لإنقاذهم، وفوّضوا قاضي قرطبة عبيد الله بن أدهم ت486هـ/1093م، للقيام بالمهمّة كما تواترت وفود الأندلسين ورسائلهم على يوسف بن تاشفين وشكوا إليه ماحل بهم من أعدائهم، مناشدين يوسف بن تاشفين بانقاذهم، فوعدهم بالمدد والعون[3]، وباختصار فإنّ ماقام به الفقهاء حرّك الجميع من أجل الاستعداد للمقاومة بما في ذلك ملوك الطوائف[4].

استنفر يوسف سائر قواته للجهاد[5]، بعد فتح سبتة، فأصلح المرافئ، وحشد السفن وأصدر أوامره بالعبور بقواته إلى الأندلس[6]، وكان أوّل ماعبر منها قوّة من الفرسان بقيادة داود بن عائشة[7]، إلى ثغر الجزيرة الخضراء، واحتلته وفقا لما تمّ الاتفاق عليه، ثم توالى عبور بقية الجيوش المرابطية تباعا، حتّى تمّ عبور كامل القوّات إلى شبه الجزيرة، وفي منتصف ربيع الأوّل سنة 479هـ/1086 عبر يوسف بن تاشفين في بقية قواته، فنزل بالجزيرة الخضراء واستقبله سكانها بالترحاب، وتوافد المتطوعون للجهاد[8].

---

[1]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص37.

[2]-حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 261.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 186، أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب، ج3، ص 359-360.

[4]- سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص67.

[5]- سعدون عباس نصر الله، المرجع نفسه، ص74.

[6]- سعدون عباس نصر الله، المرجع نفسه، ص74.

[7]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص131، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص29، يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص79.

[8]- سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص75.

بعد وصول يوسف إلى الجزيرة الخضراء تبدأ مرحلة عسكرية جديدة تقتضي مواجهة جيش النصارى القويّ، في أرض وظروف مختلفة، وتُلزم اشراك أهل الدار في المعركة لما لهم من خبرة ودراية بمعطيلت الأرض والعدوّ، فأصبح من المنطقي أن يندمج الأندلسيون والمرابطون في جيش واحد يواجه النّصارى، كما أصبح من الضروري أن تبنى الخطط العسكرية على هذا المعطى الجديد.

اشتهر نصارى الأندلس بأنّهم محاربون أشداء ومهرة، تفوّقوا على ملوك الطوائف، وسيطروا على شبه الجزيرة الأيبيرية، فكيف يستطيع الملثمون أن يلاقوا هذا العدو الذي تفوق عليهم في العدد والعدّة دون أن ينظموا صفوفهم، لهذا كان ينتظر يوسف بن تاشفين عمل جبّار في مواجهة هذا الجيش النصراني[1].

كان لزاما على يوسف إذا أراد النجاح في مواجهة النّصارى ودحرهم أن يكون على دراية بما يحيط به سواءا من خلال معرفة أخبار العدوّ أو التّعرف على المسالك التي يجب أن يتبعها تجنبا للعدّو، وكان الأندلسيون أحسن من يقوم بهذه المهام، لذلك فإنّنا نجد المعتمد بن عباد هو الذي قاد عملية التّجسس لصالح المرابطين حينما رأى منهم عدم درايتهم بهذه العملية الهامّة في الحياة العسكرية[2]، فقبل الإشتباك في معركة (الزلاقة)بعث المعتمد ابن عباد بجواسيسه داخل محلات النّصارى الذين رجعوا إليه بأخبار هامّة كان لها اعتبارها في رسم الخطة التي سيواحه بها المسلمون النصارى حيث قالوا له : "استرقنا السمع فسمعنا الادفونونش يقول لأصحابه: ابن عياد سعر هذه الحروب وهؤلاء الصحراويين، وإن كانوا اهل حفاظ، وذوي بصائر في الحروب، فهم غير عارفين بهذه البلاد، وإنّما قادهم ابن عياد، فاقصدوه واهجموا عليه، واصبروا فإن انكشف لكم هان عليكم الصحراويون بعده، ولا أرى ابن عباد يصبر لكم إن قصد تموه الحملة"[3].

وعلى الفور بعث ابن عباد الكاتب "أبا بكر بن القصيرة" إلى يوسف بن تاشفين يعرفه

[1]– حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 388، 389.

[2] – محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص 90.

[3] – أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج3، ص 529.

بذلك، فقام يوسف برسم خطته للمعركة على هذه المعلومات التي جمعها جواسيس المعتمد بن عياد، فترك ابن عبّاد يتحمل الصدمة الأولى في الوقت الذي أرسل فيه ببعض قوّاته إلى محلّة النّصارى لتضرمها نارا[1]، ويتضح من خلال ذلك أنّ العسكرية الأندلسية قد تفوقت في عملية اذكاء العيون والعسس، حيث استفاد الجيش المرابطي من هذه التقنية العسكرية فأصبح يتقدم الجيش عادة، عيون وجواسيس، وجماعة من الأدّلاء لإرشاده إلى المسالك والطرقات الصحيحة، ولهذا كان يختار لهذه المهمّة الرجال الموثوق بأمانتهم[2]، ومن البديهي أن يكون هؤلاء من الأندلسيين .

ب) مشاركة الأندلسيين للمرابطين في انتصار الزلاقة

لم تكن معركة الأندلس معركة المرابطين وحدهم بل كانت معركة الجميع، إذ سعى يوسف إلى حشد القوات الإسلامية لمجابهة العدو يدا واحدة، ويبدوا أنّ هذا الهدف قد لقي النّجاح منذ اللّحظة الأولى إذ كان لقدوم المرابطين مفعول[3] السحر في نفوس النّاس، خصوصا بعد أن بدأت قواته تتجه نحو اشبيلية، بقيادة أبي سليمان داود بن عائشة، فما كادت قواته تقترب من هذه المدينة حتّى خفت جموع النّاس من سائر الجهات متطوعين للمشاركة في الجهاد، وانضمت إليه قوات ملوك الطوائف، حتى لم يبق من ملوك الطوائف بالأندلس إلاّ من بادر وأعان وخرج وأخرج، وخرج من أهل قرطبة عسكر كثير، وبدأت وفود المتطوعة من سائر الأقطار تفد إلى اشبيلية[4].

وسار الجيش المرابطي بقيادة يوسف بن تاشفين مع الجيش الأندلسي نحو بطليوس، وفي سهل الزلاقة نظمّ يوسف جيشه، فجعل الأندلسيين جيشا قائما بذاته أسندت قيادته إلى المعتمد بن عباد والذي تولّى المقدمة، وعيّن المتوكل بن الأفطس على الميمنة، وأهل الشرق على الميسرة وحشد سائر أهل الأندلس في الساقة، أمّا الجيش المرابطي فقد تولّى قيادته فرسانه داود بن عائشة و الحشم سير بن أبي بكر وبقية المرابطين مع الحرس الأمير يوسف بن تاشفين،

[1] – أحمد بن محمد المقري، المصدر نفسه، ج3، ص 529.

[2] – حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص304.

[3] – حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 269.

[4] – حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 270.

وعسكر المرابطون خلف الأندلسيين تفصل بينهم ربوة بقصد التمويه[1].

لم يجد يوسف بدّا من جعل القوات معسكرين: معسكر الأندلسيين في ناحية، ومعسكر الصحراويين في ناحية أخرى حتّى لايختلط المعسكران. إنّ تقسيم يوسف بن تاشفين للجيش إلى معسكرين لايعني تماما أن يقاتل كل فريق لوحده، بل يمكن اعتباره جيشا واحدا لأنّ قيادته كانت بيد قائد واحد هو الأمير يوسف بن تاشفين، كما أنّه لا يمكن لأي جيش أن يحقق نجاحا دون ترتيب وتخطيط مسبق ولعلّ هذا التّقسيم ارتبط باستراتيجية المرابطين في القتال التي تعتمد على عدم الحاق خسائر كبيرة في قبيلة لمتونة والقبائل الصنهاجية لأنّها تمثل القيادة ولأنّها كانت تريد المحافظة على وحدة الصف ولم الشّمل ببقاء عدد أكبر منها يقود المعارك، وهو أمر منطقي.

أمّا بعد انطلاق معركة الزلاقة فصحيح أنّ الأندلسيين لم يبلوا البلاء الحسن، فقد هزموا لأوّل لقاء، وفروا هاربين للإعتصام بأسوار بطليوس[2]، تاركين المرابطين في الميدان وحدهم يصطلون بنار القتال[3]، لكن ذلك ينطبق على عدد معيّن من الأندلسيين فالمعتمد مثلا اضطلع بأعباء المعركة، ودوره كان مهمّا في انتصار المرابطين فكان يعرف مكائد الفرنجة وحيلهم، واستطاع أن يتنبأ بأنّ يوم الجمعة هو يوم شن ألفونسوا الحرب على المسلمين، وكشف مكر ألفونسو الذي حدّد في رسالة بعثها إلى الأمير المرابطي يوم الإثنين لبدئ المعركة[4]، كما أنّه كان يبث العيون لترقب حركات العدو واستطاع الصّمود أمام الضّربات الأولى للنّصارى، وأصيب أثناءها بجراح بليغة[5]، كما كان يوسف يرقب حركات العدو بعين القائد المحنك الذي حنكته وقائع الصحراء، وصهرته معارك المغرب، لذلك لم يكن تراجع الأندلسيين ليهبط من همّة المرابطين فسار يوسف بنفسه على رأس جيش لمتونة، وضرب عساكر ألفونسو من الخلف،

[1]- سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص 80، 81.

[2]- سعدون عباس نصر الله، المرجع نفسه، ص 88 ، 89.

[3]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص276.

[4]- عبد المنعم الحميّري، المصدر السابق، ص90، السلاوي الناصري، المصدر السابق، ج1، ص116، أحمد بن محمد، المصدر السابق، ج6، ص99، مجهول ، المصدر السابق، ص35، 36

[5]- عبد المنعم الحميّري، المصدر السابق، ص91، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج6، ص99، الناصري السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص177.

فاستولى على معسكر النّصارى، وأضرم فيه النار، وماكاد أهل الأندلس يعلمون بذلك حتى انقلبوا من الفرار إلى الهجوم، وأطبقوا على النّصارى من الخلف[1]، واستطاعوا بعدها استكمال المعركة نحو النّصر.

أتبث المرابطون من خلال معركة الزلاقة قدرتهم على القيام بما لم يستطع ملوك الطوائف القيام به، فقد كانوا يتعرضون إلى حروب الاسترداد التي شنها نصارى اسبانيا وكان العالم المسيحي كلّه يدعم هذه الحرب، أمّا جيش المرابطين فكان وحده في الساحة ولايتلقى المعونة من أي جهة، وكان الجنود المرابطين هم الذين يتولون وحدهم الجزء الأكبر من ثقل الحرب، في حين كانت المساهمة الأندلسية ذات طابع تكميلي مهم في حسم المعركة[2].

2.2) انتقال الجيش الموحدي إلى الأندلس

لم يكن انتقال الموحدين إلى الأندلس شبيها بانتقال المرابطين إليها، لأنّ القاسم المشترك الذي جمع بين الموحدين والأندلسيين هو ثورتهما على المرابطين في كلّ من بلاد المغرب والأندلس،كما أنّ ظروف استدعاء الموحدين للأندلس تختلف عنه بالنسبة للمرابطين، وبالرغم من الثورة التي قامت في العدوتين إلاّ أنّ ذلك يعبر في الواقع عن الوحدة التي أحدثها المرابطون، لذلك فإنّ معارك الموحدين الأولى كانت أشبه بمواجهة متمردين عن الدّولة، أمّا المعارك المتبقية فكانت إمّا في إطار تحقيق وحدة الأندلس أو مواجهة تحدي النّصارى.

كانت الأندلس بالنسبة لعبد المؤمن بن علي ذات أهميّة كبيرة، فهي في نظره الإرث الهام الذي سيحل فيه محل المرابطين، وقد كانت انتصاراته في بلاد المغرب حافزا للعناصر الثائرة بالأندلس كي تتصل به، خاصّة بعد النوايا العدوانية التي أظهرها النّصارى، "فأجابهم عبد المؤمن بن علي"، وكان أوّل من انضم إلى الموحدين قائد الأسطول المرابطي علي بن عيسى بن ميمون عام540هـ/1145م، وكان معظم الوافدين على عبد المؤمن بعد ذلك من زعامات الثورة بالأندلس، منهم أبو الغمر بن عزون، والقاضي ابن حمدين، وزعيم ثورة الموريدين أحمد بن قسي، وكان علي بن عيسى بن ميمون من الذين لعبوا دور الوساطة بين هؤلاء الثائرين وعبد

[1]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص277، 278.

[2]- محمد زنيبر، المرجع السابق، ص90.

المؤمن بن علي[1].

كان لقدوم هؤلاء الثائرين دور في تجهيز عبد المؤمن بن علي لعدد من الحملات العسكرية على الأندلس، فأوّل جيش من الموحدين عبر به الموحدون إلى الأندلس كان خليطا من بقايا المرابطين، والثائرين في الأندلس والموحدين، وكان هذا الجيش بقيادة أحد قادة المرابطين الذي انحاز بعد مقتل الأمير تاشفين إلى الموحدين، وقد صحب هذا الجيش أحمد بن قسي أحد قادة الثورة في الأندلس ثم تبعه جيش تحت قيادة موحدية، جيش بقيادة موسى بن سعيد، وأخر بقيادة عمر بن صالح الصنهاجي[2]، وهذا يدّل على أنّ الموحدين لم تكن لهم قطيعة مع الفترة المرابطية، بل سعوا إلى الاستفادة من خبرة المرابطين والأندلسيين العسكرية، وهو مايؤكد أنّ حالة الوصل لم تنقطع بين العهدين المرابطي والموحدي، وأنّ رصيدا مهمّا من التجربة العسكرية المرابطية بالأندلس والمغرب سيستفيد منه الموحدون.

استطاع الموحدون بعد وصولهم دحر المرابطين والثوّار معا، وتمكنّوا فتح مدن عديدة، وامتلكوا وسط وغرب الأندلس، غير أنّ تعنت الموحدين وظلمهم، دفع بأهل الأندلس إلى الثورة عليهم، واتسع الخرق على الموحدين في الأندلس والعدوة، واتصلت الفتن، وخرج معظم قادة الأندلس عن الموحدين، فاضطر عبد المؤمن إلى استخدام العنف ضدّ هؤلاء الثوّار، فبعث بجيش موحدي كبير إلى الأندلس جعل على قيادته أبا يعقوب يوسف بن عثمان لإعادة نفوذ الموحدين[3]، واستطاع الموحدون استعادة كثير من مناطق غرب الأندلس، غير أنّ تهديدات أخرى ظلّت تهدد التّواجد الموحدي بالأندلس، تتمثل في ثورة بني مردينش في الشرق، وعودة تهديدات النصّارى من جديد الذين تمكنوا بفضل تحالفاتهم، من السيطرة على كامل بلا الثغر الأعلى الأندلسي[4]، أمّا ابن مردينش فأضحى سيد المنطقة الشرقية كلّها، وقد استطاع توطيد سلطانه في هذه المنطقة بمحالفة النّصارى[5].

---

[1]- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص103-105.

[2]- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع نفسه، ص105.

[3]- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع نفسه، ص105.

[4]- محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق، ج3، ص370.

[5]- ينظر تفصيل ذلك في الفصل الثاني من هذا البحث.

لم يقف الموحدون مكتوفي الأيدي واستطاعوا تحقيق انتصارات عسكرية هامّة كان أهمّها الانتصار في معركة السبيكة سنة557هـ/1161م التي كانت بداية لتوجه الموحدين إلى إذكاء حركة الجهاد بالأندلس، ومضاعفة البعوث العسكرية إلى الأندلس، وإقامة قاعدة حصينة بجبل طارق، تكون معسكرات تنطلق منها الجيوش الموحدية لتحرير شبه الجزيرة الأيبرية[1].

كان من الطّبيعي في ظلّ هذا الوضع الذي عرفته الأندلس أن تشهد ساحة الصراع معارك عديدة، منها معارك متصلة بمواجهة الثوّار، وأخرى في مواجهة النّصارى، وسنكتفي في هذا المقام عند أهم معركة شهدتها الأندلس خلال مرحلة الموحدين، وهي معركة "الأرك"، من خلال دراسة حالة التمازج والتّكامل بين أفراد الجيش الموحدي، لاسيما الدّور الذي قام به الأندلسيون باعتبار أنّ المعركة كانت تجري على أراضيهم.

فحينما بلغ المنصور الموحدي الأنباء عن نقض ألفونسو الثامن عهد الهدنة الذي جمعه بالموحدين وإغارته على الثغور الاسلامية، أمر أن تعد العدّة للسير إلى الأندلس، فأقبلت بعد ذلك الحشود التي كانت لديها رغبة كبيرة في العبور إلى الأندلس[2]، وقدمت من سائر بلاد المغرب والقبلة، وبعد تنظيم الجيش، بدأ الجواز إلى الأندلس، فكان أوّل من جاز البحر قبائل العرب ثم قبائل زناتة، ثم المصامدة، فغمارة، فالجيوش المطوعة، ثم الموحدون، فالعبيد، ولما ثم جواز هذه الجيوش على هذا النّحو واستقرت بأراضي الجزيرة الخضراء، عبر الخليفة المنصور البحر في جمع كبير من أشياخ الموحدين والزعماء والفقهاء، والعلماء، في العشرين من جمادى الآخرة سنة 591هـ[3].

وفي اشبيلية وضع المنصور خططه الحربية، ثمّ واصل الجيش الموحدي مسيره إلى أن وصل على مقربة من محلة الجيش القشتالي المعسكر في الأرك، وفي تلك الأثناء كان الخليفة المنصور يجري مشاوراته مع مختلف القبائل، وكان أهم من اهتم باستشارتهم قوّاد الأندلس، ومنهم كبيرهم أبو عبد الله بن صناديد، الذي اختاره المنصور ليكون واحدا من قادة المعركة، وكان

[1]- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 137- 143، عصام الدّين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص271- 272.

[2]- محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق، ج2، ص197.

[3]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص198

اختياره نتيجة لمواهبه العسكرية[1]، الذي نصح الخليفة، بأن لايبدأ المعركة باشتباك سائر حشود الأندلس وقبائل العرب، وسائر قبائل المغرب من زناتة والمصامدة وغيرهم وجند المتطوعة، وأن ينتظر الخليفة في المؤخرة ومعه جيوش الموحدين، والعبيد والحشم[2] في موضع مستور، فإن أسفرت المعركة عن انتصار المسلمين فيها، وإن أسفرت عن هزيمتهم فعندئذ يبادر الخليفة في قوّاته إلى لقاء العدو، وليحمي ظهور المسلمين، ويكون العدو عندئذ قد خبت قواه، فيكون النّصر للمسلمين، وقد أعجب الخليفة بهذا الرأي وقرّر اتباعه[3]، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما مايدّل على المكانة التي تمتع بها أهل الأندلس خاصّة فيما يتعلق باعداد الخطط الحربية، ومعرفتهم بخبايا الحروب في الأندلس، وعدم قدرة الموحدين عن الاستغناء عن خبرتهم.

واعتمادا على هذه النّصيحة نظّم القائد للجيش الموحدي أبو يحي بن أبي محمد حفص الجيوش الموحدية، عسكر الأندلس في الميمنة، وزناتة وسائر القبائل المغربية والعرب في الميسرة، وجعل المتطوعة والرماة والأغزار في المقدمة، واحتل هو القلب مع قومه من قبيلة هنتاتة، وبقي المنصور في خاصته، وفي جند الموحدين والعبيد في المؤخرة كقوّة احتياطية، على أهبة التدخل في اللّحظة الحاسمة[4]. وإذا تمعنا في هذا في هذا التقسيم فإنّنا نلاحظ أنّه قريب إلى التقسم الذي اعتمده المرابطون، خاصّة فيما يتعلق بموقع الموحدين الذي جاء بديلا لموقع المرابطين، ويعود ذلك إلى انّ كل من المرابطين و الموحدين اعتمدوا في هذا التقسيم على الأندلسيين من ذوي الخبرة.

وفي أثناء المعركة كان القائد الأندلسي بن صناديد يقوم بدور مهم في المعركة سواءا من خلال حثه الجند على الثبات وإخلاص النيات قبل بداية المعركة، أو من خلال دفعه بجيوش الأندلس إلى المعركة بعد مقتل قائد الجيش أبي يحي بن أبي محمد حفص، حيث زحفت القوات الأندلسية التي كانت أعدادها في الأندلس تساوي أضعاف الجيش النّظام الموحدي[5] مع قبائل

[1]- عز الدين عمر أحمد موسى، تنظيمات الموحدين ونظمهم في المغرب، رسالة مقدمة إلى دائرة التاريخ في الجامعة الأمريكية في بيروت، فبراير، 1969، ص276.

[2]- عز الدين أحمد عمر موسى، المرجع السابق، ص253.

[3]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص100.

[4]- محمد عبد الله عنان، المرجع نفسه، ج3، ص303.

[5]- عز الدين أحمد عمر موسى، المرجع السابق، ص270.

زناتة وسائر قبائل البربر، واندفعت بجملتها نحو محلّة القشتاليين، وقد حققت هذه القوّات مجتمعة النّصر في معركة الأرك، بعدما شكلت جبهة موّحدة، على خلاف معركة الزلاقة التي كثر القتل فيها في صفوف الأندلسيين في بداية المعركة لولا أن تداركتهم قوّات المرابطين[1].

3) توحيد فنون القتال المغربية والأندلسية

1.3) في عصر المرابطين

لاشك أنّ تلاقي الجيشان المرابطي والأندلسي، واشتراكهما في معركة واحدة قد كشف لكل طرف عن مايمتلكه من قدرات عسكرية، وفنون قتالية، فمهما تراجع الجيش الأندلسي في عهد ملوك الطوائف فإنّ ذلك لايعني عدم توفره على قدرات عسكرية، وإنّما كان تراجع الجيش بسب تفرقه إلى مجموعة جيوش، وافتقاده إلى الروح القتالية، أمّا جيش المرابطين فقد أتبث من خلال المعارك التي قادها ببلاد المغرب امتلاكه لروح قتالية عالية توفرت في بربر بلاد المغرب بشكل عام، اضافة إلى مقومات عسكرية عالية.

ليس لدينا في حقيقة الأمر شواهد تاريخية على طرق قتال أهل الأندلس، لكنّ تقاليد ملوك الطوائف في القتال تكاد تكون هي نفسها عند النصارى من الاعتماد على القلاع الحصينة، واتقان فن الحصار، والإعتماد على الشجاعة الفردية، وعلى فرق من الخيّالة الثقيلة المسلحة بالزرد والدروع والسيوف[2]، أمّا المرابطون فلم يغيّروا شيئا من فنون قتالهم أثناء خوضهم معركة الزلاقة بالأندلس فاستخددموا نفس وسائل وأساليب القتال التي اعتمدوها في بلاد المغرب، غير أنّ هذه الوسائل كانت بالنسبة للأندلسيين وأعدائهم النّصارى بمثابة فنون قتالية جديدة لم يعتادوا عليها.

ففي الزلاقة كانت جيوش المرابطين تستعين بلون من الفن البدوي في القتال، فكانوا يعتمدون على الإبل[3] التي نقل منها المرابطون أعدادا غفيرة إلى الأندلس بلغت حوالي 500

[1]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص211.
[2]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 387.
[3]- حسن أحمد محمود، المرجع نفسه، ص 279.

ناقة[1] استغلت بمثابة درع يتقدم القوّات المهاجمة، لحماية الجنود من سهام الأعداء، من خلال صفوفها فيكرون على فرسان الأعداء ثم يعودون ليستّتروا بها، فيقع العبء في صفوف الأعداء، فتجمح خيلهم، وتضطرب فرسانهم[2]، ولم يكن أهل الجزيرة رؤوا جملا قط ولا خيلهم ألفت رؤيتها، فصارت الخيل تجنح من رؤية هذه الجمال وتفزع لرغائها[3]، فكانت بحق سلاحا فتّاكا ومهمّا استغله المرابطون لحسم المعركة.

كما ظلّ المرابطون يستعينون بطبول هائلة تذق دقا فتهتز لها الأرض وترتعد لها فرائض الفرسان هولاء، فتصم أذانهم بدويها المزعج[4]، ولايعرف بالضبط مصدر هذه الطبول، ومن المحتمل أن يكون المرابطون قد استمدوه من الدّول الزنجية، ولم يسبق أن اعتاد أهل الأندلس على رؤية استخدام مثل هذه الطبول الكبيرة في معارك شبه الجزيرة[5].

بعد احتكاك المرابطين والأندلسيين في معارك واحدة، لم يغير يوسف تقاليد القتال وإنّما عمد إلى التجديد، فأصبح ترتيب المعركة يقوم على أساس نظام خماسي، أي المقدمة والمؤخرة والقلب والميمنة والميسرة، فكانت المقدمة تتألف من الجند المشاة من الحشم، أمّا الجناحان فقد كانا يتألفان من وحدات الفرسان الخفيفة وحملة النّبال من أهل الثغور، أمّا القلب فقد كان يتألف من وحدات الفرسان الثقيلة يقودها القائد العام للجيش، أمّا المؤخرة أو الساق، فقد كانت توجد بها القوّة الاحتياطية[6]، وكان لكلّ قسم من هذه الأقسام الخمسة قائد خاص[7]، أمّا بالنسبة لموقع الأندلسيين بالنسبة لهذا التنظيم الجديد فيلاحظ أنّ المرابطين اعتمدوا عليهم في مواقع مختلفة فتارة يحشدون في مقدمة الجيش، لأنّهم أعلم بمسالك بلاد الأندلس وأدرى من المرابطين بأساليب قتال النصارى، وأحيانا يحشدون في القلب يحفون بقائد الجيش[8]، وفي بعض

[1]- . عبد الحق المريني، المرجع السابق، ص29.
[2]- فتحي زغروت، المرجع السابق، ص111، 112.
[3]- فتحي زغروت، المرجع السابق، ص111.
[4]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 280.
[5]- حسن أحمد محمود، المرجع نفسه، ص 280، 383.
[6]- لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ج1، ص283، حمدي عبد المنعم ، المرجع السابق، ص299 ، 300.
[7]- حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص300.
[8]- فتحي زغروت، المرجع السابق، 110.

الحالات في المؤخرة وهو موقع مهم،كان يتواجد به عادة أمير المسلمين إذا كان مصاحبا للجيش، وهومايؤكد الدّور الاستشاري لهذه الفرقة من الجيش المرابطي.

أمّا فيما يتعلق بأسلحة المرابطين فكانت أسلحة بدوية، يعتمدون فيها على الإبل اعتمادا كبيرا، ولايكثرون من الخيل، لكن الاعتماد على الخيل كان أكثر خاصّة في المناطق الجبلية والهضبية، لذلك عمل يوسف على الاكثار من الخيل، وكوّن فرقا من الفرسان، ودربهم على هذا اللّون من القتال، واعتمد على الفرسان الزناتيين الذين كانت لهم شهرة في فنون القتال، لكن يوسف لم يغفل من أهمية الإبل، لأنّها تدخل الرعب في قلوب معسكره[1]، ومع أن المرابطين توسعوا في ضم طائفة الفرسان إلاّ أنّ يوسف أبقى على نظام الأبّلة حيث كان يستعين بهم في معارك الأندلس، فكان يتخذ منها صفوفا أشبه بالسياج تحدق بمعسكره وتحف به[2]، كما استخدمت الإبل كذلك في حمل الأقوات والخيام وراء الجيش ثم يتبعها الرعاة وهم يقودون قطعان الماشية من كل صنف[3].

وكانت جميع هذه الفرق تقاتل على الطريقة البدوية، فتقديم فرق الحشم في القتال يتفق مع التّقاليد القبلية إلى حد بعيد[4]، كما قسم الجيش المرابطي تقسيما قبليا محضا، بمعنى أن تؤلف الفرق من أفراد القبيلة الواحدة، حتىّ تتآلف قلوبهم، لكنّهم كانوا يقاتلون وفق نظام واحد، وقد وصف لنا الطرطوشي (ت 520 هـ/1126م) وهو المعاصر للفترة الأولى للمرابطين فن القتال في الأندلس[5]، ويتبن من خلاله أنّ المرابطين قد نقلوا عددا من طرق القتال التي عرفها الأندلسيون، حيث يقول: "فأما صفة اللقاء، وهو أحسن ترتيب رأيناه في بلادنا وهو أرجى تدبير نفعله في لقاء عدونا أن تقدم الرجالة بالدرق الكاملة والرماح الطوال والمزاريق المسنونة النافذة فيصفوا صفوفهم ويركزوا مراكزهم ورماحهم خلف ظهورهم في الأرض وصدورهم شارعة إلى عدوهم وهم جاثمون في الأرض، وكلّ رجل منهم قد ألقم الأرض ركبته اليسرى، وترسه قائم

[1]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص382.
[2]- فتحي زغروت، المرجع السابق، 111.
[3]- فتحي زغروت، المرجع نفسه، 111.
[4]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 100.
[5]- حسن أحمد محمود، المرجع نفسه، ص 387.

بين يديه وخلفهم الرماة المختارون التي تمرق سهامهم من الدروع والخيل خلف الرماة. فإذا حملت الروم على المسلمين ، لم يتزحزح الرجالة عن هيئاتهم، ولايقوم رجل منهم على قدميه فإذا قرب العدو رشقهم الرماة بالنشاب والرجالة بالمزاريق وصدور الرماح تلقاهم، فأخذوا يمنة ويسرة فتخرج خيل المسلمين بين الرماة و الرجالة فتنال منهم ماشاء الله، ولقد حدثني من حضر مثل هذه الوقعة في بلد طرطوش قال : صاففنا الروم على هذا الترتيب فحملوا علينا رجل منا كان في آخر الصف فقام على قدميه فحمل عليه علج من العدّو فأصاب من العدو غرته فقتل"[1].

لقد حرص المرابطون أثناء تواجدهم بالأندلس على الاستفادة قدر الامكان من المقومات العسكرية الأندلسية، فقد واصلوا القيام بأعمال التجسس واستطلاع أخبار العدّو لما لها من قيمة كبيرة في رسم الخطط الحربية، والطريف في الأمر أنّ يوسف استخدم فن التجسس ضدّ من علّمه إياه وهو المعتمد بن عباد، فحينما عزم الأمير المرابطي على اقصاء ملوك الطوائف من ملكهم، أراد أن يتعرف على ظروف جبهتهم الحربية وأسرارهم العسكرية فبعث بجواسيسه العسكرية إلى المعتمد محاولا صبر نواياه[2].

كما استطاع المرابطون استقطاب أعداد كبيرة من القادة والجند الذين عملوا في جيوش ملوك الطوائف بعد انتهاء ملكهم، ومنذ ذلك الحين أصبحت فرق الأندلس قسما هائلا من أقسام الجيش المرابطي لها مكانتها وأعلامها المميزة لها عن سائر جند المغرب[3].

استمر اسهام الأندلسيين في تطوير الجيش المرابطي خلال الفترات اللّاحقة، حيث نصح الكاتب ابن الصيرفي الأمير تاشفين علي باتباع بعض فنون القتال والحرب، وقد نظمها على شكل قصيدة شعرية أهداها إلى الأمير، تتضمن دعوة الأمير إلى حفر الحفير، والاستعداد للمعركة، وتقوية جناحي الجيش والمقدمة، وضرورة تواجد قائد الجيش في القلب، اضافة إلى الاعتماد على الكمائن، وعلى المفاجأة، خاصّة في بداية المعركة، وحماية المؤخرة خاصّة بالابتعاد

[1] – أبو بكر الطرطوشي، سراج الملوك مكتبة طورنطو، دت، ص 179، حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص299،
[2] – عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 199، 200.
[3] – فتحي زغروت، الجيش المرابطي والموحدي، 110.

عن القتال وظهورهم إلى الماء[1].

وبرغم براعة المرابطين الحربية لم يكونوا يعرفون فن الحصار[2]، ولكنّهم أتقنوه بعد اخفاقهم في معركة لييط[3]، وظهر ذلك خلال نجاحهم في حصار لقلعة شنترين[4]، أحصن معاقل النّصارى وأقواها على المسلمين[5]، واستيلائهم عليها وماعانه النّصارى من متاعب جراء الحصار[6]، كما أظهروا براعتهم في هذا الفن أثناء الحصار الذي فرضوه على مدينة غرناطة لحمايتها من غزوات النّصارى[7]، واستعان المرابطون بهذا الفن أثناء حصارهم لمدينة طليطلة في عهد "علي بن يوسف" في عبوره الثاني للأندلس للجهاد بها، ولكنهم فشلوا أمام حصانة أسوارها، فرفعوا الحصار عنها بعدما نجح النصارى في احراق آلات حصارهم الثقيلة[8]، ولاشك أنّ تعلمهم لهذا الفن كان على يد الأندلسيين، فقد كان المرابطون يعهدون للأندلسيين الدفاع عن الحصون المتاخمة للنّصارى لما لهم من خبرة خاصّة في مقاتلة الممالك النّصرانية[9].

كما برع المرابطون بفن الحصار فقد برعوا كذلك في بناء الحصون والأبراج والأسوار فيذكر صاحب الحلل الموشية : " أن يوسف بن تاشفين شرع في بناء الأسوار ورمّ ما تقوض من الأبراج وحفر الحفير[10] وشحنها بالأسلحة ورتب فيها عسكرا من نخبة رجاله وأسكنهم بها"[11]،

---

[1] – ينظر القصيدة في الحلل الموشية، ص92 – 96، حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص300 ، 301، عبد الحق المريني، المرجع السابق، ص26، 28.

[2] – حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص390، حمدي عبد المنعم ، المرجع السابق، ص302.

[3] – حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص390

[4] – حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص302.

[5] – محمد ماهر حمادة، المرجع السابق، ص300.

[6] – حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص391.

[7] – لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ج1، ص110، حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص302

[8] – ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 105، مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 62، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج2 ، ص 118.

[9] – عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص143.

[10] – توصل المسلمون إلى عدة طرق لمنع دبابات العدو من التقدم وذلك بأن يحفروا خندقا حول قلعتهم فيمنع تقدمها ، أو يحفروا الخندق ثم يردموه بالتراب تتقم الدبابة فتغوص عجلاتها في التراب عندئذ يخرج منها المقاتلون فتقتلهم سهام المسلمين، محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص 92.

[11] – مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 67 ، 68، حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص396.

وقد عمّم المرابطون هذا النظام في الأندلس وبلاد المغرب، وأقام يوسف بن تاشفين وأمراء المرابطين من بعده عددا من القلاع والحصون الجبلية، عدّ "البيدق" منها مايقرب من عشرين حصنا[1]، ويمكننا أن نقول أن يوسف بن تاشفين هو أوّل من وضع أسس هذا النظام الفني في خطط الدفاع المرابطية[2]، المستوحاة من التّقاليد البدوية، فالبدو إذا استقروا في مكان وضعوا معسكرا يضعون فيه دوابهم وأثقالهم، ثمّ يحصنوه ويحرسوه، مخافة النهب والغدر[3]، غير أنّ اتقان هذا الفن ارتبط باستعانة المرابطين بالأندلسين، حيث استعان علي بن يوسف ببعض الأندلسيين في إقامة سلسلة أخرى من القلاع الحصينة خوفا من خطر الموحدين[4]، فقد عرف عن مسلمي الأندلس بصفة عامة براعتهم في بناء القلاع والحصون، لذلك أكثر المدن الأندلسية عبارة عن قلاع دفاعية[5].

3.2) في عصر الموحدين

كان الجيش عماد الثورة الموحدية والتصدي للثورات الداخلية في المغرب والأندلس، وأداة مهمّة في مواجه النصارى في شبه الجزيرة الأيبيرية، كان الجيش قاصرا في المرحلة المغربية على قبائل الموحدين، ولكن مع التوسع في المعارك انضمت عناصر كثيرة إلى الجيش الموحدي، منها قبائل بربرية غير موحدية، وضم الجيش الموحدي بقايا الجيش المرابطي من صنهاجة وفرق السودان والروم والعرب والحشم وغيرهم، كما استعانوا بالقبائل العربية التي خضعت لهم من بني هلال وسليم وغيرها، وشجعوا الأتراك الغز على الالتحاق بجيشهم[6]، أمّا بعد العبور إلى الأندلس فكان من المنطقي أن ينضم الأندلسيون إلى صفوف الجيش الموحدي.

لقد اهتم عبد المؤمن بالأندلس قبل العبور إليها، لذلك كان يقر كلّ من يدخل في "التوحيد" على إدارة منطقته التي كان يسيطر عليها، ويسمح له بالاحتفاظ بجيوشه التي كانت

[1] – حسن أحمد محمود، المصدر السابق، ص396، البيدق، المصدر السابق، ص128، 129.

[2] – حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص396.

[3] – حسن أحمد محمود، المرجع نفسه، ص397.

[4] – ابن القطان، المصدر السابق، ص 85، 86، مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 83.

[5] – محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص 91.

[6] – عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص147.

تحت إمرته[1]، فسياسة الموحدين كانت تقوم على الاحتفاظ في جيشهم بكل العناصر التي سبق أن عملت في صفوف المرابطين حتى لقد كان في هذا الجيش عدد كبير من المرابطين أنفسهم ممّن أخلصوا للدّولة الجديدة كلّ الإخلاص[2]، فلم يصرف عبد المؤمن الجنود الأندلسيين عن العمل العسكري خلال هذه المرحلة، بل تركهم في الجيش، وأرسل لهم عناصر من الموحدين لتقيم في الأندلس[3]، ولذلك شارك هؤلاء الأندلسيين في كل الحملات العسكرية الأولى بالأندلس[4]، وبذلك يلاحظ أنّ عبد المؤمن لم يقطع الصلة بالمرحلة السابقة وإنّما جعلها أرضية انطلاقة للمرحلة العسكرية التّالية، اقتناعا منه بأهميّة خبرة الأندلسيين العسكرية في قتال النّصارى لأنّهم أعرف بمنطقتهم[5].

وبسبب المعارك الدائمة التي خاضها الموحدون في الأندلس فقد أولى الموحدون لاعداد تنظيم القوى العسكرية والخطط الحربية أهميّة خاصّة، فقد كان أساس نظامهم العسكري قبلي، فالقبيلة هي وحدة التشكيلات الموحدية فقد قسم العرب والبربر إلى وحدات قبلية تراعى في أثناء السير، والقتال، وهم في ذلك لم يختلفوا عن المرابطين في هذه المسألة، كما اعتمد الموحدون أيضا على قوات الأندلس اعتمادا كبيرا في معارك الجهاد بالأندلس، فكانت القوات الأندلسية تؤلف قسما خاصا من الجيش الموحدي[6].

أمّا بالنسبة لتقسيم الجيش في ساحة القتال فقد اقتبسها عبد المؤمن تنظيم الصفوف من الطريقة الجرمانية القديمة في تنظيم الصفوف، أي على نظام العشريات[7]، ولعلّه أخذها عن جند الأسبان[8]، فقد جعل كلّ صف يتألف من عشرة من الجند، ولكل وحدة

[1]- عز الدين أحمد عمر موسى، المرجع السابق، ص256.

[2]- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق،147

[3]- عز الدين أحمد عمر موسى، المرجع السابق، ص256، 257

[4]- عز الدين أحمد عمر موسى، المرجع السابق، ص256، 257.

[5]- عز الدين أحمد عمر موسى، المرجع السابق، ص256، 275.

[6]- محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص222. عز الدين أحمد عمر موسى، المرجع السابق،ص275.

[7]- عبد الحق المريني، المرجع السابق، ص34.

[8]- حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ج4، ص370.

قائدها الخاص[1]، وكان المتطوعون يقومون بالهجوم الأوّل رافعين أعلامهم الخضراء ثم يتقدم جملة الحراب كالسد، فإذا اخترق العدو صفوفهم يستقبلهم حملة القسي والنبال بسيل من السهام و الحجارة ثم يقف في وجههم حملة السيوف والدروع، فإذا تغلب العدو على القلب والجناحين يتدخل الحرس بقيادة أمير المؤمنين وكثيرا ماكان يحرز على النصر لشجاعته وخبرته العسكرية[2]، ويقوم هذا التقسيم على فكرة التربيع، وهي أن يصنع الجيش النّظامي دارة مربعة في جهاتها الأربع[3]، وتوضع كلّ فرقة من الجيش تحت إمرة قائد خاص تؤلف فرقته إحدى الزوايا الأربع التي يتألف منها المربع، وتتألف قوّة الجيش الرئيسية من المشاة النظاميين الذين يقفون في مقدمة، ويتسلح جندها بحراب طويلة، ويلى هؤلاء صفوف من الجند تسلحوا بالسيوف وعليهم الدروع، ثم يليهم حملة النبال والقسى[4]، وقد استخدم الموحدون هذه الطريقة في حروبهم ضدّ المرابطين ومنها معركته بتلمسان[5].

واتبعت طريقة التربيع في معارك عبد المؤمن ولم تذكرها المصادر في معارك غيره من الخلفاء الأخرين، ويحدثنا صاحب روض القرطاس أنّ الجيش الموحدي في معركة الآرك اتبع نظام التعبئة الخماسية، الذي تشكل كما ذكرنا سابقا من مقدمة وميمنة وميسرة وساقة، وكان في ساقه الخليفة والمطوعة كانوا في المقدمة بينما كان في الميسرة القبائل العربية والبربرية، وفي القلب قبيلة هنتاتة التي تقود هذا النّظام واحتّل الجنود الأندلسيين الميمنة[6]، ولاندري هل زاوج المنصور بين هذا النّظام من التعبئة وطريقة المربع تلك[7].

كما كان على كل القيادات الأندلسية رجلا من أهل الأندلس يشرف على شؤونهم ويقود وحداتهم، وقد كان لاستشارة أشياخ الأندلس في أمور القتال في الجبهة الأندلسية أهميّة

---

[1]- حسن ابراهيم حسن، المرجع نفسه، ج4، ص370، عبد الحق المريني، المرجع السابق، ص34.

[2]- عبد الحق المريني، المرجع السابق، ص34.

[3]- عبد الحق المريني، المرجع نفسه، ص34.

[4]- حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ج4، ص371.

[5]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص132، عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص149، 150، عبد الحق المريني، المرجع السابق، ص34.

[6]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص147-150.

[7]- عز الدين أحمد عمر موسى، المرجع السابق، ص200.

كبرى لمعرفتهم ببلادهم والعدو، ومن أهم هؤلاء الرؤساء الأندلسيين الذين اختارهم الخليفة عبد المؤمن كمستشارين في معارك الأندلس ابن عزون صاحب شريس الذي أفاد الموحدين كثيرا يوم انتفضت الأندلس على عبد المؤمن في أوّل حكمه نظرا لسبقه وثباته على الطاعة أمّا أهم قائد أندلسي كانت استشارته مهمّة ومؤثرة فكان ابن صناديد الذي وجه الموحدين أحسن توجيه للانتصار في معركة الآرك[1]، وقد جاءت هذه الاستشارة بنتائج ايجابية، وبقدر اتساع دائرة المشورة والتزام الخلفاء بنتائج الاستشارة كان النجاح كبيرا، مثل أيام عبد المؤمن بن علي والمنصور، وبقدر ماضاق نطاق المشورة وقلّ الالتزام بنتائجها كان الفشل حليفها، مثل أغلب أعمال يوسف والنّاصر، فلم تكن ليوسف خطة عندما خرج إلى الأندلس عام وبذة وشنترين، فلهذا كان عمله فيهما فاشلا،كما هزم المسلمون في معركة العقاب بسبب قتل الناصر بعض قادة الأندلس بوشاية من وزيره ابن جامع، فوقع الخلاف بين المسلمين، فهزموا[2].

وقد تفوق الموحدون على المرابطين في فنون الدفاع والحصار[3]، فمنذ بداية الثورة الموحدية كان الموحدون يحسنون فنونا الدفاع، يدل ذلك اختيارهم لمواقع حصينة لأعمالهم الحربية، مثل تينملل، فكانوا يبنون حول هذه المناطق الحصينة طبيعيا أسوارا ويحفرون خنادق، ويقيمون أبراجا ولازموا هذه الصفة حتّى عندما انتقلوا من الدفاع إلى الهجوم، كما استخدموا وسائل للحصار لم تكن معروفة عند المرابطين قبلهم، فقد استخدموا الماء لإغراق المدينة المحاصرة، كما فعلوا في أثناء حصار مدينة فاس، وكان عبد المؤمن نفسه خبيرا في فن الحصار، ففي حصار فاس هو الذي خطط لاستخدام الماء واطلاقه دفعة واحدة على أسوار المدينة، كما أوجد حيلا مختلفة في فتح مدن أخرى[4]، واعتمد الموحدون كذلك على الحصار الاقتصادي بتخريب ماحول المدينة المحاصرة من زرع، ومنع التجارة معها، ثمّ انتقلوا بعدها إلى استخدام آلات كثيرة لدك حصون الأعداء، ومنها السلالم التي ظلّوا يستخدمونها فيما بعد، وقد استخدمت كلّ هذه الطرق والوسائل قبل تحوّل الموحدين إلى الأندلس[5]، وبعد انتقالهم إلى الأندلس طوّروا آلات الحصار

[1]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص276.

[2]- محمد عبده حتاملة، المرجع السابق، ص558، حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص232.

[3] - محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج1، ص 115.

[4]- حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ج4، ص372.

[5]- عز الدين أحمد عمر موسى، المرجع السابق، 286.

ومنها المنجانيق والدبابات ذات الطوابق[1]، كما استخدموا كرات حديدية ملتهبة[2]، ومن أهم الألات التي كانوا يستخدمونها الكبش[3]، والعرادة[4].

واهتم الموحدون بإنشاء عدد كبير من القلاع والحصون في بلاد المغرب والأندلس، وتأثر أغلبها بالمؤثرات الأندلسية التي غزت كل مجالات الفنون والعمارة إبان ذلك العصر[5]واهتم كلّ الخلفاء الموحدين بالبناء الحربي، فعبد المؤمن بن علي ينسب إليه بناء سورتاكرارت في تلمسان سنة 540هـ/1145م[6]، وبناء حصون جبل الفتح سنة 555هـ /1160م [7]، وبنى يوسف يعقوب بن عبد المؤمن قصبة اشبيلية واستحضر لها عرفاء أهل الأندلس وعرفاء مراكش وفاس 567هـ /1171م، وفي عهد الناصر تم بناء سور مدينة فاس التي كان قد هدمه جده عبد المؤمن بن علي في سنة 540هـ /1145م[8].

كانت استفادة المرابطين الموحدين من التجربة الحربية للأندلسيين كبيرة، كما أفاد المرابطون والموحدون بلاد الأندلس بفنونهم الحربية التي كانت حاسمة في معظم المعارك، لكنّ اشتراك جيش بلاد المغرب والأندلس في معارك واحدة ضدّ عدو واحد دفع بالمرابطن و الموحدين إلى إنشاء جيش موحد، ونتيجة لذلك قام الأمراء المرابطين والخلفاء الموحدين المزاوجة بين

---

[1] – عرف الفرس استخدام الدبابات وأخذها عنهم العرب أتقنها الأمويون ثم العباسيون ، ثم انتشرت في بلاد الأندلس والمغرب عن طريق تأثرهم بألوان الحضارة الشرقية من جهة وباحتكاكهم بالنصارى الذين عرفوا هذه الأسلحة من جهة أخرى، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص16.

[2] – عز الدين أحمد عمر موسى، المرجع السابق،286.

[3] – رأس الكبش آلة من الخشب والحديد، يجرونها بنوع من الخيل، فتدق الحائط فينهدم، وأصل الكبش دبابة لها رأس في مقدمتها مثل رأش الكبش ويتصل هذا الرأس في داخل الدبابة بعمود غليظ معلق بحبال تجري على بكر معلقة بسف الدبابة لسهولة جرها ، ويتعاون الجنود الذين يتحصنون في داخل الدبابة ، وجنود آخرون استتروا بدروع الدبابة ووقفوا خلفها ليتعاون كل هؤلاء على ضرب السور بها حتى يخرقوه، **عبد الرحمان زكي**، السلاح في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، دت، ص48، 49، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج3، ص222.

[4] – عز الدين أحمد عمر موسى، المرجع السابق، ص287.

[5] – محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص 93 ، 94.

[6] – ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 123.

[7] – ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص 123.

[8] – ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص 123.

الأسلحة الأندلسية وأسلحة بلاد المغرب، كما تمّ خلق جيش يزاوج بين أساليب المرابطين في القتال وطرق الأندلسيين في المعركة، فانعكس ذلك على سير المعارك التي تحق فيها النّصر في كثير من الأحيان.

المبحث الثاني: التمازج الإجتماعي بين المغرب والأندلس

إنّ حالة الاتصال الاجتماعي بين أهل الأندلس وأهل المغرب في عصري المرابطين والموحدين توّسعت لتشمل العدوتين، فبقدر ماتواجد البربر بالأندلس، استقر الأندلسيين ببلاد المغرب، وذلك يعني أنّ حالة الاتصال الاجتماعي كانت ببلاد المغرب كما كانت ببلاد الأندلس، وقد أسهبت المصادر التاريخية في وصف طبيعة العلاقات الاجتماعية بين الطرفين بالأندلس، فتحدثت عن حالة النّفور بين الطرفين، لكن المصادر حين تتحدث عن الأندلسيين الذين توافدوا على بلاد المغرب لاتذكر شيئا من هذا القبيل، بل تشير إلى حالة الترحيب التي لقيها هؤلاء الأندلسيين، وتشيد بمختلف التسهيلات التي رافقت تواجدهم ببلاد المغرب، فكيف أثّر على التقارب الاجتماعي بين الطرفين ؟ وأي علاقة اجتماعية قامت بين الطرفين ؟

1) العقلية الأندلسية والمغربية

خلال العصرين المرابطي والموحدي وبحكم الوحدة السياسية والدينية والقرب الجغرافي سهلت عمليّة التحرك البشري بين ضفتي الأندلس وبلاد المغرب، فشكل ذلك نواة تلاقي اجتماعي، من خلال الاحتكاك الذي من المفترض أن ينشأ بين الأندلسيين والبربر المغاربة، والذي سينتج ظواهر اجتماعية متعددة، كالعداوة أو التعايش أو الانصهار، لكن البحث في هذه الظواهر يتطلب أوّلا الوقوف على العقلية الأندلسية والعقلية البربرية المغربية ومدى قابليتهما للتلاقي الاجتماعي.

كانت قبائل البربر التي توافدت على الأندلس خلال العصرين المرابطي والموحدي تعيش بمعزل عن المجتمع الأندلسي، فلم يختلط المرابطون بالأندلسيين، وعاشوا في الغالب في أحياء

خاصّة بهم[1]، وانتشروا في مختلف المدن والقرى، يحيون حياة تكاد تكون في معزل عن طبقات المجتمع الأخرى، وقد كان عددهم يتزايد بشكل مستمر، وكان هؤلاء البربر يختلفون عن الأندلسيين في عاداتهم وتقاليدهم، اضافة إلى طابعهم العسكري الخشن[2]، حيث كانوا يأنفون الإنقياد[3]، ويأبون على الدّوام الخضوع، ويميلون إلى حياة الحريّة[4]،.فكانوا يسيرون في الطرقات حاملين معهم السلاح، فأدخلوا الرعب في قلوب الأندلسيين، كما كان بعضهم يسئ إلى النّاس[5].

أمّا الأندلسيون فيمتازون بصفات أساسها التحفظ وعدم المخالطة، فهم أهل احتياط وحذر في علاقتهم مع النّاس[6]، وقد روى المقري على لسان ابن سعيد قصّة بهذا المعنى حينما دخل رفقة والده إحدى قرى الأندلس في ليلة باردة، فنزلا في بيت شيخ من غير معرفة سابقة، وبقدر ماكنت هذه العائلة كريمة معهما، بقدر ماكانت حذرة يقظة منهما، وحينما سئل ابن سعيد بغرابة عن هذا التّصرف، أجابه والده"هذه مروءات أهل الأندلس، وهذا احتياطهم"[7]. هذا عن تعامل الأندلسيين مع الغرباء وهم بالأندلس، فماذا عن طبائعهم وهم بأرض بلاد المغرب ؟

نعتقد أنّ الأمر سيختلف شيئا ما، ذلك أنّ الأندلسيين كانوا مضطرين إلى التّعامل مع

---

[1]- عصمت عب الطيف دندش، المرجع السابق، ص261 ، 263.

[1] - عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع نفسه، ص 267.

[2]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص163، عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 267.

[3]- ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ق1، م1، ص 261 ، 262.

[4]- **عبد الحليم عويس**، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط2، دار الصحوة للتوزيع والنّشر، القاهرة، 1411هـ-1991م، ص27.

[5]- مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 86، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص 6، ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص197

[6]- أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج1، ص223، **ناصر الدين سعيدوني**، "الجالية الأندلسية بالجزائر، مقال بمجلة أوراق، مدريد، عدد 4، سنة 1981 ، 1984، 121.

[7]- أحمد بن محمد المقري، المصدر نفسه، ج1، ص223 ، 224.

السكان المغاربة من أجل مصالحهم الحياتية، لكن سمة الحذر والحيطة ظلّت متأصلة فيهم، وهي صفة ستسمح للجالية الأندلسية ببلاد المغرب أن تحتفظ بذاتيتها وسماتها، وتحافظ على طابعها الاجتماعي المعيشي[1]، فظلّ الأندلسيون ميّالون إلى عدم الاختلاط والامتزاج بغيرهم، خاصّة وأنّهم كانوا يعتبرون أنفسهم أرقى من أهل البلاد الأصليين[2].

أمّا عن ظروف استقرار الجالية الأندلسية ببلاد المغرب فكانت أسهل من استقرار البربر بالأندلس، برغم صعوبتها في البداية، لكنّ الأندلسيين كانت لديهم مقدرة عالية على التكيّف مع أي ظرف مهما كانت صعوبته، فاستقرار الأندلسيين يبدأ عاديا، تتبعه مرحلة احتكاك مع سكان المنطقة، ثمّ يتلوه بعد ذلك احتكاك مباشر مع السلطة أو مع الأفراد والجماعات[3]، هذه هي جملة المراحل التي يقطعها الأندلسيين من أجل النّفاذ داخل المجتمع والسيطرة على زمام الأمور، سواءا تعلق الأمر بأهل المناصب أو الصنائع، "فأمّا أهل الأدب فكان منهم الوزراء والكتّاب والعمّال وجباة الأموال والمستعملون في أمور المملكة، ولايستعمل بلدي ما وجد أندلسي، وأمّا أهل الصّنائع فإنّهم فاقوا أهل البلاد، وقطعوا معاشهم، وأخملوا أعمالهم، وصيّروهم أتباعا لهم، ومتصرفين بين أيديهم[4]"، ويفند هذا النّص بشكل أو بآخر ابتعاد الأندلسيين عن التعامل مع أطياف المجتمع الأخرى، كما تشير إلى أنّ هناك حالة احتكاك كبير كانت بين أهل المغرب والأندلس.

[1]- أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج1، ص228، **أبو القاسم سعد الله**، تاريخ الجزائر الثقافي، ط3، بيروت، دار الغرب الاسلامي، 1938 ، 237/1.

[2]- **عبد المجيد قدور**، الهجرة الأندلسية إلى المغرب الاسلامي ونتائجها الاجتماعية والحضارية الجزائر كنموذج، مجلة العلوم الانسانية، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، الجزائر، عدد 20، 2003، ص175.

[3]- محمد رزوق، المرجع السابق، ص37، **محمد رزوق**، الجالية الأندلسية بالمغرب، مجلة المناهل، العدد34، السنة 13، مطبعة فضالة، 1986، 292.

[4]- أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج3، ص152.

2) اشكالية التباعد الاجتماعي بين أهل العدوتين

كانت نظرة الأندلسيين إلى البربر من المرابطين ثمّ الموحدين في البداية نظرة احترام وإجلال لأنّهم قدموا إلى الأندلس وأنقذوا أهله من بطش النّصارى وتوسعاتهم، لكن بمجرد أن زال الخطر، واستقر البربر بالأندلس انقلبت الأوضاع، وتبدلت نفوس الأندلسيين اتجاههم وبدأت تطفوا من جديد تلك الحساسية تجاه بربر العدوة، والتي ترجع إلى عصور قديمة[1]، برغم ماقام به البربر تجاه الأندلسيين[2]، وحسب المقري فإنّ حالة الكراهية لم تقتصر على الوافدين إلى الأندلس بل امتدت إلى جميع أهل العدوة[3]، ونلمس هذا الإحساس من خلال بعض الأدبيات الأندلسية، مثل رسالة ابن أبي الخصال في توبيخ جند المرابطين بعد هزيمتهم من ألفونسو ملك قشتالة وأراجون (ابن ردمير) فقد نعتهم بكل الصفات الدّنيئة، وتمنى أن تطّهر الأندلس منهم، وكشف عن مشاعر الكراهية تجاه المرابطين[4]، ورسالة المفاخرة بين مالقة وسلا لابن الخطيب، الذي يرى أنّ أهل مالقة أبعد مايكون عن أهل سلا من حيث رقيّهم الحضاري[5]، اضافة إلى ماذكره المقري في نفح الطيب، عن ابن سعيد: "أخبرني والدي فقال: كنت يوما في مجلس صاحب سبتة أبي يحي بن أبي زكريا صهر ناصر بني عبد المؤمن، فجرى بين أبي الوليد الشقندي وبين أبي يحي بن المعلم الطّنجي نزاع في التفضيل بين البرين. فقال الشقندي:"لولا الأندلس لم يذكر بر العدوة ولا سارت عنه فضيلة، ولولا التوقير للمجلس لقلت ماتعلم، فقال الأمير أبو يحي الموحدي : أتريد كون أهل برنا عربا وأهل بركم بربر؟، فقال : حاش لك ! ، فقال الأمير، واللّه ماأردت غير هذا،

---

[1]- أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج3، ص540، ج4، ص177، 205، 206، احسان عباس، المرجع السابق، 219 .

[2]- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص262.

[3]- أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ، ج1، ص244.

[4]- ذكر عبد الواحد المراكشي أنّ الرسالة كتبها أبو عبد الله بن أبي الخصال، ثم ذكر مرّة أخرى أنّها لأبي مروان أخاه ، ينظر المعجب في تلخيص أخبار المغرب،ص 176 ، 177.

[5]- وردت هذه الرسالة عند: **لسان الدين ابن الخطيب**، خطرة الطيف، رحلات في المغرب والأندلس، تح: أحمد مختار العبادي، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003، ص61.

فظهر في وجهه أنّه أراد ذلك، فقال ابن المعلم: أتقول هذا والملك والفضل إلاّ من برّ العدوة[1]، وقد سلك فيه الأندلسيون مسلكا فيه كثير من التحامل ومجانبة الإنصاف، حرمهم التعصب أن صوروا المغرب محروما من كل نعمة ماديّة ومعنوية.

وإذا حاولنا إيجاد التّفسيرات لمسألة قلة حالات الزواج بين الأندلسيين والمغاربة، فإنّ الأدبيات المغربية الأندلسية تظهر نوع من التباعد الاجتماعي بين البربر وأهل الأندلس، بل بينهم وبين أهل العدوة، وتنعت هذه العلاقة بنعوت الكراهية والنفرة والعداوة والبغضاء[2]، ومن ذلك مانقله المقري عن بعض المؤرخين الأندلسيين قولهم : "إذا كان البربر بالقرب منهم (يقصد من الأندلس)، وليس بينهم سوى تعدية البحر، ويرد عليهم منهم طوائف منحرفة الطباع خارجة في الأوضاع ازدادوا منهم نفورا، وأكثر تحذرهم هم من نسب أو مجاورة، حتى تبث ذلك في طبائعهم وصار بعضه مركبا في غرائزهم... فلم تجد أندلسيا إلاّ مبغضا بربريا وبالعكس"[3].

وتعرّض الأندلسيون في أمثالهم العاميّة للبربر[4]، فوصفوهم بالجشع والطّمع[5]، وسخروا منهم، ومن لباسهم العمائم لأنّ أهل الأندلس لم يعتادوا لباسها[6]، وتهكموا من شجاعة البربر وتهاونهم في الدفاع عن الحصون وحراستها[7]، بل أتى في أمثالهم ورد ذكر البربر والبربري، ويبدوا أنّ استعمال الأندلسيين للكلمتين لم يخل من معنى التّحقير من ذلك قولهم: "البربري والفار لا تعلملهم باب دار"، "واعطى للبربري شبر طلب دراع أعطيه ذراع طلب مري فاش يتمتاع"[8]،

---

[1]- للتفصيل أكثر ينظر: أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج3، ص540 ، ج4، ص177، 205، 206، احسان عباس، المرجع السابق، ص219 .

[2]- احسان عباس، المرجع نفسه، ص219 .

[3]- أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج1، ص228 ، ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص324.

[4]- يقولون "كل مايجي من المغرب مليح إلا ابن أدم والريح"، الزجالي، المصدر السابق، ص100.

[5]- وعطي للبربري سبر، طلب ذراع، والبربري والفار، ولا تعلمهم باب الدار ، الزجال: المصدر نفسه، ص175.

[6]- كقولهم: "طالع هابط بحل عمام في راس مرابط "، الزجالي، المصدر السابق، ص101.

[7]- "يبدم أتمق حسى الرامي، أخذ الحصن، أي أنّه إلى ليس حسى (حسين) الرامى خفه، الزجالي، المصدر نفسه، ص208.

[8]- محمد بن شريفة، تاريخ الأمثال و الأزجال، ج1، ص245 ، 248.

وهي تعبير عن ضيق الأندلسيين بالبربر ومطالبهم، وأغلب الظّن أنّها قد قيلت في أولئك الذين يفدون بالأندلس برسم الغزو و الجهاد[1]، ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ بل امتد إلى الشعر[2].

فلمّا علم البربر عداوة أهل الأندلس وبغضهم لهم أبغضوهم، وحسدوهم[3]، فقد أشار الأمير عبد الله الزيري في كتابه مرارا إلى بغض أهل الأندلس للبربر[4]، وقد صوّر ابن عذاري ذلك بقوله :" فالقرطبيون إذا وجدوا بربريا منفردا أو في خلوة قتلوه غيلة[5]، والحذر ذاته ظهر من طرف البربر، حيث كانوا يخافون العامّة في أسواق قرطبة حتّى إذا صهل فرس على فرس قامت نفرة لتعصب العامّة عليهم وبغضهم فيهم، وهم مع ذلك صابرون ينهون سفهاءهم وعبيدهم أن يمدّ أحد منهم يده إلى أندلسي"[6]، حتّى حين تمكن ابن عبد الجبار من دخول قرطبة خرج العامّة إلى الزهراء مدينة البربر، فنهبوا وقتلوا من وجدوه، وكان نتيجة ذلك أن قتل كل مشتبه بالبربر وكل عَدْوي، ومن لم ير العدوة إسرافا وتحاملا[7]، وفي الفتنة البربرية سنة515هـ كان أكثر البربر يسكنون الرصافة فنهبت دورهم ودور كثير لبني زيري هناك[8]، ولم يسلم من هذه الفتنة حتى النساء، "ودفع البربر المقيمين أثناء الفتنة بقرطبة الثّمن، فقتل منهم أعداد كثيرة، وكذلك النّساء اللّائي باعوهن في البربر المقيمين في دار البنات"[9].

---

[1]- محمد بن شريفة، المصدرالسابق، ج1، ص248.

[2]- لمزيد من التفاصيل، ينظر: ابن خاقان، المصدر السابق، ص88، **ابن صفوان** ، زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر ، (أشعار الأندلس عصر الدولة الموحدية)، علق عليه عبد القادر محناد، دار الرشد العربي للنشر، بيروت، 1970م، ص333، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص256، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج3، ص500.

[3]- أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج1، ص 244.

[4]- عبد الله بن بلكين، المصدر السابق، ص24.

[5]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص92.

[6]- ابن عذارى المراكشي، المصدر نفسه، ج3، ص93.

[7]- ابن عذارى المراكشي، المصدر نفسه، ج3، ص97.

[8]- ابن عذارى المركشي، المصدر السابق، ج3، ص75، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص32-51 ، مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص279 ، 280.

[9]- قيل أنّ سبب ثورة قرطبة سنة 514هـ أنّ في أثناء الاحتفال بالعيد مد عبد من عبيد المرابطين يده إلى امراة وأمسكها

إذا تمعنا في هذا الوضع الذي تصوّره تلك المصادر الأدبية والتاريخية، لوجدنا أنّ هناك من واقع المجتمع ما ينافيه والدّليل على ذلك أنّ العرب الفاتحين جمعتهم علاقات اجتماعية طيبة بأهل الأندلس، وصلت الى حد المصاهرة والزواج، ممّا يعني أنّ تلك المواصفات التي قدمتها المصادر لا يمكن تعميمها على كامل أفراد المجتمع الأندلسي مع الوافدين عليهم من المغاربة[1].

3) أشكال من التمازج الإجتماعي بين الأندلسسين والمغاربة

لايقتصر التّأثير الاجتماعي بين أطياف المجتمع على حالات المشاهدة والملاحظة والتّقليد، بل يمتد إلى انتاج سلوكات مشتركة، وقد ينطبق هذا الأمر على تواجد البربر بالأندلس، وتوافد الأندلسيين على بلاد المغرب، ولاتزال البحوث التاريخية المتعلقة باستحضار طبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة على أشكال المخالطة التي عرفتها كلّ من الأندلس وبلاد المغرب ضئيلة نسبيا باستثناء بعض المحاولات المتناثرة هنا وهناك، ومن شأن تلك الدراسات إذا تمت أن تكشف لنا عن حقائق تاريخية وحضارية مهمّة.

1.3) المصاهرة والزواج بين المغاربة و الأندلسيين .

خلال العصرين المرابطي والموحدي اشتدت الحركات البشرية المتداخلة والمتعاكسة، كهجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب، وهجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب، كما كثرت خلال هذه الفترة حالات المدّ والجزر بين بلاد المغرب والأندلس، مع تعدد التعاملات بينهما، من عسكري حربي إلى ثقافي حضاري، وهو خلق حالات من المخالطة و المشاركة بين أهل العدوتين منها المصاهرة و الزواج.

فاستغاثت ، فأغاثها الناس ، ووقع بين العبيد واهل قرطبة فتنة عظيمة ، وهاجموا قصر الوالي واتهبوا مافيه ، وأحرقوا دور المرابطين ، وفر الوالي بصعوبة، مما استدعى حضور علي بن يوسف على رأس جيش كبير من المغرب حاصر به قرطبة، ينظر، مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 86، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص 6، ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص197.

[1]- حناش فهيمة، المرجع السابق، ص64.

وتذكر بعض المصادر التّاريخية[1] المعتمدة كيف أنّ بعض الأندلسيين كانوا يفضلون الزواج من نساء غير أندلسيات لظروف الغربة والأسفار من أجل طلب العلم زواج المتعة لطلبة العلم[2]، أو التّجارة أو الاستقرار ببلد معين[3].

لقد كثرت الزيجات الأندلسية المغربية خلال سيطرة المرابطين والموحدين على الأندلس فشكلت أسرر عديدة في مدن بلاد المغرب مثل فاس، سلا، ومراكش، وغيرها من المدن التي كانت ملاذا للأندلسيين، والملاحظ على هذه الزيجات أنّ مهورها كانت مرتفعة عكس ماكانت عليه في الزيجات المغربية المحضة، ولعلّ ذلك يعود إلى حياة الترف والرخاء التي اعتاد عليها الأندلسيون حيث أسهمت كتب النوازل والوثائق في الحديث عمّا كان يسوقه الزوج لزوجته من سياقة تليق بمقامها[4]، فالمتصفح لكتب الوثائق والعقود الأندلسية يقف على نماذج مختلفة من صيغ عقود الزواج التي كان يذكر فيها اسم الزوج و الزّوجة، ومقدار الصداق والنحلة أو السياقة حسب التعبير الأندلسي، وفيها يتعهد الطرفان بالإحسان والصحبة، وجميل العشرة.

وهناك بعض النوازل أشارت إلى زواج نساء من بربر المغرب برجال من بربر الأندلس[5]، في ذلك دليل على صلة الوصل بين الاجتماعي بين الأندلس والمغرب، وقد شملت هذه الصلة طبقة العامّة الخاصة من خلال الزواج المختلط في الأندلس، فرغم سعي المجموعات الإثنية المختلفة بالمغرب والأندلس المحافظة على شخصيتها، إلاّ أنّ روبطها الدينية والثقافية قد فرضت عليها أن تتعايش فيما بينها رغم اختلافها اللّغوي، كيف لا وغالبية العامّة في غرناطة كانوا من أصل

[1]- أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج2، ص632.

[2]- القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص31.

[3]- المرجع الرئيسي، مقال، عليّة الأندلسي، باحثة في الفقه المالكي وأصوله .

[4]-**ابن سهل الأندلسي**، الإعلام بنوازل الأحكام(الأحكام الكبرى)، تح: نورة محمد عبد العزيز التويجري، ج1، ط1، 1415هـ-1995م، ص223، 224.

[5]- **كمال السيد أبو مصطفى**، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الاسلامي من خلال نوازل وفتاوي المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1996م، ص17، الونشريسي، المصدر السابق، ج3، ص108

بربري[1]، وهو مثال واحد فقط يدعونا إلى القول بوجود حتمية الانصهار الاجتماعي، أمّا إذا تصفحنا كتب تراجم العلماء كنموذج لعثرنا فيها على الكثير من النماذج عن حالات الذوبان الاجتماعي لعائلات من أصول بربرية بالواقع الأندلسي[2].

هذا الانصهار يظهر أكثر وضوحا عند طبقة الخاصّة، ومنهم طبقة الحكّام الذين تتبعت المصادر تفاصيل حياتهم، وذكرت ميولهم إلى الزواج بالأندلسيات، وإن كنّ من الإماء، باتخاذهن أمّ ولد وأنجبوا منهنّ، كما حدث مع يوسف بن تاشفين الذي أنجب من فاض الحسن الجاريّة الروميّة الأندلسية الأمير المرابطي علي بن يوسف[3]، والأندلسية قمر التي أنجبت الخليفة الموحدي يوسف بن محمد الناصر[4]، وطيف أم ولد الأميرين الموحدين عبد الله وعبد العزيز أخوا الخليفة الرشيد[5]، خاصّة وأنّ الأميرين من الموحدين قد تزوجا من ابنتي ابن مردنيش[6]وهما أبو يعقوب وأبو يوسف بن يوسف[7].

وفي المقابل أيضا تزوج الأندلسيون من النساء المغربيات[8]، إذ عامل الهجرة من الأندلس إلى بلاد المغرب كان يقتضي البحث عن تكوين أسرة، خاصّة إذا كان مقام المهاجر طويلا، كما أنّ الكثيرين ممّن هاجر من الأندلسيين إلى بلاد المغرب لم يكن متزوجا[9]، وهي أسباب ستدفع بهم

---

[1]- **محمد ابن عبود**، جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، تقديم: محمد المنوني، اشراف: المعهد الإسلامي للبحث العلمي، مطبعة النّور، تطوان، 1408هـ-1987م، ص30.

[2]- **ابن الأبار**، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص27.

[3]- ابن عذاري المراكشي ،المصدر السابق، ج4، ص101.

[4]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص177.

[5]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، قسم الموحدين ، ص299.

[6]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص146 ، 147، ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص492، لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص121، أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج5، ص104.

[7]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، 177.

[8]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص29.

[9]- **محمد التميمي الفاسي (أبوعبد الله ابن عبد الكريم)**، المستفاد في مناقب العبّاد بمدينة فاس ومايليها من البلاد، تح: محمد الشريف، ج1، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة عبد المالك السعدي، 2002، ص180.

إلى تكوين أسر بالزواج من البربريات[1]، فقد شاع لدى الأندلسيين أنّ البربريات من أصلح النساء للتوليد واللّذة وأحسنهم للولد[2].

ومجمل القول هو أنّ المصاهرة بين المغاربة والأندلسيين خلال العصر المرابطي والموحدي مازال موضوعا بكرا، فلم تصل الأبحاث التاريخية في هذا الصدد إلى كشف النّقاب عن حالات التزاوج بين أهل الأندلس وأهل المغرب، لكنّ الواقع السياسي والديني والثقافي والعسكري والإقتصادي الذي جعل من المغرب والأندلس كتلة واحدة يدعونا إلى القول أنّ حالات المصاهرة بين أهل العدوتين كانت أمرا واقعا.

3.2) الأمثال المشتركة بين أهل العدوتين

إنّ أهم دراسة يمكن أن نعتمد عليها في دراسة الأمثال المشتركة بين بلاد المغرب والأندلس هي الدراسة التي قام بها الأستاذ محمد بن شريفة والتي دوّن من خلالها مجموعة من الأمثال المتداولة بين أهل العدوتين، ومنها الأمثال المرتبطة بأحداث لها صلة بالتاريخ المشترك بين المغرب والأندلس، كالقول الشهير الذي ذكر على لسان واحد من ملوك الطوائف وهو المعتمد بن عباد كجواب على تحذيره من استدعاء المرابطين إلى الأندلس، حينما قال: "رعي الجمال خير من رعي الخنازير"[3]، كما تمثّل أهل الأندلس وبلاد المغرب بواقعة الزلاقة ويعظمونها ولايذكرون غيرها"[4]، لأثرها الطيب في نفوس أهل العدوتين.

وأكثر الأمثال هي التي ارتبطت بسير حياتهم الإجتماعية، فقد قالوا أمثالا تتعلق بالتنبؤ بالأحوال الجويّة لارتباطها بمعيشتهم اليومية فقالوا "إذا ريت بالغدو خل، دوابك يرقد، وإذا ريت بالعشي سير دوابك للمشي"[5]، وهذا المثل في أصله أندلسي جاء نتيجة ما اكتسبه الأندلسيون

---

[1]- **محمد التميمي الفاسي (أبوعبد الله ابن عبد الكريم)** ، المصدر نفسه، ج1، ص180.

[2]- **عبد الإله بن مليح**، ظاهرة الرق في الغرب الاسلامي، مطبعة النجاح الجديدة، منشورات الزمن، الرباط، د ت، ص64.

[3]- ورد هذا بصيغ مختلفة عند المؤرخين، ينظر: ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، م2، ج1، ص228، ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص115.

[4]- ابن عذارى، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص196، حناش فهيمة، المرجع السابق، ص190.

[5]- الزجالي، المرجع السابق، ج2، ص18، محمد بن شريفة، المصدر السابق، ج1، ص162.

من خبرة التعامل مع محيطهم البيئي، ومثل هذا المثل وجد في بلاد المغرب بصيغة مشابهة للمثل الأندلسي[1].

إضافة إلى أمثال أخرى عديدة كانت متداولة عند كل من الأندلسيين والمغاربة على حد سواء، وأغلبها يصور مختلف المظاهر المتعلقة بالمجتمع دون وجود دليل واضح يثبت من أين منشؤها الأصلي المغربي الأندلسي[2].

كما صاغ الأنلسيون بعض الأمثال بصيغ بربرية، كقولهم في نقد البربر وتهاونهم عن الحراسة "بيدم أتمق حسى التراس من أخذ الحصن"، كما سخروا في بعض أمثالهم من الفحامين والحراس الذين يعملون بالليل لحراسة الدروب وأشباههم فقالوا: "واشبي بن عبو الفحام الذي كان ينحم الفحم بالورد"[3]، وهي تدّل على أنهم قد تأثروا باللهجة البربرية وصاغوا أمثالا بها، واعتبرها الأستاذ بن شريفة مما قيل في البربر، وعللّ ذلك بأن الأسماء التي استخدمت فيها بربرية، زيادة على أن خدمة الفحم وحراسة الدروب مما عرف به البربر في الأندلس من جهة أخرى[4].

المبحث الثالث: مسالك التّواصل التّجارية والثّقافية بالمغرب الإسلامي خلال العصرين المرابطي والموحدي.

كان من نتائج ظهور الدولتين المرابطية والموحدية بالمغرب الاسلامي خلال الفترة الممتدة مابين القرنن الخامس والسابع الهجريين تلك الوحدة السياسية، التي جمعت بلاد المغرب بالأندلس، الأمر الذي ساهم في نشأة صلات تجارية وثيقة بينهما، وكان لتلك الحركة التجارية أثرها في تلاقي مؤثرات ثقافية مختلفة، أندلسية، مغربية، وصحراوية، أدّت المسالك التّجارية خلالها دورا مهما في نشر وانتقال مختلف هذه التّأثيرات. فكيف كان للطرق التجارية دور في خلق

[1]- **ابن محرز الوهراني**، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، تقديم عبد العزيز الأهواني، الجزائر: وزارة الثقافة، 2007، ص126، 135، 209، 214، 220. حناش فهيمة، المرجع السابق، ص190.

[2]- الزجالي، المصدر السابق، ج2، ص370، 399، 464، محمد بن شريفة، المصدر السابق، ج1، ص121، 122، حناش فهيمة، المرجع السابق، ص191.

[3]- تفسير المثل باللّغة العربية عند: محمد بن شريفة، المرجع السابق، ج1، ص252.

[4]- محمد بن شريفة، تاريخ الأمثال والأزجال، ج1، ص251.

صلات ثقافية بين أطراف بلاد المغرب والأندلس؟

1) تأثيرات الوحدة السّياسية على الحركة الثقافية والتّجارية بالمغرب والأندلس

عاشت بلاد المغرب والأندلس قبل قيام الدّولة المرابطيّة حالة فوضى سياسية، غلب عليها تناحر شديد بين الإمارات الزناتية بالمغرب الأقصى، واتساع حالة التّمزق والضعف بين ملوك الطوائف بالأندلس، لكنّ المرابطين استطاعوا التّغلب على هذا الوضع الصّعب، وتمكنوا من توحيد قبائل المغرب، والسيطرة على الأندلس، وانهاء أسباب ضعفه، وفرضوا سيطرتهم وسلطانهم على أرجاء هذه البلاد، بل أقاموا وحدة سياسية بين بلاد العدوتين[1]، وأشاعوا الإستقرار والأمن والطمأنينة، خاصّة في عهد يوسف بن تاشفين وأوائل عهد علي بن يوسف[2]، وامتدت حالة الاستقرار هذه إلى المغرب الأوسط الذي أصبح لأوّل مرّة في تاريخه أيّام المرابطين منطقة موحدّة، يشكل ولاية مقرها تلمسان[3]، وعلى رأسها أحد أمراء المرابطين، ممّا وضع حدّا للصراعات الّتي كانت قائمة بين مختلف القبائل المتواجدة فيها، وأبعد عنها أطماع بني زيري وبني حمّاد، وبذلك عمّ الأمن بلاد المغرب الأوسط، وانتشر فيها الرخاء، وخطت خطوات عديدة نحو الازدهار، وبخاصة بعد تأسيس مدينة تلمسان الجديدة "تاجرارت"[4].

سارت الدّولة الموحدية على منوال الدولة المرابطية وخطت نفس الخطوات في سبيل استتباب الأمن والاستقرار، وفي عهد الموحدين كذلك ازدادت الوحدة الجغرافية التي حقّقها المرابطون بين بلاد المغرب والأندلس اتساعا برغم الفوضى التي أحدثها سعي الموحدين للاطاحة بنظام المرابطين، فقد ضمّ الموحدون أراضي امتدت إلى المغرب الأوسط والمغرب الأدنى، وذلك

[1] – حسن علي حسن، المرجع السابق، ص443 .
[2] – حسن علي حسن ، المرجع نفسه، ص450 .
[3] – عبد المنعم الحميّري، المصدر السابق، ص .136 –135
[4] – حسن علي حسن، المرجع السابق، ص445.

بعدما تمكن الموحدون من القضاء على حالة الفوضى السياسية التي شهدتها هذه المنطقة، الأمر الذي مكّن من توفير الاستقرار والأمن الذي يعد دعامة أساسية لأي حركة تجارية.

بفضل هذه الأعمال الجليلة أصبحت الدّولة في بلاد المغرب والأندلس تضم مجالا جغرافيا واسعا جمع بلاد العدوتين، وامتّد إلى أقاصي الصّحراء، المتاخمة لمملكة غانة، وكان ذلك يعني من الناحية الاقتصادية السيطرة على الطرق التّجارية في هذا الطرف الغربي من العالم الاسلامي، ومن النّاحية الدينية بسط نفوذهم المذهبي المالكي.

وبالموازاة مع التّطورات السياسية التي شهدتها بلاد المغرب كان الوضع الاقتصادي يشهد نموّا وازدهارا تماشيا مع التّطورات الّتي كانت ترد من الأندلس، إذ تذكر المصادر أنّ المرابطين عند فتح مدينة فاس سنة 462 هـ/1061م، عملوا على تطوير اقتصادها، وبناء الحمّامات، والفنادق، والأرحاء على الأودية، رغبة في رواج اقتصادها وتحريك عجلته، ويصف الإدريسي مدينة مكناس كما شاهدها في عهد المرابطين، ويبين مدى اعتناء المرابطين بترويج الإقتصاد، حيث ذكر أنّها كانت تتكون من مجموعة أحياء متقاربة، وتمتاز بخصوبة تربتها وعيونها الدافقة، وكانت تنتج القمح والعنب والزيتون والفواكه، وغراساتها منتظمة يتصل بعضها ببعض[1].

كان لحالة الإستقرار السّياسي والإقتصادي الذي شهدته دولة المرابطين الأثر الكبير في ظهور أهميّة التّجارة وازدهارها، ولاشك أنّ اعتناء التّجار بهذا الميدان يعود إلى إلغاء الدّولة المرابطية للضرائب الفادحة والمكوس على التّجارة والمتاجر، ممّا ساعد على استفحال ظاهرة التّجارة وامتهانها من العديد من شرائح المجتمع المغربي والأندلسي الّذي كان يتكون من مجتمع العامّة من التّجار والصّناع والحرفيين والمزارعين، فأدّى ذلك إلى تدعيم العلاقات بين مختلف أطراف الدّولة المرابطية أنذاك، وازدهار الحركة التّجاريّة فيها خصوصا التّجارة مع بلاد السّودان

[1] – الشريف الإدريسي، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص77.

الغربي جنوب الصّحراء، فكان لذلك أثر فعّال في تغلغل الإسلام في مختلف أنحاء الدّولة، وانتشار اللّغة العربية في المدن والمراكز التّجاريّة[1]

خطت الدّولة الموحدية نفس خطوات المرابطين في سبيل الحفاظ على الأمن والاستقرار ممّا ساهم في اتساع النشاط التجاري وانتعاشه، وكان اهتمام الموحدين بالشأن التجاري منذ الوهلة الأولى لتأسيس دولتهم، وكان من بين اهتمامات الخليفة الموحدي الأوّل عبد المؤمن بن علي تأمين الطرق التجارية بكلّ الوسائل المتاحة، حيث عمل الموحدون على حماية هذه الطرق من جميع المخاطر التي يمكن أن تهددها وتعرقل عمل التّجار، فسهلت سبل التّجارة وأقامت الآبار والاستراحات في طرق القوافل التّجارية، وأنشأت المنارات في الثغور، واهتمت ببناء الأسطول البحري من أجل تشجيع التبادل التجاري بين مختلف الجهات[2].

وكان اهتمام الموحدين بالتجارة كبيرا ، حيث اجتهدوا في وضع أنظمة تضبطها، وعقدوا من أجل ذلك المعاهدات مع أغلب المدن الساحلية الأوروبية، التي كانت مدينة سبتة وطنجة تتبادل معهم المنتوجات المختلفة حسب ما تذكر المصادر المعتمدة، والملفت للنظر أن التجارة الخارجية في عهدهم كانت نشيطة وفعّالة كذلك مع إفريقيا التي كانت قد تكونت على شكل مماليك كبيرة انتشر فيها الإسلام بفضل هذه الرحلات التجارية، ويمكن التعرف على البضائع التي كان التجار المغاربة يحملونها إلى السودان وطريقة التبادل بينهم، والطرق التي كانوا يسلكونها من خلال ما أورده ياقوت الحموي (ت626هـ/1229م)في معجمه الجغرافي "معجم البلدان"حيث يذكر بالتفصيل عملية التبادل التجاري بين بلاد المغرب وهذه المماليك الإفريقية منذ انطلاقتهم الأولى من" سجلماسة "إلى مدينة غانة في حدود السودان، كما يصف الحموي نوع البضائع التي كان يحملها هؤلاء التجار معهم مثل الملح، عقد خشب الصنوبر، خرز الزجاج

[1]- عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص103.

[2]- ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج1، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1984م، ص339.

الأزرق، إسورة نحاس أحمر، خواتم نحاس ..إلى غيره من البضائع التي كان يتم تبادلها مع سكان المماليك الإفريقية بطريقة فريدة من نوعها.

ومن النّاحية الدينية كان قيّام دولة المرابطين نصرا للمذهب المالكي في المغرب، وتأكيدا لدور علماء المالكية، ذلك أنّ هذه الدّولة نشأت على أساس الإصلاح الدّيني، المتمثل في عقيدة أهل السنّة، فحاربت البدع، ورسّخت المذهب المالكي في سائر أنحاء الدّولة في بلاد المغرب[1]، واعتمدته قاعدة أساسية ترتكز عليها الدّولة في سياستها [2]، خاصّة أنّ المذهب المالكي كان هو السائد في الأندلس[3]، وبذلك يمكن القول أنّ ضمّ الأندلس للمرابطين أحدث وحدة مذهبية، وساهم في ازدهار العلوم الدّينية، خاصّة أنّ علماء المذهب من الأندلس قد لقوا ترحيبا وتكريما، ورعاية من الأمراء المرابطين، الّذين لم يكن يقرب منهم إلاّ من عنيّ بعلم الفروع –فروع مذهب مالك[4] –، وصارت المدن المغربية مراكز لدراسة المذهب المالكي، وتخريج العلماء المالكيين ومن هذه المراكز مدينة تلمسان التي كانت دار للعلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب الإمام مالك[5]، وبسبب هذه الصلة المذهبية أنجبت بلاد المغرب الكثير من علماء المالكية، منهم القاضي عيّاض بن موسى اليحصبي السّبتي المالكي[6]، الذي اعتبر إمام المالكية وقدوتهم، وجامع مذهب الإمام مالك، وشارح أقواله والمدافع عنه [7].

[1]– عبد الحميد حاجيات،" التحولات الفكرية غي عهد المرابطين "، مجلة كليّة الأداب ، العدد الأوّل ، جامعة تلمسان ، نوفمبر 2000 ، ص103.

[2]– ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص154.

[3]–كان أهل الأندلس يتبعون المذهب المالكي ويقرأون القرآن على طريقة نافع ، وكانوا يزعمون أنهم لا يعرفون سوى القرآن وموطأ مالك وأنّهم إذا عثروا على شافعي أو حنفي كانوا يطردونه وإذا أمسكوا بأحد المعتزلة أو الشيعة كانوا أحيانا يقتلونه، ينظر :المقدسي، المصدر السابق، ص236 .

[4]– ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص154 ، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص172 .

[5]– أبو عبيد البكري، المصدر السابق ، ص77.

[6]– أحمد بن محمد مقري، أزهار الرياض في أخبار عيّاض، ج1، ص23 .

[7]– حسن علي حسن، المرجع السابق ، ص465 .

إنّ الوحدة السياسية التي تحققت بين بلاد المغرب والأندلس بفضل المرابطين والموحدين لم تعد وحدة مجال أو تراب فقط، بل أنّها قد تعدّت هذا المستوى فأصبحت وحدة حقل ثقافي، فقد تمخض عن حالة الاستقرار التي أشاعها المرابطون ثم الموحدين بعد ذلك نموّ الحركة الفكرية بالعدوتين، حيث اطلّع أمراء بلاد المغرب على التّطور الفكري في مدن الأندلس المختلفة، ممّا دفعهم للاستفادة منها في بلاد المغرب، فرحبّوا بالعلماء والأدباء والصّناع الأندلسيين، وأغدقوا عليهم الصّلات .[1]واستفادت المدن المغربية من هذا النزوح، حيث تحوّلت إلى مراكز علميّة نشيطة، مثل فاس، وسبتة، أمّا مراكش عاصمة المرابطين، ثم الموحدين، فكانت قبلة للعلماء الأندلسيين للخدمة في البلاط[2]، ونتيجة لحالة الإستقرار هذه، وحرص الأمراء والسلاطين على النّهوض بالأوضاع الإقتصادية، تدفقت الأموال على العاصمة مراكش، واتّجه النّاس إلى توجيه أبنائهم للتّعليم، وإلى وقف الأوقاف لتعليم الصبيان، فكان لهذا أثره في نهضة العلوم[3]، وتهيئة المناخ العلمي الذي يدرس فيه الطّلبة، ويجعلهم يقبلون على البحث والتّحصيل[4]، مستفيدين من توافد علماء، وأدباء الأندلس على بلاد المغرب، أو حتّى من خلال الارتحال لطلب العلم إلى الأندلس .وهذا يعني أنّ الوحدة السياسية أنتجت حالة من الانفتاح الفكري الأندلسي على بلاد المغرب، وأدّت إلى تدّفق الثّقافات الأندلسية المتّنوعة دون قيود، فأثمرت حركة ثقافية مهمّة بيلاد المغرب وأحدثت صلة وثيقة بين الأندلس والمغرب[5].

[1]- حسن علي حسن، المرجع نفسه، ص445 .

[2]- محمد إبلاغ،" الرياضيات في الأندلس مابين القرنين 3 و10 (9 و15م")، السّجل العلمي لندوة قرون من التّقلبات والعطاءات، القسم الثالث، ط1، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامّة، الرياض،1417هـ/1996م، ص44،45.

[3]- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ص.240 -239

[4]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص.443

[5]- حسن علي حسن، المرجع نفسه، ص.445

2) المسالك التّجارية بين المغرب والأندلس

شهدت بلاد المغرب منذ بداية القرن الخامس الهجري تحولا واضحا في وضعية الطرق التجارية، إذ تحوّلت من الناحية الشرقية لبلاد المغرب إلى الناحية الغربية منه، فقد فقدت كل من القيروان، القلعة وبجاية تفوقها التجاري، لصالح مدن المغرب الأقصى متأثرة بظهور المرابطين ثمّ الموحدين كقوى مهيمنة على الساحة السياسية في أقصى بلاد المغرب بشكل خاص، واضطراب الأوضاع السياسية في المغرب الأدنى والأجزاء الغربية المتاخمة له بسبب غزوات بني هلال وثورة بني مردينش، وكانت هذه العوامل مساعدة على تحوّل مراكز الإنتاج الفلاحي والصناعي وتغيّر مسارات الطرق التّجارية إلى أقصى غرب بلاد المغرب، حيث ظهرت مدن هذه المنطقة كمراكز وممّرات تجارية ذات أهميّة بالغة مثل سلا، فاس، تلمسان مكناسة، تادلا، وحتى مراكش في الجنوب.

أ) المحاور التّجارية بين أطراف بلاد المغرب والأندلس

بعد اخضاع المرابطين أقاليم المغرب في عصري المرابطين والموحدين في ظل سلطة مركزية واحدة، صار المغرب الأقصى معبرا لتجارة الجنوب نحو الأندلس، فانتظمت القوافل التّجارية إلى جنوب الصحراء والقادمة منها، حيث أصبح "في الإمكان أن تنتقل القوافل من أقصى السودان إلى أقصى الأندلس"[1]، عبر شبكة من الطرق التجاريّة التي كان لها دور حيوي في التّبادلات التجارية، وانطلاقا ممّا سجلته المصادر الجغرافية، وخاصّة أبو عبيد البكري، الجغرافي الأندلسي، في وصفه الدّقيق لمحمل الطّرق والمسالك التّجارية العابرة للصحراء، يمكن تقسيم المسالك التّجارية التي كانت تعبر أراضي المغرب والأندلس في عصري المرابطين و اموحدين إلى المحاور التالية[2]:

---

[1]- كمال أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، الإسكندرية ،1991 م، ص7.

[2]- اختلف المؤرخون في بدايات هذه الطرق ونهاياتها، وركز بعضهم على بعضها دون غيرها، البكري، المصدر السابق ، ص 164 163، ابن خلدون، المصدر السابق،ج7، ص119 .

المحور الأوّل: يخص بلاد المغرب وتحديدا المغرب الأقصى وفيه أربعة مسارات حول مراكش، ونحو فاس، وعبر سهول الأطلس، وباتجاه مضيق جبل طارق[1]. ويمتّد عبر السهول المنبسطة عند أقدام جبال الأطلس منطلقاً من أغمات أو من مراكش، يخترق تادلا متوجهاً نحو مكناس وفاس حتى يصل إلى موانىء سبتة، والقصر الصغير، وطنجة[2]، وكان هذا المحور في عهد المرابطين طريق القوافل التّجارية التي كانت تربط إفريقيا جنوبي الصحراء بساحل البحر الأبيض المتوسط عبر طريق سجلماسة[3] التي كانت بمثابة رأس الجسر لتجارة اعتمدت على الذهب الإفريقي[4]، وبذلك نلاحظ أنّ هذا المحور طريق تجاري رئيسي بين الأطراف الكبرى للدّولة المرابطية، السودان الغربي، المغرب الأقصى، الأندلس. وفي العصر الموحدي لم يتغيّر هذا المسلك وظلّ يحافظ على حيويته برغم بعض العراقيل، فظلّت سجلماسة تلعب دورها الوسيط في تجارة الصحراء مع شمال بلاد المغرب، حيث قامت علاقات تجارية كبيرة بين حاكم سجلماسة الموحدي وملك السودان في أواخر القرن السادس الهجري[5]، فحاكم سجلماسة أبو الرّبيع سليمان الذي كانت تجمعه علاقة انتساب إلى الموحدين كان يحرص كل الحرص على انجاح العلاقات التجارية مع بلاد السودان من خلال دعوة ملوك بلاد السودان إلى حسن معاملة التّجار، وعدم الوقوف أمام حرية تنقلهم وتصرفهم[6]. وبذلك يلاحظ حرص شديد لحاكم سجلماسة على الالتزام بحسن الجوار الذي يترتب عليه ضمان لازدهار إقليمه[7].

[1]- عبد المنعم الحميّري، المصدر السابق ، ص121.

[2]- عبد المنعم الحميّري، المصدر نفسه، ص395 – 396.

[3] - عبد المنعم الحميّري، المصدر نفسه، ص 148 – 149.

[4] - عبد المنعم الحميّري، المصدر نفسه، ص158 .

[5]- عطاء الله دهينة، العلاقات التجارية بين المغرب والسودان عبر الصحراء من القرن 6 إلى القرن8 هـ، ودور تلمسان في هذا الميدان، مجلة الأصالة، عدد26 ، ص.100

[6]- عطاء الله دهينة، المرجع نفسه، ص.101

[7]- عطاء الله دهينة، المرجع نفسه، ص.101

وفي ظلّ حكم المرابطين والموحدين ظلّ الاهتمام بالغا بالمحور الصحراوي الذي اكتسى أهميّة اقتصادية بالغة[1]، وبذلك تعددت المسالك الرابطة بين بلاد المغرب وجنوب الصحراء، والتي كانت تنطلق من عدة مدن رئيسية مثل :فاس، قلعة بني حماد، القيروان وطرابلس لتنتهي إلى المراكز لأساسية في مجاهل الصحراء كتوزر، المسيلة، ركلان، سجلماسة، ودرعة، وتغازي، وصولا بعد ذلك إل المراكز التجارية كأوليل وأودغست وغانا وكاو.

كما كان للمسالك التجارية المتجهة من جنوب الصحراء باتجاه الساحل أهمية كبيرة بالنسبة للمرابطين و الموحدين، ومنها خاصّة المسلك التجاري المحادي للبحر المحيط الذي يتخذ من نول لمطة نقطة انطلاقه ثم يستمر محاديا للساحل إلى أن يصل إلى ملاحة أوليل، وقد نشط هذا المحور بفضل الاقبال الكبير الذي كان لمادة الملح، والتي كانت مادة نافقة في بلاد السودان، وتتم مقايضتها بالمنتوجات السودانية خاصة التبر والعبيد، وقد أثنى ابن حوقل على ازدهار هذه التجارة عبر هذا المحور[2] الذي يتم قطعه في ظرف شهرين[3]، الأمر الذي دفع أحد الباحثين إلى تقدير المسافة بين أوليل ونول بحوالي1600 كم[4]وكان هذا المسلك يعبر السّهول الأطلسية وينحرف اتجاه الموانىء مثل سلا، ويتابع مساره بعد ذلك نحو القصر الكبير، النّقطة التي تربط طنجة وموانىء المتوسط مع شبكة مسالك فاس[5]، ومعنى ذلك أنّ هذا الطريق ذا أهمية تجارية

---

[1]- لقي هذا المحور اهتماما بالغا من الباحثين،ص90، بسبب ماتوفره المادة المصدرية المتمثلة أساسا في كتب المسالك الجغرافية التي خلفها الجغرافيون والرحالة المسلمون J. Devisse, Routede commerce et Echange en Afrique Occidentalen relation avec la Méditerre, in R.H.F.S, année 1972, pp 43-73،.

[2]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص96.

[3]- أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص172.

[4]- R.Manuy, Tableau géographique de l'ouest Africainau Moyen age d'aprésles sources écrites, la tradictionet l'archéologie, Amsterdam 1967, p426.

[5]- عبد المنعم الحميّري، المصدر السابق، ص103.

واقتصادية هامّة لأنه يربط المغرب الأقصى بطرق تجارية مهمة لاتقل أهميّة عن الطريق المؤدي إلى الصحراء.

وكانت الطرق التّجارية في عهد الموحدين الطرق التي تنطلق من فاس نحو سبتة أو تلمسان أو سجلماسة أو نحو مراكش عن طريق سلا أو عبر الأطلس أو تادلا، ومن مدينة مراكش تستمر الطريق إلى تارودانت أو نحو فالصحراء، كما تنطلق الطريق التجارية أيضا نحو الصحراء من مدينة سجلماسة.فالمتأمل في الطريق التي كانت التجارة الموحدية تسلكها يلاحظ أهمية الشبكة التي تتّجلى فيها أهم المراكز التجارية الداخلية في العهد الموحدي، ففي الجنوب الشرقي توجد مدينة سجلماسة، وهي البوابة التي يدخل منها ذهب السودان إلى المغرب، والمسافة بينها وبين تلمسان وفاس ومراكش على حد سواء فمن حيث قصدت إليها من احد هذه البلاد يكون ذلك مسيرة عشرة أيام في ذلك الزمان حسب تعبير عبد الواحد المراكشي، صاحب المعجب"أمّا مدينة مراكش التي تنتصب عند منتهى الأطلس الكبير فكان يدخلها التجار من أبواب معينة لتسهل مراقبة بضائعهم، وكانت لهم فنادق خاصّة يجتمعون فيها، وفي الشمال كانت مدينة فاس التي تقع عند ملتقى الطرق التي تربط بين الشمال والجنوب و الغرب والشرق، وكانت تضيف إلى نشاطها الصناعي نشاطا تجاريا واسعا ومتميزا[1].

لم يقتصر النشاط التجاري في عهد الموحدين على سجلماسة وفاس ومراكش، بل تعداه إلى مدينة سبتة ورباط الفتح وطنجة، إذ كانوا يشكلون أهم الموانئ الساحلية التي تصدر منها المنتوجات"فكانت طنجة تصدر الصوف والجلود المجففة والفواكه والشمع والعسل...بالإضافة إلى أنّها كانت ميناءا حربيا تنتقل منه السفن إلى تونس والأندلس، وكانت الأندلس تصدر إلى المغرب الاخشاب و المزروعات ومنتجات الشرق، كما كان التبادل قائما بين المغرب وتونس وبجاية

[1]- ابراهيم حركات، المرجع السابق، ج1، ص 339.

وقسنطينة.[1] المحور الثّاني :يتركز بالأندلس الّتي كانت تحت حكم المرابطين، وفيها ثلاثة مسارات يمتد الأوّل منها من مضيق جبل طارق إلى غرب الأندلس، ويمر الثّاني عبر الوادي الكبير والهضاب، ويتجه المسار الثالث نحو شرق الأندلس.[2]وهو محور يرتبط بالمحور الأوّل الذي ينتهي بشمال المغرب الأقصى، من خلال وجود مجموعة من الموانئ الرئيسية بسواحل البحر المتوسط، ويرتبط المحوران عن طريق البحر بالمحور التجاري الخاص بالأندلس، حيث تبدأ بعد ذلك مسالك تجارية انطلاقاً من الجزيرة الخضراء[3]، باتجاه الأطراف المختلفة لأراضي الأندلس، فقد ساهمت الحاجة إلى تزويد مدن الأندلس بالحبوب والمواشي وغيرها من المواد الخام، في مضاعفة التبادل عن طريق البحر، بين موانىء المغرب المتوسطية والأطلسية، وموانىء جنوب الأندلس[4]، كالجزيرة الخضراء، أركش[5]، وشريس، لتصل بعد ذلك إلى مدينة إشبيلية[6]، أكبر مراكز الأندلس[7]، وأمّا الطّريق الرئيسية للاتصال ما بين الوادي الكبير وهضاب قشتالة، فهي المسار التّاريخي لتحرّك الجيوش في ذهابها وإيابها الذي يبدأ في قرمونة، ويدخل إستجة، ليصل بعد ذلك إلى قرطبة، ويخترق ضواحيها صعوداً إلى أعالي الوادي الكبير عابراً أرجونة، وأندوجر، وجيّان، ويمضي قدماً إلى قلعة بني سعيد، وبياسة، وأبذة وغيرها، ومن جهة أخرى تتشعّب من مضيق جبل طارق طريق مهم جداً بالنسبة إلى المرابطين في دخولهم إلى بلاد الأندلس، وهي تتجّه نحو الشرق والشّمال فيعبر الجزء الأوّل منها مدن، رونده، مالقة، غرناطة، وألمرية، التي كانت – حسب الإدريسي – مدينة الأندلس الرئيسية في عهد المرابطين، ويتابع فرعها الآخر باتجاه ما سماه المسلمون شرق

[1]– ابراهيم حركات، المرجع نفسه، ج1، ص339.

[2]– أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص158.

[3]– تقع بالأندلس، ويقال لها جزيرة أم حكيم، وهي جارية طارق بن زياد مولى موسى بن نصير كان حملها معه فخلفها هذه الجزيرة فنسبت إليها، وعلى مرسى أمّ حكيم مدينة الجزيرة الخضراء، ينظر :عبد المنعم الحميّري، المصدر السابق، ص73.

[4]– أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص103.

[5]– حصن بالأندلس على وادي لكّة وهو مدينة ازلية قد خربت مرارا وعمّرت وعندها زيتون، ينظر :عبد المنعم الحميّري، المصدر السابق، ص 14.

[6]– عبد المنعم الحميّري، المصدر نفسه، ص18 – 19.

[7]– أبوعبيد البكري، المصدر السابق، ص82 .

الأندلس، إلى منطقة انتشرت فيها الحواضر والقلاع والموانئ لتبلغ بلنسية، التي تعتبر المركز التجاري المزدهر على ساحل البحر الأبيض المتوسط ذا الكثافة السكانية الكبرى في تلك المرحلة، وفي الأخير تقترب الطريق من الحدود الشّرقية والشّمالية لما كان يعرف في الأندلس ما بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر :جزر البليار في المتوسط كحدود بحرية، ونحو الدّاخل مدينة قونقة الّتي كانت وسيطاً بين مراكز السّلطة في هضبة المنجى وشرق الأندلس.[1]

وبالموازاة مع المسالك الرئيسية بالمغرب الأقصى فقد عرفت بلاد المغرب مسالك أخرى أقل أهميّة وهي المسالك التجارية التي ربطت المغرب الأوسط بالأندلس نذكر منها:

-خط بجاية ميورقة نشط هذا الخط بفعل العلاقات التي كانت تربط المدينتين، وقد ساعد تقابل المدينتين على تعديد الرحلات البحرية بينهما والتي ستتضاعف بفعل استقرار بني غانية في جزر البليار والذين سعوا إلى توطيد علاقتهم بتجار المدينة، فكان الميورقيين يصرفون في بجاية بضائعهم ويتزودون بمنتجات المدينة خاصة العبيد.[2]

-خط جزائر بني مزغنة ميورقة :استعمل هذا الخط الناصر الموحدي إبان تحرك أساطيله في اتجاه الجزائر الشرقية في اطار صراعه مع بني غانية[3]

وكانت كلّ من الدولتين المرابطية تسعا جاهدتين من أجل التّحكم في هذه المحاور التّجارية خاصّة منها الصحراوية، فبخصوص الدّولة المرابطية فإنّ مجال انطلاقها كان هو صحرء لمتونة وأنّها تمكنت من التحكم في محورين رئيسيين هما محور فاس، سجلماسة، غانة، ومحور سجلماسة أودغست، اضافة إلى المحور الساحلي بين نول لمطة وأوليل، وقد أجمعت العديد من

[1]- أبو عبيد البكري، المصدر نفسه، ص.164

[2]- أبو العباس الغبريني، المصدر السابق، ص46.

[3]- اختلف ابن أبي زرع مع الحميري في تفاصيل الرواية حيث يذكر الحميري أنّ الحملة انطلقت من سبتة نحو دانية فميورقة، ابن أبي أبي زرع، المصدر السابق، ص232.

الدراسات على أنّ المحور الغربي الذي كانت قاعدته سجلماسة أصبح الأهم وأضحى يستجيب للتحولات الاقتصادية التي ظهرت في بلاد السودان، وبلاد المغرب على حد سواء[1]، يقول أبو حامد الغزالي (ت565هـ/1169م): " يحمل التجار اليهم حجارة الملح على الجمال من الملح المعدني فيخرجون من بلدة يقال لها سجلماسة آخر بلاد المغرب الأعلى فيمشون في رمال كالبحار ويكون معهم الادلاء يهتدون بالنجوم وبالجبال في القفار ويحملون معهم الزاد لستة شهور فإذا وصلوا إلى غانة باعوا الملح وزنا بوزن الذهب وربما باعوه وزنا بوزنين أو اكثر على قدر كثرة التّجار وقلتهم"[2]، وقد تمكن المرابطون فعلا من التحكم في تجارة الملح والذهب المادتان الأساسيتان المتحصل عليهما من غانا .[3]ونظرا لكلّ هذا فإنّ الدّولة المرابطية عملت على تنظيم هذه الطرق[4]، والتحكم فيها، ونقصد بذلك الطرق التجارية الغربية، لأنّ طرق المغرب الأوسط والمغرب الأدنى قد فقدت قيمتها بسبب الأحداث المتراكمة التي عرفتها المنطقة بعد الانسحاب الفاطمي إلى مصر، لكن هذه الطرق التجارية ستستعيد توازنها بعد أن تمكن الموحدون من السيطرة على بلاد المغرب فأصبحوا يتحكمون في كل الطرق المتعلقة ببلاد المغرب وبلاد السودان [5].

3) المراكز التّجارية الكبرى

كانت أغلب الطرق التّجارية تمر على المدن الأندلسية والمغربية البارزة، والتي كان لها مكانة رفيعة على المستوى الاقتصادي، وهذه المدن اكتسبت هذه المكانة لدورها السياسي والعلمي، وباعتبارها مراكز للتّسويق، فعلى امتداد الطرق التّجارية برزت العديد من المراكز التّجارية

---

[1]- J. Devisse, Routede commerce et Echange en Afrique Occidentalen relation avec la Méditerre, in R.H.F.S, année 1972, p 55.

[2]- عطاء الله دهينة، المرجع السابق، ص 99، .100 أبو حامد الغزالي، تحفة الألباب ونخبة الاعجاب،

[3]- J.Devisse, op cit p 56

[4]- القاسمي مولاي هاشم، مجتمع المغرب الأقصى في منتصف القرن4 هـ، الدار البيضاء،1995 ، ص.372

[5]- J. Devisse, cit p72.

التي كان لها دور حيوي في تنشيط الحياة التجارية وتقوية الصلات الإقتصادية بين المغرب وبلاد الأندلس، فبرزت مدن بعينها خلال الفترة المرابطية والموحدية، مثل سجلماسة، فاس، وجدة، تلمسان، ومراكش ببلاد المغرب، وألمرية، اشبيلية، لبلة، بلنسية، مرسية بالأندلس.

أ) المراكز التجارية بالسودان الغربي

خلال القرن السادس الهجري تأسست ممالك بافريقية الغربية تمكنت من اقامة نظام قوي ومزدهر لحث السودانيين أنفسهم على عبور الصحراء للتوجه إلى المغرب وللقيام بنشاطات تجارية[1]، وهذه الممالك التي تأسست في افريقة الغربية خلال القرن السادس هي مملكة صوصو الوثنية ومملكة ديارا، وغلام، ومالي، وكانت هذه الممالك عبارة عن امارات تابعة لمملكة غانة[2]. لم تكن الصحراء الكبرى تمثل عائقا أمام الاتصال بين بلاد المغرب وبلاد السودان رغم الصعوبات التي كانت تصادف الرحلة بين الشمال والجنوب إلا أنّ منطق البحث عن أسواق جديدة كان دائما يذكي رغبة التجار لتوسيع تجارتهم.

تعتبر أودغشت من المحطات التّجارية الهامّة لقوافل الصحراء، وكان بها أنواع التجارة من الحبوب والفاكهة، التي ترد عليها من بلاد المغرب، وكانت تتاجر في الأقمشة الحريرية الموشاة التي يدفع ثمنها تبرا[3]. وإلى جانب هذه المدينة ازدهرت مدينة جنى[4] في عهد المرابطين بسب تأمين الطرق التّجارية، وانتشار الأمن، وامتازت هذه المدينة بسعتها وبأنّها سوق عظيمة من أسواق المسلمين، يلتقي فيها التّجار من جميع البلاد[5]، ويتم فيها مبادلة الملح بالذهب، إضافة إلى أنّها منطقة غنية بالثروات، ولاسيما القطن الذي يشتريه تجار المغرب لتصديره إلى أوروبا، مقابل أواني

---

[1]- عطاء الله دهينة، المرجع السابق، ص100.

[2]- عطاء الله دهينة، المرجع نفسه، ص100.

[3]- أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص 158 .

[4]- أسست هذه المدينة على نهر النّيجر الأعلى في منتصف القرن الثاني من الهجرة النبويّة الشريفة حوالي سنة 800م ، أسلم أميرها أواخر القرن الخامس الهجري ، وحذت حذوه الرعيّة ، وتمّ إسلامها في نهاية القرن السادس الهجري ، ينظر: عبد الرحمان بن عامر السعدي، تاريخ السودان ، نشره هوداس، أنجي، باريس 1898م، ص ص 11 ، 12.

[5]- عبد الرحمان بن عامر السعدي، المصدر نفسه، ص 12 - 13.

نحاسية وأسلحة وغيرها من السلع[1]. وفي آخر القرن الخامس الهجري سنة 490هـ/1109م، وفي عهد الأمير يوسف بن تاشفين أنشئت مدينة تمبكت التي أصبحت بعد ذلك من أهم المراكز التّجارية في غرب إفريقيا، حيث كان أهلها بدوا يرعون الأغنام، ويعيشون على التّرحال، وبعدها استقر بهم المقام بسب استقرار المرابطين، وأضحت هذه المدينة سوقا هامّا يؤمها التّجار والقوافل[2]، لأنّها أقرب محطة للقوافل التجارية القادمة من المغرب، وهي حلقة اتصال بين تجارة المغرب وتجارة السودان، وجاء ازدهارها كذلك بسبب تجارة المرور، ولا سيما تجارة الذهب والملح[3].

ويسود الاعتقاد أن جملة هذه المسالك التجارية الرابطة ما بين ضفتي الصحراء، لم تشهد تطوّرا متوازيا ومتزامنا، وإنّما كانت البداية مع الطريق المنطلق من سجلماسة ووادي درعة[4] في اتجاه آدرار، والذي ينتهي عند أودغشت، ثم ينطلق منها في اتجاه الجنوب الشرقي، الطريق الذي يصلها بعاصمة غانة القديمة على بعد ستّة أيّام ، كما يصلها بما يوجد خلفها من أراضي خصبة على ضفاف نهر السنغال[5].

---

[1]- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تجارة القوافل ودوره الحضاري حتّى نهاية القرن التاسع عشر، 1404هـ-1984م ، إشراف أحمد ابراهيم دياب، معهد البحوث والدراسات الغربية، ص 84.

[2]- حسن أحمد محمود، دور العرب في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، المجلة التاريخية المصرية، مجلد 14، سنة 1968، ص 68.

[3]- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المرجع السابق، ص 82.

[4]- تقع في جهة درعة بينهما ثلاثة مراحل وتعرف باسم واديها حيث يجري نهر درعة من الشرق إلى الغرب منبعثا من جبل درن ، وهي من المدن العامرة، عبد المنعم الحميّري، المصدر السابق، ص 235 ، 236 .

[5]- ومما سجّله الجغرافي والمؤرخ اليعقوبي حوالي عام 890م عن أحوال هذا المسلك، قوله:" ومن سجلماسة لمن سلك متوجها إلى القبلة يريد أرض السودان من سائر بطون السودان يسير في مفازة وصحراء مقدار خمسين رحلة ثم يلقاه قوم يقال لهم أنبية من صنهاجة في صحراء ليس لهم قرار شأنهم كلّهم أن يتلثموا بعمائمهم سنة فيهم ولا يلبسون قمصانا إنّما يتشحون بثيابهم ومعاشهم من الإبل ليس لهم زرع ولا طعام ثم يصير إلى بلد يقال له غسط – أودغشت– وهو وادٍ عامر فيه المنازل وفيه ملك لهم لا دين له ولا شريعة يغزو بلاد السودان وممالكهم كثيرة."

ب) المراكز التجارية ببلاد المغرب الأقصى والأوسط

ازدهرت في بلاد المغرب الأقصى والأوسط العديد من المراكز التجارية إمّا لموقعها الجغرافي، أولكونها ممرّا، أو سوقا تجارية للقوافل التّجارية، أو لأهميتها السياسية والعلمية كما هو الشأن مع مراكش وفاس، وخلال العصرين المرابطي والموحدي ظهرت عديد من المراكز التي حملت هذه السمات.

تعتبر سجلماسة بأقصى جنوب المغرب الأقصى أهم المراكز التجارية، مستفيدة من الأسواق النشيطة على امتداد حوض وادي درعة الغني بمواده الفلاحية، والتي شكلت دعامة اقتصادية قوية للمدينة، وبذلك باتت عبارة عن مستودع للسلع الرائجة في التّجارة الصحراوية ممّا أهلّها لأن تستقطب القوافل القادمة من شمال بلاد المغرب في انتظار انطلاقها نحو بلاد السودان، ومن جهة أخرى كانت مركزا لتلقي تجارات السودان وتصديره إلى مدن بلاد المغرب[1].

أمّا مراكش فتأتي في مقدمة المراكز التجارية الّتي حظيت باهتمام التّجار، وساعد على ازدهار هذه المدينة اعتبارها عاصمة للدّولة المرابطية واهتمام ولاة الأمر بعمارتها والبناء فيها، فأتتها التّجارات من كل مكان، وصارت مركزا للتّجارة الدّاخلية بين مدن الشمال والجنوب[2].

وبالاتجاه نحو الشّمال نجد مدينة فاس كمركز تجاري مهم يلعب دور الوسيط بين تجارة الجنوب والشّمال، وقد أمدّنا الإدريسي بوصف مهمّ للطرق التي كانت تقطعها القوافل من وإلى مدينة فاس رابطة شرق البلاد بجنوبها، فكان هناك طريق يربط بين تلمسان ومدينة سجلماسة تتوسطه مدينة فاس، حيث كانت تسير القوافل من تلمسان إلى فاس، ومن فاس إلى صفرو ومنها إلى تادلة وأغمات فدرعة ثمّ إلى سجلماسة[3]، ويصف الإدريسي طريقا أخر يربط فاس

[1]– المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، المرجع السابق، ص 78، اليعقوبي ، المصدر السابق، ص 257.

[2]– حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 269.

[3]– الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص 81.

بسجلماسة وهو طريق فاس – صفرو إلى قلعة مهدي إلى تادلة ثمّ إلى وادى شعب الصفا حيث يشق هذا الجبل الكبير إلى جنوبه ومن هناك إلى سجلماسة[1]، ويقول الإدريسي أنّ فاس كانت قطبا ومدارا لمدن المغرب الأقصى[2]، ويضيف عبد الواحد المراكشي ذكر لطريق أخر يربط بين مدن المغرب من أقصى الشرق إلى الجنوب تقع عليه مدينة فاس، وهو طريق سلكه المسافرون في تلك الحقبة يربط تلمسان بفاس ومراكش بسجلماسة[3].

كما كانت فاس حلقة وصل رئيسية بين مختلف أطراف بلاد المغرب والأندلس، حيث توثقت العلاقات التّجارية بين فاس والأندلس بفضل عدد من الموانئ المطلة على البحر المتوسط، التي أدت دورا تجاريا كبيرا في ظل حماية الأسطول المرابطي، ومن هذه الموانئ ميناء سبتة التي كانت تزخر بالحركة التّجارية[4]، أمّا ميناء سلا فيمكن اعتباره أهم الموانئ الأطلسية، والذي كان يستقبل السفن المختلفة، "وفي مقدمتها السفن الأندلسية ومنها مراكب أهل إشبيلية وسائر المدن الساحلية من الأندلس، يقلعون منها ويحطون بها بضروب من البضائع وأهل إشبيلية يقصدونها، ويتجهزون منها بالطّعام على سائر بلاد الأندلس الساحليّة"[5].

وبالمغرب الأوسط شكلت تلمسان قاعدة تجارية ذات أهمية كبيرة، حيث كان ينطلق منها المسلك التجاري القاصد منطقة الحوض الأوسط لنهر النيجر، مرورا بواحات كورارة وتوات، ثم المسلك المغذي للمراكز التجارية بحوض البحر الأبيض المتوسط خاصة منها ألمرية بالأندلس، فضلا عن المسلك الغربي المتوجه نحو مكناسة مرورا بفاس، والذي يصل إلى غاية تادلة ثمّ أغمات ودرعة وسجلماسة[6].

[1]– الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص 76.
[2]– الشريف الإدريسي، المصدر نفسه، ص79.
[3]– عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 42.
[4]– ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج2، ص 54.
[5]– الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص 73.
[6]– الشريف الإدريسي، المصدر نفسه، ص 81.

ج) المراكز التجارية الأندلسية

ساعد على نمو التّجارة الخارجية وازدهارها في عصر المرابطين نمو البحرية من خلال بناء أسطول إسلامي ضخم[1]، وترتب على ذلك ازدياد نشاط حركة الملاحة ونمو كثير من الموانئ مثل مرسية، دانية، ألمرية، وغيرها من الموانئ الأندلسية، بل عرفت كثير من المدن الدّاخلية نشاطا ملحوظا مرتبطا بحركة الموانئ.

اعتبرت ألمرية الميناء الرئيسي في الأندلس الذي تقصده السفن من سائر الأقطار، فانعكس هذا الرخاء على المدينة، "ولم يكن بالأندلس أيسر من أهلها مالا، ولا أتجر منهم في أصناف التجارات تصريفا وادخارا"[2]، فقد كانت المدينة ملتقى للتجارة[3]، ولأهمية ألمرية وضع المرابطون أسطولهم على أهبة الاستعداد لحماية السفن التّجارية التي ترد على ميناء المدينة، حيث كانت تربطها ببلاد المغرب صلات بحرية وثيقة، فكانت السفن تنتقل مابين ثغور ألمرية وثغور المغرب[4].

وبسبب ما أصابته ألمرية من تقدم تجاري، واتخاذ المرابطين مدينة غرناطة قاعدة لهم في الأندلس، ازدهرت الحياة التّجارية لهذه المدينة لصلتها الوثيقة بألمرية، ومن المدن الدّاخلية التي شهدت نفس الازدهار في عصر المرابطين مدينة قرطبة، حيث استعادت مجدها ورونقها، وصارت قاعدة بلاد الأندلس وأمّ مدنها، وكان تُجارها مسرة، لهم أموالا كثيرة، وتجارات واسعة. كما ازدهرت مدن أندلسية أخرى واسترجعت مركزها الحضاري والإقتصادي، مثل اشبيلية التي نشطت بها الحركة التّجارية من بيع وشراء، وتكدست الثروات في أيدي أهلها، كما شملت الحركة التّجارية

[1]- عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب إفريقيا، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1988، ص 196.

[2]- الشريف الإدريسي، المصدر السابق ، ص 563.

[3]- عصمت عبد اللّطيف دندش، المرجع السابق، ص 385.

[4]- السيد عبد العزيز سالم، قاعدة الأسطول الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة الطباعة والنشر ، الاسكندرية ، 1984 ، ص 89.

مدن لبلة، وبلنسية، ومرسية، وغيرها من مدن الأندلس.

4) المراكز الثّقافية المرابطية

أ) المراكز الثّقافية ببلاد السودان الغربي

إلى جانب دورها التّجاري لعبت المدن ؟ دورا ثقافيا مهمّا، وظهرت مدن بلاد السودان الغربي كمراكز ثقافية هامّة، فكان لمدينة أودغشت دور كبير في نشر الإسلام في منطقة السودان، وكانت من المراكز الأولى التي انبعث منها هذا الدّين إلى رحاب السودان، في ركاب المرابطين الذين أحكموا السّيطرة عليها بقيادة عبد اللّه بن ياسين، ومنها انطلقت موجات من الدعاة إلى بلاد السودان لنشر تعاليم الإسلام، وكانت هذه المدينة زاهرة، فيها مساجدة كثيرة آهلة، وكان بهذه المساجد مجموعة من المعلمين لتعليم القران الكريم، والسنة، وتعاليم الإسلام، كما كثرت بها المدارس لتعليم الأطفال[1].

أمّا تمبكت فكانت مركزا فكريا وثقافيا مهمّا، اجتمع فيها العلماء من جميع الأجناس والألوان[2]، وهي مأوى العلماء والعبّادين، ومألف الأولياء، والزاهدين، وملتقى الفلك، والسّيار، فجعلوها خزانة متاعهم، وزرعهم إلى أن صارت مسلكا للمالكين في ذهابهم ورجوعهم[3]، وكان مسجدها الجامع يضم نخبة من الفقهاء، والعلماء أكثرهم من قبيلة جدالة[4]، ووجد بها الطلاّب التشجيع والرعاية[5]، فأخذوا العلم عن علمائها[6]، وكان فقهاء وعلماء تمبكت

[1]- أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص 158 .
[2]-عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 163.
[3]- عبد الرحمان بن عامر السعدي، المصدر السابق ، ص 21 .
[4]- عبد الرحمان بن عامر السعدي، المصدر نفسه، ص 21.
[5]- عصمت عبد اللّطيف دندش، المرجع السابق، ص 163.
[6]- عصمت عبد اللّطيف دندش، المرجع نفسه، ص 163.

كثيرا مايقيمون بفاس ومراكش، يعلمون، ويتعلمون[1]، كما أنّ المدينة كانت مقصد علماء وفقهاء من بلاد المغرب والأندلس، وكافة بلاد السودان[2]، فكانت منارة العلم في السودان، سكنها الأخيار من العلماء، الصالحين، وذوي الأموال من كل قبيلة، ومن كل بلاد[3].

ووفد إلى مدينة جنى طلاّب العلم والفقهاء من قبائل وبلاد شتّى حيث كانوا يجلسون حول العلماء، وعاشت المدينة بذلك حياة علميّة مزدهرة[4].

ب) المراكز الثقافية ببلاد المغرب :

يجمع المؤرخون على أنّ مدارس المغرب تفوقت تفوقا واضحا[5]في عصر المرابطين، ومن أهم هذه المدارس مدرسة فاس التي بلغت في عهد المرابطين "من الغبطة والرفاهيّة والدعة ما لم تألفه مدينة من مدن المغرب"[6]، فكانت من أعظم المراكز الثقافية المرابطية، خاصّة بعد فقدان مدينتا قرطبة والقيروان أهميتهما العلميّة، بسبب الحروب التنصيرية بالأندلس، وهجرة قبائل بني هلال إلى إفريقية، بل أصبحت فاس مقصد علماء الأندلس وأفريقية لتلّقي علوم التّفسير والحديث والفقه والأصول، وعلم الآلة والفلك والطبّ والهندسة، لأنّ هذه المدينة شهدت في عهد المرابطين نهضة علميّة كبيرة[7].

أمّا مدينة مراكش فكان لها دور ثقافي مهم كعاصمة للدّولة المرابطيّة وأصبحت مركزا علميّا مشهورا بالمغرب الأقصى، يقصدها طلاّب العلم من مختلف مدن المغرب الإسلامي، وهو

[1]- عبد الرحمان بن عامر السعدي، المصدر السابق، ص 11.
[2]- عصمت عبد اللّطيف دندش، المرجع السابق، ص 163.
[3]- عبد الرحمان بن عامر السعدي، المصدر السابق، ص21.
[4]- عبد الرحمان بن عامر السعدي، المصدر نفسه، ص 11.
[5]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 431.
[6]- عليّ الجزنائي، المصدر السابق، ص 33.
[7]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص 269.

ماجعلها ملتقى علماء بلاد المغرب وعلماء السّودان الغربي والأندلس[1].

ب) المراكز الثقافية الأندلسية

كانت كلّ مدن الأندلس كبراها و صغراها مراكز ثقافية[2]، حيث استفادت من حالة الإستقرار التي بثها المرابطون، ومن أهم المراكز الثقافية الأندلسية قرطبة، اشبيلية، مرسية، بلنسية، ألمرية، دانية، طرطوشة، شاطبة، سرقسطة، غرناطة، بطليوس، وشلب وغيرها.

تعتبر قرطبة أهم هذه المراكز بوصفها قاعدة المرابطين بالأندلس، ارتحل إليها طلاب العلم من الأندلس والمغرب، لتوسطها للأندلس، وشهرة علمائها وأدبائها[3]، وهي أكثر مدن الأندلس كتبا وأشدّ النّاس اعتناءا بخزائن الكتب، صار ذلك عندهم من ألات التعيين والريّاسة[4]، أمّا إشبيلية فارتفع ذكرها كمركز من مراكز الأدب والفن والموسيقى والطرب ،وازدهارها العلمي في عهد المرابطين هو استمرار لما تحقق من تطوّر فكري في عهد المعتمد ابن عباد[5]، أمّا غرناطة فكانت من مراكز العلم التي اجتمعت فيها العلوم الفقهية، والفلسفية، الصوفية، وكثر بها التأليف في كتب الفقه، وكان من أئمة علمائها الذين يُشّد الرحال إليه الفقيه علي بن محمد بن عبد الرحمان بن الضحاك والمعروف بابن البقري[6]، واشتهرت دانية بالقراءات، وحافظت على مركزها العلمي في عهد المرابطين، فكان يحج إليها الطلاب من جميع أنحاء الأندلس للأخذ على قرائها المشهورين[7]، وبالنسبة لألمرية فهي مدينة الصوفية والعلوم الفقهية، لعبت دورا مهما في تطور العلوم

[1]- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المرجع السابق ، ص100.

[2]- ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص 111.

[3]- أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج1 ، ص 153 ، 154.

[4]- أحمد بن محمد المقري، المصدر نفسه، ج1، ص 155.

[5]- عصمت عبد اللّطيف دندش، المرجع السابق، ص 384.

[6]- كان فقيها محدثا متكلما له تواليف كثيرة منها كتابه " السداد في شرح الإرشاد " وكتاب " مدارك الحقائق في أصول الفقهى " ، وله رسالتان في التصوف، عصمت عبد اللّطيف دندش، المرجع نفسه، ص 384.

[7]- ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، م 1، قسم 4، ص 23.

الدّينية، كما اشتهرت بعدد كبير من علمائها ومفسريها ومتصوفيها، ومنهم أبو العباس بن العريف، الذي قصده أهل الزهد في الأندلس، وبذلك أصبحت من أهم المراكز الروحيّة[1].

أمّا مدن الشرق في الأندلس مثل مرسية وبلنسية، دانية، شاطبة، وجزر ميورقة[2]، فكانت لها نفس الاتجاهات الفكرية لمدينة ألمرية، ولعبت هذه المدن دورا رئيسيا في ازدهار العلوم الإسلامية، وكانت سرقسطة من المراكز المهمة التي ازدهرت فيها علوم الفلك، والطّب، والفلسفة[3].

إنّ الوحدة السياسية التي تشكلت بين المغرب والأندلس في عصري المرابطين والموحدين أدّت إلى توحيد تاريخهما وحضارتهما، وأصبحا وطنا واحدا يتبادل سكانه المنافع والمصالح، وسكن بعضهم إلى بعض، وتقاربوا، وكان اتصالهم مؤثرا في جميع نواحي الحياة، غير إنّ انتقال التأثيرات الحضارية من منطقة إلى أخرى يجعلها تتعرض لدرجات من التّغيير تختلف قوة وضعفا باختلاف ظروف الأخرين، أوبحسب الجوار الجغرافي والقرب أوالبعد عن مناطق التأثير، فكانت التأثيرات الأندلسية في بلاد المغرب أكثر وضوحا وأقرب ما تكون إلى أشكالها الأصلية، أمّا المجال الصّحراوي فقلّت فيه حدّة هذه التّأثيرات الحضارية، وبذلك يمكن القول إنّ المسالك التّجارية كانت تنفث الروح في باقي العلاقات الأخرى من كلّ نوع، فالعنصر الحاسم الذي أثّر في التّقارب الإجتماعي والحضاري في بلاد المغرب، هو العامل التّجاري، فإليه ينسب كثير من المؤرخين ما عرفته بلاد المغرب والأندلس من ازدهار حضاري وتطوّر سياسي واقتصادي، وذلك لما أتحته القوافل من فرص الاطلاع على العادات والمعطيات الحضارية الم

[1]- عصمت عبد اللّطيف دندش، المرجع السابق، ص 385 .

[2]- هي جزيرة يابسة وطولها عشرة فراسخ وعرضها ثمانية ، ومنها تجلب الملح والخشب إلى بلاد إفريقية، وهي جزيرة كثيرة الثمار والزرع، ينظر: أبو بكر الزهري، المصدر السابق، ص 128.

[3]- عصمت عبد اللّطيف دندش، المرجع السابق ، ص 385.

خاتمة

خاتمة :

إنّ العلاقة بين بلاد المغرب والأندلس إنّما تندرج ضمن صلة العدوتين في إطار الإنتماء إلى البحر المتوسط، والتي ظلّت تقوم منذ العصور القديمة على مبدأ أنّ المتغلب من أي ضفة من ضفاف المتوسط يكون له القدرة على فرض وجوده وهيمنته على الطرف الأخر، لكن الفتح الإسلامي لبلاد المغرب والأندلس غيّر من هذه القاعدة نسبيا، إذ استطاع المسلمون أن يجعلوا العدوتين تندمجان في وحدة واحدة، برغم وجود فترات من العداء سواءا على المستوى السياسي، أو في إطار علاقة المتساكنة.

إنّ الفترة التّاريخية التي سبقت ظهور المرابطين على مسرح الأحداث في المغرب والأندلس تمثل مرحلة مهمّة في التأسيس لصلة قويّة بين بلاد المغرب والأندلس، فكان تاريخهما موصول، ولكن دون أن يصل إلى تحقيق الوحدة، فقد كانت هناك تحركات بشرية، وعلاقات تجارية وثيقة، ومبادلات ثقافية، ولو أنّها ظلّت محصورة في مناطق بعينها، وبرغم عدم استقرار العلاقات السياسية على حال إلاّ أنّنا يمكن القول أنّ هذه المرحلة أنتجت أرضية سياسية وحضارية، وأفرزت شعورا مشتركا بحاجة كل ضفة إلى الضفة الأخرى.

– خلال منتصف القرن الخامس الهجري ضعف الأمويون بالأندلس، وفقدوا قوتهم وتأثيراهم على الأحداث في بلاد المغرب، فانشطرت الأندلس إلى طوائف، وتعرضت إلى عدوان النّصارى، وأصبح ملك المسلمين مهددا بالزوال، ولم يختلف حال بلاد المغرب التي كانت تشهد فوضى سياسية كبيرة، لكن القدر شاء أن تظهر قوّة صحراوية مغربية سيكون لها دور مهمّ في توحيد بلاد المغرب، وتنفيد مشروعها الاصلاحي، وإعادة اللّحمة بين العدوتين، وبذلك حققت الدولة المرابطية الوحدة المركزية لأوّل مرة في تاريخ المغرب بقيادة قوى أمازيغية، وأصبحت الأندلس منذئذ تابعة لمراكش من بلاد العدوة. ولم يكن عصر الموحدين إلاّ استمرارا لعصر المرابطين، وهو بذلك استمرار لسلطان البربر على الأندلس الذي امتد زهاء نصف قرن في أيّام المرابطين، وأكثر من

قرن آخر على يد ورثتها الموحدين، وفي وسع الباحث أن يلاحظ مابين هذين العهدين من أوجه التماثل التي تجمع بينهما، وأن يلمس في نفس الوقت أوجه الخلاف، والتناقض التي تباعد بينهما، وتصبغ على كلّ منهما خواصه ومميزاته.

– إنّ انضواء الأندلس تحت لواء المرابطين كان بدعوة من الأندلسيين والحاحهم ومن كافة المستويات، وبعد فشل ملوك الطوائف في حماية الأندلس من عدوان النّصارى، كان انضواء الأندلس تحت سلطانهم نتيجة لجهود المرابطين وجهادهم في حمايتها، واستمرت الأندلس منضوية تحت راية المرابطين حوالي نصف قرن إلى أن سقطت علي يد الموحدين الذين تمّ استدعاءهم كذلك من قبل الأندلسيين من أجل انقاذهم من هجمات النّصارى، ويدّل هذا الاستدعاء على على استمرار قبول الأندلسيين فكرة الاستنجاد ببربر بلاد المغرب.

– إنّ استنجاد الأندلسيين بالمربطين ثمّ الموحدين، ساهم وبشكل كبير في تأجيل سقوط الأندلس، وعزّز مركز المسلمين هناك، وأسّس لسلطان البربر على الأندلس، وخلق علاقة عضوية متفاعلة بين العدوتين ستكون بموجبها بلاد المغرب هي المحرك الأساسي في عمليّة توجيه الأحداث، وهي الحامية للأندلس، والمدافعة عنها، والأندلس هي التي تبذل حضارتها ومعارفها لبلاد المغرب.

– خلال عصري المرابطين والموحدين توثقت الوحدة السياسية بين العدوتين بما أتاح للنّاس والأفكار أن تنتقل بكل حرية بين الضفتين، وسمح بوصل بلاد المغرب بالتّطوّر الحضاري في الأندلس، فظهر التأثير الأندلسي على بلاد المغرب واضحا جليّا، وشمل مجالات متعددّة منها مساهمة الأندلسيين في تطوير إدارة الدولتين المرابطية والموحدية، فضلا عن مختلف التأثيرات الإجتماعية، الفنية، المعمارية، والعلمية.

– إنّ اعتماد المرابطين والموحدين على عدد هائل من الكتّاب الأندلسيين، خاصّة منهم المتفوقين، وذوي الكفاءات، يحمل الكثير من الدّلالات، لعلّ أبرزها هو المحافظة على الإرث الحضاري

الأندلسي في مجال إدارة الدّولة، وهو ماضمن حماية هذا الإرث، واستمراره برغم الإنهيار السياسي الذي عرفته الأندلس، حيث عاد كثير من ذوي المناصب الهامّة إلى مكانتهم السابقة، يمارسون مهامهم كما لو أنّ عصر ملوك الطوائف لم ينته، بل توّسع ليشمل مجال المغرب والأندلس.

– استطاع الأندلسيون ايجاد نوع من التلاقح السياسي بين بلاد المغرب والأندلس بفضل خبرتهم وماكان لديهم من القدرات والمهارات، فقد خلقوا توافقا بين رصيد الأندلس السياسي في مجال ادارة الدّولة، وبين التقاليد القبلية للمرابطين، فأنتجوا سلوكا سياسيا يقوم على مبادئ المرابطين في الحكم، والقائم على الالتزام بالشرع، واختيار الأصلح للحكم، وسلوك الأندلسيين التي يفضل التعامل مع الواقع.

– امتّد التّأثير الأندلسي إلى مجالات حياتية كثيرة ففي المجال الإجتماعي كانت عناصر التّأثيرات الأندلسية قويّة، تركزت آثارها في كل المجالات، فأظهر أهل المغرب كثير من السّلوكات الإجتماعية مثل الاحتفالات، الموسيقى، الغناء، الرقص، الملابس، والطّعام ، وترتيب المائدة، وفي المجال المعماري كانت عناصر التأثير الأندلسي لا تقل قوة، فاتضحت ملامحها في فن العمارة لبلاد المغرب فجاء رسمها التّخطيطي وهندستها اقتباسا من مساجد الأندلس، وكذلك الحال بالنسبة للأعمدة والتّيجان، والعقود، والأسقف الخشبية، والقباب، والمآذن، وغيرها، أمّا التأثير في مجال العلوم فشمل معظم علوم العصر من علوم نقلية وعقلية، وجاءت أغلبها نقلا عن علماء أندلسين سواء كان ذلك نظريا عبر الكتب والمؤلفات، أو شفهيا عن طريق الدّرس والمحاضرة .

– بفضل هذه المؤثرات الأندلسية، ورجال الدولتين المرابطية والموحدية الذين أمدّوا بلاد العدوتين بالطّاقة اللازمة استطاع المرابطون والموحدون التغلب على بداوتهم، وأثبتوا قدرتهم على التكيف مع المعطيات الحضارية الجديدة، واتضح ذلك في العديد من المظاهر السياسية والاجتماعية والحضارية، فأصبح لهم حضور اجتماعي مميّز بالأندلس، واقبال على طلب العلم، وزاحموا الأندلسيين في هذا المجال، حتىّ ذاع صيت كثير من علماء بلاد المغرب في سماء الأندلس، وأصبحوا يؤدون نفس الأدوار التي أدّاها نظرائهم الأندلسيين، حيث استطاعوا نشر مصنفاتهم

العلمية، وتراث بلدهم بالأندلس، مساهمين بذلك في اثراء حركة التأليف بالمغرب والأندلس.

– خلال العصرين المرابطي والموحدي وبحكم الوحدة السياسية والدينية والقرب الجغرافي كثرت عمليّة التحرك البشري بين ضفتي الأندلس وبلاد المغرب، سواءا في اطار حركة الجهاد، أو طلب العلم، أو غير ذلك، فشكل ذلك نواة تلاقي واحتكاك بين الأندلسيين والمغاربة، وأنتج كثير من السلوكات المشتركة التي تعبر عن حدوث نوع من التّمازج الحضاري، ظهرت آثاره في خلق حالات من المشاركة والمخالطة والانصهار، كالتعاون في المعارك، وامتزاج فنون القتال الحربية الأندلسية المغربية، وبعض حالات المصاهرة والزواج بين الأندلسيين و المغاربة.

– وخلاصة القول إنّ تجربة التواصل بين المغرب والأندلس في عصري المرابطين والموحدين تجربة فريدة من نوعها في التّاريخ الإسلامي، فكيف يعقل أن تستدعي بلاد قوّة عسكرية لتكون سندها في مواجهة العدوان، ثم تقوم هذه القوّة بالاستناد على هذه البلاد لتصنع رقيّها الحضاري، وتساهم في اطالة عمر الحضارة الإسلامية في الأندلس، وتضع حدّا للقطيعة مع هذه الحضارة، والتي كانت ستتم لو أنّ ملوك النّصارى تمكنوا من السيطرة على الأندلس.

– وخلال الحكم المرابطي والموحدي تبادلت كل من المغرب والأندلس الإعتراف بالآخر فالأندلس اعترفت لبلاد المغرب بقوّتها العسكرية، وبلاد المغرب اعترف للأندلس برقيّه الحضاري، وبذلك تشكل في تاريخ العدوتين نموذج من التواصل الحضاري الإسلامي ترسخت فيه الأواصر بشكل جليّ وواضح بين الأفراد والجماعات بشكل جعل من هذا النموذج محطة من محطات التّواصل الإنساني عزّ تكرارها عبر التاريخ.

ملاحق

ملحق: 01

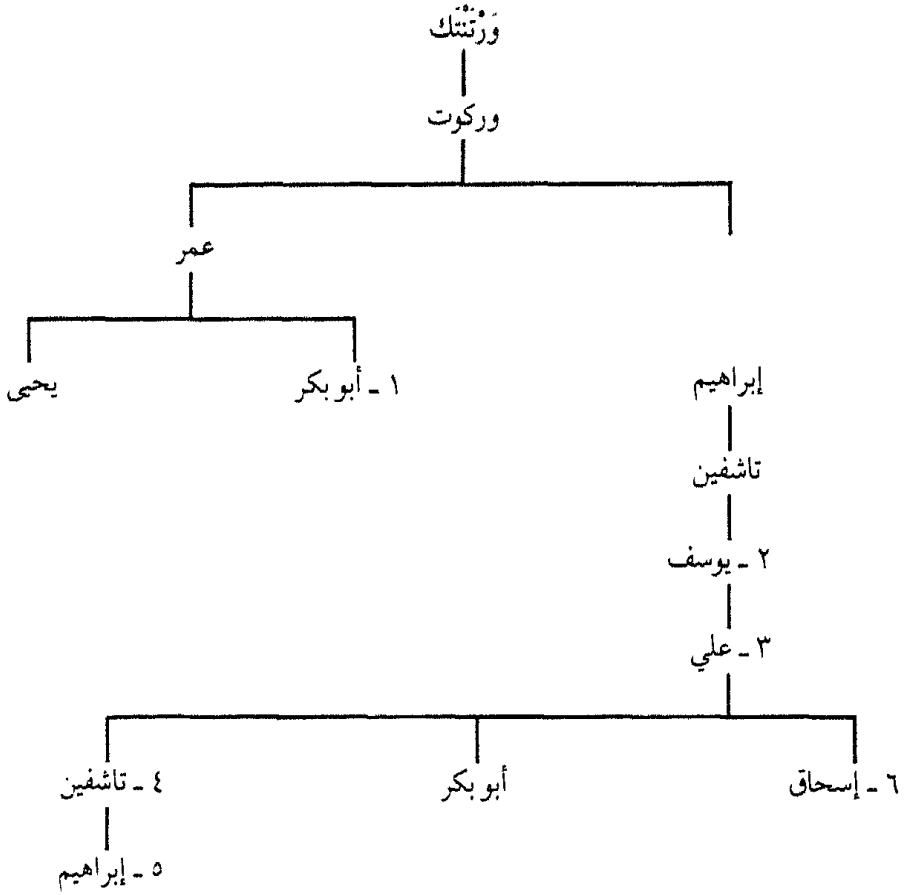

تسلسل نسب المرابطين

- حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ص113.

ملحق: 02

- **شوقي أبو خليل**، أطلس التاريخ العربي، دار الفكر، دمشق، 1425هـ- 2005م، ص87.

ملحق: 03

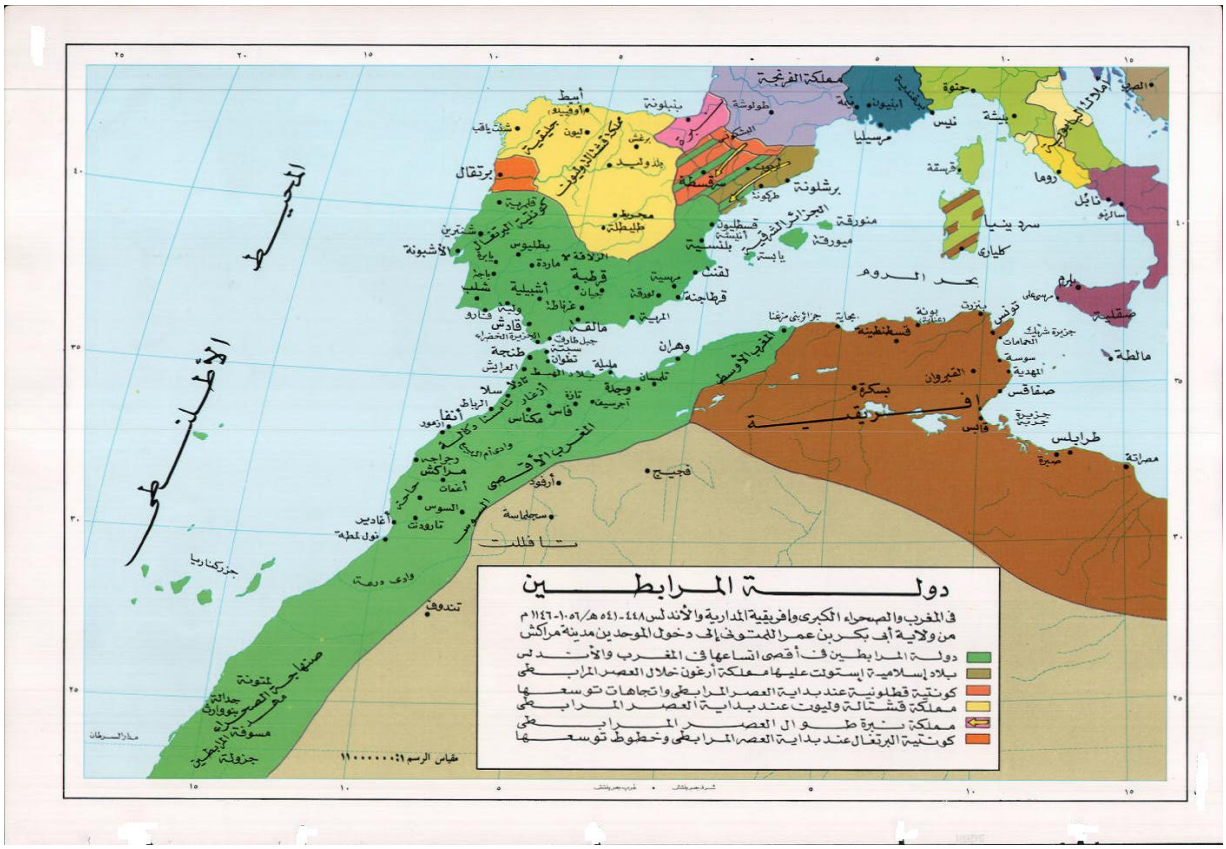

– **حسين مؤنس**، أطلس تاريخ الإسلام، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1407هـ/ 1987م، ص165.

ملحق: 04

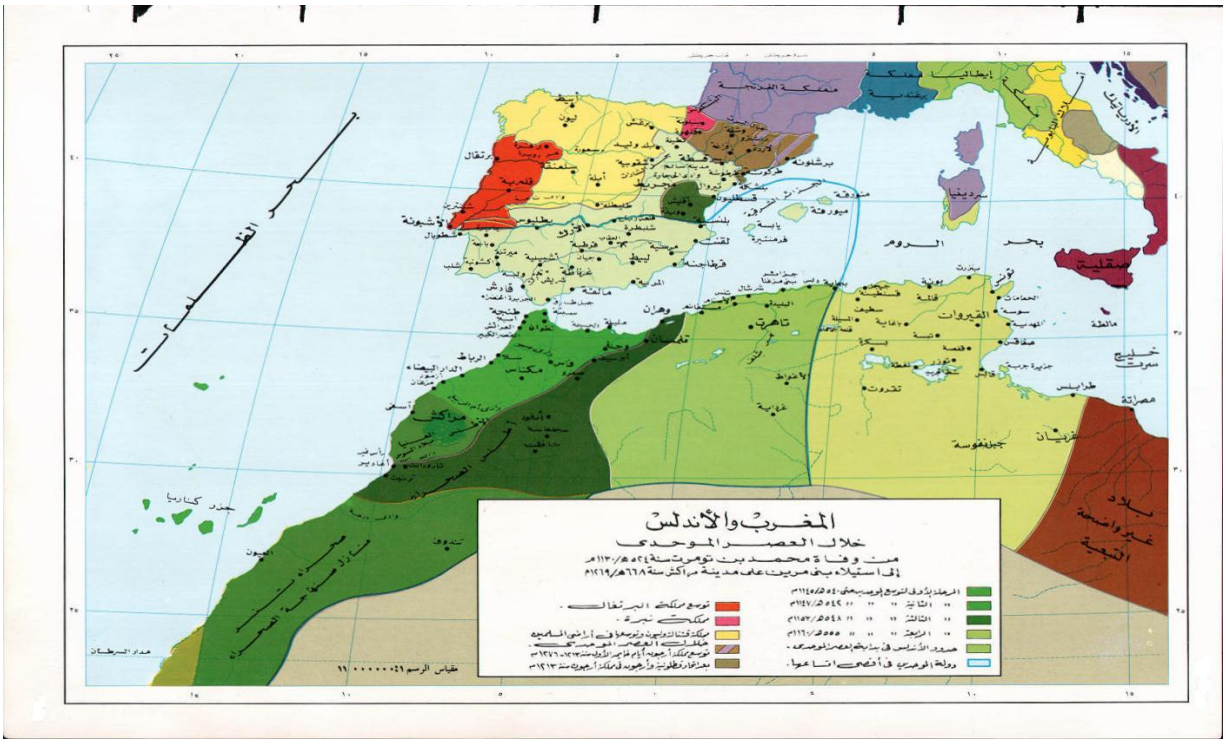

- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص166.

ملحق: 05

معارك المرابطين

معارك الموحدين

معارك المرابطين و الموحدين بالأندلس

- شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص81.

ملحق :06

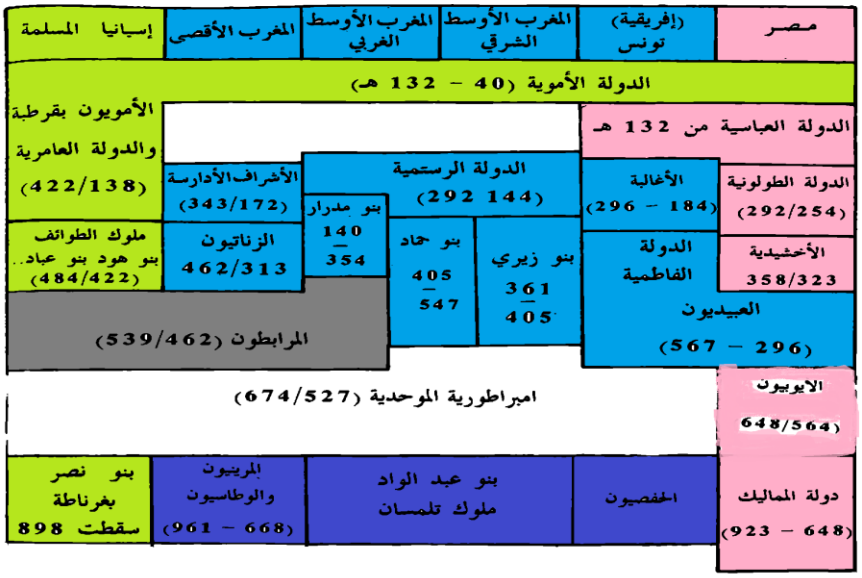

بيان أفقي ورأسي لدول وإمارات الغرب الإسلامي

– عثمان عثمان، المرجع السابق، ص364.

ملحق: 07

– نص أوّل لولاية العهد:

ورد في النّص مايلي:" الحمد لله الذي رحم عباده بالاستخلاف، وجعل الإمامة سبب الائتلاف، وصلّى الله على سيدنا محمد نبيه الكريم الذي ألف القلوب المتناثرة، وأذل لتواضعه عزة الملوك الجبابرة.

أمّا بعد فإنّ أمير المسلمين وناصر الدين أبا يعقوب يوسف بن تاشفين ، لما استرعاه الله على كثير من عباده المؤمنين، خاف أن يساله غدا عما استرعاه، كيف تركه هملا لم يستنب فيه سواه، وقد أمر الله بالوصيّة فيما دون هذه العظيمة، وجعلها من أوكد الأشياء الكريمة، كيف وفي عظائم الامور ، ومصلحة الخواص و الجمهور.

وإنّ أمير المسلمين بما لزمه من هذه الوظيفة، وخصّه الله به من النظر في هذه الأمور الدينية الشريفة، قد ماز عوا لي رماحه، وأحد سلاحه، فوجد ابنه الأمير الأجل أبا الحسن أكثرها ارتياحا إلى المعالي واهتزازا ، وأكرمها سجية وأنفسها اعتزازا، فاستتباه فيما استرعى، ودعاه لما كان إليه دعى بعد استشارة أهل الرأي على القرب و النأي، فرضوه لما رضيه، واصطفوه لما اصطفاه، ورأوه أهلا أن يسترعى فيما استرعاه، فأحضره مشترطا عليه الشروط الجامعة بينها وبين المشروط، فقبل ورضي، وأجاب حين دعي، بعد استخارة الله الذي بيده الخيرة، و الاستعانة بحول الله الذي من آمن به شكره..كتب شهادته على النائب والمستنيب من رضي إمامتها على البعيد والقريب، وعلم علما يقينيا بأوصاف هذا الترتيب".

مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 78، 79.

ملحق: 08

– نص ثاني لولاية العهد

يقول ابن القصيرة في هذا العهد: "هذا كتاب تولية عظيم جسيم، وتوصية حميم كريم، مهدت على الرضا قواعده، وأكدّت بيد التّقوى مواعده ومعاقده، وسددت إلى الحسنى مقاصده، وأبعدت عن الهوى مصادره ووارده، أنفذه أمير المسلمين وناصر الدّين أبو يعقوب يوسف بن تاشفين، أدام الله أمره وأعزّ نصره، وأطال فيما يرضيه منه ويرضى به عنه عمره، غير محاب ولاتارك في النّصيحة لله ولرسوله والمسلمين موضعا لمرتاب ، للأمير الأجل أبي الحسن علي ابنه، المتقبل همه وشيمه، المتأثل حلمه وتحلمه، الناشئ في حجر تقويمه وتأديبه، المتصرف بين يدي تخريجه وتدريبه أدام الله عزه وتوفيقه، ونهج إلى كلّ من الأعمال طريقه وقد تهمّم بمن تحت عصاه من المسلمين، وهدي في انتقاء من يخلفه هدي المتقين، ولم ير أن يتركهم بعد سدى غير مدينين، واعتام في النصاب الرفيع، واختار واستنصح أولي الراي والدين، واستشار فلم يقع بعد طول تأمل وتراخي مدّة، وتمثل اختياره واختبار من فاوضه في ذلك من اولي التقى و الحنكة، واستشارة الأعلية، ولاصار بدونهم الارتياد و الاجتهاد إلاّ إليه، ولا التقى رواد الرأي والتشاور إلاّ لديه. فلاه- عن استحكام بصيرة وبعد طول مشورة —عهده، وأقضى إليه الامر والنهي والقبض والبسط عنده بعده، وجعله خليفته الساد في رعاياه مده، وأوطأ عقبه جماهير الرجال ، وناط به مهمات الأمور والأعمال، وعهد إليه أن يتقي الله مااستطاع، ولايعدل عن سمت العدل وحكم الكتاب والسنة في احد عصى أو أطاع، ولاينام عن حماه الحيف و الخوف بالاضطجاع، ولايتليّن دون معلن بشكوى، ولايتصادم عن مستصرخ لدى بلوى، وأن ينظم اقصى البلاد وادناه في سلك تدبير، ولايكون بين القريب والبعيد بون في احصائه وتقديره، ثم دعا —أدم الله تأييده- لمبايعته- أدام الله عزه ونصره- من حضر ودنا من المسلمين ، فلبوا نرعين، وأتوا مهطعين، واعطوا صفقة أيمانهم متبرعين متطوعين، وبايعوه على السمع والطاعة، والتزام سنن الجماعة، وبذل النصيحة جهد الاستطاعة، ومناصفة من ناصفه، ومحاربة من حاربه، ومكايدة من كايده، ومعاندة من عانده، لايذخرون في ذلك على حال المنشط مقدرة، ولا يحتجون في حالتي السخط والرضى إلى معذرة، بمّ أمر بمخاطبة سائر أهل البلاد لمبايعته، كل طائفة منهم في بلدها ، تعطيه-كما أعطاه من حضر- صفقة يدها، حتّى ينتظم في طاعته القريب والبعيد، ويجتمع على الاعتصام بحبل دعته الغائب والشهيد، وتطمئن من أعلام الناس وخيارهم نفوس قلقة، وتنام عيون لم تزل

مخافة اقذافها مؤرقة، كافة السرور والاستبشار، وتتمكن لديهم الدعة ويتمهد القرار، وتنشأ لهم في الصلاح آمال، ويستقبلهم جد صالح وإقبال، والله يبارك لهم بيعة رضوان وصفقة رجحان ودعوة يمن وأمان، إنّه على مايشاء قدير، لاإله إلاّ هو نعم المولى ونعم المصير.

شهد على اشهاد أمير المسلمين بكل ماذكر عنه فوق هذا من بيعته، ولقبه جملة عنه ممّن التزم البيعة المنصوصة قبل، وأعطى صفقته طائعا متبرعا بها، وبالله التوفيق، وكتب بحضرة قرطبة في ذي الحجة سنة ست وتسعين وأربعمائة".

– ابن الخطيب، الاحاطة، ج2، ص518.

ملحق: 09

فروع العلوم	الفترة المرابطية 484هـ/539هـ

القفه	34
علوم الحديث	28
علوم القرآن	18
الأدب(النتر)	09
الأدب(الشعر)	12
علوم اللّغة	08
العلوم العقلية	03
علوم أخرى	11
المجموع	123

جدول احصائي حول عدد علماء بلاد المغرب غلال الفترة المرابطية

- حاج عبد القادر يخلف، المرجع السابق، ص174.

ملحق: 10

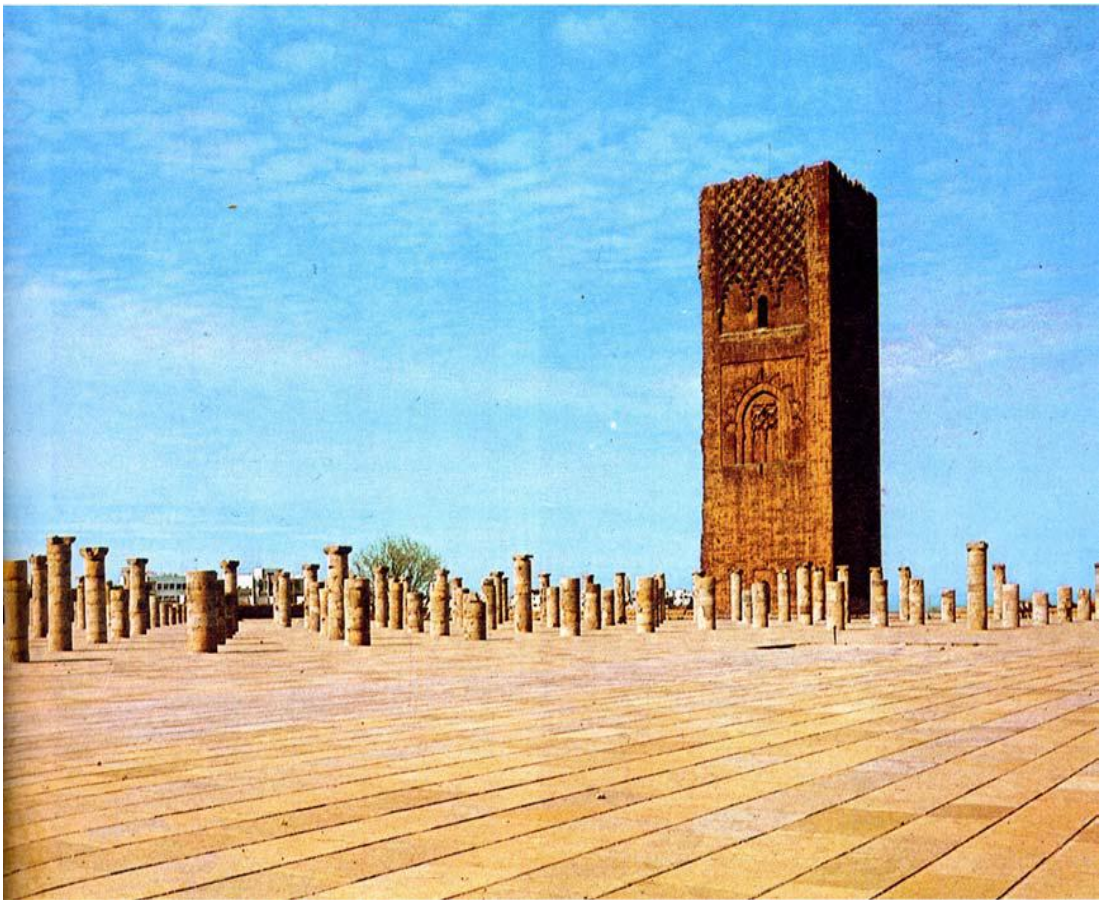

صومعة حسان بالرباط

– **طه الولي**، المساجد في الإسلام، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1988، ص114

بيبلوغرافيا

– القرآن الكريم :

سورة الشورى، الآية: 38.

– المصادر:

1- ابن الأبار(ت658هـ/1260م)، التكملة لكتاب الصلة، تح: ألفريد بل، ابن أبي شنب، المطبعة الشرقية للأخوين فونطايا، الجزائر 1337هـ-1919م.

2- (ـــ ـــــ)، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1963م.

3- (ـــ ـــــ)، المقتضب من كتاب تحفة القادم، تح :ابراهيم الأبياري، ط3، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، 1410هـ/1989م.

4- أبو بكر الطرطوشي(ت520هـ/1127م)، سراج الملوك مكتبة طورنطو، دت.

5- أبو بكر الطرطوشي، كتاب الحوادث والبدع، ضبط وتعليق: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، ط1، دار ابن الجوزي للنّشر والتوزيع، االمملكة العربية السعودية، 1411هـ-1990م.

6- أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي(ت438هـ/1046م)، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية، تح: بشير البكوش، مراجعة: محمد العروسي المطوي، ج1، ط1، وط2، دار الغرب الاسلامي، 1983، 1994.

7- أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (ت 379هـ/989م)، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة 1973م.

8- أبو الحسن علي المسعودي(ت345هـ/965م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 1988م.

9- أبو الحسن النُباهي المالقي(ت793هـ/1390م)، تاريخ قضاة الأندلس(المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء و الفتيا)، تح: لجنة احياء التراث العربي، ط5، منشورات داف الأفاق الجديدة، بيروت، 1403هـ-1983م.

10- أبو العباس الغبريني(ت714هـ/1314م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة

السابعة ببجاية، تح: عادل نويهض، ط2، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1979م.

11- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري(ت556هـ/1154م)، كتاب الجغرافية، تح : محمد حاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد، د ت .

12- أبو عبيد البكري(ت487هـ/1094م)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د ت.

13- ابن أبي دينار(ت1110هـ/1698م)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تح: محمد شمّام، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، دت.

14- ابن أبي زرع(ت926هـ/1325م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والنشر،الرباط، 1972م.

15- ابن الأثير(ت630هـ/1232م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح:خليل مؤمن، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيرت، 1997.

16- (ـــ ـــــ)، الكامل في التاريخ، مراجعة وتصحيح: محمد يوسف الدقاق،ج5، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ-1987م.

17- أحمد بن عميرة الضبي(ت559هـ/1202م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، ج1، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م.

18- أحمد بن محمد المقري(ت1071هـ/1632م)، أزهار الرياض في أخبار عيّاض ، ج3 ، ضبط وتحقيق ، ابراهيم الابياري ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة ، 1308هـ/1939م.

19- (ـــ ـــ ـــ ـــــ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس،ج1، دار صادر، بيروت، 1408هـ-1988م.

20- ابن الأحمر(ت807هـ/1404م)، بيوتات فاس الكبرى، تح: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

21- الإصطخري(ت340هـ/951م)، المسالك والممالك، تح: محمد جابر عبد العال الحيني

ومحمد شفيق عربال، القاهرة، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دار القلم.

22- الأعمى التيطلي(ت525هـ/1130م)، ديوان الأعمى التيطلي ومجموعة موشحاته، تح: احسان عباس، المكتبة الاندلسية للنشر و التوزيع، دار الثقافة، بيروت، دت.

23- البرزلي(ت841هـ/1438م)، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تح: محمد الحبيب الهيلة، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م.

24- ابن بسام الشنتريني(ت542هـ/1147م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، م4، ق1، دار الثقافة، بيروت، د ت.

25- ابن بشكوال(ت587هـ/1183م)، الصلة في تاريخ علماء الأندلس، تح: ابراهيم الأبياري، ج1، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ-1989م.

26- ابن بشكوال(ت587هـ/1183م)، الصلة في تاريخ علماء الأندلس، تح: صلاح الدين الهواري ، ط2، المكتبة المصرية، بيروت، 1423هـ -2003م.

27- البغدادي(ت732هـ/1331م)، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تح: محمد بجاوي، ج1، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992م.

28- البيدق(ت ق6)، أخبار المهدي بن تومرت، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، دت.

29- البيدق(ت555هـ/1160م)، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تح: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م.

30- ابن تومرت(ت524هـ)، أعز مايطلب، تقديم: عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، دت.

31- ابن ثغري بردي(ت874هـ/1470م)، النّجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تح: محمد محمد أمين، تق: سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، 1984م.

32- جلال الدين السيوطي(ت911هـ/1505م)، بغية الوعاة في طبقات النحويين والنحاة، ج2، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، دت.

33- جلال الدين السيوطي، نزهة الجلساء في أشعار النساء، دراسة وتحقيق وتعليق: عبد اللطيف عاشور، مكتبة القرآن الكريم للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، دت.

34- ابن جلجل(ت994هـ/1585م)، طبقات طبقات الأطباء والحكماء، تح: فؤاد سيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955.

35- ابن الحاج الفاسي(ت732هـ/1331م)، المدخل، م1، مكتبة دار التراث، القاهرة، دت، ص151، 152.

36- ابن حزم(ت465هـ/1009م)، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق ، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط5، القاهرة 1982م.

37- (ـــ ـــــــ)، رسائل ابن حزم الأندلسي، تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج1، بيروت، لبنان، 1987، ص 258.

38- الحسن الوزان المعروف بليون الافريقي(ت952هـ/1552م)، وصف افريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، الشركة المغربية لدور النشر،الرباط، 1980م.

39- الحميدي(ت488هـ/1095م)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، حققه وعلّق عليه، بشّار عوّاد معروف ومحمد بشار عوّاد، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1429هـ-2008م.

40- ابن حوقل(ت380هـ/990م)، صورة الأرض، ج1، دار صادر، بيروت، 1928م.

41- ابن حيان(ت469هـ/1076م)، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تح: محمود علي مكي، بيروت، دار الكتاب العربي، ص121، 122.

42- (ـــ ـــــــ)، نصوص من كتاب المتين، جمعها ودرسها وحققها وقارنها بنصوص المصادر الأخرى عبد الله محمد جمال الدين بمدريد 1977، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1418هـ/1997م.

43- ابن خرداذبة(ت300هـ/912م)، المسالك والممالك، مكتبة دار صادر، أفست ليدن، بيروت، 1989م.

44- ابن خلكان(ت681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج2، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، د ت.

45- ابن خير الإشبيلي(ت575هـ/1179م)، كتاب الفلاحة، تح: التهامي الناصري، طبعة فاس، 1357م.

46- (ـــ ـــــــ ـــــــ)، فهرسة ابن خير، تح: ابراهيم الأبياري، ج2، ط1، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، 1410هـ/1989م.

47- الذهبي(ت748هـ/1347م)، سير أعلام النبلاء، اشراف وتحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي،ج8، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت ، 1402هـ-1982م.

48- الرقيق القيرواني(ت417هـ/1026م)، تاريخ افريقية والمغرب، تقديم وتحقيق وتعليق: محمد زينهم محمد عزب،ط1 ، دار الفرجاني، القاهرة، 1414هـ- 1994م.

49- ابن الزبير(ت708هـ/1308م)، صلة الصلة، نشر ليفي بروفنسال، المكتبة الاقتصادية، الرباط، 1937م.

50- الزجالي(ت694هـ/1295م)، أمثال العوّام في الأندلس، "مستخرجة من كتاب ريّ الأوام، ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام، تح وشرح ومقارنة: محمد بن شريفة، ق 2، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتّعليم الأصلي، دت.

51- الزركشي(ت382هـ/1477م)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضود، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م.

52- ابن الزيات التادلي(617هـ/1220م)، التشوف إلى رجال التصوف، تح: أحمد التوفيق، ط2، منشورات كلية الأداب، الرباط، 1997، ص344.

53- ابن سعيد (ت685هـ/1286م)، اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلي، تح: ابراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1980م.

54- (ـــ ـــــــ)، الغصون اليانعة في ينابيع المائة السابعة، تح: ابرهيم الأبياري، دار المعارف، القاهرة، 1977م.

55- (ـــ ـــــــ)، المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، ج1، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1995م.

56- ابن سهل الأندلسي(ت486هـ/1093م)، الإعلام بنوازل الأحكام(الأحكام الكبرى)، تح: نورة محمد عبد العزيز التويجري، ج1، ط1، 1415هـ-1995م.

57- الشريف الإدريسي(ت560هـ/1166م)، القارة الافريقية وجزيرة الأندلس، تح: إسماعيل العربي، الجزائر، 1983م.

58- (ـــــــ ـــــــ)، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، تح: م1، مكتبة الثقافة الاسلامية، القاهرة، 1422هـ، 2002م.

59- شهاب الدين أحمد النويري(ت732هـ/1330م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترحيني،ج24، دار الكتب العلمية، بيروت، ص.59

60- ابن صاحب الصلاة(ت594هـ/1200م)، تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي ط3، بيروت 1964م.

61- ابن الصغير(ت بعد 300هـ/912م)، أخبار الائمة الرستميين، تحقيق وتعليق محمد ناصر وابراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.

62- ابن صفوان(ت597هـ/1201م)، زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر ، (أشعار الأندلس عصر الدولة الموحدية)، علق عليه عبد القادر محناد، دار الرشد العربي للنشر، بيروت، 1970م.

63- العباس بن ابراهيم السّملالي(ت)، الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، مراجعة، عبد الوهاب بن منصور، ج2، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1414هـ-1993م.

64- عبد الحق بن اسماعيل الباديسي(ت)، المقصد الشريف والمنزع اللّطيف في التعريف بصلحاء الريف، تح: سعيد إعراب، ط2، المكتبة الملكية، الرباط، 1414هـ-1993م.

65- ابن عبد الحكم(ت214هـ/829م)، فتوح مص والمغرب، تح: عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربي، 1961م.

66- عبد الرحمان بن خلدون(ت808هـ/1406م)، مقدمة ابن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007.

67- عبد الرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط ومراجعة: خليل شحادة، سهيل زكار، ج4، 6، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2001م.

68- عبد الكبير بن هاشم الكتاني(ت)، زهرة الآس في بيوتات أهل فاس، تح: علي بن المنتصر الكتاني، ط1، ج1، منشورات مطبعة النجاح الحسنية، الدار البيضاء، 1422هـ-2002م.

69- عبد الله بن بلكين(ت ت483هـ/1090م)، كتاب التبيان، تح : ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، د ت.

70- عبد الملك المراكشي(ت73هـ/1303م)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: إحسان عباس، ج1، دار الثقافة، بيروت، 1973م.

71- عبد المنعم الحميّري(ت866هـ/1461م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس ط2، دار صادر، بيروت 1975م.

72- (ـــ ـــــــ ـــــــ)، صفة جزيرة الأندلس من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: ليفي بروفنسال، ط2، دار الجيل، بيروت، 1405هـ-1988م.

73- عبد الواحد المراكشي(ت في ق13/7م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، القاهرة، 1963م.

74- (ـــ ـــــــ ـــــــ)، وثائق المرابطين والموحدين، تح : حسين مؤنس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1997م.

75- ابن عبدون(ت أواخر القرن 6هـ/12م)، رسالة في القضاء والحسبة، نشر ليفي بروفنسال،

المجلة الأسياوية، باريس، 1934م.

76- ابن عذارى المراكشي(ت ق7هـ/13م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج-س-كولان وأ-ليفي بروفنسال، ج1، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983م.

77- العذري(ت478هـ/1085م)، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الملك، تح: عبد العزيز الأهواني، ط1، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1965م.

78- علي الجزنائي(ت807هـ/1405م)، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح: عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1411هـ-1991م.

79- العماد الأصفهاني(ت597هـ/1201م)، خريدة القصر وجريدة العصر، قدمه محمد بهجة الأثري، ج3، منشورات وزارة الإعلام، العراق، دت.

80- الغازي المكناسي(ت919هـ/1513م)، الروض الهاتون في أخبار مكناسة الزيتون، تح: عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1408هـ-1988م.

81- الفتح بن خاقان(ت535هـ/1140م)، مطمح الأنفس ومسرح التآنس، تح: محمد عليّ شوابكة، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1403هـ-1983م.

82- (ـــــــ ـــ ـــــ)، تاريخ الوزراء والكتّاب والشعراء بالأندلس، تح: مديحة الشّرقاوي، مكتبة الثّقافة الدّينية، بور سعيد، مصر، 2001م.

83- (ـــــــ ـــ ـــــ)، قلائد العقبان ومحاسن الأعيان، تح: حسين يوسف خريوش، ط1، مكتبة المنار، الأردن، 1409هـ-1989م.

84- ابن فرحون المالكي(ت799هـ/1396م)، الدّيباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: مأمون بن يحي الدين الجنّان، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1471هـ-1996م.

85- ابن الفرضي(ت403هـ/1012م)، تاريخ علماء الأندلس، تح: بشار عوّاد معروف، ج2، ط1، دار الغرب الاسلامي، تونس، 1429هـ-2008م.

86- ابن فضل الله العمري(ت749هـ/1349م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج1، تح: حمزة أحمد عباس، منشورات المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، 2003م.

87- القاضي عياض(ت544هـ/1149م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح: محمد بن تاويت الطنجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط.

88- (ـــــــ ـــــــ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح: محمد بن تاويت الطنجي،ج4 ،وزارة- الأوقاف والشؤون الاسلامية، الرباط، د ت.

89- ابن القاضي(ت1025هـ/1616م)، جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م.

90- ابن قزمان(ت556هـ/1160م)، ديوان الزجل، نص ولغة وعروض، ف. كورنيطي، المعهد الاسباني العربي للثقافة، مدريد، 1980م.

91- القزويني(ت682هـ/1283م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د ت.

92- ابن القطان(ت638هـ/1230م)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمد علي مكي، المطبعة المهدية، تطوان، المغرب، د ت ..

93- القلقشندي(ت821هـ/1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا،ج5، المؤسسة المصرية العامّة، القاهرة، 1985.

94- ابن قنفذ القسنطيني(ت810هـ/1407م)، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق: محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد، الترآي، الدار التونسية للنشر، تونس، .1968

95- ابن القوطية(ت367هـ/977م)، تاريخ افتتاح الأندلس، تح: ابراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410، 1989.

96- الكتاني(ت)، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تح: عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني، ج3، ط1، دار الثقافة، 1425هـ- 2004م.

97- ابن الكردبوس(ت. أواخر القرن 6هـ/12م)، تاريخ الأندلس (الاكتفاء في أخبار الخلفاء) ، تح : أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1971م.

98- لسان الدين بن الخطيب(ت776هـ/1374م)، خطرة الطيف، رحلات في المغرب والأندلس، تح: أحمد مختار العبادي، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003م.

100- (ـــــــ ـــــــ ـــ ـــــــ)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، ج1، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1393هـ-1973م.

101- (ـــــــ ـــــــ ـــ ـــــــ)، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، تحقيق ا- ليفي بروفنسال ، دار المكشوف، ط2، بيروت، 1956م.

102- (ـــــــ ـــــــ ـــ ـــــــ)، جيش التوشيح، تح: هلال ناجي، محمد ماضور، مطبعة المنار، تونس، دت.

103- (ـــــــ ـــــــ ـــ ـــــــ)، رقم الحلل في نظم الدّول، المطبعة العمومية بحاضرة تونس المحمية ، 1316هـ.

104- (ـــــــ ـــــــ ـــ ـــــــ)، كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تح: محمد كمال شبانة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، د ت.

105- (ـــــــ ـــــــ ـــ ـــــــ)، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، جمع: أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1983.

106- (ـــــــ ـــــــ ـــ ـــــــ)، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، ج، تح: السعدية فاغية، مطبعة النّجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1409هـ-1989م.

107- مارمول كربخال(ت)، افريقيا، تر: محمد حجي، محمد ونيبر، وأخرون، ج2، مكتبة المعارف للنّشر والتوزيع، الرباط، 1404هـ-1984م.

108- ابن محرز الوهراني(ت575هـ/1575م)، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، تقديم عبد العزيز الأهواني، الجزائر: وزارة الثقافة، 2007م.

109- محمد بن حارث الخشني(ت371هـ/971م)، تاريخ قضاة قرطبة وعلماء افريقية، نشر وتصحيح: السيد عزت العطار الحسيني، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1415هـ- 1994.

110- محمد بن شاكر الكتبي(ت764هـ/1362م)، فوات الوفيات والذيل عليها، تح: احسان عباس، ج2، دار صادر، بيروت، د ت.

111- محمد بن قاسم الأنصاري السبتي(ت بعد 825هـ/1421م)، إختصار الأخبار عمّن كان بثغر سبتة من سنّي الأنصار ، تح : عبد الوهاب بن المنصور ، ط2 ، الرباط ، 1403هـ-1983م.

112- محمد التميمي الفاسي، أبوعبد الله ابن عبد الكريم (ت603هـ/1207م)، المستفاد في مناقب العبّاد بمدينة فاس ومايليها من البلاد، تح: محمد الشريف، ج1، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة عبد المالك السعدي، 2002م.

113- محمود ابن سعيد مقديش(ت)، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزاوي، محمد محفوظ، دار الغرب الاسلامي، د ت.

114- المقديسي(ت387هـ/997م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تح: محمد أمين الضناوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ، 2003م.

115- ابن منظور(ت711هـ/1311م)، لسان العرب، ج1، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ/1993م.

116- ابن المؤقت المراكشي(ت1369هـ/1949م)، السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، مراجعة وتعليق: أحمد متفكر، ط3، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 1432هـ-2011م.

117- مؤلف مجهول(عاش في القرن 6هـ/12م)، الإستبصار في عجائب الأمصار، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية، المطبعة الجامعية، 1958م.

118- مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، تح: ابراهيم الابياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410، 1989م.

119- مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القتادر زمامة، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979. .

120- مؤلف مجهول، الطبيخ في المغرب والأندلس على عهد الموحدين، تح: هويثي ميراندا، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد 1965م.

مؤلف مجهول، مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية ، ط1 ، دار أبي رقراق للطباعة و النشر ، الرباط ، .2004

121- الناصري السلاوي(ت1315هـ/1898م)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق، جعفر الناصري، محمد الناصري،ج1، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م.

122- ابن هانيء(ت362هـ/972م)، ديوان ابن هانيء، ج1، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1400هـ، 1980م.

123- ورجلاني(ت471هـ/1073م)، كتاب سير الأئمة وأخبارهم تح : اسماعيل العربي، الجزائر، المكتبة الوطنية، 1979م.

124- الونشريسي(ت914هـ/1508م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية والأندلس والمغرب، ج2، أخرجه مجموعة من الفقهاء، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1981م.

125- ياقوت الحموي(ت627هـ/1229م)، معجم البلدان، ج1، دار صادر، بيروت، 1977.

125- يحي بن عمر(ت289هـ/901م)، أحكام السوق(النظر والأحكام في جميع أحوال السوق)، تح: حسن حسني عبد الوهاب، الشركة التوتسية للتوزيع، 1975م.

126- يحي بن خلدون(ت778هـ/1376)، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تح: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1985م.

127- اليعقوبي(ت284هـ/897م)، كتاب البلدان، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2002م.

– المراجع :

*** المراجع العربية :**

1- ابتسام مرعي خلف الله، العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الاسلامي، 524-936هـ/1130-1529م دار المعارف، 1985م.

2- ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ص 217.

3- ابراهيم حركات، النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، دت.

4- ابراهيم سليمان الكردي وعبد التواب شرف الدين، المرجع في الحضارة الإسلامية، الكويت: منشورات دار السلام، 1984م.

5- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1986م.

6- إحسان عباس، اتحاد البحريين في بجانة بالأندلس، مجلة الأبحاث، مجلة الجامعة الأمريكية في بيروت، السنة 23، كانون الأوّل، .1970

7- احسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ط1، دار الشروق، الأردن، 1997م.

8- إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر المرابطين و الموحدين، ط1، دار الشروق لنشر والتوزيع، .2001

9- أحمد بلفريج، عبد الجليل خليفة، الأدب الأندلسي، ج1، مطبعة الوحدة المغربية، تطوان، 1941م.

10- أحمد شلبي، التّاريخ الاسلامي، (موسوعة التاريخ و الحضارة الإسلامية، ج4، مكتبة النّهضة المصرية، 1999م.

11- أحمد عزاوي، مجموعة رسائل موحدية، تح: أحمد عزاوي، ج2، ط1، 1416هـ-1996م، منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة.

12- أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ط1، كلية الاداب،

الاسكندرية، 1968م

13 - أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، د ت.

14- أحمد مختار العبادي، صور من حياة الحرب و الجهاد في الأندلس، ط1 ، منشاة المعارف ، الإسكندرية ، 2000م.

15- أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت، 1971م.

16- أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب و الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، .1978

17- اسماعيل سامعي، تاريخ الأندلس الاقتصادي والإجتماعي، ط1، منشورات مكتبة إقرأ، قسنطينة، 2007م.

18- آسية الهاشمي البلغيثي، ذو الوزارتين وزير المعتمد بن عباد ووزير يوسف بن تاشفين، حياته وأدبه، مكتبة الحرف المعتدل، سلا، 1419هـ-1998م.

19- الباز العريني، الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت، د ت.

20- بوزياني الدراجي، القبائل الامازيغية ، أدوارها ومواطنها وأعيانها، ط1، الجزائر، دار الكتاب العربي، 1999م.

21- التقي العلوي، "أصول المغاربة، القسم البربري، شعب صنهاجة"، مجلة البحث العلمي، المركز الجامعي للبحث الرباط، السنة 14، العدد 28، سنة 1977م.

22- جمال أحمد طه، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، دار الوفاء للطّباعة والنّشر، الإسكندرية، د ت.

23- الحبيب الجنحاني، المغرب الإسلامي الحياة الاجتماعية والاقتصادية"3- 4هـ"،" 9- 10م"، الدار التونسية للنشر 1978.

24- حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي، ج4، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1967.

25- حسن أحمد محمود، قيّام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، مصر، د ت.

26- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي المرابطون : صنهاجة الصحراء الملّثمين في المغرب و السودان والأندلس، ج4، ط1، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1995م.

27- حسن السائح، الحضارة الاسلامية في المغرب، ط2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1406هـ-1986م.

28- حسن باشا، قاعة بحث في العمارة والفنون الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1998م.

29- حسن حسني، ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية، مكتبة المنار، تونس، .1965

30- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ط1، مكتبة الخانجي، مصر- 1980م.

31- حسن يوسف دويدار، المجتمع الاندلسي في العصر الأموي(138- 422هـ/755-1030م)، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، 1414هـ-1994م.

32- الحسين بولقطيب، جوائع وأوبئة مغرب عهد الموحدين، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 2002م.

33- حسين مؤنس، المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، مصر، 2003م.

34- حسين مؤنس، تاريخ المسلمين في البحر المتوسط، الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ط2 ، القاهرة، الدّار المصرية اللبنانية، .1993

35- حسين مؤنس، سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد .1420هـ-2000م.

36- حسين مؤنس، فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدّولة الأموية(711-756م)، ط1، دار الحديث للنشر والتوزيع، 1432هـ-2002م.

37- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، .1992

38- حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1999م.

39- حمدي عبد المنعم حسين، التّاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997م.

40- حمدي عبد المنعم حسين، دراسات في التّاريخ السياسي الأندلسي، دولة برزال في قرمونة 404هـ-459هـ/1013م-1067م، الاسكندرية، مطبعة مؤسسة شباب الجامعة، 1990م.

41- خالد بلعربي، الدّولة الزيّانية في عهد يغمرا سن، دراسة تاريخيّة وحضارية (633-681 هـ/1235-1282م) ، ط1، مطبعة تلمسان، 2005م.

42- خليل إبراهيم السامرائي ، علاقات المرابطين بالمماليك الإسبانية بالأندلس وبالدول الإسلامية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجزائر، 1985م.

43- خليل ابراهيم السامرائي، عبد الواحد ذنون طه وأخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1، دار الكتاب المتحدة الجديدة، بيروت، 2000م.

44- خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج8، ط10، دار العلم للملايين، بيروت، د ت.

45- خير الدين الزركلي، فهرس الأعلام، ج2، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1980.

46- رجب عبد الجواد ابراهيم، معجم علماء اللّغة و النّحو في الأندلس من الفتح إلى سقوط الخلافة، ط1، دار الأفاق العربية ، القاهرة، 1424هـ- 2004م.

47- رجب عبد الجواد، ألفاظ المأكل والمشرب في العربية الأندلسية(دراسة في نفح الطيب للمقري، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م.

48- رشيد الناضوري، المغرب الكبير، العصور القديمة أسسه التاريخية الحضارية والسياسية، بيروت، دار النهضة العربية، .1981

49- زامبادور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان، دت.

50- زينب نجيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، ج3، ط1، دار الأمير للثقافة

والعلوم، 1995م.

51- سامي محمد نور، الكامل في مصطلحات العمارة الإسلامية، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2009م.

52- سامية مصطفى مسعد، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية، ط1، عين للدراسات والبحوث الانسانية والإجتماعية، 2000م.

53- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، تاريخ دول الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة حتّى قيام الفاطميين، ج2، منشأة المعارف، الإسكندرية ، 1990م.

54- سعدون عباس نصر الله، دولة الادارسة في المغرب، العصر الذهبي(172-223هـ/788-835م)، ط1، دار النهّضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1408هـ-1987م.

55- سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب و الأندلس، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1985م.

56- سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النّهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، .1976

57- السيد عبد العزيز سالم ومختار العبادي، تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والأندلس، بيروت، دار النهضة العربية، 1969م.

58- السيد عبد العزيز سالم، المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة و النّشر والتّوزيع، 1986م.

59- السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير العصر الإسلامي دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

60- السيد عبد العزيز سالم، النّظم الإسلامية بالأندلس، دائرة معارف الشعب، مطابع الشعب، 1959م.

61- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 2009م.

62- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس (من الفتح العربي حتّى سقوط الخلافة بقرطبة)، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، د ت.

63- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

64- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية للطباعة والنّشر والتّوزيع، 1985م.

65- السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس "دراسة تاريخية عمرانية وأثرية في العصر الاسلامي"، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997م.

66- السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج2، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1997م.

67- الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر، قرطاجة البونية، تاريخ وحضارة، تونس، مركز النشر الجامعي، 1999م.

68- شكيب أرسلان، الحلل السندسية في أخبار الجزيرة الأندلسية،ج3، القاهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، د ت.

69- شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ج1، ط1، المكتبة الرّحمانية، مصر، 1355هـ/1936م.

70- عباس الجراري، الأمير الشاعر أبو الربيع سليمان الموحدي، عصره، حياته وشعره، دار الثقافة، الدار البيضاء 1984م.

71- عباس الجراري، موشحات مغربية، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، أفريل 1973م.

72- عبد الحميد حاجيات وأخرون، الجزائر في التاريخ، العهد الاسلامي، ج3، - المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

73- عبد الحميد حسين أحمد السامرائي، تاريخ حضارة المغرب و الأندلس في عهدي المرابطين والموحدين، دار شموع الثقافة، دت.

74- عبد الحميد سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي ، الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين، ج3، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، .1990

75- عبد الحميد سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي ، الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين، ج3، منشأة المعارف، الإسكندرية، .1990

76- عبد الحميد محمود الشرقاوي، الحياة الاقتصادية في الأندلس الإسلامي في القرن الرابع الهجري، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، 1950م.

77- عبد الرحمان زكي، الاسلام و المسلمون في غرب افريقيا، القاهرة ، مطبعة يوسف، دت.

78- عبد الرحمان زيدان، العز والصّولة في معالم نظم الدّولة، ج1، المطبعة الملكيّة، الرباط، 1381هـ-1961م.

79- عبد الرحمان علي الحجي، التّاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي الى سقوط غرناطة، ط2، دار القلم، بيروت، 1402هـ-1981م.

80- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث، الجزائر ، المديّة ، مليانة، ط2، مطبعة صاري، بدر الدين وأبناؤه، الجزائر، 1972م.

81- عبد الرحمن الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط2، دار القلم، بيروت، .1981

82- عبد العزيز الأهواني، الزجل في الأندلس، شركة الأمل للطباعة والنّشر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2002م.

83- عبد العزيز بن عبد الجليل، الموسيقى الأندلسية مظهر من مظاهر التسامح في المجتمع الأندلسي، ط1، دورية الحضارة الإسلامية في الأندلس، الدار البيضاء، 2003م.

84- عبد العزيز بن عبد الله ، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، معلمة المدن والقبائل، مطبوعات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، المغرب، 1977م.

85- عبد العزيز بن عبد الله، معطيات الحضارة المغربية، ج1، ط3، دار الكتب العلميّة، الرباط، 1963م.

86- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002م.

87- عبد الله السويسي، تاريخ رباط الفتح، مطبوعات دار المغرب للترجمة والتأليف، الرباط، 1979م.

88- عبد الله عفيفي، المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، ج3، مكتبة الثقافة، المدينة المنورة، 1350هـ-1932م.

89- عبد الله علي علاّم، الدّعوة الموحدية بالمغرب، دار المعرفة، القاهرة، دت. محمد رزوق، دراسات في تاريخ المغرب، ط1، مطبعة إفريقيا الشرق، 1991، ص.75

90- عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج1 ، الرباط ، 1380هـ ، 1960م.

91- عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي(ت524هـ/1129م)، حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره في المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.

92- عبد المجيد نعنعي، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، التاريخ السياسي، دار النّهضة العربية، بيروت، 1986م.

93- عبد الواحد دنون طه، النتظيم الاجتماعي في الأندلس في عصر الولاة ، 95-138هـ/714-756م، ضمن كتاب دراسات أندلسية، ط1، دار الكتب الوطنية ليبيا، 2004.

94- عبد الواحد دنون طه، النتظيم الاجتماعي في الأندلس في عصر الولاة، 95-138هـ/714-756م، ضمن كتاب دراسات أندلسية، ط1، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2004م.

95- عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، ج1، المطبعة الملكية، الرباط، 1388هـ – 1968، ص.128

96- عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ العمارة الاسلامية وفنونها التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج3،

عصر الموحدين، ط1، مطبعة المعاريف الجديدة، الرباط، 1993م.

97- عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن 6هـ، ط1، دار الشروق، بيروت، 1403هـ-1983م.

98- عز الدين عمر أحمد موسى، دراسات في تاريخ المغرب الاسلامي، ط1، دار الشروق، بيروت، 1403هـ – 1983م.

99- عصام الّدين الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشّرق، القاهرة، د ت.

100- عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت ، 1988م.

101- علي حسن الشطشاط، نهاية الوجود العربي في الأندلس، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م.

102- علي محمد محمد الصّلابي، الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، ط2، مكتبة الأيمان، المنصورة، .1426هـ/2006م.

103- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ج5، الأدب في المغرب و الأندلس عصر المرابطين والموحدين، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1982م.

104- فتحي زغروت، العلاقات بين الأمويين الفاطميين في الأندلس والشّمال الإفريقي 300هـ-350هـ، ط1، دار التّوزيع والنّشر الإسلاميّة ، القاهرة، 2006م.

105- فراد محمد أرزقي، القوى المغربية في الأندلس خلال عهد ملوك الطوائف، القرن 05هـ /11م، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1991م.

106- القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المجتمع، الذهنيات، الأولياء ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، د ت.

107- (ـــــــ ـــــــ)، حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2006م.

108- (ـــــــ ـــــــ) ، مباحث في التاريخ الاجنماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، 1997م.

109- القاسمي مولاي هاشم، مجتمع المغر الأقصفي منتصف القرن 4هـ، الدار البيضاء، 1995

110- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1968م.

111- كمال أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، الإسكندرية ، 1991م.

112- لطفي دبيش، التواصل الحضاري في الثقافة العربية الاسلامية، مركز النّشر الجامعي، 2010، منوبة، 2010م.

113- مالك بن نبي، شروط النّهضة، دار الفكر للنّشر والتوزيع، 2004م.

114- محمد أبو الفضل، الأندلس في العصر الإسلامي، 515هـ-686هـ/1121م-1287م، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1996م.

115- محمد الأمين بلغيث، فصول في التاريخ والعمران بالغرب الاسلامي، ط1، أنتير سينيي، الجزائر، 1428هـ/2007م.

116- محمد الصغير غانم، التوسع الفنيقي في غربي البحر المتوسط، ط2، الجزائر – لبنان ، ديوان المطبوعات الجامعية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1982م.

117 - محمد القبلي، الدّولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط، علائق وتفاعل، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1997م.

118- محمد القبلي، مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، ط1، دار توبقال للنشر، 1987م، ص18.

119- محمد المغراوي، الموحدون وأزمات المجتمع، ط1، منشورات دار جذور للطبع، الرباط، 2006م.

120- محمد المغراوي، الموحدون وأزمات المجتمع، ط1، منشورات دار جذور للطبع، الرباط، 2006م.

121- محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرنيين، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 1996م.

122- محمد بشير العامري، دراسات حضارية في التّاريخ الأندلسي، ط1، دار غيداء للنّشر والتوزيع، 1414هـ-2012م.

123- محمد بن تاويت، تاريخ سبتة، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1402هـ-1982م.

124- محمد بن شريفة، تاريخ الأمثال والأزجال في الأندلس والمغرب(بحوث ونصوص)، ج1، ج5، مطبعة دار المناهل، منشورات وزارة الثقافة، 2006م.

125- محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م.

126- محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، 1968م.

127- محمد بيومي مهران، المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية،الاسكندرية، 1410هـ – 1990م.

128- محمد حسن قجة، محطات أندلسية في التاريخ و الأدب والفن الأندلسي، ط1، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدّة، 1985م.

129- محمد رزوق: الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17، ط3، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1998.

130 - محمد زنيبر، المغرب في العصر الوسيط، الدولة- المدينة- الاقتصاد، منشورات كليّة الآداب والعلوم الانسانية، سلسلة بحوث ودراسات رقم24، جامعة محمد الخامس، المملكة المغربية، الرباط، مطبعة النّجاح الجديدة، الدار البيضاء.

131- محمد سهيل طقوش، التّاريخ الاسلامي(الوجيز)، ط3، دار النفائس للطباعة والنّشر والتوزيع، 2006م.

132- محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، ط8، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1423هـ-2002م.

133- محمد عادل عبد العزيز، الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية، دار غريب للطباعة والتوزيع والنشر، د ت.

134- محمد عبد العزيز المرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافة، بيروت، دت.

135- محمد عبد الله عنان، الأثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، دراسة تاريخية أثرية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1961م.

136- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأوّل من الفتح إلى بداية عهد الناصر، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ-1997م.

137- محمد عبد الهادي شعيرة، المرابطون تاريخهم السياسي 430-539هـ، مكتبة القاهرة الحديثة، 1969م.

138- محمد عيسى الحريري، الدّولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، ط3، القلم للنّشر والتوزيع، الكويت، 1987.

139- محمد ماهر حمادة، الوثائق السياسية والادارية في الأندلس وشمالي افريقية 64-897هـ-683هـ-1492م، "دراسة نصوص"، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م.

140- محمد محمد زيتون، القيروان ودورها في الحضارى الإسلامية، ط1، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 1408هـ-1988م.

141- محمد محمد زيتون، المسلمون في المغرب والأندلس، دار الكتب، مصر، .1990

142- محمد مزين، فاس وباديتها مساهمة في تاريخ المغرب السعدي 1549-1637م، ج، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإسلاية، الرباط، 1406هـ، 1986م.

143- محمد ولد داداه، مفهوم الملك في المغرب، دار الكتاب البناني للطباعة والنشر والتوزيع، 1977م.

144- مريم قاسم الطويل، مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر(403-483هـ/1012-1090م) ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، .1994

145- مصطفى الشعكة، الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه، ط6 ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1986م.

146- مصطفى عبد الكريم عوض، فن التوشيح، ط2، دار الثقافة للنشر والتّوزيع، بيروت، 1997.

147- موسى لقبال، المغرب الاسلامي من بناء المعسكر حتّى انتهاء ثورات الخوارج، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

148- موسى لقبال، المغرب الاسلامي منذ بناء معسكر القرن حتّى انتهاء ثورات الخوارج سياسة ونظم، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984م.

149- موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر، 1979.

150- نصر الله سعدون، تاريخ العرب السياسي في المغرب، ط1، دار النّهضة العربية، بيروت، 1988م.

151- هشام أبورميلة، علاقات الموحدين بالمماليك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، ط1، دار الفرقان للنشر والتوزيع، 1404هـ-.1984

152- يوسف فرحات، معجم الحضارة الأندلسيّة، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 2000م.

153- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تجارة القوافل ودوره الحضاري حتّى نهاية القرن التاسع عشر، 1404هـ-1984م ، إشراف أحمد ابراهيم دياب، معهد البحوث والدراسات الغربية.

* **المراجع المعربة** :

1- أدم ميتز، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، تر: محمد عبد الهادي أبو ريدة، ج2، دار الكتب، القاهرة، دار الكتاب العربي، مكتبة الخانجي.

2- أرشيبالد لويس، القوى البحرية والتّجارية في حوض البحر المتوسط (500-1100م)، تر: أحمد محمد عيسى، مراجعة- : محمد شفيق غربال، مكتبة النّهضة، القاهرة، ص.260

3- انخيل جانتالت بالنسيا، تاريخ الفكر الأندلسي، تر: حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، ط1، القاهرة، 1955م.

4- أوليفيا ريمي كونستابل، التّجارة والتّجار في الأندلس، ترجمة فيصل عبد الله، الرياض، مكتبة العبيكان، 2002م.

5- باسيليوبابون مالدونادو، العمارة في الأندلس، عمارة المدن والحصون، تر: علي إبراهيم منوفي، م2، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2005م.

6- جواتياين، وحدة عالم البحر المتوسط في أواسط العصور الوسطى، ضمن كتاب دراسات في التاريخ الاسلامي، والنّظم الإسلامية، تعريب وتحقيق عطية القوسي، ط1، الكويت، وكالة المطبوعات، .1980

7- جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر: محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1991م.

8- دافيد وينز، (فنون الطبخ في الأندلس)، ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج2، مركز دراسات الوحدة العربية، يبروت، 1999م.

9- رشيد بوروبية، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، تر: ابراهيم شيوخ، إصدارات المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979م.

10- روجيه لاتورنو، فاس في عصر بني مرين، تر: نقولا زياد، مكتبة لبنان، د ت.

11- شاخت وبزورث، تراث الاسلام: القسم الثالث، ترجمة حسين مؤنس وصدقي العمد، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون بالكويت، 1978م.

12- صموئيل هانتيغتون، الإسلام و الغرب (آفاق الصدام)، تر : مجدي شرشر، ط1، مكتبة مدبولي، 1415هـ-1995م.

13- غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، د ط.

14- غوستاف لوبون، حضارة الغرب، نقله إلى العربية عادل زعيتر، ط3، طبع دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1956م.

15- فرانسوا دوكريه، قرطاجة الحضارة والتاريخ: تر: يوسف شلب الشام، ط1، دار طلاس، دمشق، 1994م.

16- ليوبولد بالباس، المدن الاسبانية الاسلامية، تر: دورو دي لابنيا، مراجعة عبد الله بن ابراهيم الغمار، ونادية محمد جمال، ط1، مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 2003م.

17- ماريا ج فينغيرا، (المنزلة الاجتماعية لنساء الأندلس)، ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999م.

18- موريس لومبارد، الإسلام في مجده الأوّل، تر: اسماعيل العربي، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، .1984

19- وول وايريل ديورانت، نشأة الحضارة، تقديم: محي الدين صابر، تر: زكي نجيب محمود، ج1، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، دت.

- الندوات والملتقيات الدولية :

1- محمد اللّبار، التعريف الجغرافي لمضيق جبل طارق عبر التاريخ، ندوة دور مضيق جبل طارق في علاقات المغرب الدولية، جامعة تطوان، المغرب، مارس2001.

2- سليمان بن داود، دور الجزائريين في نشر الحضارة الاسلامية بالأندلس، من كتاب حلقات من تايخ المغرب الإسلامي 'محاضرات الملتقى السادس للفكر الإسلامي، مطبعة أبوداود، ، الجزائر، 1993م.

3- محمد بن شريفة، العناية بتاريخ المغرب والأندلس، مقال ضمن ندوة الثرات العربي المشترك بين الأندلس والمغرب، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة الدورات، غرناطة 12-19 شوال 1412هـ/21-23 أبريل 1992م.

4- محمد الشريف واشق، نظرة تاريخية حول الحركة الثقافية في مدينة بجاية، مجلة الصومام، عدد خاص بملتقى الفكر الإسلامي، جويلية، 1985م.

- الدوريات :

باللغة العربية :

1- ميكال دي ايبالزا، حول ثلاث أحداث غير معروفة من العلاقات التاريخية بين عنابة واسبانيا، تر: عبد الحميد حاجيات، الأصالة، عدد 34،35، .1976

2- سلفادور غومت نوغاليس، الرستميون قنطرة صلة بين الجزائر والأندلس من خلال الإباضية، مجلة الأصالة، العدد 46 ، 47، السنة الخامسة، 1977م.

3- سحر السيد عبد العزيز سالم، الهجرات المورسكية والأندلسية الكبرى إلى جنوب البحر المتوسط، أضواء على المراكز التجارية بين المغرب الأوسط والأقصى في القرن 3هـ، من كتاب أوراق تاريخية بحر متوسطية من العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1995م.

4- محمود علي مكي، "وثائق تاريخية عن عصر المرابطين، 169م، صحيفة المعهد المصري لدراسات الإسلامية، م7- 8 سنة 1959-1960م.

5- سهام الدبابي الميساوي، الخبز طعام في الأندلس في القرون الخامس والسادس و السابع الهجري(11-12-13م)، مجلة دراسات أندلسية، عدد7، تونس، جانفي.1992

6- صالح محمد فياض أبو دياك، العلاقات الثقافية بين المغرب والأندلس، مجلة المؤرخ العربي، العدد 33، السنة الثالثة عشر، 1407هـ/1987م.

7- بان علي محمد، "أنواع الأطعمة والأشربة في بلاد المغرب العربي عصري المرابطين والموحدين"، م18، كليّة التربية للبنات، جامعة بغداد، 2007م.

8- رينهارت دوزي، القاموس المفصل بأسماء الملابس عند العرب، مجلة اللسان العربي، تر: أكرم فاضل، المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي، جامعة الدوّل العربية، الرباط، 1972م.

9- حسين مؤنس، نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين: 1126/520إلى 1145، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، م1، عدد3، مدريد، 1955م.

10- عائشة حنفي، لباس البدن عند الرجال بمدينة الجزائر في العهد العثماني، حوليات المتحف الوطني للآثار القديمة، العدد 09، سنة 2000م.

11- سحر عبد العزيز سالم، "ملابس الرجال في الأندلس في العصر الإسلامي"، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1995م.

12- محمد مكي الناصري، "وحدة المغرب في ظل الاسلام"، مجلة الثقافة، السنة3، عدد 15، الجزائر، 1973م.

13- محمد إبلاغ، "الرياضيات في الاندلس مابين القرنين (3 و 9 هـ /10 و 15 م)، السجل العلمي لندوة قرون من التقلبات و العطاءات، القسم الثالث، ط1، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1417هـ/1996م.

14- أحمد مختار العبادي، الأعياد في مملكة غرناطة، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1970م.

15- محمد بن شريفة، العناية بتاريخ المغرب والأندلس، مقال ضمن ندوة الثرات العربي المشترك بين الأندلس والمغرب، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة الدورات، غرناطة 12-19 شوال 1412هـ/21-23 أبريل 1992م.

16- اسماعيل العربي، العمران والنشاط الإقتصادي في الجزائر في عصر بني حماد، مجلة الأصالة، عدد19، 1974م.

17- بلمليايني بن عمر ، "مذاهب القراء في قراءات الغرب الإسلامي منذ القرن الخامس الهجري" ، مجلة كلية الأداب ، العدد السادس ، جانفي 2005م.

18- جاك كاني، المغرب الشّمالي في أواسط ق 5هـ/11م، مجلة البحث العلمي، العدد20، الرباط، .1973

19- جاك كاني،"مدينة سبتة أواسط ق5هـ/11م" مجلة البحث العلمي، العدد 21، الرباط 1973.

20- الحبيب الجنحاني، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سجلماسة عاصمة بني مدرار، المؤرخ العربي، العدد الخامس، ص.149

21- حسين مؤنس، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1386هـ- 1967م.

22- خالد سليكي وآخرون، في تقنيات التواصل، منشورات المركز المتوسطي للدراسات والأبحاث، ط1، طنجة، ، .2007

23- سامي سلطان، الجاليات الإيطالية التّجارية في المغرب الإسلامي حتى نهاية ق 14، سيرتا، عدد 10، أفريل 1988م.

24- سعد عبد الله البشري، الحياة العلميَّة في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، 422 . 488هـ، منشورات مركز الملك فيصل، الرياض، 1414هـ-1993م.

25- السيد عبد العزيز سالم، التخطيط ومظاهر العمران في العصور الوسطى، مجلة المجلة، عدد 09، سبتمبر، 1957م.

26- السيد عبد العزيز سالم، بعض المصطلحات للعمارة الأندلسية المغربية، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد الخامس، 1957م.

27- صالح يوسف بن قربة، مقدمة لدراسة الملابس المغربية- الأندلسية في العصر الإسلامي من

خلال المصادر التاريخية والأثرية، مجلة التاريخ العربي ، عدد 14، ربيع 1421هـ-2000م.

28- صباح ابراهيم الشيخلي، النشاط التجاري في بلا د المغرب خلال القرن 4 هـ : دراسة من خلال كتاب صورة الارض لابن حوقل، مجلة التاريخ العربي، العدد .6

29 - الطاهر أحمد مكي، الموشحات فن أصيل ومتطور، مجلة الأصالة، العدد 11 سنة 1972م.

30- عباس الجراري، (أثر الأندلس على أروبا في مجال النغم والإيقاع)، مقال منشور بمجلة عالم الفكر، العدد الأوّل، أبريل – يونيو 1981م.

31- عبد الحميد حاجيات، "التحولات الفكرية غي عهد المرابطين" ، مجلة كليّة الأداب ، العدد الأوّل ، جامعة تلمسان ، نوفمبر 2000.

32- عبد العزيز بن عبد الله، (الفن المعماري بالمغرب والأندلس الأخذ والعطاء)، مقال ضمن كتاب التراث الحضاري المشترك بين إسبانيا والمغرب، الرباط، الهلال العربية للطباعة والنشر، المملكة المغربية، 1993م.

33- عبد الله بن صالح، نص جديد عن فتح العرب للمغرب، نشر ليفي بروفنسال، تعليق: حسين مؤنس، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1954، م2، عدد291.

34- عبد المالك الشامي، ملامح من التلاقح الحضاري بين الأندلس والمغرب، خطط الدولة بين النظرية المرابطية والتجربة الأندلسية، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، عدد 389، 2008، مطبعة الأمنية، الرباط

35- العربي محمد،"سبتة رجالها ومكانتها وصلاتها العلمية بمختلف الحواضر الاسلامية، مجلة المناهل العدد22، المغرب .1982

36- لمياء عز الدين الصباغ، القيروان ملتقى الأندلسيين، مجلة التربية والعلم، المجلد 18، العد 4، قسم التاريخ، كليّة الأداب، جامعة الموصل، سنة 2011م.

37- لويس بولسن، (الطبيخ الأندلسي فن من فنون الحياة ق(05-07هـ/11-13م)، مجلة دراسات أندلسية، عدد6، تونس، 1991م.

38- محمد اليعلاوي، بلاط بني حمدون بالمسيلة من خلال شعر ابن هانئ الأندلسي، مجلة الأصالة، عدد، 24، .1975

39- محمد بن تاويت، (الموسيقى والغناء في الأندلس)، مجلة الأبحاث، مجلد 21، عدد02، بيروت، ديسمبر 1968.

40- محمد بن عمر، "مركز تلمسان الثّقافي من أجادير الإدريسية إلى تاجرارت المرابطية"، مجلة كلية الأداب والعلوم الإنسانية و الإجتماعية، العدد 3و4، جامعة تلمسان، 2004 ، ص 170.

41- محمد رزوق، الجالية الأندلسية بالمغرب العربي، مجلة المناهل، المغرب، العدد34، السنة13، مطبعة فضالة، 1986م.

42- محمود علي مكي، وثائق تاريخية عن عصر المرابطين، مقال بمجلة معد الدراسات الاسلامية بمدريد، المجلد السابع والثامن، 1960/1959م.

43- المؤرخ المصري، أثر الأندلس الحضاري في مجال الإدارة على المغرب في عصري المرابطين و الموحدين، دراسات وبحوث في التاريخ و الحضارة ، يصدرها قسم التاريخ ، كلية الأداب، جامعة القاهرة ، العدد 27 ، يناير 2004م .

44- ميكال دي ايبالزا، حول ثلاث أحداث غير معروفة من العلاقات التاريخية بين عنابة واسبانيا، تر: عبد الحميد حاجيات، الأصالة، عدد 34-35، .1976

45- نصر الدين سعيدوني، الجالية الأندلسية بالجزائر ومساهمتها العمرانية ونشاطها الاقتصادي ووضعها الاجتماعي، مقال ضمن كتاب مقالات أندلسية، مظاهر التأثير الأيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2003.

*** الدوريات باللّغة الأجنبية**

1- A gardére Vincent, Evolution de la notion de djihad à l'époque Almoravides(1039-1147), Cahier de civilisation médiéval, 41 année(n° 161) janvier-Mars 1998

2- R.D,Shaw,The fall of the Visgothic power in Spain,The English Historical Review,XXI,1960.
3- Dominique Valerian . Bougie, port Maghrèbin, 1067-1510 ,école française de Rome ,2006.
4- Lauraa Balletto « Genes et le Maghreb aux XV^{e} siecle » dans l'occident musulman et L'occident chrétien au Moyen Age . Raba. publication de la faculté des lettres- Univesité Mohamed V.

– المراجع الأجنبية :

1- Al-Andalus, Anthologie, traduction et et présentation par Brigite Foulon et Emanuelle Tixier du Menil, préface de Gabriel Martinez-Gros, Gf, Edition
2- Altameras,The Cambridge Medieval History, vol VI.
3- E.A,Thompson,the Goths in spain,Oxford,1969.
4- Huici Miranda, Ed, la Cocina Hispano Maghreb En epoca Almoahade, Madrid, 1965.
5- Isidoro of Seville, History of Goths, vandals;translated from the latin by Guido Donini and Gordon B. Ford Jr. Leiden, 1970.
6- jose Luis Mijares.Ciivilizacion Espanola . Madrid .1968 .vol .1.
7- Joseph,O'Callaghan, A History of Medieval Spain,New-york and London,1975.
8- J. Devisse, Routede commerce et Echange en Afrique Occidentalen relation avec la Méditerre, in R.H.F.S, année 1972.
9-Leman (A) :l'origine de l'idée de la Croisade, Hésperis,1937,T,XXIV B.Meakin, The Moorish Empire, London, Newyork 1899.

10 - Lévi Provençal, Histoire de l'Espagne Musulmane, Paris, Tom3, 1970.
11- Marçais Georges, .la chaire de la grande mosquèe de nedroma – de cinquantaire de la facultè des lettres d'alger, 1932.
12- Marçais Georges, et Wet, Les monuments Arabes de Tlemcen, Fon Temoing, Paris,1905.
13- Marçais Georges, Manuel d'art Musulmane, l'artchitecteure, Tunisie- Algérie- Maroc- Espagne- Siline, vol 1, Edition Auguste Piard, paris 1954.
14- Miranda, Ambroso Huici : Historia Musulmana de Valencia y su region : novedades y rectificaciones,3 Volumenes, Libreria anticuari epopeya, Zragoza, Epania
15- Pidal (M): The Cid and his spain, london, 1934.
16- Pierre Guichard, Al-Andalus 711-1492 une histoire de l'Andalousie arabe.
17- Terrasse Henri, Histoire du Maroc des origines à l'établissement du protectorat français, édition Atlandides, csablanca, 1949-1950

– الرسائل الجامعية :

1- ايمان بنت دخيل الله العصيمي، العلاقات العلمية بين الأندلس ومدينة فاس من بداية القرن الثالث الهجري وحتى سقوط غرناطة(201-898هـ/818-1292م)، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، قسم التاريخ و الحضارة الاسلامية، جامعة أم القرى، 1430هـ/2009م.

2- بغداد غربي، خطة الكتابة على عهد الموحدين، مذكرة ماجستير، كلية الحضارة والعلوم الإنسانية، جامعة وهران، 2006-2007م.

3- بن كانون صافية، التأثيرات الفنية الأندلسية على المغرب الأوسط في العهد الزياني (633-

962هـ/1235-1554م)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في الآثار، جامعة ابن بعطوش، الجزائر، 1999م.

4- بوطارن مبارك، العمائر الدينية في المغرب الأوسط من القرن السادس من نهاية القرن الثامن الهجري، "رسالة ماجستر"، جامعة الإسكندرية، 1991م.

5- حاج عبد القادر يخلف، الإسهام الفكري للبربر في الأندلس من العهد العامري إلى نهاية الوجود المرابطيي (371-539هـ/981م-1144م)، "رسالة ماجستير"، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2008-2009م.

6- الحبيب الحاكمي، الإسهام العلمي للبربر في الأندلس على عهد الموحدين من منتصف القرن السادس إلى مطلع القرن السابه الهجريين (ق12-13م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 1430-1431هـ/2009-2010م.

7- حناش فهيمة، العلاقات بين المغرب الأوسط والأندلس خلال القرنين 05-06هـ/11-12م-دراسة اجتماعية وثقافية- مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في حضارة المغرب الأوسط في العصر الإسلامي، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية، قسنطينة، 2011-2012م.

8- دلال لواتي، عامّة القيروان في العصر الأغلبي"184-296هـ/800-908م، رسالة ماجستير منشورة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2001م.

9- رفيق خليفي، البيوتات الأندلسية بالمغرب الأوسط من نهاية القرن 3هـ إلى نهاية القرن 9هـ، "رسالة ماجستير"، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر 2007- 2008م.

10- سفروح أم الخير، تطوّر المحراب في عمارة المغرب الأوسط خلال العصر الإسلامي" منذ بداية افتح الإسلامي حتى نهاية عصر الزيانيين، دراسة تاريخية وأثرية"، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، إشراف صالح بن قربة، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1994م.

11- عبد المجيد النّجار، المهدي بن تومرت، حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، ط1، رسالة دكتوراه، 1403هـ – 1983م.

12- عز الدين عمر أحمد موسى، تنظيمات الموحدين ونظمهم في المغرب، رسالة مقدمة الى دائرة التاريخ في الجامعة الأمريكية في بيروت لاتمام المطلوب للحصول على درجة أستاذ في الآداب، بيروت، فبراير 1969م.

13- عيسى بن الذيب، المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصاية 448هـ-540هـ/1056م-1145م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، كليّة العلوم الإنسانية الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008-2009م.

14- كمال صادقي، الصناعة الحرفية بالمغرب الاوسط في عهد بني حماد "398-547هـ/1007-1152م"، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2007م.

15- ليلى أحمد النّجار، دولة الموحدين في عهد المنصور الموحدي، دراسة تاريخية وحضارية، 580- 590هـ/1184- 1198م، ج1، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التّاريخ الإسلامي، كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أمّ القرى، المملكة العربية السعودية، 1409هـ/1989م.

16- ليلى أحمد نجّار، العلاقات بين المغرب والأندلس في عهد عبد الرحمان الناصر(300-، 92/350-961م)، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التّاريخ الإسلامي، كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، مكة السنة الجامعية:1402-1403/1982-1983م.

17- محمد الأمين بلغيث، الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين، رسالة دكتوراة دولة، ج1، جامعة الجزائر، 1423-1424هـ/2003م-2004م.

18- محمد رابح فيسة، المنشأت المرابطية في مدينة ندرومة، (رسالة ماجستير)، جامعة الجزائر، قسم الأثار، 2005م.

19- مليكة حميدي، المرأة المغربية في عهد المرابطين (448هـ-541هـ/1056م-1146م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التّاريخ الإسلامي، كليّة العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم

التاريخ، جامعة الجزائر، 2002م.

20- نصيرة عزرودي، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب الأوسط من القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) وحتّى آخر القرن الثامن الهجري(الرابع عشر ميلادي)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الإسكندرية، 2007م.

- المواقع الالكترونية :

1- محمد السروتي، (2008/06/10)، التواصل الحضاري الذي نتغياه، 2017/05/19م، http://www.alukah.net/culture.

2- طراز الملابس في عهد دولة المرابطين في المغرب العربي، www.almasalik.com

3- بومدين بوزيد، اللّباس الدّيني الرمزية المعرفية والاجتماعية، الدّوحة ملتقى الابداع العربي، www.aldohamagazine.com/article.aspx ?nالعدد 66، أفريل 2013م،

فهرس المحتويات

مقدمة:.....أ

مدخل: التعريف بمصطلحات البحث : .....

المبحث الأوّل: الإطار التاريخي والجغرافي للبحث 1

1)الإطار التاريخي والجغرافي للدّولة المرابطية (448- 541هـ/1056- 1147م): 1

2) الإطار التاريخي والجغرافي للدولة الموحدية (541-668هـ/1147- 1269م): 2

المبحث الثاني: المرتكزات الجغرافية للبحث : 3

1) بلاد المغرب : 3

2) الأندلس : 7

المبحث الثالث: مفهوم التّواصل الحضاري: 9

الفصل الأوّل: الاتصال الحضاري بين بلاد المغرب والأندلس قبل عصر المرابطين

المبحث الأوّل: الصلات التّاريخية والسياسية 12

1) الصلات الجغرافية والجيولوجية 12

2) الصلات بين العدوتين في العصور التاريخية القديمة.....14

3) العلاقات بين العدوتين بعد الفتح الإسلامي 16

4) العلاقات في ظلّ الدّولة الأموية بالأندلس والدّول المستقلة ببلاد المغرب 23

5) العلاقات بين العدوتين منذ ظهور الفاطميين بالمغرب إلى انهيار سلطة الأمويين بالأندلس 29

المبحث الثاني: الصلات البشرية بين العدوتين قبل العصر المرابطي.....33

1) هجرات البربر إلى الأندلس إلى غاية منتصف القرن الرابع الهجري 33

2) توافد الأندلسيين على بلاد المغرب قبل ظهور المرابطين 38

المبحث الثالث: الصّلات الفكرية والثقافية.....46

1) رحلة الأندلسيين العلمية إلى بلاد المغرب 46

2) رحلة المغاربة العلمية إلى الأندلس 54

المبحث الرابع: العلاقات التّجارية.....59

1) الصّلات البحرية بين الأندلس وبلاد المغرب.....59

2) الحركة التّجارية بين العدوتين.....69

الفصل الثاني: التّفاعل السياسي بين بلاد المغرب والأندلس في عصري المرابطين والموحدين 79

المبحث الأوّل: توحيد المرابطين لبلاد المغرب والأندلس.....79

1) الوضع السياسي في الأندلس قبل ظهور المرابطين 79

2) ظهور الدّولة المرابطية ببلاد المغرب 86

3) تدخل المرابطين في الأندلس.....91

المبحث الثاني: انتقال الأندلس من حكم المرابطين إلى سلطة الموحدين 103

1- مرحلة الانتقال السياسي ببلاد المغرب والأندلس.....103

2- علاقات الأندلس بالمرابطين والموحدين.....111

3) ثورات أهل الأندلس على الموحدين 118

4) خلاص الأندلس للموحدين.....127

المبحث الثالث: استفادة بلاد المغرب من الخبرة السياسية الأندلسية 133

1) أسس بناء الدّولتين المرابطية والموحدية 133

2) دور الأندلسيين في بناء الدولة المرابطية 141

3) مساهمة الأندلسيين في بناء النّظام السياسي الموحدي..... 148

4) نموذج من التلاقح السياسي بين بلاد المغرب والأندلس 155

الفصل الثالث: التأثير الحضاري الأندلسي على بلاد المغرب..... 166

المبحث الأوّل: تأثيرات الحياة الإجتماعية الأندلسية على بلاد المغرب 166

1) التأثيرات في مجال اللّباس 166

2) ألوان الطّعام ببلاد المغرب وتأثرها بالأندلس 172

3) التّقاليد الأندلسية ببلاد المغرب 178

1.3) تقاليد الأعياد..... 178

4) اهتمام أهل المغرب باللّهو والترفيه 185

المبحث الثاني: التأثير الفني والمعماري الأندلسي 189

1) التأثير الفني الأندلسي في مجال الموسيقى والغناء على بلاد المغرب..... 189

1.1) موقف المرابطين والموحدين من فن الموسيقى والغناء..... 190

2.1) انتقال فنون الموسيقى والغناء الأندلسية إلى بلاد المغرب..... 193

2) فن البناء والعمارة 197

1.2) عوامل التأثير المعماري الأندلسي على بلاد المغرب 197

2) التأثيرات المعمارية الأندلسية في عصر المربطين(المساجد أنموذجا) 201

3) التأثيرات المعمارية الأندلسية في عصر الموحدين..... 209

المبحث الثالث: التأثيرات العلمية الأندلسية على بلاد المغرب..... 214

1) احتضان حكام بلاد المغرب لعلماء الأندلس 214

2) الكتب الأندلسية المتداولة في بلاد المغرب 230

3) تدريس الأندلسيين للعلوم ببلاد المغرب 236

الفصل الرابع : اسهام البربر الحضاري في العصرين المرابطي والموحدي.....242

المبحث الأوّل: الخريطة الديمغرافية لبلاد المغرب في العصر المرابطي والموحدي.....242

1) تحولات الخريطة البشرية في العصر المرابطي 242

2) التحركات البشرية في العصر الموحدي..... 251

المبحث الثاني: علاقة بربر بلاد المغرب بحضارة الأندلس 258

1) الحالة القبلية للمجتمع المغربي في عصري المرابطين والموحدين 259

2) الاحتكاك الحضاري لبلاد المغرب بالأندلس 263

المبحث الثالث: مظاهر الحضور الإجتماعي لأهل بلاد المغرب بالأندلس..... 283

1- أثر لباس بلاد المغرب على الأندلسيين 283

2- انتقال الأطعمة المغربية إلى الأندلس..... 293

المبحث الرابع: اسهام البربر في الحياة الثقافية بالأندلس 300

1- أعلام المغرب الذين دخلوا الأندلس لتحصيل العلوم. 301

2- أعلام المغرب الذين قاموا بالتدريس في الأندلس 309

3- الإنتاج العلمي لعلماء بلاد المغرب..... 313

الفصل الخامس: التمازج الحضاري بين المغرب والأندلس في عصري المرابطين والموحدين..... 319

المبحث الأوّل: الاندماج العسكري بين الجيش الأندلسي وجيوش بلاد المغرب..... 319

المبحث الثاني: التمازج الإجتماعي بين المغرب والأندلس 342

المبحث الثالث :مسالك التّواصل التّجارية والثّقافية بالمغرب الإسلامي خلال العصرين المرابطي والموحدي..... 352

خاتمة :.....374

ملاحق:.....379

بيبلوغرافيا:.....391

فهرس المحتويات:.....428

ملخص :

تضافرت جملة من العوامل في إيجاد ذلك التواصل الحضاري بين بلاد المغرب والأندلس خلال حكم المرابطين والموحدين؛ وقد أفرزت لنا علاقة تأثير وتأثر بين العدوتين، بل تم وصل بلاد المغرب بالتطور الحضاري في الأندلس بفضل الوحدة السياسية والمذهبية ، كما نتج عن ذلك تداعيات أخرى اجتماعية واقتصادية وفكرية ومعمارية وفنية.

تغيرت معالم هذه العلاقة من استقبال وتأثر واحتضان بلاد المغرب للمعارف الأندلسية إلى صانعة ومصدرة لها ومؤثرة فيها وتجلى ذلك في مظاهر الإسهام لأعلام المغرب بالعدوة الأندلسية .

الكلمات المفتاحية : الأندلس – بلاد المغرب – التواصل الحضاري – المرابطون – الموحدون .

Résumé :

Plusieurs facteurs ont contribué à créer une relation continue entre l'andalousie et le maghreb durant la période des Almoravides et des Almohades .

'la civilisation' en Andalousie avait des répercutions sur la vie culturelle , économique , sociale ,artistique et architecturale.

Le Maghreb n'était pas seulement une plateforme de réception du savoir andalous mais le produisait lui aussi et exerçait une influence similaire.

Mots clés : répercution -influence -Almoravides – Almohades-maghreb-andalousie.

Abstract :

This research is an observation for the relationships between Andalus and Maghreb since the beginning of Almoravides in there until almohades failing, and studying the most important of Andalusian affects in the life at Maghreb cities: (economical , scientific, social ,and architectural factors).

Transferring the sciences, Building , Trade, the missions ,emigration are the phenomena of the this relationships ,where as the scientific affects was the most important of the exchanging .

The Maghreb was not only a platform for receiving Andalusian knowledge, but also produced it and exerted a similar influence.

Key words: Andalus- maghreb - Andalusian affects- exchanging- Almoravides - Almohades.